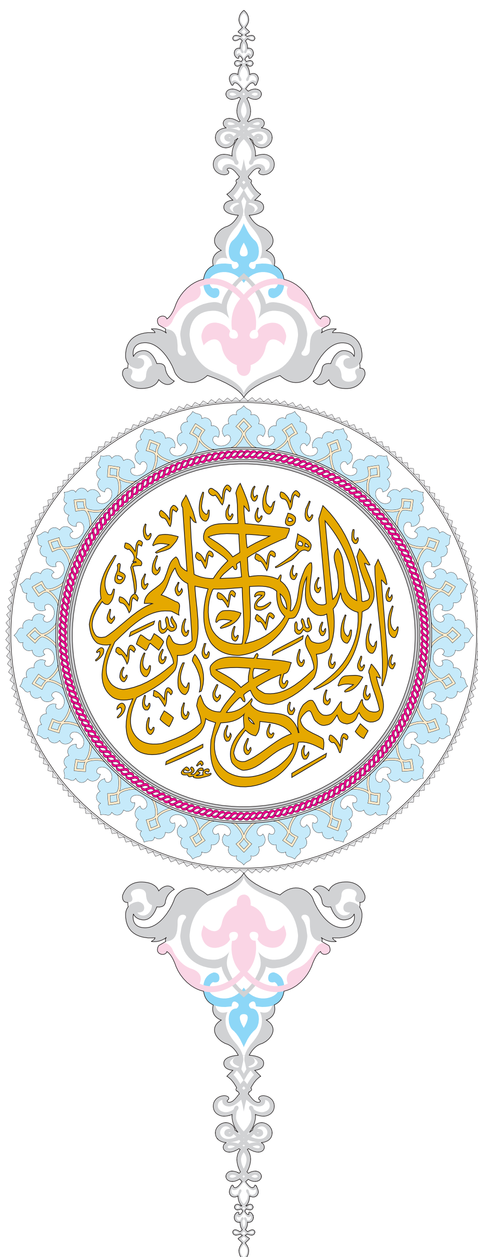
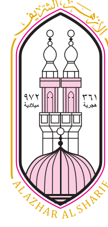
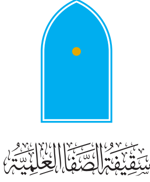



مجلة الأزهر
٥٠


بسم الله الرحمن الرحيم

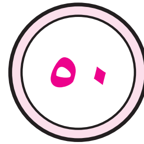




مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

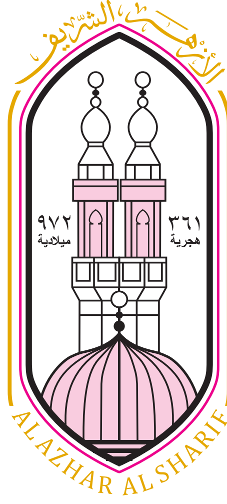


المجلد السابع والأربعون ـ القسم الثاني

السنة ١٣٩٥هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥ فى جمهورية مصر العربية
خارج الجمهورية
وللمدرسين و الطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

« العنوان »
ادارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس ـ السنة السابعة والأربعون ـ شعبان سنة ١٣٩٥ هـ ـ أغسطس سنة ١٩٧٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هى مصر .. ولا فخر

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معاذ لله • وأدب الاسلام • وكرامة الانسانية أن يشوب هذه الكلمة اعتزاز بعنصرية • أو نزعة قومية ، فان الاعتزاز بالعنصرية نزوة شيطانية عرفت أول ما عرفت فى ابليس مع آدم • اذ أبى أن يسجد له مع الملائكة ، وقال لربه ما يحكيه القرآن عنه : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ، ثم ورث هذه النزوة عنه اليهود فقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، ثم استشرى شرها وخطرها فى تطاول العنصر الارى على العنصر السامى • واستلاء البيض على السود • وما تبع ذلك من آثار ومضار شقى بها المجتمع وشاهت بها الحياة •

هذا الى أن الاعتزاز بالعنصرية يتجافى مع منطق الواقع ومنطق الاسلام اذ الواقع أن الناس على اختلاف مواطنهم وألسنتهم وألوانهم يرجعون

الى أصل واحد تنتهى اليه سلسلة الأنساب ، ثم هم مع أصلهم من كوكب واحد هو هذه الارض كما يقول الله: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » • ثم هم مع هذا الكوكب ومع الكواكب الأخرى التى تحيط بهم أو تبعد عنهم يدينون بوجودهم وبما يقوم عليه وجودهم لاله واحد : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » •

ثم ان اختلافهم فى الألسنة والألوان لا حيلة لهم فيه • ولا قدرة لهم عليه ولا يدلهم به ، وانما هو مظهر من مظاهر قدرة الله وآية من آياته كما يقول جل شأنه : « ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » ، ومن ثم كان المقياس الذى يتفاضل به الناس بعضهم على بعض معنى آخر غير العنصرية كما يقول الله : « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »، وكما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بالتقوى »••

هذه مقدمة • لابد منها قبل الحديث عن مصر وماقامت وتقوم به مصر دفاعا عن العروبة والاسلام والقيم الانسانية ، فان الباعث عليه هو التحدث بنعمة الله عليها • وتذكير العرب والمسلمين بواجبهم نحوها ، فقد ألقت عليها الأقدار بحكم موقعها من هذه الأرض ، وموضعها بين شعوب العالم أعباء لم يتحملها غيرها ولم يضطلع بها سواها • وشرفها بأن تكون مستراد كثير من الأنبياء • وملاذ كثير من المصلحين •

فادريس عليه السلام أول من خط بالقلم وخاط الثياب ونظر فى علم النجوم ــ كما قيل ــ بعث فى مصر

وابراهيم أبو الانبياء قدم الى مصر• وتزوج « بهاجر » منها وأنجب اسماعيل أبا العرب منها بعد أن عادبها من مصر •

ويوسف عليه السلام ائتمر به أخوته بنو اسرائيل وألقوه فى غيابة الجب فاخرج منها •وبيع فى مصر •ووصل به الأمر فيها حتى صار أمينا على خزائن الأرض بها •

وموسى عليه السلام ولد فيها • وربى فوق أرضها وتحت سمائهاحتى

بلغ أشده واستوى وآتاه الله النبوة فيها .

وعيسى عليه السلام لجأ مع أمه اليها ، وهو كما يقول الله حكاية عنه : «انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أصهر اليها اذ تزوج بمارية القبطية منها ، وأنجب منها ابنه ابراهيم ، وقال عنها: اذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » ، ولما سئل الزهرى عن الرحم التى ذكرها رسول الله فى هذا الحديث . قال : كانت هاجر : أم اسماعيل منهم ..

وقد وجد الاسلام فى مصر استجابة صادقة له . وحرصا بالغا عليه . وجهادا متصلا فى سبيله . وايمانا عميقا به . بل وجد فيها القلعة المنيعة التى قامت على حراسة ثقافته وحماية حرمته . فصمدت أمام هجمات التتار والاستعمار والصهيونية . وبذلت واحتملت فى سبيل ذلك مالم يبذله أو يحتمله سواها .

ولن يذكر التاريخ شعبا كشعب مصر كافح بشرف . وبذل بسخاء . وصبر فى ايمان ، ومد يده بالعون والتشجيع لكل حركات التحرير فى هذه المنطقة من العالم ، وأقام فى قلبه من القاهرة مدينة زاخرة عامرة لأبناء المسلمين فى العالم من طلاب العلم ، وبعث بالعلماء والمعلمين من أبنائه الى جميع الشعوب التى تدين بالاسلام . ليضيئوا عقولها بالدين ويخصبوا حقولها بالعلم ، ويأخذوا بأيديها الى ما ينفعها ويرفعها ويحقق لها الحياة الطيبة .

هذه هى مصر .. قلعة العروبة . وراية الاسلام .. وهذه هى بعض الحقائق عنها . لانذكرها تفاخرا بها أو استجداء للعطف عليها ، وانما لنذكر بها الواجب نحوها . ونحيى الشعوب العربية والاسلامية التىعرفت لها قدرها . ووقفت معها فى معركة العبور من الظلام الى النور ..

عبد الرحيم فودة

فتنة داود عليه السلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

«وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (٢٥)» من سورة ص

البيان

أفادت هاتان الآيتان أن داود عليه السلام هداه ظنه الى أن الله تعالى ابتلاه وامتحنه ليتنبه الى زلة حدثت منه ، فاستغفر ربه من هذه الزلة حين تنبه اليها ، وخر راكعا وأناب الى الله تائبا منها ، وأنه تعالى قبل منه هذه الانابة والاستغفار ، فغفر له زلته هذه وأسبغ عليه رضوانه : فما هى هذه الزلة ؟

يتناقل القصاص قصة اسرائيلية كاذبة لعلها منقولة عن سفر الملوك - أحد أسفار العهد القديم - وخلاصتها أن داود عليه السلام ، كان يصلى فى محرابه مغلقا بابه ، وبينما هو يصلى ويقرأ الزبور ، رأى الشيطان فى صورة حمامة من ذهب ، فمد يده ليأخذها لابن صغير له ، فطارت الى كوة فتبعها ، فأبصر امرأة جميلة نقضت شعرها فتغطى به بدنها ، وكانت امرأة رجل من عزاة بعث البلقاء ، فكتب الى قائد البعث أن يتقدمه على التابوت ، وكان من يتقدمه لا يحل له الرجوع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففعل فانتصر ، فأمره بتقديمه عليه ثانية وثالثة حتى قتل ، فلما بلغ موته داود لم يحزن عليه كما كان يحزن على الشهداء ، وتزوج امرأته ، وقد جاء فى القصة ما يعف قلمنا عن كتابته •

ومن أجترأ على الله بعبادة العجل من دونه فلا تستغرب عليه أن يقول هذا الأفك الأثيم ، ويروى أن الامام عليا رضى الله قال : « من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص ، جلدته مائة وستين جلدة » ، وهو - ان صح - اجتهاد منه مقبول ، حيث ضاعف حد القذف بالنسبة الى الأنبياء ، عليهم السلام ، مراعاة لمقامهم ، استنباطا من

قوله تعالى : « يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين (١) » وان كان الزين العراقى أنكر صحة هذه الرواية .

ولقد انخدع بعضهم بمشابهة هذه القصة لقضية الخصمين اللذين احتكما اليه ، ففيها يقول الله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود انما فتناه .. » الآية تلك هى القضية التى ساقها الله لداود ، ليذكره زلته بها .

وخلاصتها أن صاحب النعاج الكثيرة طمع فى أخ له ليس عنده سوى نعجة واحدة ، فضم نعجته الى نعاجه ، وهذا يشبه مازعمه أصحاب هذه الفرية على داود عليه السلام ، لأنه كان كثير الزوجات ولا شك فى أن الزعم المذكور باطل ، لعدة أسباب ، (أولها) أنه طعن فى شرف نبى كريم ، ونيل من عصمته ، (ثانيا) أن فيه الحكم على الله تعالى بأنه اختار لعباده نبيا سىء الخلق، وحاشاه أن يفعل ذلك (ثالثهما) أنه مخالف لما صدر به قصة داود ، حيث مدحه الله بأنه أواب ، وأن الطير والجبال كانت تسبح معه،قال تعالى: « واذكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب . انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق . والطير محشورة كل له أواب » (رابعا) أنه مخالف لقوله تعالى فى آخر قصته : « وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وقال بعض المفسرين فى بيان زلته: انه رأى امرأة وزير له ، اسمه أوريا وقيل : كان من مؤمنى قومه ــ فمال اليها قلبه ، وسأله أن يطلقها ففعل حياء منه فتزوجها وهى أم ولده سليمان عليه السلام ، وكان مثل ذلك جائزا فى دينه وفى عرف أمته ، فلا يخل بالمروءة

---

(١) سورة الأحزاب : من الآية ٣٠

لديهم ، وذكر صاحب هذا الرأى لتأييده ،أن الأنصار كانوا يواسون من هاجر عقب الهجرة ، بأن ينزل أحدهم لمن آخاه من المهاجرين عن احدى زوجتيه ، فيطلقها ليتزوجها هذا الأخ المهاجر ، ويقول صاحب هذا الرأى : ان داود عوتب بالتعريض والتمثيل ، على أن مثل ذلك ان صح لآحاد الناس ، فلا يسوغ لنبى عنده من النساء كثيرات ، وليس عند خصمه سوى امرأة واحدة ، ويقصد بهذا العتاب أن الله أرسل اليه ملكين فى صورة خصمين ، طرحا عنده قضية مشابهة ليدرك زلته، فهو عتاب بالاشارة والتلويح ،لا بالعبارة ، ونحن لانوافق على هذا الرأى ، اذ لا يقبل العقل أن يكون فى شريعة الله الحكم بجواز أن يعشق رجل زوجة آخر ، ويسأله طلاقها ليتزوجها ، كما أننا نجل داود عليه السلام ، عن أن يفعل مثل ذلك حتى لو فرض جوازه فى شريعته ، فانه شىء تمجه الطباع ، وتنبو عنه الأسماع بالنسبة الى نبى كريم .

وأما ماحدث فى أول الاسلام فهو عكس موضوع قصة داود المزعومة ، فان الزوج الأنصارى هو الذى كان يعرض على أخيه المهاجر ، أن يطلق احدى زوجاته ، ليتزوجها المهاجر بعد انقضاء عدتها منه مواساة له بسبب هجرته وتركه أهله بمكة ، وكان أخوه المهاجر يعتذر ، ويقول : بارك الله لك فى أهلك ومالك .

وقال أبو مسلم : ان الخصمين من الانس ، وذنب داود أنه حكم بين الخصمين قبل أن يسمع كلام المدعى عليه فيما قال المدعى ، وداود وان كان له بعض العذر فيما ناله من الفزع ، لكنه باعتباره نبيا ينبغى أن لا ينسيه الفزع أصول القضاء ، وهذا الرأى وان كان يتفق مع نص القرآن ، يرد عليه أن الخصم الذى يتسور سور المحراب ، ويقتحم على ملكه ونبيه محرابه فى يوم عبادته ، غير مكترث بجنود الملك وحراسه ، له من الجرأة ما يجعله يدفع التهمة عن نفسه ، ويدل لذلك أن الآية وصفته بالقلة فى الخطاب ، اذ حكت عن المدعى قوله عنه « وعَزَّنى فى الخطاب » أى غلبنى فيه فلابد أنه تكلم بعد كلام المدعى ، فوجده داود غير محق ، فقضى بينهما بما قضى ،

ولم يذكر القرآن كلامه بعد المدعى ، اكتفاء بفهم أنه تكلم من حكم داود بينهما . اذ لاحكم الا بعد سماع الخصمين ، وحذف مايعلم جائز ، ويؤيده أنه روى أنه سأله فأقره ، ومما يبعد قبول هذا الرأى ؛ أن الله تعالى وصف داود قبل قصة الخصمين بقوله : « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » فكيف يكون قد أوتى الحكمة وفصل الخطاب ،ويحكم فى القضية دون سماع المدعى عليه ؟

آراء يمكن قبولها

هناك من الآراء مايمكن قبوله ، واليك بيانها فيما يلى :

١ ـ قال بعض المفسرين : انأوريا لم يكن تزوجها بل خطبها ، ثمخطبها داود ، فآثره أهلها على أوريا فتزوجها وكان ذنبه أنه خطبها على خطبة أخيه ، وهو وان كان جائزا فى شرعه لكن مثله ينبغى أن يترفع عن مثل ذلك لأن أخاه سبقه اليها ، وهو مستغن بمن عنده من النساء الكثيرات ، ولذلك عوتب .

فهذا رأى يمكن تأويل الآية عليه وأن يجاب على ما عسى أن يوجه اليه من الاعتراض ،

٢ ـ ذهبأبو حيانالى أنالمتسورين للمحراب من الانس ، وأن داود فزع منهم لأنهم دخلوا من غير الطريق المعتاد ، فى يوم خصه بالعبادة وكان وحيدا ، فظن أنهم جاءوا لاغتياله ، وأن الله فتنه بهم ،فلما برز منهم اثنان للتخاصم ، اتضح له أنهم جاءوه للتقاضى ، وفهم أنه أساء الظن بالله تعالى ، فخر ساجدا منيبا الى الله تعالى مستغفرا من هذا الذنب ، فهذا الظن هو زلته ، بدليل قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك » أى غفرنا له ذلك الظن ، اذ لم يتقدم سواه فى قضيته حتى يغفر له ، وهذا الرأى أحسن ما قيل فى زلة داود ، لاستناده الى النص والذوق وحسن التأويل .

٣ ـ ويقرب منه ما قيل من أن قوما قصدوا أن يقتلوه،ولهذا تسوروا عليه المحراب ، فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بما قص الله من التحاكم ، فعلم غرضهم ، فقصد أن ينتقم منهم فظن ذلك ابتلاء من الله له ، هل يغضب لنفسه ، فاستغفر ربه مما عزم عليه من الانتقام منهم لحق نفسه فانه عدول عن العفو اللائق به .

صلاح داود وتقواه وزهده

كان داود عليه السلام ، مع ما أعطاه الله من الملك والسعة ، قوى الصلاح عظيم الاستقامة ، وهو الذى قتل بسهمه جالوت الملك الوثنى الجبار وكان سهمه لا يخطىء ، وكان وقتئذ جنديا من جنود الملك طالوت ، ثم آل اليه الملك بعده ، وأعطى النبوة مع الملك وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « خير الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما » .

وكان ينسج الدروع من الحديد وقد ألانه الله له،وكان يأكل من عمل يده ، كما جاءفي صحيح السنة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » (١)واذ عرفت أيها القارىء أنه رسول كريم ، فلا تصدق فيه أولئك المفترين ، وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه ـ والله تعالى أعلم ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) سورة سبأ : الآية ١٠ ، ١١

تفاضل الأعمال الصالحة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن عبد الله بن حبشى الخثعمى رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الأعمال أفضل قال : طول القيام . قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل . قيل فأى الهجرة أفضل قال : من هجر ما حرم الله عليه قيل : فأى الجهاد أفضل قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه قيل : فأى القتل أفضل قال : من أهريق دمه وعقر جواده ».

أخرجه أبو داود

جهد المقل : قدر مايحتمله القليل المال .

الهجرة : الترك ضد الوصل ، وغلبت الهجرة فى العرف الاسلامى على ترك مكة والذهاب الى المدينة وهى فى الحديث بمعنى ترك ماحرم الله وفعل ما أمره به

أهريق : بفتح الهاء وكسر الراء سال كأريق .

لقد ابتلى الله الخلق بالأعمال الصالحة تزكية لأرواحهم وأجسادهم وتطهيرا لنفوسهم وتنظيما لحياتهم وتوفيرا لصفائهم وهنائهم ووعدهم تفضلا منه أن يكافئهم عليها راحة فى الدنيا وروحا وريحانا فى الآخرة فالغاية منها والخير فيها فى الدارين لعباد الله لا لله ، اذ هو الغنى بذاته وكمالاته عن خلقه قال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

وتفضل العبادات الصالحات بعضها بعضا بما يبذله المكلف من جهد ، وبما ينطوى عليه من اخلاص فى النية والقصد، بل يفضل العمل الصالح فى حال مثله فى حال أخرى فالصلاة والصدقة والجهاد كلها أعمال صالحة طلبها الله منا وتعبدنا بها ولكنهاتتفاضل فيما بينها بتفاضل أفراد أنواعها فالصلاة المستوفية لأركانها وشروطها وسننها المقرونة بالاخلاص والخشوع الكاملة بهيئاتها التى رسمت لهاتستحق

درجات من الثواب لا تبلغها الصلاة التى نقصها شىء مما ذكر،واذا افتقدت تلك الهيئات لا تكون صلاة ولا يعتد بها ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل رآه يوجز فى الصلاة وينقرها كنقر الديك اسراعا فى الركوع والسجود : « أعد صلاتك فانك لم تصل » ، وورد عنه أن مثل هذه الصلاة تقول لمصليها : « ضيعك الله كما ضيعتنى » ، والصلاة التى تؤدى فى المسجد وفى الجماعة خير ثوابا من الصلاة التى تؤدى انفرادا فى غير المسجد ، والصلاة فى المسجد الأقصى خير من الصلاة فى غيره من المساجد ، والصلاة فى المسجد النبوى خير من الصلاة فى بيت المقدس والصلاة فى أول الوقت خير من الصلاة فى آخره ، وهكذا تتفاوت الصلوات بتفاوت الهيئات والأمكنة والأزمنة وفى هذا الحديث أن طول القيام فى الصلاة يعطيها امتيازا لما فى ذلك من المشقة ومن استجماع الخشوع والتضرع .

والصدقة من أفضل الأعمال الصالحة لأنها تنازل عن جزء مما تحبه النفس وتتعلق به وتحرص عليه ــ وهو المال ــ فى سبيل البر لسد حاجة المحتاجين وللاسهام فى مصالح المسلمين كمرافق التعليم والصحه واعداد الجيش وبناء المساجد واقامة الجسور ونحو ذلك مما تعود فائدته على المجتمع،متفاوتة كذلك ،فالصدقة فى السر افضل من الصدقة فى العلن والصدقة المقرونة بالسماحة خير من الصدقة المقرونة بالمن والأذى ، والصدقة فى وجوه البر بتفاوت ثوابها بحسب الحاجة اليها والاولوية فيها والصدقة مع الاعسار والضيق خير من الصدقة عن الغنى والايسار، والصدقة على القريب المحتاج خير من الصدقة على غيره فالصدقة على القريب صدقة وصلة ، وهكذا تتفاوت منازل الصدقات كما تتفاوت منازل الصلوات وفى الحديث : « أفضل الصدقة جهد المقل » يعنى ــ من بذل ما فى وسعه وطاقته وهو قليل المال ــ خير ممن بذل وهو فى سعة وغنى .

والهجرة وهى ترك ما تحبه النفس وتميل اليه وتتعشقه الى أمر فيه مشقة ومعاناة امتثالا لأمر الله وابتغاء مثوبته ورضاه سواء فى ذلك ترك مكان الى مكان أو حال الى حال متفاوتة كذلك، فهجرة المكان الى مكان آخر كهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الى المدينـــة حين اشتد بهم أذى المشركين بمكة وضاقت بهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا بدينهم الا الفرار الى المدينـــة حيث يأمنون على دينهم وحياتهم ، وقد كانت هذه الهجرة حتما فى أول الاسلام على المسلمين ثم أعفى منهـا المسلمون حين افتتحت مكة وأمر فيها أمر محمد وعز الاسلام واستطاع أن يحمى أتباعه ويؤمنهم على أنفسهم بمكة وحيثما كانوا ، والهجرة من حال الى حال كهجـرة المعاصى الى الطاعات وما حرم الله الى ما أحله وهذه هى الهجرة الدائمة والواجبة على كل مسلم لأنها تتضمن كل خير وتعصم المؤمن من كل شر ومن اعتصم بها فقد هدى الى الصراط المستقيم واستغنى برقابة نفسه عن كل رقيب وتتفاوت هذه الهجرة فضلا بحسب ما يملك المؤمن زمام نفسه فمن استطاع أن يملكها ويكفها عن جميع مايغضب الله الى ما يرضاه فهو فى الذروة العليا من الفضل ودون ذلك درجات .

والجهاد وهو من أفضل الأعمال الصالحة ولعله أفضلها على الاطلاق لأنه استعداد للجود بالنفس والمال وبكل ما يستطيع الانسان ويملك من فكر وحيلة ومنطق وبيان ، تتفاوت درجاته وثوابه فالجهاد بالفكر والعلم دون الجهاد بالنفس والمال ، والجهاد بالنفس دون الجهاد بالنفس والمال وهكذا تتمايز الدرجات فى الثواب وان كان كل عمل يتصل بالجهاد هو من الأعمال الصالحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » (١) .

ومن تصدى للجهاد فمات دون قتل أقل درجة ممن تصدى له فمات مقتولا وعقر جواده .

وجميع الأعمال الصالحة ما ذكرنا منها ومالم نذكر لابد فيها من اخلاص القصد ، وبقدر ما فيها من حسن النية والقصد تتضاعف فيها المثوبة والأجر « انما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

أبو الوفا المراغى

(١) سورة النساء آية ٩٥ ، ٩٦

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر » .

متفق عليه .

تمهيد :

قلنا فى معرض البيان لأهداف الحديث :ان الناظر فى تعاليم الاسلام نظرة فاحصة يجد الكثير منها يحقق الرحمة بالحيوان ، ولايضاح هذا ذكرنا تسعة أمثلة من نصوص القرآن والسنة ، ونحاول فى هذا المقال أن نذكر مثالا آخر ، ونتم الموضوع فنقول :

أباح الله تعالى للمحرم بالحج أو العمرة الاصطياد لصيد البحر ، وحرم عليه صيد البر ، قال جلت حكمته : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١)

الصيد ـ هو الحيوان المتوحش فى أصل الخلقة الممتنع بجناحيه أوبقوائمه والمراد بصيد البر مايفرخ ويتوالد فى البر لا فى الماء ـ والمقصود بالسيارة

(١) سورة المائدة : آية رقم ٩٦

المسافرون ـ ومعنى الآية : أباح الله تعالى لكم الاصطياد لصيد البحر ، والانتفاع بجميع مايصطاد منه ،وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك تمتيعا لكم وللمسافرين ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم فى حال الاحرام ، فاستمسكوا بهدى ربكم ، واحذروا الوقوع فيما حرم عليكم ، فان اليه وحده مصيركم ، والمجازاةعلى أعمالكم .

ولما كان صيد البر محظورا على المحرم أوجب الشارع الجزاء بقتل هذا الصيد ـ والجزاء أنيقوم الصيد عدلان فى مكانه ، أو فى مكان قريب منه ، فان بلغت قيمته ثمن هدى خير الجانى على الصيد بين أمور ثلاثة :

أحداها : أن يشترى بهذه القيمة هديا يذبحه فى الحرم ،

ثانيها : أن يشترى بها طعاما يتصدق به على الفقراء فى أى مكان ، لكل واحد نصف صاع .

ثالثها : أن يصوم بدل كل نصف صاع يوما .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديابالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره » (١)

وكما يحرم على المحرم صيد البر يحرم أيضا علىالمحرم والحلالازعاج صيد الحرم والجناية عليه ،

روى البخارى فى صحيحه فى باب : لا ينفر صيد الحرم ـ عنعكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، وانما أحلت لى ساعة من نهار ، لا يختلى خلاها ، ولا كعضد شجرها ، ولاينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطها الا لمعرف الحديث » .. (٢)

---

(١) سورة المائدة : آية رقم ٩٥

(٢) لا يختلى خلاها ـ أى لا يقطع الرطب من نباتها ـ لا يعضد شجرها ـ أى لا يقطع ، الا المعرف ـ المراد لا يجوز أخذ هذه اللقطة الا لمعلن عنها ليظهر صاحبها .

قال صاحب فتح الباري - عند التعليق على قول البخاري :

« لا ينفر صيد الحرم » ما نصه :

قال النووي : يحرم التنفير - وهو الازعاج - عن موضعه ، فان نفره عصى سواء تلف أو لا ، فان تلف في نفاره قبل سكونه ضمن ، والا فلا ، قال العلماء : يستفاد من النهي عن التنفير تحريم الاتلاف بالأولى ففي تحريم صيد البر على المحرم بالحج توفير لأمن الصيد ، وتحصيل للرحمة به في أشهر الحج من كل عام وفي تحريمه على المحرم بالعمرة تحقيق لأمنه ورعايته كلما وقع احرام بالعمرة ويجوز وقوع الاحرام بها في أي يوم من أيام العام ،

وفي تحريم صيد الحرم على المحرم والحلال تحقيق لأمن هذا الصيد والعناية به في جميع الأوقات والحالات،

هذا ومن أجل ما ترشد اليه هذه النصوص وأمثالها تضمنت كتب الفقه الاسلامي أحكاما كثيرة تتمثل فيها الرحمة بالحيوان ورعاية حاله ، وحسبنا في التمثيل لهذا ما يأتي :

(أ) أحل الشارع أكل أنواع من الحيوان ، وجعل الوسيلة لهذا الحل أن يذكى الحيوان ذكاة شرعية ، وهذه الذكاة - كما قال الفقهاء - تنقسم الى ذكاة اختيارية ، وذكاة اضطرارية:

فالذكاة الاختيارية : هي الذبح في الحلق واللبة ، وتكون للحيوان المقدور على ذبحه ، وأما الذكاة الاضطرارية : فهي الجرح للحيوان في أي موضع اتفق اذا كان غير مقدور على تذكيته ذكاة اختيارية كالصيد وما في حكمه كالبعير الناد، فاذا جرح الصيد عند اصطياده في أي موضع من جسمه ومات بهذه الجراحة حل أكله ، ويجوز الاصطياد بالجوارح المعلمه والسهام المحددة •

والجوارح جمع جارحة ، وتطلق على الذكر والأنثى - ويراد بها كل حيوان يصطاد بنابه أو مخلبه ، ويمتنع به كالكلب والفهد من سباع البهائم ، وكالصقر والبازى من سباع الطير •

وهذا الاصطياد بشروطه يعتبر ذكاة شرعية ، فيحل أكل اللحوم اذا كان مأكول اللحم ، أو الانتفاع بجلده وشعره اذا لم يكن مأكول اللحم •

قال صاحب كتاب الاختيار لتعليل المختار - عند الكلام على حكم الصيد:

(وهو جائز بالجوارح المعلمة والسهام المحددة لما يحل أكله لآكله ، ومالا يحل أكله لجلده وشعره) أما الجواز فلقوله تعالى : « واذا حللتم فاصطادوا » وقوله : « أحل لكم صيد البحر » الآية ، وقوله : « أحل لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح مكلبين » وقوله عليه الصلاة والسلام : (الصيد لمن أخذه) وقوله لعدى بن حاتم : (اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل) قال : (والجوارح ذو ناب من السباع وذو مخلب من الطير) وهو أن يكون يكتسب بنابه أو مخلبه ، ويمتنع به ، لأن المراد من قوله : الجوارح — التي تجرح ، وقيل الكواسب ، و « مكلبين » أى مسلطين ، واسم الكلب لغة يطلق على كل سبع حتى الأسد ، فيجوز الاصطياد بكل ذى ناب من السباع لعموم الآية الا ما كان نجس العين كالخنزير لأنه لايحل الانتفاع به ، ولا يجوز الاصطياد بالأسد والذئب ، فانهما لا يتعلمان ، وكذلك الدب حتى لو تعلموا أجاز — وعن أبى حنيفة فى ابن عرس (١) اذا علم فتعلم جاز أهـ

وظاهر أن العلم بجواز الاصطياد بالجوارح وأنها وسيلة للانتفاع بالصيد مطلقاً — يجعل الشخص يسلطها ويحرص عليها ، ويعنى بتوفير راحتها وقوتها — ما دامت مرجوة النفع مأمونة الجانب ، لا يخشى منها غدر ولا ايذاء .

(ب) للمطر أهمية عظيمة فى حياة الناس ، اذ هم فى حاجة اليه للشرب ، وسقى الدواب والزرع ، وتيسير المصالح ، واستقامة الشئون — فاذا منع عنهم شرع لانزاله أداء صلاة تسمى صلاة الاستسقاء ، وليكون أداؤها فى صورة كاملة ، وجماعة رائعة أقرب الى القبول ، وبلوغ المأمول — يطلب أن تصلى فى الصحراء أو فى مكان فسيح ، الا اذا كان الأداء بمكة فتصلى فى المسجد الحرام أو كان الأداء ببيت المقدس فتصلى فى المسجد الأقصى ، لأن كلا من المسجدين أفضل مما حوله — وعند التوجه لأدائها يخرج القوم مشاة متذللين معلنين عن عجزهم وضعفهم

---

(١) قال فى المصباح : ابن عرس بكسر العين ، دويبة تشبه الفأر ، والجمع بنات عرس .

وحاجتهم الى عوث ربهم ، وامداده – ويخرج معهم الضعفة والشيوخ والعجائز والأطفال – وتطلب أيضا اخراج الدواب وأولادها ليكون ذلك كله أدعى الى نزول الغيث ، ونشر الرحمة من الولى الحميد .

جاء فى كتاب اللباب شرح الكتاب – عند الكلام على الاستسقاء مانصه : ويستحب الخروج له الى الصحراء الا فى مكة وبيت المقدس فيخرجون الى المسجد ثلاثة أيام مشاة فى ثياب خلقة غسيلة متذللين متواضعين خاشعين لله تعالى ناكسى رءوسهم مقدمين الصدقة كل يوم قبل خروجهم ، ويجددون التوبة ، ويستسقون بالضعفة والشيوخ والعجائز والأطفال ويستحب اخراج الدواب وأولادها ويشتتون فيما بينها ليحصل التحنن ويظهر الضجيج بالحاجات أهـ

ولا ريب أن شعور المؤمن بأن البهائم وسيلة لدفع البلاء وتلقى رحمة الله الواسعة – يجعله يحافظ عليها ، ويحوطها بمزيد من الرأفة والاهتمام .

(جـ) لو استأجر شخص دابة ليحمل عليها قدرا معينا من القمح مثلا ، فله أن يحمل عليها مقدارا مثله من نوع آخر من الحبوب ، أو يحمل من نوع أخف من المتفق عليه كالشعير ، وليس له أن يحمل ما هو أثقل من القمح كالملح ، وليس له أن يزيد على القدر المسمى .

وان خالف المستأجر فحمل على الدابة ماهو فوق المشروط فى الضرر فهلكت الدابة – فان كان المحمول عليها من خلاف جنس المشروط ضمن قيمة الدابة كلها لأنه متعد فى الجميع .

وان كان من جنس المشروط ضمن من قيمة الدابة بقدر الزيادة على المشروط ، لأنه متعد فقط فى حمل القدر الذى زاده على المشروط ، فاذا كان المتفق عليه حمل أربع كيلات مثلا من القمح ، فزاد المستأجر على هذا المقدار كيلتين منه ضمن ثلث قيمة الدابة .

وان سمى المستأجر قدرا يحمله على الدابة من القطن مثلا فليس له أن يحمل مثل وزنه حديدا ، لأن الحديد يجتمع عليها فى مكان واحد من ظهرها ، فيؤذيها ، بخلاف القطن ، فانه ينبسط فيريحها .

جاء فى كتاب الاختيار لتعليل المختار - عند الكلام غى اجارة الدابة للحمل عليها - ما نصه : (وان سمى ما يحمله على الدابة كقفيز (١) حنطة فله أن يحمل ما هو مثله ، أو أخف كالشعير ، وليس له أن يحمل ما هو أثقل كالملح ، وان زاد على المسمى فعطبت ضمن بقدر الزيادة ، وان سمى قدرا من القطن فليس له أن يحمل مثل وزنه حديدا) والأصل أن المستأجر اذا خالف الى مثل المشروط ، أو أخف فلا شىء عليه لأن الرضى بأعلى الضررين رضى بالأدنى ، وبمثله دلالة .

وان خالف الى ما هو فوقه فى الضرر فعطبت الدابة - فان كان من خلاف جنس المشروط ضمن الدابة، لأنه متعد فى الجميع ، ولا أجر عليه، وان كان من جنسه ضمن بقدر الزيادة، وعليه الأجر ، لأنها هلكت بفعل مأذون وغير مأذون فيقسم على قدرهما الا اذا كان قدرا لا تطيقه ، فيضمن الكل لكونه غير معتاد ، فلا يكون مأذونا فيه ، والحديد أضر من القطن لأنه يجتمع فى موضع واحد من ظهر الدابة والقطن ينبسط أهـ

(د) اذا استأجر شخص حيوانا ليركبه فله أن يركبه من هو مثله فى الوزن ، أو من هو أخف منه ،وليس له أن يركبه من هو أكثر ثقلا منه ، لما فى ذلك من الاضرار بالحيوان ، وعندما يركب المستأجر غيره يشترط لجواز ذلك - كما تقدم - أن يكون هذا الغير مساويا للمستأجر فى الوزن - ويذهب بعض الفقهاء الى أنه يشترط زيادة على التساوى فى الوزن أن يكون التساوى أيضا فى الطول ، والقصر ، والخبرة بالركوب ، لأنه اذا لم يكن الراكب خبيرا بالركوب فانه يثقل على الحيوان ويضربه - ولكن الكثير منهم لا يشترط هذه الأوصاف كلها ، لأن التفاوت فيها بعد التساوى فى الوزن يسير فيجاوز عنه .

واليك ما قاله ابن قدامة فى كتابه المغنى عند الكلام على أستئجار الحيوان للركوب عليه جـ٦ ص ٥٢ مطبعة المنار :

---

(١) القفيز : مكيال مخصوص .

واذا اكترى ظهرا ليركبه فله أن يركبه مثله ، ومن هو أخف منه ، لايركبه من هو أثقل منه ، لأن العقد أقتضى استيفاء منفعة مقدرة بذلك الراكب ، فله أن يستوفى ذلك بنفسه ونائبه ، وله أن يستوفى أقل منه ، لأنه يستوفى بعض ما يستحقه ، وليس له استيفاء أكثر منه ، لأنه لا يملك أكثر مما عقد عليه ، ولا يشترط التساوى فى الطول والقصر ولا المعرفة بالركوب ، وقال القاضى يشترط أن يكون مثله فىهذه الأوصاف كلها ، لأن قلة المعرفة بالركوب تثقل على المركوب ، وتضر به ، قال الشاعر :

لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا
فهم ثقال على أعجازها عنف

ولنا أن التفاوت فى هذه الأمور بعد التساوى فى الثقل يسير ، فيعفى عنه ، ولهذا لا يشترط ذكره فى الاجارة ، ولو اعتبر ذلك لاشترطت معرفته فى الاجارة كالثقل والخفة أهـ .

وظاهر أن الأحكام المذكورة فى هذين المثالين قصد بها منع الضرر عن الحيوان المستأجر للحمل ، أو الركوب ، والعمل على توفير راحته وسلامته ، : هذا هو هدى الاسلام فى رعاية الحيوان فضلا عن الانسان فأين منه ما عليه الدول المعاصرة التى تزعم لنفسها الرقى والحضارة وهى مع ذلك تتسابق فى اختراع وسائل الشر والفساد ، وترويع الآمنين ، وقتل الأبرياء والمستضعفين ،ونشر الخراب والدمار انه لانجاة للعالم ، ولا سعادة له الا بالرجوع الى هدى الله تعالى والاعتصام به سبحانه ، « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » (١)

ما يهدف اليه الحديث :

يهدف الحديث الى مقاصد سامية نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ التنويه بجزاء الاحسان الى الحيوان .

٢ ـ الحث على انجاز ما تيسر من أعمال البر .

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٠١

٣ ـ العمل القليل مع الاخلاص يستحق صاحبه وافر الجزاء •

٤ ـ على المسلم أن يجعل نفسه فى مستوى صاحب الحاجة والشدة ليقف على مدى ألمه ، ويتجاوب معه •

٥ ـ ينبغى للأعلى أن يتحمل المشقة التى تقتضيها حاجة الأدنى ليظفر بمثوبة الله تعالى ، وعظيم عطائه •

٦ ـ أخذ العظة والعبرة من قصة السابقين وأحوالهم •

٧ ـ حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التفقه فى الدين •

ملأ الله تعالى قلوبنا بالخشية منه ، والرحمة بخلقه ، وجعلنا أهلا لعظيم فضله ورعايته •

منشاوى عثمان عبود

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

(٥)

كلما عن لى أن أسرح بخاطرى فى كيف جرؤ أحد الأدعياء أن يقحم نفسه الى قدس العلم فينتهك من من حرمته ما صانه الله أحسست بمدى الجناية التي يرتكبها هذا الجيل على نفسه بأن يوصم عهده بالجهل والغباوة وفشو الكذب والضلال .

رجل أراد أن ينتقص من قدر أبى هريرة رضى الله عنه وهو الذى روى له البخارى من المتون المستقلة أربعمائة حديث وستة وأربعين حديثا على التحديد ، فيعمد الى الكذب على الغيب والشهادة فيذكر فى الكتاب (اياه) أن فى كتاب دفاع عن السنة للدكتور أبى شهبة ان أبا هريرة أسلم وسنه سبع سنين وعندما توفى النبى صلى الله عليه وسلم كان سنه عشر سنين ثم يستطرد - أعنى صاحب الكتاب اياه - فيقول « والثابت انه عاش بعد النبى سبعة وأربعين سنة ومعنى ذلك أنه لم يعاصر النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره الا طفلا فيما بين السابعة والعاشرة من عمره فكيف يقارن نفسه بالكواهل (!!!) من المهاجرين والأنصار وهو طفل دون العاشرة ؟ وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة .

هكذا ورد هذا الكلام بأخطائه اللغوية المفضوحة وبهتانه الصارخ فى الاعتراض على حديث بسط الثوب وضمه حتى لم ينس أبو هريرة رضى الله عنه بعد ذلك مقالة قالها صلى الله عليه وسلم فكان أكثر الصحابة ملازمة له صلى الله عليه وسلم وأكثر الصحابة حفظا للسنة فيكون الاشكال فيما يلى :

١ - ان أبا هريرة أسلم وهو فى سن الطفولة من السابعة وصحب النبى صلى الله عليه وسلم الى العاشرة !!!

٢ ـ كيف يقارن أبوهريرة نفسه (بالكواهل !!!) من المهاجرين والأنصار وهوطفل دون العاشرة وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة ؟

٣ ـ يزعم أن تحديد سن أبى هريرة حين اسلامه فى كتاب دفاع عن السنة ومنه نقله والجواب :

(١) ان أبا هريرة أسلم عام خيبر مهاجرا من اليمن من قبيلة دوس وكان أوسطهم نسبا وحسبا وكان معه عندما هاجر عبد له يعينه على وعثاء السفر ليصل الى صاحب الرسالة العظمى صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الجهاد • فاذا عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم عام بدر رد بعض الصحابة من الشبان الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة كابن عباس وعبد الله ابن عمرو ومن اليهما كالنعمان ابن بشير وعبد الله بن عمر عرفت أن أبا هريرة لم يكن ليهاجر من اليمن ليشهد غزوة خيبر ويبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الاسلام وهو فى سن السابعة ، فاذا كان تقرير هذه السن كذبا وافتراء لايرجع الى أصل تاريخى صحيح أو مكذوب توقيفى أو استنتاجى عرفت مبلغ الجناية التى يجنيها هؤلاء وأمثالهم من الأدعياء على الحقيقة والتاريخ •

(٢) نتصدق على هؤلاء بما هو معروف بالضرورة من كتب التاريخ اذ أنه توفى سنة ٥٨ هـ وسنه يومئذ ثمان وسبعون فكأنه كان عام الهجرة ابن عشرين سنة وكان اسلامه وهو ابن سبع وعشرين سنة أو ست وعشرين فانظر الفرق بين السبع وبين السبع والعشرين راجع أن شئت الاستيعاب لابن عبد البر جـ ٤ ص ١٧٦٨ – ١٧٧٢ الترجمة ٣٢٠٨ واسد الغابة لابن الأثير الجزرى جـ٦ ص ٣١٨ – ٣٢١ الترجمة ٦٣١٩ وعلى هذا اتفقت المراجع كلها كالاصابة لابن حجر والبداية والنهاية لابن كثير ومرآة الجنان لليافعى والطبقات الكبرى لابن سعد •

(٣) نسب صاحب الكتاب المشبوه هذا الهراء الى كتاب (دفاع عن السنة) للدكتور أبى شهبة وهو محض افتراء اذ فضلا عن خلو الكتاب من التعرض لسن أبى هريرة فان الشيخ أبا شهبة ليس بالذى يخفى عليه سن أبى هريرة وهو رجل مشتغل بالسنة كاتبا ومعلما ودارسا وأستاذا ، ولعله قرأ فى الكتاب أن

أبا هريرة أسلم فى السابعة ومات النبى صلى الله عليه وسلم فى العاشرة فظن السابعة والعاشرة من سن أبى هريرة والحقيقة أن أبا هريرة أسلم فى السنة السابعة من الهجرة والنبى صلى الله عليه وسلم مات بعد السنة العاشرة من الهجرة لا من سن أبى هريرة وجاء فى الكتاب (اياه) صفحة ١٥٩ (المعروف أن أهل الصفة كانوا رجالا بالغين سن التمام والتكليف (!!) وأنهم كانوا عاجزين عن الكسب بما أصابهم من كبر السن والمرض • فكيف يترك أبا هريرة(!) الطفل الذى لم يبلغ سن العاشرة معهم ليشاركهم حياة الصفة وهى خاصة بالمتقاعدين) •

هكذا والله قيل هذا الكلام بنصه وفصه فى كتاب مطبوع ثم بعد ذلك نشكو أزمة فى الورق حيث يستنفذ الورق فى مثل هذا الهذيان والجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والظلمة الطخياء •

يقول : انأهل الصفة كانوا بالغين سن التمام والتكليف • فاذا تلمست حد هذه السن ومعالمها ومظاهرها الخارجية الدالة على مقدار هذه السنة يجيبك بقوله : (وانهم كانوا عاجزين عنالكسب بماأصابهم من السن والمرض) وعطف المرض على السن يدل على أن المرض هنا هو مرض الشيخوخة • فاذا عرفنا أن الشيخوخة تبدأ من فوق الأربعين كانسن التمام والتكليف عندالدروز والقرامطة هو الأربعين وعلى هذا جرى هذا الكتاب على اعتبار التكليف هو ما شرعه القرامطة والباطنية ،هذا اذا افترضنا فيمن صنفوا هذا الكتاب شيمة العلم بتلك المذاهب فيكونون متآمرين على شريعة الاسلام بدس هذا الحكم ، والا جرى على لسان كاتب هذا الكلام بجهالة بمواقع الكلام فيكون شأنه أقبح وصدق القائل :

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة
أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولا بد لكى يكون من أهل الصفة أن يكون مريضا مرضا مقعدا • وأرجو أن يراجع القارىء العبارة مرة أخرى ليتضح له العجب العجاب ويقول فى العبارة التى أسلفنا الاشارة اليها (كيف يقارن أبو هريرة نفسه بالكواهل من المهاجرين والأنصار وهو طفل دون العاشرة وقد مات النبى وهو فى سن الطفولة ؟)

فقوله (الكواهل) ولا أدرى الا أنها جمع كهلة ثم لا أدرى معنـاها ولعلها مدرجة فى قاموس (شرم برم) الـذى يمكن ارجـاع مفردات كلام هؤلاء وغريبـه اليه • واذا تطوعنـا بترجمتها الىاللغة العربيةوقلنا كهول جمع كهل تعرض هـذا اللفظ مع اطلاق الشيخوخة على أهل الصفةحتى جعلهـم من القـاعدين بسبب هـذه الشـيخوخة ، والكهولة هى عنفـوان الشباب ما بين الثـلاثين والأربعـين ، وأنظر مدى الجهل باستعمالات العربية فى بناء الكلمة والاستعمالات العربية فى مدلولها •

وقوله (فكيف يترك أبو هريرة الطفل الذى يبـلغ سن العـاشرة) ولسنا فى حاجة الى التنبيه على هـذا السقوط الفاحش من حيث الاعراب والأسـلوب والاستعـمال اللغـوى لمفردات الجملة ، واليك البيـان أن الطفـل هـو المـولود من الانسـان والحيوان ومن يدرج على الأرض ، ويدخل الوليمة من غير أن يدعى فلا يرده أحد لصغره ومن ثم قيل لمن يدخل مكانا ليس هو من أهله متطفل ويقال كذلك اللشيخ الهـرم القاعـد الذى وصفه هـذا المدعى ببلوغ سن التمام والتكليف طفلا قال أبو كبير :

أزهير ان يسبح أبـوك مقـصرا
طفـلا ينـوء اذا مشى للكـلكل

أراد أنه يقـصر عمـا كان عـليه ويضعف من الكبر ويرجع الى حـد الصـبا والطـفولة حنـين الجـذع واستنكاره من أهل البـدع والـرد عليهم

أخرج البخـارى عن جـابر بن عبد الله رضى الله عنهما « ان آمراة من الأنصار قالت لرسول الله صـلى الله عليه وسلم يارسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فان لى غلاما نجارا قال : ان شئت ، قال : فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر الذى صنع فصاحت النخـلة التى كان يخـطب عندها حتى كادت أن تنشـق فنـزل النبى صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت ، قـال بكت على ما كانت تسمع من الذكر » رواه البخارى وأحمد •

وقد بنى أصحـاب ذلك الـكتاب المشبوه اعتراضـهم على أن القـرآن

ينفى عن النبى صلى الله عليه وسلم اسماع الموتى أو اسماع الصم الدعاء ، فكيف يسمع الجماد ، مع أن هؤلاء الذين لا يستطيع اسماعهم بشر فكيف بالجمادات ؟

وعلى هذا يكون الخبر مناقضا لمنطق القرآن الكريم .

(والجواب) أن هذا الخبر هو التطبيقية الصحيحة المفسرة والمصدقة لكثير من المعانى القرآنية قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خشعا متصدعا من خشية الله » « يوم نقول لجنهم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » « فقال لها وللأرض أتينا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » .

وقد حدثت المعجزة على مشهد من الصحابة ، وماذا فى نطق الجذع بالحنين من الاستحالة ونحن نعيش فى خضم هائل من الجمادات الناطقة والمتحركة والكاتبة والحاسبة والعافة قال الشاعر محمود غنيم رحمه الله فى الراديو :

شاد ترنم لا طير ولا بشر
يأيها الحادى أين العود والوتر ؟

انى سمعت لسانا قد من خشب
فهل ترى بعد هذا ينطق الحجر

وأما استشهاده بقوله تعالى « انك لا تسمع الصم الدعاء » فانه الصم المجازى وهو اعراض المعاندين والمكابرين عن سماع الذكر ، وهم الذين أشار القرآن اشارة صريحة فيها مقارنة بينهم وبين الحجارة « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله » واسمع قوله تعالى « يريد أن ينقص » وقال زيد الخيل .

لما أتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع

قال الامام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٥ : « كل ما قيل يحتمله اللفظ ، والأول صحيح ، فانه لا يمتنع أن يعطى بعض الجمادات المعرفة فيعقل كالذى روى عن الذى كان يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول عنه حن . وثبت أنه قال : ان حجرا كان يسلم على فى الجاهلية انى لأعرفه الآن » وكما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «قال

ثبير : اهبط فانى أخاف أن يقتـلوك على ظهرى فيعذبنى الله » فناداه حراء الى يارسول الله » وفى التزيل « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » الآية • وقال القرطبى فى تفسير سورة سبحان :

أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح ثم قال عند قوله تعالى (وان من شىء الا يسبح بحـمده) واختلف فى هذا العمـوم هل هـو مخصـص أم لا فقـالت فـرقة ليس مخصوصا ، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر • وقالت طائفة هذا التسبيح حقيقة ، وكل شىء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه ، ولو كان ما قاله الأولون أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمـر مفهوما ، والآية تنـطق بـأن هـذا التسبيح لا يفقه الى أن قـال : ومن هذا ـ يعنى تسبيح كل حى نام ـ قـول عـكرمة : الشـجرة تسبـح والاسـطوان لا يسبح ، وقال يزيد الرقاشى للحسن وهما فى طعام وقد قدم الخوان : أيسبح هذا الخـوان ياأبا سعيد ؟ فقال : قدكان يسبح مرة يريد أن الشجرة فى زمن نمـوها واعتـدالها كانت تسـبح ، وأما الآن فقد صار خوانا مـدهونا (قـلت) ويستدل لهذا القول من السـنة بما ثبت عن ابن عباس فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبـير ، أما احـدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول » قال فدعا بعسـيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قـال : « لعـله يخفف عنهما مالم ييبسا » فقوله صلى الله عليه وسلم « مالم ييبسا » أشارة الى أنهما ماداما رطبين يسبحان فاذا يبسا صارا جمادا وفى مسند أبى داود الطيالسى : فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصـفا وقال : « لعله أن يهون عليهما العذاب مادام فيهما من بلولتهما شىء » قال علماؤنا : ويستفاد من هـذا غرس الأشجار وقـراءة القرآن على القبور ، واذا خففت عنهم بالأشجار فكيف بالقـرآن يقـرؤه الرجل المؤمن • وعلى التأويل الثانى لا يحتاج الى ذلك فان كل شىء من الجماد وغيره يسبح •

(قلت) ويستدل لهذا التأويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه وتعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) وقوله (وان منها لما يهبط من خشية الله) على قول مجاهد وقوله (وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) وذكر ابن المبارك فى دقائقه : أخبرنا مسعر عن عبد الله بن واصل عن عوف بن عبد الله قال : قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : ان الجبل يقول للجبل : يافلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الآية قال : أفتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير وفيه عن أنس : مامن صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الأرض بعضها بعضا ياجاراه ، هل مر بك اليوم عبد فصلى لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ، ومن قائلة : نعم فاذا قالت نعم رأت لها بذلك فضلا عليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا مدر ولا شىء الا شهد له يوم القيامة) رواه ابن ماجة فى سننه ومالك فى موطئه من حديث أبى سعيد الخدرى وخرج البخارى عن عبدالله بن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) قال القرطبى :

وخبر الجذع أيضا مشهور فى هذا الباب خرجه البخارى فى مواضع من كتابة ، واذا ثبت ذلك فى جماد واحد جاز فى جميع الجمادات ولا استحالة فى شىء من ذلك وقيل : تسبيح الجمادات أنها تدعوا الناظر اليها الى أن يقول : سبحان الله لعدم الادراك منها وقال الشاعر :

تلقى بتسبيحه من حيث ما انصرفت
وتستقر حشا الرابى تبرعاد

أى يقول من رآها سبحان الله خالقها . فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك . ولو كان ذلك التسبيح دلالة فأى تخصيص لداود ، وانما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والانطاق بالتسبيح كما ذكرناه وقد نصت السنة على مادل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شىء فالقول به أولى والله تعالى أعلم .

للبحث بقية

محمد نجيب المطيعى

الناس والأسرار

للأستاذ السيد حسن قرون

الناس أخياف (١) ازاء الأسرار ، منهم من يخفيها حتى تكاد تموت ، ومنهم من يبديها حتى تنتشر وتفوت ، وكتمان السر كسائر السجايا والخلال ، منه ما يحمد ، ومنه مايذم ، وقد يكون افشاء السر واجبا حين يتعلق بالشهادة حتى لا تضيع الحقوق ، وتهدر الدماء « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » وقد أخذ كتمان السر أو افشاؤه مساحات شاسعة في الكتب العلمية والأدبية على السواء لماله من أثر عظيم في حياة الناس لأنه يتصل بحياتهم وأعراضهم وكراماتهم كأفراد وجماعات ، وقد يمس شئون الدولة في صميمها ، فيعرض افشاء الأسرار حاضرها ومستقبلها للاضرار ، ومن هنا كان وضع التشريعات الداعية . والقوانين الرادعة حتى لاتقع فريسة أعدائها ولا جدال في أن كل دولة تحرص على معرفة أسرار غيرها ، وقد تجند في سبيل ذلك الجواسيس ، وتبث العيون ، وتبذل له المال الموفور والرجال الأذكياء ، ولا يقتصر البخل بالأسرار على شئون الجيوش من أسلحة وذخيرة وتجمعات وتحركات بل يتعداها الى الضن بما وصل اليه العلم من اختراعات ووسائل دمار ، وتضعها في حرز حريز ، ويقف على حراستها حراس أقوياء .

وقد يأخذك العجب من هذا المسلك وتقول في نفسك لماذا كل هذا العناء ؟ وقد يخفق قلبك فتجعل من البشر في كل القاعات أسرة تنتمي الى آدم وحواء ، ولكنك بقليل من التأمل والتبصر تجدهم لم يفارقوا طبائعهم ، ولم يتعدوا ما جبلوا عليه من حب الغلبة والتملك والسيطرة ، ان من

---

(١) مختلفون .

يبحث عن أسرار الناس وكشفها تدفعه غريزته فى طلبها ، فهو مغرم بمعرفة أسرار غيره يود بجدع الأنف أن يجعلها فى حيزه ، ليقضى بها حاجة فى نفسه ، واذا كان الأمر كذلك فلم يفرط فيها من يملكها ويقذفها من فيه الى من يجالسه ؟ لنا أن نقول : ان افشاء الأسرار من قبيل ماذكرنا ، فمعلن السر يستهويه أن يرى وقع حديثه فيمن يحدثه ، ويسره أن يراه منجذبا اليه ، مقبلا عليه متأثرا بما افضى به اليه ، وقد يتطلع الى العواقب والنتائج من هواتف الخير أو دوافع الشر وربما تدخل المال والمال هو الدنيا كما يقول شوقى ، فيحل عقدة اللسان ، وينزل العصم من عليائها،فيصير البعيد قريبا ، والمستور ظاهرا ، والعزيز هينا • ولأن السر ثقيل محمله ، قلق صاحبه لا يصونه الا الصابر القادر قال الشاعر :

لا أكتم الأسرار لكن أنهما
لا أدرع الأسرار تغلى على قلبى

وان أحق الناس بالسخف لامرؤ
تقلبه الأسرار جنبا الى جنب

وان عد هذا الشعر من الفكاهة الا أنه يعطيك صورة حامله ، وليس الناس سواء وليس الشعراء كلهم على مذهب صاحب هذا الشعر •

ولأسلافنا مجالات ومقالات فى هذا الأمر الخطير ، تراهم ناصحين بكتمان السر حينا ، معجبين بحامله حينا ، هازئين بالضعاف نحوه فى أغلب الأحايين ، ويستحسنون الموقف الكريم منه ، ومما استحسنوا قول العباسي بن عبد المطلب لابنه عبد الله — رضى الله عنهما — ان هذا الرجل — يعنى عمر بن الخطاب الخليفة — قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عنى ثلاثا : لا يجربن عليك كذبا ،ولا تفشين له سرا ، ولا تغتب عنده أحدا فقيل لابن عباس : كل واحدة منهن خير من ألف دينار ، فقال : كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف • كما استحسنوا ما جرى بين معاوية وابن أخيه ، فقد رووا أن معاوية أسر الى ابن أخيه عثمان بن عنبسة حديثا ، قال عثمان : فجئت الى أبى ، فقلت : ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به ؟ قال : لا ، انمن

كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكا بعد أن كنت مالكا . فقلت له : أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه ؟ فقال : لا ، ولكنى أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر . فرجعت الى معاوية فذكرت له ذلك . فقال : أعتقك أخى من رق الخطأ . ومما يعزى الى على بن أبى طالب :

فلا تفش سرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا
وانى رأيت غواة الرجا
ل لا يتركون أديما صحيحا

ويختلف (١) الرواة فى نسبة ذلك الشعر اليه ، فقائل يقول هوله ، وآخرون يقولون قاله متمثلا ، ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده . منهج سديد ،وتربية صالحة ،وتوجيه سليم تراه فى أقوال العباس ومعاوية وعلى لا تجد فى أى قول خللا ،وفى ضوء هذا التوجيه قال المهلب بن أبى صفرة : أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر .

ويدور هذا الخلق الكريم مع الحضارة الاسلامية فيتعمقون في فهمه، ويميزون بين افشاء السر والكذب ، فيقول المبرد :

ان النموم أغطى دونه خبرى
وليس لى حيلة فى نقدى الكذب

ويجعلونه سمة رائعة على الرجل المهذب الذى يعد لشغل الوظائف العليا ، ومن ثم نشأت وظيفة « كاتم السر » لمن يكون عيبة الحاكم وعنده أسرار الدولة ، ومن ثم كان مطلبا ملحوظا فيمكن يراد لتولى الأعمال ، وانظر معى فى كتاب الحسن بن سهل (٢) الى محمد بن سماعة القاضى تجده يشترط شروطا فى الرجل الذى يستعين به فى أموره ، وفى المهم منها « كتمان السر » فقد بدأ رسالته هكذا : أما بعد ، فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ذى عفة ونزاهة طعمة، قد هذبته الآداب ، وأحكمته التجارب ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ، « ان أؤتمن على الأسرار قام بها » .. لما للأسرار من خطورتها

---

(١) الكامل للمبرد ج ٢

(٢) وزير المأمون .

عند افشائها ولا بد من التأكد من أخلاق من يراد لحمل أمانة الأسرار .

ولا جدال فى أن أسلافنا كان المنار واضحا أمامهم من كتاب الله وسنة رسوله ، فما يتدارسونه منهما يضىء لهم الطريق ، ويبين لهم المنهج وفى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الهداية ، وقواعد الأخلاق ، والقدوة الحسنة ، ففى كل شئون الدين والدنيا بيان منه ، وأخذ عنه ، ولقد كان له فى صيانة الأسرار منهج قويم ، وتشريع عظيم . قال كعب بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ، فجعل للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريده ، ومعنى ذلك أن غزواته ما عدا تبوك كانت تؤدى فى سرية تامة ، وما جرى حين فتح مكة يعطينا صورة كاملة لذلك المنهج الحميد . قال الرواة (١) : ان مولاة لأبى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح . فقال لها : أمسلمة أنت ؟ قالت : لا . قال : أمهاجرة جئت ؟ قالت : لا . قال : فما جاء بك؟ قالت : احتجت حاجة شديدة . فحث عليها بنى عبدالمطلب فكسوها وحملوها وزودوها ، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا ، واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته : « من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة ، اعلموا أن رسول الله يريدكم ، فخذوا حذركم » فخرجت سارة ، ونزل جبريل بالخبر ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد — وكانوا فرسانا — وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة (خاخ) فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها ، فان أبت فاضربوا عنقها ، فأدركوها فجحدت وحلفت ، فهموا بالرجوع ، فقال على : والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ، وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب أو تضعى رأسك ، فأخرجته من عقاص شعرها — أهدر دمها بعد الفتح — ثم عادوا بالكتاب الى رسول الله ، فاستحضر الرسول حاطبا ، وحقق معه كما نقول اليوم

(١) كتب السيرة والتفسير .

وقال لـه : ما حملـك عليـه ؟ فقال : يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غشـشتك منـذ نصـحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولـكنني كنت امرأ ملصقا (١) في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكـة يحمـون أهاليهم وأموالهم غيرى ، فخشيت على أهلى ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا ، وقـد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه ، وأن كتابى لا يغنى عنهم شيئا ، فصـدقه وقبل عـذره • فقـال عمـر : دعنى يا رسـول الله أضرب عنق هـذا المنافق • فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقـال لهم : اعملـوا ما شئتم فقد غفرت لكم • ففاضت عينا عمر • ونزلت سورة الممتحنة وفيهـا يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عـدوى وعدوكم أوليـاء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بمـا جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهـادا فى سـبيلى وابتغـاء مرضـاتى تسرون اليهم بالمـودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » والفعلة التى أتاها حاطب عقوبتها القتل ـ كما أراد ذلك عمر ـ ولكن عفو الرسول وخصـوصية أهل بـدر نجيـاه من الهلاك ، واذا كانت الخصوصية لأهل بدر فان غيرهم لو فعلـوا فعلته فلن ينجوا من العقاب ، لأن فى تركهم دون عقاب يعرض الدولة ومرافقها للخطر ويدفع ضـعاف النفـوس الى ارتكاب الجرائم والاستهتار بمصالح الوطن •

ونحن حين نقرأ هـذا ونقـرأ معه تاريخ العرب فى جاهليتهـا نعجب • بما كانوا يزاولونه من شئون السـلم والحرب ومدى ما عرفوه من كيـد الأعداء ومعرفة الأسرار والضن بهـا والطرق المؤدية الى كشف الأستار ، والوقوف على الأسرار ، ومن الوسائل التى تسـتخدم فى عصرنا الحـديث التراسل عن طريق الرمز أو اللحن كما يسميه أبو على القالى فى أماليه ، ونسميه اليوم (بالشفرة) وفى النادرة الآتية مصداق لمـا نقول • قالوا (٢) : وقع رجل من بنى العنبر أسـيرا فى

---

(١) من لخم حليف بنى أسد •

(٢) الأمالى ج ١ تفسير اللحن •

بكر بن وائل ، فسألهم رسـولا الى قومه فقالوا له:لاترسل الا بحضرتنا؟ لأنهم كانوا أزمعوا غزو قومه ، فخافوا أن ينذر عليهم ، فجيء بعبد أسود • فقال له : أتعقل؟قال : نعم ، انى لعاقل قـال : ما أراك عاقلا ، ثم ماهـذا ؟ ـ وأشار بيده الى الليل ـ فقال : هذا الليل • فقال : أراك عاقلا • ثم مـلأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ فقال: لا أدرى وانه لكثير • فقـال : أيمـا أكثر : النجوم أو النيران ؟ فقال :كل كثير • فقال ـ وهنا بدأت الرسالة ـ أبلغ قومى التحية ، وقل لهم :ليكرموا فلانا ـ يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر بن وائل ـ فان قومه لى مكرمون وقل لهم : ان العرفج قد أدبى ، وقد شكت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبهـا ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حيسا ، واسألوا الحـارث عن خبرى • فلما أدى العبد اليهم الرسالة قالوا : لقد جن الأعور ، والله مانعرف له ناقة حمراء ، ولا جملا أصـهب • ثم سرحوا العبد ، ودعوا الحـارث فقصوا عليه القصة فقال : وهنا فسر الشفرة ـ لقـد أنذركم • أما قوله : قد أدبى العرفج فانه يريد أن الرجال قد استلأموا ، أى لبسوا ، الدروع ، وقوله : شكت النسـاء أى اتخـذت الشكاة للسفر ، وقوله:ناقتى الحمراء أى ارتحـلوا عن الدهنـاء واركبـوا الصمان وهـو الجمل الأصـهب • وقوله : بآية ما أكلت معكم حيسا ، يريد أخلاطا من الناس قد عـزوكم لأن الحيس يجمـع التمـر والسمن والأقط ، فامتثلـوا ما قال ، وعـرفوا فحوى كلامه •

أرأيت أن التاريخ يعيد نفسه وأن الأسرار وكتمـانها والبحث عنهـا ، والمراسـلة باللحن أو الرمز أو ما نسميه (الشـفرة) عرفهـا العرب واسـتخدموها وحلـوها ، وزادهم الاسـلام معرفة وثقافة وحضـارة ، وتعاملوا مع الأعداء بمهارة وعبقرية ولقد كان عمرو بن العـاص رضى الله عنه يقـوم بكشـف أسرار أعـدائه بنفسه ، فيذهب متخفيـا فى زى تابع

لا أمير ، ويقف على قوة عدوه ونياته كما فعل حين فتح فلسطين •

ان الانسان بطبعه يحس مكامن الخطر ، ويشعر من داخله بالأسلحة التى تكون له أو عليه ، وكلما اتسعت معرفته انكشفت له وسائل عدوه من مكر وخديعة ، وهدى الى الاحتياط فى جل أموره ، فأخذ بما ينفع ، وترك ما يضر ، وأكبر ما تهتم به الدولة المحاربة أسرارها الحربية ، لذلك كان كتمان السر فضيلة يدعو اليها الشرع ، ويهتف بها الوطن ، وعلى الانسان أن يبعد عن الثرثرة والحديث ، فالحديث ـ كما قيل ـ ذو شجون ، ومتى يسلم الانسان من الخطأ اذا ترك نفسه للشجون •

السيد حسن قرون

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٨ —

لم تكن الروح الاسلامية التى تمتلىء بها جوانحه محل شك من أحد الا أن الكيف الذى كان يغلب عليها وتتميز به كان هو الكيف الذى يتميز به الشاعر فى احساسه بالأشياء وادراكه للحقائق . وفهمه للأمور وهو من غير شك طابع انفرد به الشعراء عن الناس جميعا فى تصورهم للمعانى ، وتذوقهم للكائنات بصرف النظر عن الأجناس أو الأنواع التى تنتسب اليها ، ويظهر ذلك كله فى كل شعيرة كان يتناولها بالحديث ، أو كل تكليف من التكاليف التى تعبد الله بها خلقه ، وطلب اليهم أن يجعلوها همزة لوصل بينهم وبينه ، ونحن لا ننكر على الشعراء هذا التصور ، أو ذلك الادراك ؟ لأنهم انما يرون الأشياء دائما أبدا بعين البصيرة لا بعين البصر ، وعين البصيرة من شأنها الكشف عن جوانب الحسن أو القبح ، اذ أنها عندهم هى الجوانب التى تتصل بالجمال أو الحسن أو الذوق وما شاكل ذلك مما هو أقرب صلة بالروعة والبهجة وما يراد فهما مما تنفعل به الوجدانات والعواطف التى يعيش لها هؤلاء الناس ، وهكذا سنة الحياة وأسلوب الاحساس ، بها ، أو التذوق لها ، وفهم الحقائق منها ، واختلاق أبناء آدم وبنات حواء فيها ، ولهذا كثرت العناوين بين العلماء والفلاسفة والأدباء والمذاهب والمبادىء على حسب تلك المسوح التى يرتدى بها كل من الأفراد والجماعات ..

وأغلب الظمن أن شاعرنا فى هذه الاسلاميات كان شاعرا بمعنى الكلمة أو على الأقل كان حديثه حديث الشاعر الذى يهزه منها جوانب أخرى

غير تلك الجوانب التى تجر المسلم الى ناحية الفعل أو الترك .. وهـذا موقف من تلك المواقف التى تتعرض لهـا بالدراسـة والتحليل لننظر الى أى حد كانت تهزه العاطفة الاسلامية ومع هذه الهزة أو الانفعـال الى أى مدى كانت تسـوقه الى الاستجابة ، والزام داعى الفعـل أو الترك ، واذا كان الشعراء قد اتهمـوا بالانصراف عن عالم النسك والعبادة ، والخضوع والخشوع الى الله جل جلاله وأنهم انما يحبـون لشهواتهـم العاجـلة ، ودنياهم التى تفيض بالمتعة ، وتطفح باللذة ، وتمتلىء بحبائـل الشيـطان الممدودة لهم فى كل ناحية فيها زهر وورد ، وعطر ورياحـين ، وحسن وجمـال ، وسـحر وفتنـة ، فـان أبا نواس قـد هـزته أحاسيسـه الى البيت الحرام الذى حج اليه ، وطاف به ، وقال هنالك أرجوزته المشهورة فى التلبية « الهنا ما أعـدلك » التى نحفظها عنه .. وكذلك كان عمر بن أبى ربيعة الذى بلغ من نسـكه فى آخر أيام عمره ألا يقـول بيتـا من الشعر الا أعتق عنه رقبة ، فلما رأى فى المطاف بالبيت الحرام شابا يقطع الطريق على فتاة هنـالك سـأله فى لهجة من التقريع والتوبيخ عن هـذا الصنيع الذى لا يليق بكرامة بيت الله وكان مما عرفه من أمره أنها ابنـة عمه ، وأنه يرهقـه بالمهر الـذى لا يستطيعه ، وأنه يحبها حبا شديدا ، وأن هـذا الارهاق يقف فى سبيـله حجر عثرة ، وأنه لا يملك الا مثل هذه الفرصة السانحة ، وقد رق له قلب عمر فدفع له المهـر . وسـجل ذالك الحادث فى شعر تضمنه ديوانه وأعتق عن كل بيت رقبه ، كما التزم على نفسه ، ولهذا فاننا نعجب أشـد العجب اذا علمنا أن صاحب الاسلاميات يدعوه سيد البلاد ــ فى هذا الوقت ــ الخديو عباس أن يكون رفيقـه فى الحج الى بيت الله الحرام فلا يكون منه سوى ذلك العذر الذى هو أقبح من الذنب ، وقد كانت هذه الصحبة شرفا لا يظفر به الا قليل من الناس الذين لم يتطاول الشاعر الى مستواهم أو يدنوا الى منزلتهم ، ولو أن هـذا العذر كان شيئا من المرض الذى يحول بينه وبين المشقة المترقبة ، أو معنى من الاضطراب فى الطريق ، وعدم توافر الأمن والسلامة لمن يجتازه أو يمر

به لقلنا ان الفريضة غير محتومة ، أو ان الواجب غير ملزم ، لكن تلك الفلسفة التى يدور صاحبنا فى رحاها كانت عنوان جوانب الضعف منه .

وفى اعتقادى أن الرفاهية التى نشأ عليها ، والبلهنية التى ألفها، هى ذلك العذر لا أكثر ولا أقل ، وكثير من أولئك الذين عاشوا فى الترف ، وانحدروا من بيوت مجد ، ومرنوا على لون خاص من النعمة ، ربما شق عليهم أن تخطو بهم أقدامهم . أو تجول بخواطرهم الأمانى والأحلام، وليست المسألة كما يقول .

ويارب هل تغنى عن العبد حجة
وفى العمر ما فيه من الهفوات

وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر
ولم أبغ فى جهدى ولا خطراتى

ولا جال الا الخير بين سرائرى
لدى سدة خيرية الرغبات

ولا حملت نفس هوى لبلادها
كنفسى فى فعلى وفى نفثاتى

وانى ولا من عليك بطاعة
أجل وأغلى فى الفروض زكاتى

أبالغ فيها وهى عدل ورحمة
ويتركها النساك فى الخلوات

وعلى الرغم من أن هذه القصيدة قد تضمنت كثيرا من الصور البيانية الرائعة فى حكمة مشروعية الحج ، وفى شكوى حال المسلمين من الفرقة والتنافر والبغضاء ، وفى التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنها تشبه موضوع الانشاء الذى يحدد الاستاذ نطاقه ، ويرسم أبعاده وحدوده ، فيتجاوز التلميذ اطاره ، وخط السير الذى يجب أن يلتزم به ويعيش فى داخله ، ولو أن رجلا من عامة الناس تفضل على زميل له ، أو صديق يخصه بوده ، وأعلن اليه أنه يسره أن يكون مصاحبا له فى الرحلة الى بيت الله الحرام ، لأداء فريضة الحج التى جعلها الله واجبا محتوما لمن استطاع اليه سبيلا ،فقابل منه هذا الصنيع الكريم بمثل هذا القول « ويارب هل تغنى عن العبد حجة » لما كان منه الا أن يعتبر هذا العذر مجافيا للذوق ، مجانبا للياقة ، نابيا عن الأدب ؟ لأنه يشبه التعريض بأن الداعى طالما انحرف اقترف ، وارتكب وانتكب ، وبغى وطغى ، وبخاصة اذا ما أضاف الى ذلك أن الشاعر يضيف الى هذا حديثه عن

نفسه ، واشادته بمكارم أخلاقه ، ومن العيب كل العيب للشاعر وهو بصدد الحديث عن ممدوحه أن ينحدر من ذلك الى الحديث عن نفسه ، ولهذا فان سيف الدولة الحمدانى وقد كان المتنبى ينشده قصيدته التى ابتدأها بقوله : « واحر قلباه ممن قلبه شبم » فلما وصل الى هذا البيت منها .

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال له أبو فراس وكان حاضرا وماذا أبقيت للأمير من المديح يادعى كندة ، وقد أهاج بذلك حفيظة سيف الدولة فرماه فى وجهه بالدواة ، اعلانا عن السخط عليه ، والغضب منه ، وكأنما كان ذلك كله اقرارا لهذا النقد ، واعترافا به ، وهو رجل كان يتذوق وينقد ، ويميز بين الجيد والردىء ، على أننا ونحن نتجاوز هذه القصيدة بخيرها وشرها وعجرها وبجرها — كما يقولون — سنجد عنده قصيدة أخرى يقولها لصديقه الدكتور محجوب ثابت وقد اعتزم السفر الى تلك الأماكن المقدسة .

محجوب ان جئت الحجا
ز وفى جوانحك الهوى له
شوقا وحبا بالرسو
ل وآله أزكى سلاله
فلمحت نضرة بانه
وشممت كالريحان ضاله
وعلى العتيق مشيت تنـ
ـظر فيه دمعك وانهماله
ومضى السرى بك حيث كا
ن الروح يسرى والرساله
وبلغت بيتا بالحجا
ز يبارك البارى حياله
الله فيه جلا الحرا
م لخلقه وجلا جلاله
فهناك طب الروح طب
العالمين من الجهاله
وهناك أطلال الفصا
حة والبلاغة والنباله
وهناك أزكى مسجد
أزكى البرية قد مشى له
قبل ثراه وقل له
عنى وبالغ فى المقاله
شوقى اليك على النوى
شوق الضرير الى الغزاله

وهى لون آخر من الحديث قد يمتاز بخفته على السمع ، وحلاوته فى المنطق ، وجمال وقعه فى النفس وربما كان ذلك للوزن الذى اختاره الشاعر ، أو لأن الخطاب كان موجها للدكتور محجوب وهو الرجل الذى كان خفيف الظل ، حاضر البديهة حلو الفكاهة ، يتشوف أصدقاؤه ومعارفه الى حديثه فى السياسة والاجتماع ويهش للاصغاء اليه كثير من أرباب الفكر والذوق ، والرأى والعقل ، والعلم والأخلاق على الرغم من أنه كان طبيبا بشريا ، وقد كان له معه مداعبات لطيفة ، ومنها القصيدة التى يوجهها اليه وقد اشترى سيارة بعد حصانه المكسوينى الذى كان يركبه وأولها

لكم فى الخط سيارة
حديث الجار والجارة

ويعزى فيها هذا الحصان بأن دولته زالت ، وأن عهده تولى وكأنما أصبح فى ذمة التاريخ ، اذ يقول :

أدنيا الخيل يامكسى
كدنيا الناس غداره

واذا كنا نعرض لتصوراته عن الحج ، واحساسه به ، أو بغيره من التكاليف الاسلامية ، بهذا الأسلوب أو نتهمه بأنه كان أشبه بالرسام الذى يسبيه من الأشياء ظلالها وألوانها فيضفى هو عليها من فنه ما يجعل انها حقيقة أخرى غير تلك التى يدركها الناس ، فاننا لا نعنى من وراء ذلك أن نجرده من الفضل ، أولا نعترف له بالأيادى التى أسداها ، وهو الذى كسى كثيرا من مقدساتنا الاسلامية بحديثه عنها ، أو وصفه لها أثوابا من الملاحة والحسن ، والوضاءة والزخرف ، والبهجة والجمال ، جعلها تبدو لنا وكأنما هى تلك الحقيقة التى تدور فى رءوسنا بالأمانى والأحلام ، عليها لباس من السحر ، وشىء من الفتنة .. وما من انسان يقرأ له عن الحج فى كتابه أسواق الذهب « موكب الاسلام ومظهره ، ولباب حسبه وجوهره ، فيا أيها المعتزم حج البيت ، المشمر لأداء الفريضة ، لقد أطعت فهل استطعت ، وأجبت فهل تأهبت ، وهل علمت أن الاسلام شرعه السماحة وأن رب البيت واسع الساحة ، يعفى المريض حتى يعافى ، ويقيل المعدم حتى يجد ولا يؤاخذ ، أخا الدين حتى يقضى دينه ولا يقضى على الخائف القرار حتى

تأمن السبيل من وباء مهتاج ، أو لصوص قد أخذوا الفجاج ، أو حكومة جائرة تبتز الحجاج ..

كبرى الكبائر أن تلقى الله فى بيته وبين وفده بمال خلسته من أحد اثنين يحبهما الله حبا جما ، اليتيم ، وأنت تعلم أن ماله نار ، وأنه تحس الدرهم نحاسى الدينار ، والفقير ، وقد فرض الله له فى برك حصا سماها الزكاة ، فتغابيت يامخادع الله ، وخرجت بها تحج للتظاهر والمباهاة .. وهل علمت أن الله لا يقبل منك مالا ، ونفقة المطلقة من مطل معلقة ، وذو القربى وراءك جائع ، والولد طريد المدارس ضائع وتجارتك مختلة ، وأمانتك معتلة ، وجارك الضعيف يضج من حيفك ، وخصيمك الأعزل يشكو سطو سيفك فان لم يكن شيء من ذلك أو مما اليه فسر على اسم الله ، وحج بيت الله وارجع برضوان من الله » ثم لا يهزه هذا البيان وهو ــ كما ترى ــ حديث الأديب الأريب ، والحكيم اللبيب ، الذى يدرك أن الدين سلوك ومعاملة وأخلاق ومجاملة لا تكاليف ، لا يفهم الناس معنى تحصيلها ، ولا كيف يكون الجرى فى سبيلها ، وان كنا نعتقد تمام الاعتقاد أنه فى هذا الحديث مهما تأنق وتألق ، وأجاد الصنيع ، وجاء بألوان البديع ، فان حديثه اذا كان عن المشاهدة والمكابدة كان أبلغ أثرا ، وأحسن موقعا ، وأشفى للفؤاد ، وأرضى للنفس ، وأمتع للخاطر ، وقد كانوا يقولون « فما راء كمن سمع » ونحن لانشك فى أن كتاب «فى منزل الوحى » الذى كتبه المرحوم صاحب « حياة محمد » بعد المشاهدة والمكابدة ــ كما نقول ــ كان ثروة طائلة غنمناها ، ورصيدا ضخما أضفناه الى تلك المؤلفات التى تصلنا بأمجادنا ، الدينية ومعارفنا الاسلامية .. على أن هذا الحديث الذى جال بخاطر شوقى فى قصيدة « الى عرفات الله » أو قصيدة الدكتور محجوب أو ما قلناه من كتاب « أسواق الذهب » اذا أضفنا اليه قصيدة أخرى كان قد رفعها الى دار الخلافة يشكو فيها ظلم أمير الحجاز حينئذ ولعله الحسين بن على من الأسرة الهاشمية ــ المزعومة ــ الذى كان يرهق الحجاج بالضرائب المفروضة ، ولا يوفر لهم الأمن اللازم والراحة المناسبة ، ويجعلهم وهم فى جواره أشبه بالأيتام فى مأدبة اللئام

هنالك نرى أن تلك الروح الدينية التى تملأ جوانحه ، وتفيض بها نفسه وتتدفق بها خواطره ، كنا نفتقدها فى غيره فلا نجدها ، ونبحث عنها فلا نعثر عليها ، أو نظفر بها ، والى جانب ذلك كلهفان أضخم كاتب من كتاب المقالات الصحفية أو سواها ، وهو متحرر من قيد الوزن والقافية لو حاول أن يدافع عن دينه ، أويرد نزوة طائش متسلط أو كاشح حاقد ، أو عدو يضمر له شيئا من الشنآن والبغض ، لما استطاع أن يصل الى شأوه ، أو يشفى من نفوس المحبين لهذا الدين بعض ماكان هو يشفيه

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الأمم

قد مسها فى حماك الضر فاقض لها
خليفة الله أنت السيد الحكم

لك الربوع التى ريع الحجيج بها
أللشريف عليها أم لك العلم

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان أنت لم تنتقم فالله منتقم

أفى الضحى وعيون الجند ناظرة
تسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم

ويسفك الدم فى أرض مقدسة
وتستباح بها الأغراض والحرم

يد الشريف على أيدى الولاة علت
ونعله دون ركن البيت تستلم

أدبه أدب أمير المؤمنين فما
فى العفو عن فاسق فضل ولا كرم

لا ترج فيه وقارا للرسون فما
بين البغاة وبين المصطفى رحم

ما كان طه لرهط الفاسقين أبا
آل النبى بأعلام الهدى ختموا

خليفة الله شكوى المسلمين رقت
لسدة الله هل ترقى لك الكلم

الحج ركن من الاسلام تكبره
واليوم يوشك هذا الركن ينهدم

من الشريف ومن أعوانه نعلت
نعمى الزيادة مالا تفعل النقم

عز السبيل الى طه وتربته
فمن أراد سبيلا فالطريق دم

دكتور/ابراهيم على أبو الخشب

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

— ٧ —

وهناك مصدر آخر للقدوة ـ غير القدوة المطلوبة من المربى ـ يتأثر بها الشباب أيما تأثير ألا وهى النماذج المشرفة من شباب الاسلام ، التى تنهض دليلا قويا على عمق التأثير الذى يوجده التدين والايمان بالله فى نفس الانسان ، ومن ذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ، كان من عادته أن يطوف بالليل،يتفقد شئون رعيته ، وذات ليلة كان الفاروق يسير على عادته فى طرقات المدينة ، ومعه مولاه أسلم ، فلما طال المطاف بعمر أستند الى جدار بيت فى جوف الليل ، واذا به يسمع أمرأة داخل البيت تقول لابنتها : « يابنتاه ، قومى الى اللبن فامذقيه (أى أخلطيه) بالماء فانك قد أصبحت » •

واذا الفتاة تجيب أمها وأحب الناس اليها وأعزهم عليها : « أو ما علمت ياأماه بما كان من عزمة (أمر) أمير المؤمنين اليوم ؟

قالت الأم : وماذا كان من عزمته يابنيتى ؟

قالت الفتاة : لقد أمر مناديه فنادى فى الناس الا يشاب (أى لا يخلط) اللبن بالماء •

فعادت الأم تقول فى تحريض : قومى يا ابنتى الى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادى عمر •

فغضبت الفتاة وردت قائلة : ياأماه والله ماكنت لأطيعه فى الملا وأعصيه فى الخلا ، وان كان عمر لا يرى فرب عمر يرى ، والله ماكنت لأفعله وقد نهى عنه » •

وليتدارس شبابنا من أمثلة البطولة الرائعة موقف الحسين رضى الله عنه وهو يواجه فى اثنين وسبعين رجلا جيشا مكونا من أربعة آلاف فارس فاتك ، فقد كان يستطيع بكلمة تصدر منه أن ينجو هو ومن معه من الموت

الذى كان ينتظرهم جميعا ، ولكن الحياة عندهم كانت لا تساوى شيئا مع الشعور بالذل والرضا بالهوان ، فأبى رضى الله عنه أن يغالط ضميره وشعوره ، وقال يرد على الحر ابن يزيد - وقد خوفه من الموت المحقق - أبا لموت تخوفنى .. ؟ ثم أنشد .

سأمضى وما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وآسى الرجال الصالحين بنفسه
وخالف مثبورا وفارق مجرما

فان عشت لم أندم وان مت لم ألم
كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

ومضى رضى الله عنه يقاتل الذين قاتلوه ، ويضرب فيهم بسيفه ورمحه حتى سقط قبل أن يسقط العلم من يده ، وكتب بدمه الذكى أروع أيات البطولة فى سجل الخلود ، ولم يخسر حياته فقد بقى حيا فى ضمير كل مسلم وسيبقى حيا فى ضمير كل بطل .

والصحابى الجليل والمجاهد القائد الشاب أسامه (بن زيد بن حارثة أنموذج رائع ومثل عظيم للشاب الذى نشأ فى طاعة الله وطاعة رسوله والعمل لخدمة الاسلام ورفعة المسلمين وقصته وقصة أسرته والمناخ الذى نشأ فيه تستحق أن تروى لشبابنا وللمسئولين عن التربية معا .

فلقد نشأ أسامة على الاسلام ؛ لأن أباه كان من أوائل الناس اسلاما فشب أسامة حتى أدرك ولم يعرف الا الاسلام لله تعالى ، ولم يدن بغيره .

وعاش فى أسرة مؤمنة مجاهدة مضحية ، فأبوه زيد بن حارثة مات مجاهدا شهيدا فى غزوة (مؤتة) وأخوه لأمه أيمن بن عبيد مات مجاهدا شهيدا فى غزوة حنين ، وأمه هى أم أيمن حاضنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهى من السابقات الى الاسلام ، ومن أهل الهجرتين ، وهى التى اشتركت فى أكثر من غزوة كأحد وخيبر ، وهى التى كان الرسول يقول عنها : (أم أيمن أمى بعد أمى) ويقول عنها :(هذه بقية أهل بيتى)

ولذلك ولغيره كان أسامة حبيبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان يقال له (الحب بن الحب) والحب - بكسر الحاء معناها الحبيب وذلك لأن أسامة كان محبوبا عند الرسول كما كان أبوه رضى الله عنهما

ولقد جاء فى السيرة أن النبى كان يحب أسامة حبا شديدا ، وكان عنده كبعض أهله ، وكان يجعله رديفه فى الركوب - أى يركبه خلفه - فى كثير من الأحيان . وكان ينظر الى أسامة كما ينظر الى سبطيه وريحانتيه من الدنيا : الحسن والحسين ،رضوان الله على الجميع ، ولقد روى أسامة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذنى والحسن بن على ثم يقول : (اللهم أحبهما أنى أحبهما) وفى رواية أن النبى كان يقعد أسامة على فخذه مع الحسين ويقول اللهم انى أرحمهما فارحمهما) وقال الرسول عن أسامة : (من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامه) .

ولقد كان أسامة أفطس الأنف أسود اللون كأنه الليل كما يعبر التاريخ ، ولكنه كسب هذه المكانة بطهارته وصفاته ، وصدقه ووفائه ، ونضاله وفدائه ، فقد آثر الاسلام واهتدى بهديه ، وهاجر مع النبى ، واحتمل فى سبيل الله ما احتمل وتفقه فى دينه ، وروى مائة وثمانية وعشرين حديثا ، وكان يتطوع بالقربات والنوافل ، حتى انه حرص خلال حياته على الصوم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ، حتى بعد أن تقدمت به السن ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وعرف أسامة طريق النضال من أجل الاسلام وهو مازال يافعا ، وكان لا يفخر بمال أو نسب ، بل كان يعتز كل الاعتزاز برضى الرسول عنه وحبه له ؛ لأن حب الرسول دليل على حب الله ، ولذلك جعل أسامة نقش خاتمه هكذا : (أسامة حب رسول الله) .

وكان الرسول يكلف أسامة من حين الى حين بشئون تتصل بأهله ،فقد استخلفه مع عثمان بن عفان رضوان الله عليهما ، ليقوما على تمريض (رقية) بنت الرسول وزوجة عثمان وقد ماتت رقية والمسلمون يجاهدون فى غزوة بدر ، فاشترك أسامة وعثمان وغيرهما فى تجهيزها ودفنها . وكان أسامة رجلا عف اللسان طيب القول ولعل من شواهد ذلك أنه لما حدثت فتنة الافك حول السيدة عائشة رضى الله عنها ، سأل النبى أسامة عن رأيه ومشورته ، فأثنى أسامة خيرا وقال خيرا . ثم قال يارسول الله ، أهلك ولا نعلم عليهن الا خيرا .

ولقد اشترك أسامة في سرية فدائية في السنة السابعة من الهجرة وهو دون العشرين بسنوات كما يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما علم بأن خالد بن الوليد أخذ الراية يوم غزوة (مؤتة) قال : فهلا الى رجل قتل أبوه ؟ . يعنى أسامة . ويستفاد من هذا الخبر أن أسامة كان ممن جاهد فى غزوة مؤتة ، كما كان النبى يراه أهلا للقيادة يومئذ .

وكان أسامة ممن ثبت الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، بعد أن وقع الاضطراب الأليم الذى وقع فيها ولم يكن حب الرسول لأسامة الا لله وفى الله ، وعلى صراط الخضوع الكامل والخشوع الشامل أمام أمر الله ونهيه ، ومما يدل على ذلك أن القوم أرادوا من أسامة أن يشفع عند النبى فى أمر المرأة المخزومية التى سرقت، حتى لا يقيم عليها الحد ، واستجاب أسامة لرجائهم ، وشفع لها عند النبى ، وهنا لم يذكر الرسول شيئا سوى أمر الله وحقه ؛ لأن حق الله فوق كل حق ، فقال لأسامة غاضبا أو عاتبا :

(أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامه . انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

وكذلك يروى أن الرسول بعث أسامة على جيش ذات مرة ، وكانت أول تجربة لأسامة فى القتال ، فقاتل أسامة ببأس وشجاعة . يقول أسامة عن ذلك البعث : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ـ وقد أتاه البشر بالفتح ، فاذاهومتهلل وجهه ، فأدنانى منه ثم قال ، حدثنى . فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت اليه بالرمح ، فقال : لا اله الا الله ، فطعنته فقتلته . فتغيروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ويحك يا أسامه فكيف لك بلا اله الا الله ؟ ويحك يا أسامة فكيف لك بلا اله الا الله ؟

فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الاسلام يومئذ جديدا ، فلا والله لا أقاتل أحدا قال لا اله الا الله

بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقبل وفاة الرسول بقليل عين أسامة قائدا على جيش المسلمين المتهيىء للذهاب الى غزو الروم وكان أسامة حينئذ دون العشرين من عمره وكان فى هذا الجيش أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن النعمان ، وغيرهم من كبار الصحابة ، ولكن الرسول أراد بذلك أن يدرب الشباب على القيادة أولا ، وأن يمجد ذكرى والد أسامة المجاهد الشهيد ثانيا ، وأن يعلم الأمة أن القائد انما هو رمز ، فاذا أصبح فى موطن القيادة وجب على الجميع أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة ووجهة واحدة وقلبا واحدا ، وبذلك تتعود الأمة الاجتماع على لواء الوحدة والتآلف .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم توفى قبل أن يخرج الجيش ، فلما تولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين كان أول ما أصر عليه وشرع فيه هو انفاذ جيش أسامه الى غايته كما أوصى الرسول ، وزاد أبو بكر فى تكريم الجيش وقائده فخرج يودعهم ما شيا على قدميه ، والقائد الشاب فوق صهوة جواده ، وعز على القائد أن يركب والخليفة يمشى ، فقال لأبى بكر : يا خليفة رسول الله ، اما أن تركب واما أن أنزل — فأجاب الخليفة قائلا فى عزم واصرار : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ومضى القائد الشاب بالجيش الى غايته ، وكان أسامة . موفقا مظفرا ، وجاهد جهادا كريما وأوجع اعداءه وعاد بغنائم ، بعد أن مكث مع جيشه فى أرض المعركة أربعين يوما ، وعرف أبو بكر لأسامة مكانته ، واستخلفه على المدينة فى بعض الأحيان ، وكان عمر كلما لقى أسامة قال له (السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أمير أمره رسول الله ، ومات وهو على أمير) .

ولقد كان أسامة الى جوار جهاده ووفائه وفدائه — رجلا بارا بأمه ، ولقد بلغ من بره بها أن كانت النخلة قد بلغت ألف درهم ، فأقدم أسامه على نخلة فنقرها ، وأخرج جمارها ، وأطعمه أمه ، فقالوا له ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟

فقال : بأن أمى سألتنيه ، ولا تسألنى شيئا أقدر عليه الا اعطيتها .

وبعد فقد استعرضنا منهج المدرسة الاسلامية فى تربية المراهق ورأينا كيف أن كل ما وصل اليه علماء التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ومن دراساتهم قد ورد فى هذاالمنهج العظيم .

ولقد وضع هذا المنهج التربوى الشامل موضع التطبيق منذ أربعةعشر قرنا ، وأثبت نجاحه التام فى المراحل التى كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح فى قوة بناء المجتمع الاسلامى من جهة ، وفى ازدهاره وتقدمه من جهة أخرى ، وأثبتت التجارب أن المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا النجاح فى مراحل من تاريخهم الا لاهمالهم بعض الجوانب الاسلامية من هذا النظام فى أساليب حياتهم وتربيه شبابهم ، وان العلاج الناجح لما يصيب الشباب من أمراض الانحراف والحصانة الواقية من تلك الأمراض، انما هما فى العمل بكل ما يقوم عليه نظام ديننا الحنيف من عقيدة وعبادة ومعاملة وتربية خلقية ، واتباع لأوامر الله واجتناب لنواهيه ، وبعد عن الشبهات وفى تنمية مبادىء الدين فى أذهان الشباب وضمائرهم منذ صغرهم وتعهدهم بتلك المبادىء طوال مراحل نموهم ومقاومة العوامل التى تضعف الوازع الدينى فى نفوسهم ، واحاطتهم بجو من الاستقامة والنقاء الاجتماعى وابقاء الشخصية الاسلامية السوية فى تاريخها وبطولاتها وفضائلها ومعارفها وحضارتها ماثلة دواما أمام أعينهم ، والتصدى المستنير لكل مسالك الشكوك والاضطراب فى تفكيرهم .

محمد جمال الدين محفوظ

هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

— ٥ —

وهو يجعل الضمير فى (ألا يقدرون) راجعا لأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فى حين يجعله الذين لا يقولون بالزيادة كأبى مسلم الأصفهانى والفخر الرازى عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن كلام الفخر الرازى فى هذا المقام : وأعلم أن أكثر المفسرين على أن (لا) هنا صلة زائدة ، والتقدير ليعلم أهل الكتاب .

وقال أبو مسلم الأصفهانى ، وجمع آخرون : هذه الكلمة لست بزائدة) .

فالطبرى مع أكثر المفسرين ، بل لعل من بعده اقتدى به فى القول بزيادة (لا) هنا .

كما يتبين عند تفسيره لقوله تعالى: « حتى اذا أسلما وتله للجبين وناديناه أن ياابراهيم » ، فهو يقول : انجواب (فلما) هو ناديناه ، والواو فيه زائدة ، وتقدير الكلام . فلما اسلما وتله للجبين ناديناه ، قال : « وادخلت الواو فى ذلك كما ادخلت فى قوله « حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها » ، ثم قال : وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو فى جواب (لما) وحتى اذا وتلقيها .

هذا مع ملاحظة أن الطبرى فى هذه الآية الثانية قال ان جواب اذا محذوف ، تقديره : (دخلوها ، وان كان نقل عن بعض نحاة البصرة القول بزيادة الواو .

٢ - التوقف ، وعدم ترجيح رأى على رأى ، ويظهر ذلك فى قوله : (اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » فقال بعضهم : عنى بقوله : (فلا أقسم) أقسم .

ثم روى ذلك عن سعيد بن جبير .

وقال بعض أهل العربيـة : معنى قوله (فلا) فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد ، فقيل :أقسم .. وهو يقصد بقوله (بعض أهـل العربية) الفراء ، فقد جاء فى لسان العـرب (٢٠-٣٥٣) قال الفراء : وكان كثير من النحويين يقـولون : (لا) صلة . قال : ولا يبتدأ بجحد ، ثم يجعل صلة يراد به الطرح ؛ لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ، ولكن القرآن العزيز نزل بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقسـام بالرد عليهم فى كثير من الكلام)

كما يظهر فى تفسيره لقوله تعالى : « وما يشـعركم أنهـا اذا جاءت لا يؤمنون » فقـد ذكر الرأيين ومم يرجح أحدهما على الآخر .

قال : عن مجاهد : (وما يشعركم. وما يدريكم أنكم تؤمنون اذا جاءت ، ثم استقبل بخبر عنهم فقال: اذا جاءت لا يؤمنون . وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف (انها) على أن قوله : « انها اذا جاءت لا يؤمنون» خبر مبتدأ منقطع عن الأول ، وممن قرأ ذلك كذلك بعض قراء المكيين والبصريين) .

وهـــذا قول بأصـالة (لا) فى (لا يؤمنون) .

ثم قال : وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين بالله أنهـم لا يؤمنون به ــ ففتحـوا الألف من (أن) وممـن قـرأ ذلك كذلك عامة قـراء أهـل المدينـة والكوفة . وقالوا : ادخلت (لا) فى قوله : (لا يؤمنون) صلة .....وقد تأول قوم قرءوا ذلك بفتح الألف ، من أنها بمعنى لعلهـا ، وذكروا أن ذلك كـذلك فى قـــراءة أبى بن كعب) (١) .

٣ ــ ترجيح القول بأصالة الحرف على زيادته كلما وجـد لذلك تأويلا مقبولا ، وهذا كثير فى تفسيره .

ومن ذلك أنه سرد بعض الآراء في (لا) من قوله تعالى : « ما منعك ألا تسجد » ثم قال : (والصواب عنـدى من القول فى ذلك أن يقال : ان فى الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر

(١) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٢١١ ، ٢١٢

منه وهو أن معناه : ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد ، فترك ذكر (أحوجك) استغناء بمعرفة السامعين) .

ومن ذلك اختياره اصالة الواو فى قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به) ، وذلك حيث يقول : (وادخلت الواو فى قوله : « ولو افتدى به » لمحذوف من الكلام بعده دل عليه دخول الواو كالواو فى قوله : « وليكون من الموقنين » . وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك فى قوله (ولو افتدى به) .

فلو عنده شرطية ، وجوابها محذوف تقديره : لا يقبل منه أيضا .

وقد أشار الى القول بالزيادة ، ولكنه حكاه فقط وسكت عنه ولم يرفضه ، وذلك حيث يقول : (ولو لم يكن فى الكلام واو لكان الكلام صحيحا ، ولم يكن هناك متروك ، وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به .

جار الله الزمخشرى :

الزمخشرى نحوى كبير ، لذلك نلمس هذه الثقافة النحوية فى هذه القضية ، وقد سبق أن قلنا ان كثيرا من النحويين يثبتون زيادة بعض الحروف فى آى القرآن ولكنه أيضا كثيرا ما يلتمس للآية تخريجا يحتفظ فيه بأصالة الحرف .

وفى كثير أيضا يسكت عن القول فى الحرف بالأصالة أو الزيادة ولا يظهر فى تفسيره ما يدل على أحدهما ، ولا ندرى سر هذا الصنيع الا أن يكون يعتقد أن زيادة الحرف أمر ليس موضع كلام .

١ ـ ولنأخذ أولا الآيات التى ابتدأت (بلا) قبل فعل القسم . لنرى ماذا نهج الزمخشرى فى تفسيرها .

(فلا أقسم بمواقع النجوم) الواقعة (فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون) الحاقة (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) المعارج (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) القيامة (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس) التكوير .(فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق) الانشقاق (لا أقسم بهذا البلد) البلد .

فهذه ستة مواضع جاء فيها (لا أقسم) فماذا قال الزمخشرى فيها .

فى الموضع الأول ذكر أن (لا) مزيدة ، قال : (**معناه فأقسم ولا مزيدة** مؤكدة ، مثلها فى قوله : « لئلا يعلم أهل الكتاب » وقرأ الحسن : « فلأقسم » ومعناه : فلأنا أقسم .

وفى الموضع الثانى جرى أيضا على أن (لا) زائدة حيث قال : (هو اقسام بالأشياء كلها على الشمول والاحاطة لأنها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر ، وقيل : الدنيا والآخرة ..).

وفى الموضع الثالث لم يذكر شيئا، وكأنه اكتفى بما قاله فى الموضعين السابقين .

ولكنه شقق القول فى الموضع الرابع ، واعترض وأجاب ، وصحح وأيد ، قال : (ادخال « لا » النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشعارهم .... وفائدتها توكيد القسم ، وقالوا انها صلة مثلها فى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) وقوله :

فى بئر لاحور سرى وما شعر (١) .

واعترضوا عليه بأنها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله ، وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة ، متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام....والوجه أن يقال : انها للنفى والمعنى فى ذلك أنه لايقسم بالشىء الا اعظاما له بذلك . عليه قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) ، فكأنه بادخال حرف النفى يقول : ان اعظامى له باقسامى كلا اعظام ، يعنى أنه يستأهل فوق ذلك وقيل : (لا) نفى لكلام ، ورد له قبل القسم ، كأنهم أنكروا البعث ، فقيل : لا أليس الأمر على ما ذكرتم ، ثم قيل : أقسم بيوم القيامة) .

فهوفى هذه العبارات ينكر الزيادة، ويذكر بعض التأويلات على أساس أن (لا) أصلية ، ثم يذكر وجها آخر فى (فلا أقسم بمواقع النجوم)

---

(١) البيت للعجاج ــ والحور الهلاك ، أى سرى فى بئر هلاك وما درى بذلك . انظر (مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ص ٦٠ وانظر لسان العرب جـ ٢٠ ص ٣٥٤

وربما كان نظر بها فقط بقوله تعالى : (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) • استدلالا به على أن هذه الأشياء التى دخل على القسم بها حرف النفى أشياء عظيمة •

ثم يبدو أنه يعتبر (فلا) فى وسط الكلام و (لا) فى ابتدائه ، بدليل تفريقه بين : (فلا أقسم بمواقع النجوم) حيث حكم بزيادة (لا) وبين (لا أقسم بيوم القيامة) حيث حكم بأصالتها •

وفى الموضع الخامس لم يذكر شيئا عن (فلا أقسم) •

وفى الموضع الأخير قال : (أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد) •

وهذا الصنيع يحتمل أنه يقول بزيادة (لا) كما فى (فلا أقسم بمواقع النجوم) ويحتمل ـ وهو الأقرب ـ أنه يقول بأصالتها ويكون التأويل هو ما ذكره فى (لا أقسم بيوم القيامة) •

من هذا العرض يتبين أن الزمخشرى لا يمنع أن يكون فى القرآن حرف زائد لمعنى ، ولكنه يرفض القول بالزيادة اذا كانت على غير طريقة العرب فى زيادة الحروف ، ويلتمس تأويلا للآية على أن الحرف أصلى •

٢ ـ ثم لنأخذ مثلا آخر • لنتتبع الزمخشرى فى رأيه عن الحرف (ما) الذى قيل بأنه يزاد :

« فبما رحمة من الله لنت لهم » • « فبما نقضهم ميثاقهم » «مما خطيئاتهم أغرقوا » • « عما قليل ليصبحن نادمين » • « أياما تدعو فله الأسماء الحسنى » • « مثلاما بعوضة » •

فنجده يقول فى الآية الأولى : (ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ، ونحوه « فبما نقضهم ميثاقهم » •

ومع أنه ذكر هنا رأيه فى (ما) فى الآية الثانية أعاده عند القول فى تفسيرها ، فقال : (فبنقضهم ، وما مزيدة للتوكيد) •

وفى قوله تعالى : « مما خطيئاتهم » قال : (لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من أجل خطيئاتهم ، وأكد هذا المعنى بزيادة (ما) •

وفى قراءة ابن مسعود : « من خطيئاتهم ما أغرقوا » بتأخير الصلة •

وكذلك حكم بزيادة (ما) في « قال عما قليل ليصبحن نادمين » وان لم يصرح بلفظ الزيادة ولكنه ذكر ما يدل عليها حيث قال : (وما توكيد قلة المدة وقصرها) .

وسبق أن نقلنا عنه أنه يحكم بزيادة ما أيضا في قوله تعالى : (أياما تدعو فله الأسماء الحسنى) .

وكذلك نقلنا عنه أنه يحكم بأصالتها في قوله تعالى : (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما) على قراءة الرفع ، ويذكر أن فيها وجها حسنا جميلا هو جعلها استفهامية ، أما على قراءة نصب (بعوضة) فهو يحكم بكونها صلة مثلها في (فبما نقضهم ميثاقهم) .

ولا يكاد يخرج رأى الزمخشرى عن هذين الأمرين فيما اطلعنا عليه من تفسيره للآيات التى دار الخلاف فيها حول زيادة حرف أو أصالته .

الفخر الرازى :

جاء في تفسيره الكبير في مواضع عدة منه رفضه فكرة الزيادة في القرآن .

١ — في تفسير سورة (ن) ذكر قولى الأخفش وأبى عبيدة بزيادة (الباء) في قوله تعالى : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » ، وذكر رأى الفراء بأن عدم الزيادة أولى .

٢ — في تفسير سورة (الممتحنة) نفى أن يكون في القرآن حرف زائد عند تفسيره لقوله تعالى : « تلقون اليهم بالمودة » . قال : (الخامس) : منهم من قال : (الباء) زائدة .

وقد مر أن الزيادة في القرآن لا تمكن ، (والباء) مشتملة على الفائدة فلا تكون زائدة .

٣ — في أول تفسير سورة القيامة اعتبر القول بالزيادة (طعنا في القرآن) حيث قال في قوله : (لا أقسم) ثلاثة وجوه :

الأول : أنها صلة ، والمعنى أقسم بيوم القيامة ، ونظيره « لئلا يعلم أهل الكتاب» وقوله:«ما منعك ألا تسجد — فبما رحمة من الله » . وهذا القول عندى ضعيف من وجوه :

(أولها) : أن تجويز هذا يفضى الى الطعن في القرآن ، لأن على هذا التقدير يجوز جعل النفى اثباتا ، والإثبات نفيا ، وتجويزه يفضى الى أن لا يبقى الاعتماد على اثباته ، ولا على نفيه .

٤ ـ فى تفسيره فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » رد قول الأخفش والمازنى الذى نقله عنهما (الواحدى) فى (البسيط) من أن (الفاء) فى هذه الآية زائدة ، وقال : انها للجزاء ، وقد نفيا أن يكون للجزاء هنا وجه ، وكذلك نفيا أن تكون للعطف . واعتبرا زيادتها ، فرد عليهما بأنهما يمكن أن تكون للجزاء ليبطل القول بالزيادة .

٥ ـ فى تفسيره لقوله تعالى : «لئلا يعلم أهل الكتاب » فضل قول أبى مسلم الأصفهانى بعدم الزيادة على قول (أكثر المفسرين) بالزيادة مع انه قول مشهور ـ كما قال .

٦ ـ عند تفسيره لقوله تعالى : (ما منعك ألا تسجد) مورد القول بالزيادة ويقول أنه القول المشهور ، وهو قول الكسائى والزجاج والفراء والأكثرين ، ولكنه يجعل كلمة (لا) مفيدة ، ويقول ان هذا هو الصحيح ، لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب .

٧ ـ وتارة يذكر الرأيين ولا يفاضل بينهما كما جاء فى تفسيره لقوله تعالى : «فى أى صورة ما شاء ركبك» فانه فسر الآية على القول بزيادة (ما) وعلى القول بعدم زيادتها ولم يرجح .

هؤلاء علماء ثلاثة كبار من مفسرى القرآن الكريم كان لهم فضل كبير فى هذا المجال ، فمن الغبن لهم أن نحكم بأن قولهم ومعهم كثير من العلماء بزيادة حرف فى القرآن انما هو جهل بدقة الميزان الذى وضع عليهما أسلوب القرآن . كما قال المرحوم الشيخ دراز ، ولا أن نصف صنيعهم هذا بأنه (مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز) كما قال الشيخ عبد الرحمن تاج ، وان كان هذا الشيخ قال فى مقدمة بحثه الذى أشرنا اليه : (وليس معنى هذا اننا نمنع أن تقع فى القرآن كلمات زائدة يقصد بها معان خاصة كتوكيد حكم بنفى أو اثبات ، فان ذلك واقع وكثير ، وهو من الحقائق التى لا شبهة فيها) (١) .

وأحب هنا أن أكرر أن هؤلاء العلماء الأعلام المتقدمين كانوا أعرف بلغة العرب وأفهم لمعانى القرآن الكريم ، وأوفى منا ذوقا ، وأوسع علما .

(١) مجلة الأزهر : عدد شوال سنة ١٣٨٦ ص ٧٦٠

ولنا أن ننظر فى كلامهم ، وأن نرد ما يقوم الدليل عندنا على خطئه، ولكن ليس لنا ان نرميهم بالجهل ، أو بالجرأة على تفسير كتاب الله تعالى .

وقد قال الخطابى ، وهو يعرض لزيادة (لا) فى قوله تعالى : «لا أقسم بهذا البلد » قال : (فهذا وما أشبهه زيادات حروف فى مواضع من الكلام ، وحذف حروف فى أماكن أخر منه انما جاءت على نهج لغتهم الأولى قبل أن يدخلها التغيير ، ثم صار المتأخرون الى ترك استعمالها فى كلامهم ، فأفهم هذا الباب ، فانك اذا أحكمت معرفته استفدت علما كثيرا ، وسقطت عنك مئونة عظيمة ، وزال عنك ريب القلب ، وتخلصت من شغب الخصم ، ولا قوة الا بالله) (١).

ولعل مما يؤيد بعض كلام الخطابى هنا ما روى عن أبى عمرو بن العلاء من رجال القرن الثانى الهجرى ، قال : (اللسان الذى نزل به القرآن ، وتكلمت به العرب على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عربية أخرى عن كلامنا هذا) (٢) .

والغيرة على كتاب الله فى قلب كل مسلم ، والحرص على ألا تمس كلمة بل حرف منه أدنى مساس فى دم كل مؤمن ، والقوم لم يقولوا عن جهل ، ولم يصدروا فى تفسيرهم لكتاب الله عن جرأة عليه،وانما عرفوا وأنكرنا، وشغلهم العلم وشغلتنا الحياة الدنيا ، فجزاهم الله خيرا ، ووفقنا للسير على منهاجهم فى خدمة كتاب الله تعالى ، وفى نصرة الاسلام .

وهو ـ سبحانه ـ الهادى الى سواء السبيل .

د. على العمارى

---

(١) بيان اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) ص ٤٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٢

تعقيبات على بعض ماينشر ويذاع

للأستاذ علي البولاقي

أقرأ أحيانا بعض مايكتب فى المجلات والصحف والكتب ، وأسمع أحيانا بعض ما يذاع فى الاذاعة المصرية وغيرها فتخطر ببالى تعقيبات على ذلك ، وحينما تحدثنى نفسى لنشر هذه التعقيبات أقدم رجلا وأؤخر أخرى حذرا من سخط الكاتبين والقائلين لا سيما أن منهم من تأخذه العزة بالاثم فيقول ما لا يقال ، ثم رأيت أن فى نشرها نصحا وارشادا لما فيه من توجيه أنظار الكاتبين الى الحق الذى هو رائدهم وازاحة الوهم عن القارئين الذين يتطلبون المعرفة فيقعون فريسة بين أخطاء المؤلفين والناسخين والطابعين والمصححين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » وقال « المؤمن مرآة المؤمن » وقال « المسلم مرآة المسلم » وفى الحكم « رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى » •

والى القارىء الكريم نموذجا من التعقيبات اذ لا سبيل الى استيعابها فانها تخرج عن طوق الحصر :

١ ـ حول « كلمات شاع خطأ استعمالها » :

قرأت من هذه السلسلة الممتعة للأستاذ عباس أبو السعود ما كتبه منها فى عدد المحرم ١٣٩٥ هـ من مجلة الأزهر الغراء وهو تسع فقرات ، فتوقفت عند ست منها •

(أ) بر والدك :

(قال الأستاذ الفاضل) ان كسر الباء خطأ بين لأن حركة أول فعل الأمر يجب أن تكون من جنس حركة ثانى الفعل المضارع اذا كان متحركا : فتفتح الباء فى قولك بر والدك لانفتاحها فى قولك يبر •• الخ

(أقول) ان الفعل « بر » من بابى « علم » و « ضرب » : تقول بررت أبى (بكسر الراء الأولى) أبره (بفتح

الباء) فتقول فى الأمر منه : بر والدك (بفتح الباء) وتقول : بررت أبى (بفتح الراء الأولى) أبره (بفتح الهمزة وكسر الباء) فتقول فى الأمر منه بر والدك (بكسر الباء وتشديد الراء مع الكسر أو الفتح) .

هكذا يؤخذ من القاموس وغيره وبه تعلم أن ما أنكره الأستاذ ليس بمستنكر ، وفى الحديث « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والحاكم فى مستدركه عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم . ويقرأ بفتح الباء فى الأمر والمضارع كما يقرأ بكسرها فيهما .

(ب) فلان يلهو عما يسمع من كلامنا

(قال الاستاذ) ان الناس يقولون هذا الكلام للمعرض عنهم والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا «هو يلهى» لأن العرب تقول : لهى عن الشىء كرضى يلهى لهيا ولهيانا بضم اللام وكسرها اذا سلا عنه وأضرب وترك ذكره .. الخ .

(أقول) ما انكره الاستاذ ليس بمنكر فالاستعمالان صحيحان ، ففى القاموس « لهى به كرضى أحبه ، وعنه سلا وغفل وترك ذكره ، كلها كدعا » أهـ . والكلمتان الأخيرتان من كلام صاحب القاموس لها عنهما الكاتب الفاضل وهما يصرحان بأن هذا المعنى كما يؤدى بالفعل « لهى » بوزن رضى ، يؤدى بالفعل « لها » بوزن دعا . أليس كذلك ؟

(ج) سررنا برؤياك :

(قال الأستاذ) يقولون هذه العبارة يقصدون بها أنه سرهم بمرآه وهذا خطأ شائع يقع فيه كثير من الخاصة ، وها هو ذا أبو الطيب المتنبى — على جلالة قدره — قد وقع فيه ، حينما قال لبدر بن عمار وقد سامره ذات ليلة الى قطع من الليل .

مضى الليل والفضل الذى منك لا يمضى
ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

(أقول) الصحيح أن الرؤيا يجوز اطلاقها على رؤية العين ، وقد روى البخارى والترمذى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » آية ٦٠ من سورة الاسراء ، وابن عباس عربى قرشى

وهو ترجمان القرآن وحبر الأمة ، ولاشك أن رواية البخارى والترمذى سندها أصح من سند المنكرين الذين يزعمون أن ذلك ليس من لسان العرب ، ومما يدل على أن الرؤيا فى الآية رؤية عين ــ أنها لو كانت رؤيا منام لما افتتنت قريش حينما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بها ، وبهذا تعلم أن أبا الطيب المتنبى لم يخطىء •

(د) تتابعت المصائب على فلان :

(قال الأستاذ) ان الذين يقولون هذا يخطئون (حينما ينطقون بالباء) والصواب أن يقال : تتايعت المصائب (بالياء أى ذات النقطتين) لأن التتابع بالباء الموحدة انما يكون فى الصلاح والخير أما التتايع (بالياء المثناة من تحت) فيختص بالشر والمنكر ، تقول: فلان يتتايع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير أن يتثبت ، وتتايع الناس فى الشر اذا تهافتوا عليه •• الخ •

(أقول) ان كتب اللغة كالقاموس لم تقيد التتابع بالخير ، فتعبير الناس به ليس خطأ لاسيما أن مادة (ت ب ع) كلها عامة كما لا يخفى على من تتبع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى العظيم صلى الله عليه وسلم • وصحاح اللغة كالقاموس واللسان •

(هـ) سلمه أجره :

(قال الأستاذ) يقولون سلمه أجره أو مكافأته ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين وهذا خطأ ، لأن الفعل المذكور له حالتان •• الخ

(أقول) فى المنجد من كتب اللغة « سلمه وسلّم عليه : قال له سلام عليك سلمه من الآفة : وقاه اياها • سلمه الى فلان : أعطاه اياه • سلم بالأمر : رضى • سلم اليه انقاد • سلم الشىء خلصه •

سلمه الشىء • فتسلمه : أعطاه اياه فتناوله » اهـ

والجملة الأخيرة ليست فى القاموس ولكنها مذكورة فى مراجع أخرى موثوق بها فلا خطأ ولا وهم •

(و) لفلان خاتم من الماس :

(قال الأستاذ) كلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : خاتم من السامور كما فى شفاء الغليل •

وقول صاحب القاموس فى مادة (موس) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجوزة ـ وهم ، لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط .

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة ، فيقال : فلان ماس اذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا أولا يلتفت الى موعظة أحد . أهـ

(أقول) ان ما فى شفاء الغليل من النفى معارض بما فى القاموس من الاثبات ، وقد قالوا : من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ومعلوم أن لفظ ماس أشهر عند الناس من لفظ سامور وقد ارتضى المتأخرون كلمة ماس بل ارتضوا كلمة ألماس بالهمزة واللام على الرغم من تخطئة صاحب القاموس لها ، ففى المنجد فى حرف الهمزة : الألماس حجر كريم شديد الصلابة وفيه فى حرف الميم « الماس حجر كريم شديد اللمعان وأعظم الحجارة الكريمة قيمة وهو لصلابته تخطط به كل الأجسام ولا يوجد جسم يخط عليه » وفيه فى حرف السين «السامور الألماس » ا هـ ، ولم يرتض صاحب القاموس كلمه « الماس » الخماسة فقال « ولا تقل ألماس » يقصد النهى عن صيرورة الكلمة خماسية ، لأنها فى نظره ثلاثية مبدوءة بالميم ولم يوافقه المتأخرون فى هذا بل قالوا ان الكلمتين صحيحتان . (وقد وهم الأستاذ الفاضل) حيث زعم أن كلمة ماس لا تدخل عليها آداة التعريف ، ولو دقق النظر لعرف أن صاحب القاموس لم ينه عن التعريف وانما نهى عن تخميس الكلمة بادخال همزة ولام مع بقاء التنكير، وقد قلنا ان المتأخرين لم يطيعوه فى هذا بل أدخلوا الحرفين ثم عند ارادة التعريف أدخلوا أداة التعريف فقالوا : الألماس .

٢ ـ حول ((نصاب الزكاة)) :

(فى باب الفتوى للأستاذ محمد أبو شادى) فى عدد المحرم ١٣٩٥ عدة استفتاءات أجابت عنها لجنة الفتوى بالأزهر ، وقد استوقف نظرى منها قول اللجنة فى ص ١٣٢ « تفيد اللجنة بأن القدر الذى تستحقه زوجة الشهيد فى التعويض المدفوع لها ولأولادها يجب فيه الزكاة اذا حال عليه الحول وكان أكثر من ١٣ جنيها »

(أقول) لقد حاولت أن أتعرف الأصل الذى بنت عليه اللجنة المبجلة تقدير النصاب بما فوق ١٣ جنيها ، فلم أهتد اليه ، فان نصاب الزكاة فى أوراق النقد المصرية اما أن يراعى فيه نصاب الذهب أو نصاب الفضة فاذا روعى نصاب الذهب لم تجب الزكاة الا فى مقدار من الورق يمكن أن يشترى به عشرون دينارا ، أى $\frac{6}{7}$٨٥ جرام من الذهب الخالص ، فاذا كان ثمن الجرام ٣١٥ قرشا مثلا كان النصاب ٢٨٠ر٨ (أى مائتين وثمانين جنيها وثمانين قرشا)وهذا العدد أكثر من أضعاف الثلاثة عشر التى ذكرت فى الفتوى .

واذا روعى فيه نصاب الفضة لم تجب الزكاة الا فى عدد من الأوراق يشترى به (٢٠٠) درهم ، أى (٦٢٤) جراما من الفضة الخالصة ، فاذا كان ثمن الجرام $\frac{1}{4}$ ٦ قرش مثلا كان النصاب ٣٩ جنيها ، وهو ثلاثة أمثال العدد الذى نقله فضيلة الشيخ محمد أبو شادى عن اللجنة .

وانى لفى انتظار جوابه ، والله الموفق .

٣ ـ حديث « اعمل لدنياك ... »

فى يوم ما قبل أذان العصر سمعت متحدثا فى اذاعة القرآن الكريم يقول فى ضمن حديثه « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وأخذ المتحدث يصول حول هذا المعنى ويجول فعن لى أن أبدى ما عندى فى هذا الحديث نصحا للقائلين والسامعين جميعا :

قال ابن الأثير فى كتابه (النهاية فى غريب الحديث) فى مادة (ح ر ث) ما نصه « وفى الحديث : أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ونقل ابن منظور هذا الحديث عن النهاية بنصه فى كتابه (لسان العرب) ، ونقل الجوهرى فى (الصحاح) شطره الأول ، ونقله عنه الفيروز ابادى فى القاموس ونقله مختار الصحاح مع باقية ، وظن الناس أنه من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يفطنوا الى أن صاحب النهاية حينما يقول « وفى الحديث كذا » لا يلزم أن يكون من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأن لفظ (الحديث)

يطلق على ما قاله الصحابى ، ويسمى (حديثا موقوفا) ويطلق أيضا على ما قاله التابعى ، ويسمى (حديثا مقطوعا فلا يختص بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما يسمى (حديثا مرفوعا) .

وقد أنكر ثقات المحدثين المحققين نسبة هذا الحديث الى الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، وغالى بعضهم فقال انه يناقض قوله تعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا » وقوله عز من قائل : « ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب » .

والواقع أن الحديث ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم بلفظه وانما هو من قول بعض السلف ، ولابد من التوفيق بينه وبين الآيتين الكريمتين وأمثالهما ، وذلك بأن يقال ان الدنيا المذمومة فى الآيات والآثار وهى ماكان متاعها محرما كالخمر والمغصوب والربا والرشوة والزنى ولبس الذهب والحرير للرجال ، وكذلك ما كان من الدنيا شاغلا عما يجب من صلاة وغيرها أو مؤديا للظلم والكبرياء والغرور ونحو ذلك ، ودنيا الملحدين والمنافقين وسائر الكافرين .

والدنيا التى ينبغى الحرث لها فى هذا الأثر ما كان من متاع الدنيا حلالا غير شاغل للمؤمن عما ينبغى .

فعلى السادة الواعظين اذا ذكروا هذا الأثر أن يذكروه بلفظ « أحرث لدنياك .. » وأن ينسبوه الى بعض السلف لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

هذا وقد روى البيهقى فى سننه بسند ضعيف عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر أمرىء يخشى أن يموت غدا » .

وهذا الحديث يقرب معناه من معنى الأثر المشهور لكنه ضعيف الاسناد ، فمن أراد التحديث به فليقل « روى » بضم الراء وكسر الواو « عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ... » .

(يتبع) — على البولاقى

الأدب العربي في شبه القارة الهندية

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامي

لم يكن وجود العربية فى الهند بالأمر العجيب فقد اتصل العرب بالهنود من قديم الزمان بحكم الجوار والتجارة المتبادلة ، وتأثر كل منهما بالآخر ، ولما جاء الاسلام كان من الطبيعي أن ينقل التجار العرب الى عملائهم الهنود أخبار الدين الجديد ويشرحوا لهم مبادئه خاصة فى الاقتصاد والمعاملات التجارية فهيأ ذلك العقلية الهندية لقبول الاسلام حتى اذا ما جاء محمد بن القاسم لفتح بلاد السند ٧١١/٩٢ رحب به أهلها ودخلوا فى الاسلام أفواجا ، وتأثروا بالعرب الفاتحين فقلدوهم فى لباسهم وعاداتهم ، وأقبلوا على الثقافة العربية فى شوق وحماس (تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٣٦ مجلة ٢)

ومما تجدر الاشارة اليه أن كثيرا من العرب الخوارج والشيعة قد هاجروا الى الهند واستوطنوها فرارا من وجه الخلافة فى دمشق أو بغداد كما أن تجار العرب ودعاة الاسلام نجحوا فى تكوين جاليات عربية على ساحل الهند الغربى (تحفة المجاهدين ص ١٣ - ١٤ - ١٥ - ط : حيدر أباد الدكن ١٩٣١) فشارك هؤلاء وأولئك فى نشر الثقافة العربية فى شبه القارة .

ولما ضعفت الخلافة العباسية وتقلص نفوذ العربية وآدابها عن بلاد فارس وما وراء النهر تسبب ذلك فى تعرض الثقافة العربية فى بلاد الهند لنكسة ، ثم ان محمود الغزنوى قدم الى بلاد الهند ١٠٠١/٣٩٢ واستطاع بحملات بلغت سبع عشرة أن يخضع سائر بلادها لسلطانه ، وتتابعت من بعده حكومات على بلاد الهند مثل الدولة الغورية ١١٨٦/٥٨٢ ، ودولة المماليك ١٢٠٦/٦٠٣ ودولة السلاطين الخلجية ١٢٩٠/٦٨٩ - ثم المغول

٩٣٢/١٥٢٦ وعاشت الأخيرة حتى سنة ١٢٧٣/١٨٥٧ . ولما كانت لغة هؤلاء الفاتحين فى الغالب فارسية فقد كان على العربية أن تخلى لها المجال لأنها لغة الغالب المنتصر ولكن العربية مع هذا بقيت وعاشت لأسباب منها أنها لغة القرآن الكريم فقد أضفى عليها ذلك نوعا من القداسة فى نفوس ملايين من الهنود كانوا قد دخلوا فى الاسلام ، ومنها أن هؤلاء الفاتحين من غير العرب - لأنهم مسلمون - لم يأخذوا منها موقف العداء فاستمرت العربية وسيلة التحصيل لعلوم الاسلام فى مصادرها الأولى وذلك جعلها تجذب كثيرا من الدارسين على مر العصور حتى ظهرت جماعات تقرؤها وتتذوقها ثم تسجل فيها خواطرها وأفكارها وتنشىء بها الأشعار . ومما لاشك فيه أن الجاليات العربية قد أسهمت فى ذلك بأوفى نصيب .

لكن اذا كانت الجاليات العربية فى بلاد الهند ذات أهمية ووزن فلماذا استعجمت ولم تحافظ على لغتها وآدابها كما فعل المهجرون فى أمريكا ؟ ولماذا لم نسمع عن أدباء منهم أو شعراء كما عرفنا من مهاجرى أمريكا مثل جبران ونعيمة وايليا وغيرهم ؟

والواقع ان حال العرب فى الهند قد اختلف عن حالهم فى أمريكا فعلى الرغم من الانجازات العصرية التى ساعدت المهجريين على حفظ لغتهم نجد أن دوافع الرحلة والتواطن تختلف بين الفريقين اختلافا بينا ، فقد رحل العرب فى بداية العصر الحديث من بلاد الشام طلبا للحرية والرزق بعد فقدهما فى وطنهم الأم فلما حصلوا عليها شرعوا يفكرون فى وطنهم ولغتهم الأم تعويضا عن احساسهم بالغربة والضياع فى بيئة لا يمتون اليها بأدنى سبب ، ولم يألفوا مثلها من قبل . أما عرب الهند فكانوا جميعا أصحاب دعوات ، وكان عليهم أن ينزلوا الى المجتمع الهندى ويندمجون فيه ويخاطبوه باللغة التى يفهمها كى يكسبوا أكبر عدد ممكن ويجذبوا الى دعواتهم قلوب الناس فى أسرع وقت ولم تكن أمامهم فرصة لكى يقفوا ويتدبروا أمور لغتهم وآدابها ولم يحسوا الغربة التى أحسها المهجريون فى أمريكا حيث صار لهم أتباع وأنصار من الهنود يشاركونهم عقائدهم ويبادلونهم العواطف ، ومن المنطقى

أن الأجيال الأولى لهذه الجاليات كانت تتخاطب بالعربية وتقول فيها الأشعار غير أنه لم يعثر لهم حتى الآن على أى نشاط فكرى فى لغتهم الأم •

أما بالنسبة الى السؤال الثانى فاننا نرى أنه على الرغم من استعجام الجاليات العربية فى الهند قد ظهر فيهم ومن أتباعهم من لو أتيح له من وسائل الاعلام والنشر كما أتيح للمهجريين لحلق مع الفحول ، يقول عبد العلى الحسنى فى مقدمته لنزهة الخواطر : ان هذه البلاد - يقصد الهند - العامرة بالرجال لم تنل من عناية المؤرخين العرب ماكانت تستحقه ولم تشغل من كتبهم ومؤلفاتهم المكان اللائق وماذلك الالبعد الديار وحيلولة البحار وانقطاع الأخبار وفوق ذلك كله كون كتب الأخبار وتراجم الرجال فى اللغة الفارسية التى يجهلها المؤلفون من العرب واذا كنا لا نوافق مولانا عبد العلى فى كل ما ذكره فاننا نرى أنه قد أصاب فى جعله التغاير فى اللغة فوق كل الأسباب فاذا كان اللسان والثقافة فى بلاد الهند فارسية فانه بالتالى ينـدر وجـود الأمير أو الشخص الذى يتذوق الأدب أو الشعر العربى فيثيب عليه أو يشجع ومن ثم يعرف الأديب أو الشاعر ويذيع ، وحتى لو وجد من الأمراء من يتذوق العربية وأدبها فانهلن يكون كثير الاهتمام لأمر الشعر والأدب العربى لأن مدحه أو الكتابة عن أعماله بالعربية فى مجتمع لا يفهمها لن يرفع من شأنه كثيرا ومن أجل ذلك بقى شعراء العربية وأدباؤها فى الهند خاملين لايحس بهم الا من تأدب مثلهم ولم يصل الى أسماع العرب من أعمالهم الا النادر القليل وكأنى بشاعرهم القاضى جمال الدين أحمد ٩٢٩ / ١٥٢٢ المعروف ببحرق الحضرمى يقول :

أظننت أن الشعر يصعب قوله
عندى وقد أضحى لدى مذللا

أبدى العجائب انبرزت مفاخرا
أو مادحا للقوم أو متغزلا

وقد استشهد ابن حجة الحموى فى كتابه المشهور « خزانة الأدب » ببيت للشاعر الهندى العظيم مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى ولكنه لم يستطع أن ينسبه الى قائله لعدم معرفته

به فيما نعلم ، وهذا البيت من قول مسعود هو :

أرى ذنب السرحان في الجو طالعا
فهل ممكن أن الغزالة تطلع

ولو ان الاتصال بين الهند وبين العرب كان وثيقا ومباشرا كما كان بينها وبين فارس لكان الحال غير الحال .

واننا لعلى اقتناع تام بأن الهند قد شاركت فى الآداب العربية شأنها فى ذلك شأن الأندلس وانما يعنينا هنا أن نتكلم عن الأدب البحت شعرا كان أو نثرا .

النثر :

يقسم النثر عادة الى نثر علمى وآخر أدبى ، وفى الأول كتابات هندية كثيرة تتمثل فى كتب التفسير والحديث والفقه وسائر الفروع .أما النثر الأدبى فقد رأينا أنه فى الهند ينقسم الى الخطب، والمنتخبات الأدبية والرسائل وكتب الصنعة الأدبية ، والقصة .

الخطب : ظهر كثير من الخطب فى بلاد الهند ، ومعظمه فى خطبة الجمعة يعالج الوعظ والارشاد والوعد والوعيد وصفات الجنة والنار ، وحرقة الشوق واثارة حماس المحب فى مجال الحب الالهى . ومن اصحاب الخطب المشهورة الشيخ نظام الدين الملقب بسلطان الأولياء ، والشاه ولى الله الدهلوى ، وحفيده الشاه اسماعيل وعبد الحى الحسنى الذى جمع فى كتابه « اللطائف المستحسنة » خطبا بعدد أيام الجمع فى السنة لكل جمعة مناسبتها ، ويمكن تشبيه أسلوب الخطب على وجه العموم بأسلوب النثر المنمق فى أطواق الذهب .

المنتخبات الأدبية : من هذا القسم كتاب « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » لأحمد بن محمد اليمنى ١٢٥٦/١٨٤٠ معلم العربيةفى مدرسة قلعة وليام بكلكتا التى أنشأتها شركة الهند الشرقية ، وقد جمع هذا الكتاب بعض القصص القصيرة والنوادر والمناظرات والأشعار ، وهناك كتاب يغطى سائر الفنون ويبدو كموسوعة هو كتاب « رياض الفردوس » لمحمد حسين خان الشاهجهانى ١٢٧٦/ ١٨٥٩، كما أن كتاب «سلافة العصر» لابن معصوم ١١١٧/١٧٠٥وان اعتبر كتاب تراجم فانه يحتوى على منتخبات

شعرية ونثرية توضح الروح الشعرية والأدبية للعصور المختلفة وأيضا تشتمل كتب الرحلات والصيد على أوصاف أدبية للبلاد والحيوان والحدائق والطيور •

أدب الرسائل : من أهم الكتب فى هذا الموضوع كتاب « عجب العجاب فيما يفيد الكتاب » لأحمد بن محمد اليمنى المذكور سابقا ويعد تذكرة لفن كتابة الرسائل جمع فيه رسائل من موضوعات وعصور وبلاد مختلفة وخص الرسائل المتبادلة بين علماء الهند بنصيب واف •

الصنعة الأدبية : من خصائص العقلية الهندية ميلها دائما الى التصنع والتأنق ، وقد ظهر عدد من الكتب يلتزم صنعة معينة مثل « سواطع الالهام » « موارد الكلم » لأبى الفيض فيضى ١٠٠٤/١٥٩٥ شاعر البلاط فى قصر الملك أكبر ١٠١٤/١٦٠٥ فقد أراد هذا المؤلف أن يظهر مهارته فى اللغة العربية فالتزم فيهما الكلمات ذوات الحروف المهملة ولم يستعمل فيها حرفا واحدا منقوطا ، والأول تفسير كامل للقرآن بينما الثانى موضوعه التصوف ، وعلى عكس الكتابين السابقين كتاب « حب شعب » لعبد الأحد بن امام الاله آبادى وهو تفسير لجزء واحد من القرآن التزم فيه الكلمات ذوات الحروف المنقوطة ولم يستعمل حرفا واحدا مهملا •وقد ذاعت الطريقتان فى بلاد الهند وعرفت الأولى بالصنعة المهملة كما عرفت الثانية بالصنعة المعجمة •

القصة : من القصص العربية المشهورة فى بلاد الهند قصة « شكروتى » وهى معظم حوادثها اسطورية وتحكى كيف أسلم أحد ملوك الهند « شكروتى » وبداية سكنى العرب وتملكهم فى سواحل الهند الغربية •

واذا كانت المقامة : أساسا لتطور القصة العربية فقد ساهمت الهند فيها بنصيب متواضع غير أن المقامة الهندية العربية تمتاز بسهولة الفاظها وعدم الاغراب ، ورغم أنها فى بنائها عالة على المقامة العربية الا أنها على كل حال تحمل طابع البيئة الهندية •ومن كتابها أبو بكر محسن العلوى الذى جمع مقاماته فى كتاب باسم « المقامات الهندية » يحتوى على خمسين مقامة كل واحدة باسم مدينة هندية ،

والراوى عنده «أبو الناصر بن فتاح» أما البطل فاسمه «أبو الظفر الهندى»

الشعر :

أنجبت الهند كثيرا من الشعراء ونذكر من أصحاب الدواوين الشاعر باقر مرتضى المدراسى صاحب العشرة الكاملة وهى بالاضافة الى ديوانه عشر قصائد على غرار المعلقات السبع ، والشاعر عباس التشرياكوتى وفيض الحسن الهارنيورى ، وعبد المنعم التشاتكامى ، وعبد الأول الجونيورى وعبد المقتدر الدهلوى ، وناصر حسين اللكتوى ، وولى الله الدهلوى وغلام على أزاد البلكرامى الملقب بحسان الهند وغيرهم ومما يدعو للأسف والأسى أن معظم دواوين الشعراء مازال مخطوطا تأوى اليه الحشرات وتمرح بين صفحاته . وقد أمسكنا عن ذكر جم غفير من شعراء طارت بدواوينهم العنقاء كما يقول صاحب « سبحة المرجان » وصاحب « نزهة الخواطر » وان كنا نشك فى صحة هذه العبارة ، كما أن هناك عددا كبيرا من شعراء لم تجمع دواوينهم بعده ومن خلال دراستنا للشعر العربى الهندى يمكن لنا أن نقسمه الى العصور التالية :

١ - من الفتح العربى ٩٢/٧١١ الى الفتح الغزنوى ٣٩٢/١٠٠١

٢ - من الفتح الغزنوى ٣٩٢/١٠٠١ الى بداية عصر المغول ٩٣٢/١٥٢٦

٣ - من بداية عصر المغول ٩٣٢/١٥٢٦ الى نهايته ١٢٧٣/١٨٥٧

٤ - من نهاية عصر المغول ١٢٧٣/١٨٥٧ حتى الوقت الحاضر .

ويتميز شعر العصر الأول بالقوة والأصالة لأن شعراءه اما عرب ذهبو الى الهند مع جيش الفتح العربى أو بعده وأقاموا بها زمنا ثم رجعوا الى وطنهم الأم أو قضوا ببلاد الهند ، ولا شك أن هؤلاء مدينون فى انتاجهم للطبيعة الهندية وايحاءاتها ، واما شعراء من أصل هندى توطنوا بلاد العرب فتعربوا مثل أبى عطاء بن يسار السندى الذى قال عنه صاحب الأغانى : انه شاعر عظيم قوى المعنى حسن البيان . وخصص له نحوا من

خمس صفحات فى كتابه • ومن شعره :

ذكرتك والخطى يخطر بيننا
وقد نهلت منا المثقفة السمر

فوالله ما أدرى وانى لصادق
أداء عرانى من جنابك أم سحر

فان كان سحرا فاعذرينى على الهوى
وان كان داء غيره فلك العذر

وأبى ضلع السندى مولى الخليفة العباسى موسى الهادى • ومن شعره :

يانفس صبرا لا تملكى ياسا
قد فارق الناس قبلك الناسا

صبرا جميلا فلست أول من
أورثه الظاعنون وسواسا

وكشاجم محمود بن الحسينى السندى طباخ سيف الدولة • ومن شعره :

والدهر حرب الحيى و
سلم ذى الوجه الوقاح

وعلى أن أسعى وليس
على ادراك النجاح

ونستطيع أن نقول بصورة عامة : ان شعراء هذا العصر لا يقلون شاعرية عن شعراء عصر صدر الاسلام وبنى أمية •

أما العصر الثانى وهو عصر الغزنويين ومن بعدهم حتى عصر المغول فتبدو فيه الشخصية واضحة ويمتاز بجمال التصوير وعدم التكلف فى الأسلوب وقوة الأداء • ومن شعرائه عطاء بن يعقوب الغزنوى ١٠٩٧/٤٩١ له بالاضافة الى ديوانه الفارسى ديوان عربى • ومن شعره :

الله جار عصابة ودعتهم
والدمع يهمى والفؤاد يهيم

قد كان دهرى جنة فى ظلهم
ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم

كانوا غيوث سماحة وتكرم
فاليوم بعدهم الجفون غيوم

ورابعة بنت كعب القزدارى • ومن شعرها :

شاقنى نائح من الأطيار
هاج سقمى وهاج لى تذكارى

قلت للطير لم تنوح وتبكى
فى دجى الليل والنجوم درارى

وقد ذكر تاريخ أدبيات مسلمانان أن رابعة هذه من شعراء آل سبكتكين —

الغزنويين ـ كما جاء فيه أيضا أنه لم يؤرخ لميلادها أو وفاتها لكن القاضى أطهر المبار كبورى نقلعن ابن حوقل أنها عاشت فى القرن الرابع الهجرى وأبى نصر محمد بن جيار العتبى •

ومن شعره فى المدح :

له وجه الهلال لنصف شهر
وأجفان مكحلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدر
وعند الانتقام كيوم بدر

وله أيضا :

لاتحسبن هشاشتى لك عن رضا
فوحق فضلك اننى أتملق
ولقد نطقت بشكر برك مفصحا
ولسان حالى بالشكاية أنطق

أما مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى فقد طبقت شهرته الآفاق فى بلاد المشرق وذاعت فيها دواوينه الفارسية والعربية والهندية توفى ٥١٥/١١٢١ كما فى سبحة المرجان ويذكر صاحب نزهة الخواطر أنهولد بلاهور ونشأ بها كما صرح بذلك فى شعره ثم يقول مؤلف السبحةوالنزهة وغيرهما ان ديوانيه العربى والهندى طارت بهما العنقاء • ترى لو كانا موجودين أو كان العربى موجود ونشر على الملأ العربى فماذا يكون من أمر هذا الشاعر بين شعراء العربية ؟• ولندع الأمر لشىء من شعره فلعله أنطق :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها
وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت اليه والظلام كأنه
على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبى طال ليلى وليس لى
من الهم منجاة وفى الصبر مفزع
أرى ذنب السرحان فى الجو طالعا
فهل ممكن أن الغزالة تطلع

واذا علمنا أن مسعودا هذا مكثفى السجن عشرين عاما أو أكثر بسبب ارتياب السلطان ابراهيم الغزنوى فى أن الشاعر يدبر مؤامرة عليه مع ملك شاه السلجوقى ، واذا علمنا أيضا أنه ـ سواء كان بريئا أو مذنبا ـ ظلخلال سجنه الطويل يئن ويتوجع تارة ويتوسل ويتضرع أخرى ولا مجيب• أدركنا سر ذلك اللون القاتم

الذى يبدو فى معظم أشعاره • يقول:

يا ليـلة أظلمت عـلينا
ليـلاء قارية الدجنـة

قـد ركضت فى الـدجى علينا
دهـماء خـدارية الأعنـة

فبـت أقتاسـها فـكانت
حبلى نهارية الأجنـة

ثم نأتى الى شاعر الفارسية العظيم الأمير خسرو الدهلوى الذى يقال انه أشعر شعراء الهند على الاطلاق وتأتى شهرته من أشعاره الفارسية وله أيضا شعر عـربى فى كتـابه « الاعجـاز الخسروى » كما يحتوى « خـزائن الفتوح » له على قصائد عربية ، وأيضا له قصيدة فارسية عربية أنشـد فيهـا المصراع الأول من كل بيت بالفارسية والثانى بالعربية (The contrilwtion off Indie to Arabic literature).

والأبيات الآتية من قصيدة مدح فيها السـلطان عـلاء الدين الخـلجى ٧١٥/١٣١٥ • يقول بعد التشبيب :

فى مهجتى سـكنت محبتها كما
مدح المليك المسـتعان الأعظـم

أعنى علاء الدين سلطان الورى
مـلك تولـد من سـلالة آدم

عين الحبايل عينه عـين الحيـا
يم الندى بل كفه عـين اليـم

من جوده الفياض قد يحكى اذا
نعب الغراب على رقيم الحـاتم

ما كان يعطش سيـفه بقـرابه
الا ويسقى من كؤوس جماجم

رشح لمدحتك العـلية خسروا
بالشعر ليس كمثله فى العـالم

كن بالخلود على الأرائك جالسا
فأنا اخصـك بالبقـاء الدائم

وللقاضى عبد المقتدر الدهلوى ٧٨٨/١٣٨٦ قصيدة لامية طويلة عارض فيها لامية العجم نقتطف منها :

ياسائق الظعن فى الأسحار والأصل
سلم على دار سـلمى وابك ثم سـل

عن الظباء التى من دأبها أبـدا
صيد الأسود بحسن الـدل والنجـل

وعن ملوك كرام قد مضوا قددا
حتى يجيبك عنهم شاهد الطلل

أضحت اذ أبعدت عنها كواعبها
أطلالها مثل أجفان بلا مقـل

فدى فؤادى أعـرابية سـكنت
بيتا من القلب معمورا بلا حول

خيالها عند من يهوى زيارتها
أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

كيف السبيل اليها بعد أن حفظت
بالبيض والسمر فى أعلى ذرا الجبل

وفى الحنين والشوق يقول أحمد النهانيسرى من أعيان القرن التاسع الهجرى :

أطار لبى حنين الطائر الغرد
وهاج لوعة قلبى النائه الكمد

وأذكرتنى عهودا بالحمى سلفت
حمامة صدحت من لاعج الكبد

باتت تؤرقنى والقوم قد هجعوا
ما بين مضطجع منهم ومستند

مازار طرفى غمض بعد بعدكم
ولا خيال سرور دار فى خلدى

عصر المغول :

اذا كان الشعر العربى فى بلاد العرب قد أصابه الوهن وانحط الى الركاكة فى العصر المملوكى والتركى وتقطعت أنفاس شعرائه جريا وراء الزخارف واقتناصا لانواع البديع يسترون به معانيهم الفجة ويعوضون عن ضحالتها فقد كان نظراؤهم فى الهند بمعزل عنهم وان أصابهم من البديع ما أخذوه عن السابقين وما تأثروا به من طريقة ابن العميد بالاضافة الى مزاج العقلية الهندية الميالة دائما الى الزخرف والتصنع بيد أن معانيهم بقيت قوية عميقة لأن اتصالهم بالأدب العربى لم يكن سريعا ولامعاصرا فظلوا بمعزل عن معاصريهم فى بلاد العرب ، واستمروا يستمدون زادهم من الشعر العربى فى أزهى عصوره ومن شعراء هذا العصر الشاه ولى الله الدهلوى ١١٧٦/١٧٦٢ الذى يقول عنه صاحب « الثقافة الاسلامية فى الهند » : اذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيل اليك كأنما هو رجل نشأ ببادية من عليا هوازن أو كأنما أدبته امرأة من سفلى تميم • يقول مادحا :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب
عيون الأفاعى أو رؤوس العقارب

اذا كان قلب المرء فى الأمر حائرا
فأضيق من تسعين رحب السباسب

وتشغلنى عنى وعن كل راحة
مصائب تقفوا مثلها فى المصائب

اذا ما أتتنى أزمة مدلهمة
تحيط بنفسى من جميع جوانب

تطلبت هل من ناصر أو مساعد
ألوذ به من خوف سوء العواقب
فلست أرى الا الحبيب محمدا
رسول اله الخلق جم المناقب

ومن الملاحظ أنه لم يبدأ ببكاء الديار ولا بالغزل كما يفعل غيره على طريقة القدامى وكأنى به بشرح رأيه

سأذكر حبى للحبيب محمد
اذا وصف العشاق حب الحبائب
وأذكر وجدا قد تقادم عهده
حواه فؤادى قبل كون الكواكب

ويقول محمد على حزين ١١٨٠ / ١٧٦٦ معتزا :

وليس عنك سواد العين منصرفا
مهما تشاهد بالتدعيج والكحل
اسمع كلامى ودع لامية سلفت
الشمس طالعة تغنيك عن زحل

ويتوجع عبد الحميد أحمد الله العظيم أبادى مما صار اليه أمر الأمة الاسلامية قائلا :

فوا أسفا ونحن بنو كرام
توارث فيهم علم وجود
ذوى الأعلام والأقلام طرا
يزينهم المكارم والجنود
وتخضع عند رؤيتهم رقاب
وترتعد الهزابر والفهود
فصرنا نحن فى وهن وهون
يرق لنا المعاند والحسود

ومن القصص الشعرى قصيدة « الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين » للشاعر محمد بن عبد العزيز الكاليكوتى وهى قصيدة طويلة ذات موضوع واحد هو الحرب بين الهنود والبرتغاليين على شواطىء الهند الغربية يشيد فيها الشاعر بأحد ملوك الهند الجنوبية ويسجل الصراع على السيادة البحرية فى المحيط الهندى بين العرب والبرتغاليين ، ويهيب بالعرب والمسلمين أن يخفوا للدفاع عن سيادتهم واخوانهم فى بلاد الهند ونقتطف منها ما يلى :

فان هذى قصة عجيبة
فى شرح حرب شأنها غريبة
واقعة فى خطة المليبار
ومثلها لم يجر فى تلك الديار
بين المحب المسلمين السامرى
وبين خصمه الفرنجى الكافر

نظمت بعضها ومالك الملوك
ليسمع القصة سائر الملوك

لعلهم اذ سمعوا يفتكرون
فى الحرب أو لعلهم يعتبرون

لعلها تسير فى الآفاق
لا سيما فى الشام والعراق

وليعلموا الهمة للسلطان
السامرى المشهور فى البلدان

صاحب كاليكوت المشهور
لا زال من فضل الغنى مغمور

ناصر ديننا ومجرى شرعنا
حتى بخطبته على سلطاننا

وأعظم شعراء العربية فى الهند غلام على آزاد البلكرامى ١٢٠٠ / ١٧٨٥ ، ترك عشرة دواوين عدا مثنوية فى التصوف تبلغ ٣٥٠٠ بيت من الشعر فى صورة قصص وحكايات صوفية مصرحا أحيانا ورامزا أخرى ولاكثاره فى المديح النبوى لقب بحسان الهند ، وهو يستحق هذا اللقب عن جدارة فاذا كان الفرس قد لقبو شاهرهم « الخاقانى » بحسان العجم لمديحه النبوى بالفارسية فان آزاد الذى أنشأ مديحه بالعربية وأكثر فيه أولى وأحق بلقب حسان الهند ، ويرقى شعره فى هذا المديح الى القمة وعندما يصف الأمكنة المقدسة يسمو أحيانا فوق البوصيرى وغيره من فحول المادحين ومن قوله :

سوح المدينة ما أجل ترابها
تجد البصائر فيه فعل الأثمد

وغبارها المحسوس فوق هوائها
كحل اليقين لمقلة المتردد

نصب لمن ضل الطريق بسوحها
علم الهدى من اصبع المتشهد

أشجارها قامت على سوق الهدى
وظلالها مأوى الرجال السجد

أملاك طباق السماء طيورها
وصغيرها ذكر الاله السرمد

قالت لطرفاء الفلاة حمامة
لم تمرحين وتفخرين فأرشدى

قالت لها أو ما ترين مكانتى
قد كان منا منبر لمحمد

ويقول فى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم :

سكن الملائك فى حوائط بيته
مثل الحمائم فى كوى الجدران

وقفوا كما تقف الشموع بسوحه
ودموعهم فى غاية الهملان

جلسوا على بسط الوقار تأدبا
نسى الجناح طريقة الطيران

أما غزله فكثير جدا يتضح منه أنه لم يكن يصدر فيه عن تجربة عاطفية وانما أراد به تقليد السابقين فبينما يقترب الى العفة مع بعض معشوقاته مثل قوله :

أتحسب حب عزة لى حديثا
عكفت على صبابتها جنينا

أزال العشق عن قلبى سواها
حباه الله سلطانا مبينا

لقد أبصرت فى الدنيا حسانا
ولم أر مثل من أهوى حسينا

تراه ينحدر فى الكثير الى تجسيم حسى رخيص كقوله :

لبست من التفاح أى قلادة
فالتذت الأنظار من ثمراتها

أسرح لحاظك فى رياض خدودها
لك جنة الفردوس فى نيرانها

وله قصيدة طويلة فى وصف جميع أعضاء المرأة أغلب الظن أنها الفريدة من نوعها فى الشعر العربى •

وفى غزله كثير من الأفكار والرموز الصوفية مما يدعونا لى القول بأن حيزا كبيرا من غزله فى التصوف • حاول آزاد أن يدخل الى القريض العربى أوزانا وأشكالا فارسية فنظم ديوانه الرابع مردفا والخامس مستزادا ثم أنشأ أشعارا فيما يسمى عند الفرس بالحاجب ، وجعل بعض قوافيه على الواو ، واستعمل فى شعره بعض الألفاظ الأعجمية عن قصد وغيره وكان يترجم الشعر الهندى الى شعر عربى كما فى قوله :

زارت سعاد بلا وعد فقلت لها
يامرحبابك من ألقاك فى التعب؟

قالت لقد جاءنى غيم وكلفنى
أنى أجوب اليك الأرض بالهدب

فقلت كيف طويت الأرض ماشية
وقت الدجى وسكوب الدمع من سحب

قالت هدانى شعاع البرق مرحمة
فمثله سرت فى القيعان والكثب

فقلت سيرك فى جنح الدجى غلط
بلا شريك رفيق فى خطى الطلب

قالت خيالك طول السير كان معى
فى حالة عن تجاه العين لم يغب

ويبدو فى هذه الأبيات ما تعارف عليه الهنود وشاع فى أدبهم من أن المرأة هى الطالبة للرجال المتغزلة فيه حتى اذا جاء موسم المطر - يوليو وأغسطس - وعشيقها غائب كان عليها كالنار تحرق قلبها وتكوى جسدها فلا تملك الا أن تسعى اليه . وفى شعر آزاد من أثر ذلك الكثير .

واذا كان الهنود يحرقون موتاهم ثم يذرون رماد جثثهم فى الهواء وعلى سفوح الجبال ومجارى الأنهار فاننا نرى أثر ذلك فى شعر آزاد :

لقد احترقت وما ترحم مشفق
حصلت هذا النقع من قبساتها

وغدا رمادى فى الفلاة مفرقا
بتوجه الأرواح من حضراتها

العصر الحديث :

ضعف الشعر فى هذا العصر وندر وجود الشعراء نظرا الى أن الانجليز قد أحكموا سيطرتهم على سائر بلاد شبه القارة ، ولم يسمحوا بتولى الوظائف الحكومية الا لمن يتخرج فى مدارسهم التى تقوم الدراسة فيها على أساس الثقافة والفكر الغربى فانصرف كثيرمن الدارسين عن المدارس العربية الى المدارس الحكومية ثم ظهرت طائفة من علماء المسلمين تنادى بأن تعلم الانجليزية والعلوم الحديثة حرام وأن التشبه بالانجليز فى لباسهم كذلك مما أدى الى عزلة المسلمين عن الحضارة الحديثة تاركين المجال والوظائف الرسمية للطوائف الأخرى فانحسرت العربية فى بعض الزوايا والمساجد تحت اشراف جماعات محدودة الامكانيات حتى اذا نالت الهند استقلالها ١٩٤٧ وانقسمت الى الهند والباكستان انتعشت دراسة العربية الى حد ما ، وقد كان المتوقع والمرجو أن تبذل دولة اسلامية كالباكستان أقصى جهودها فى تلك الدراسة التى لم تزل هزيلة ، وسوف يبقى أملنا ضعيفا فى وجود شعراء يعتد بشعرهم من هذا العصر بسبب الرواسب الاستعمارية والطريقة التى تعالج بها دراسة العربية فى شبه القارة .

دكتور عبد المقصود محمد شلقامى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١١ —

١١٠ ــ ويقولون : ما تمالك فلان نفسه من الألـم أو من البكاء ، يعنون أنه لم يستطع أن يحبس نفسه ويصدها عن الألم أو البكاء .

وخطأ الخاصة فى هذا التعبير مرده اعتقادهم أن تمالك فعل متعد كملك والحق أنه لازم ، ولم يسمع أنه تعدى قط .

ففى اللسان : وتمالك عن الشيء: ملك نفسه ، وما تمالك أن قال ذلك أى ما تماسك ، وما تمالك فلان أن وقع فى كذا أى لم يستطع أن يحبس نفسه ، واذا وصف انسان بالخفة والطيش قيل انه لا يتمالك .

وفى القاموس: وتمالك عنه :ملك نفسه ، وليس له ملاك لا يتمالك ، وفى الأساس : وما تمالك أن فعل كذا ، وهذا حائط لا يتمالك ، وفى المختار : وما تمالك أن قال كذا أى ما تماسك ، وفى المصباح : وماتمالك أن فعل كذا أى لم يستطع حبس نفسه ، فالتمالك معناه الحبس والكف والمنع والتماسك .

فلك أن تقول : ما تمالك أولم يتمالك أن فعل كذا ، وما تمالك أو لم يتمالك عن أن فعل كذا أما اذا لم تأت بأن والفعل فيجب أن تبرز عن فتقول : تمالك أو ما تمالك عن البكاء أو الحزن .

١١١ ــ يقول : ضحى فلان كذا على مذبح أغراضه ، وهذا التعبير ليس عربيا ، وانما هو من صنيع الأعاجم ، اذ فيه غلطتان : احداهما أن ضحى بالمعنى الذى يريدونه لا يتعدى الا بالباء ، تقول : ضحى فلان بشاة ، والأضحية بضم الهمزة وكسرها والياء مشددة شاة يضحى بها ، جمعها الأضاحى ، كالضحية وجمعها الضحايا

والأضحاة وجمعها الأضحى وبه سمى يوم النحر وهناك ضحى متعد بنفسه ولكن بمعنى آخر ، تقول : ضحى فلان قومه اذا غداهم ، وضحى ابله اذا رعاها ضحاء وضحينا بنى فلان مثل صبحناهم ، والضحاء بالفتح قرب انتصاف النهار والغلطة الأخرى هى أن الأغراض ليس لها مذابح ، وانما هى خاصة بما يذبح من الحيوان والفصيح فى تأدية المعنى المراد أن يقال : ضحى فلان بكل مرتخص وغال فى سبيل تحقيق أغراضه .

١١٢ ـ ويقولون : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين حضرتا ، والأفصح أن يوحد الخبر فى التعبيرين فيقال كلا الرجلين خرج ، وكلتا المرأتين حضرت ، لأن كلا وكلتا اسمان مفردان وضعا لتوكيد الاثنين والاثنتين وليسا فى ذاتهما مثنيين ، فلهذا يقع الاخبار عنهما كما يخبر عن المفرد ، وبهذا نطق القرآن ، قال تعالى « كلتا الجنتين أتت أكلها » ولم يقل أتتا ، وعليه قول الأعشى .

كلا أبويكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا

وقول عبد الله بن معاوية

كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقول آخر :

كلانا ينادى يانزار وبيننا
قنا من قنا الخطى أو من قنا الهند

وأنشد الأزهرى

كلا الرجلين أفاك أثيم

ويجوز على قلة مراعاة معنى كلا وكلتا كما جاز مراعاة لفظيهما ، وقد اجتمعا فى قول الشاعر

كلاهما حين جد السير بينهما
وقد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

والاختيار مراعاة اللفظ كما تقدم

١١٣ ـ ويقولون : صب عليه جام غضبه ، يعنون أن غضبه كان شديدا لدرجة الانصباب وهذا تصوير فاسد ، لأن الجام اناء من فضة وهو لا يصب ، وانما الذى يصب على سبيل المجاز هو الغضب ، كما أن الذى يصب حقيقة هو الماء ونحوه ، قال تعالى « أنا صببنا الماء صبا » ووجه الكلام أن يقال : صب من فوق رأسه غضبته ، كما فى

قوله سبحانه:«يصب من فوق رءوسهم الحميم » وهو الماء الحار ، أو يقال: صب عليه سوط غضبه ، وألم السوط معروف والمراد بتصوير ألمه تصوير شدة الغضب ، كما فى قوله تعالى : « فصب عليهم ربك سوط عذاب » والعلاقة بين السوط والغضب قوية كالعلاقة بينه وبين العذاب •

١١٤ ــ ويقولون : انخرط فلان فى الجيش اذا انضم الى رجاله ،وهذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى يريدونه لأن للخرط معانى لاتمت بأى صله الى معناهم هذا ، اذ تقول : خرط الرجل العود من بابى ضرب ونصر خرطا اذا قشره، وخرط الورق اذا حته ، وذلك بأن يقبض على أعلى العود ، ثم يمر يده عليه الى أسفله فينخرط الورق وينحت •

وتقول انخرط فلان فى الأمر اذا ركب رأسه جهلا ، وانخرط جسمه اذا دق •

والواجب ــ لتأدية المعنى الذى يبتغونه ــ أن يقال :

انتظم فلان فى سلك الجيش ، أو انضم اليه ، أو التحق به ، أو ماشابه ذلك •

١١٥ ــ ويقولون : فلان مذهول ، والأفصح أن يقال له : ذاهل بصيغة اسم الفاعل تقول : ذهل فلان عن الأمر من باب قطع ذهلا وذهولا أيضا فهو ذاهل اذا تناساه عمدا أو غفل عنه ، ويتعدى بالهمزة فيقال : أذهلنى عن هذا الأمر مرضى ونحو ذلك •

أما الفعل الثلاثى فغير متعد على أصح الأقوال ، قال الشيخ نصر الهورينى فى هامش القاموس : تعديه بنفسه قليل ،بل غير معروف ، قال تعالى : «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت »

١١٦ ــ ويقولون : حلة جديدة ، وعبارة جديدة ، يعنون أنهما كما جدهما الحائك أى قطعهما ، وذلك من قولهم جد الخياط الثوب يجده جدا من باب رد اذا قطعه فهو جديد بمعنى مجدود تقول : ثوب جديد ، وحبل جديد أى مجدود ،قال الشاعر

أبى حبى سليمى أن يبيدا (١)
وأمسى حبها خلقا جديدا

أى مقطوعا

(١) يبيد : يذهب وينقطع من بابى باع وجلس ، باد يبيد بيدا وبيودا .

وعلى هذا ينبغى أن يقال : حلة جديد، وعباءة جديد بغيرهاء ، لأن كلا منها بمعنى معمولة أى مقطوعة ، وفى اللسان والأساس : وملحفة جديد بغير هاء لأنها بمعنى مفعولة ، وقال سيبويه : ويقال على قلة : ملحفة جديدة ، قال أبو على : جد الثوب يجد جدة من باب ضرب صار جديدا ضد قديم ، وعليه وجه قول سيبويه : ملحفة جديدة لا على ما ذكرنا من المفعول ، قال : والعرب تقول ملاءة جديد بغير هاء لأنها بمعنى مجدودة أى مقطوعة .

وفى المختار : وانما قيل قنطرة عتيقة (1) بالهاء ، وقنطرة جديد بلاهاء لأن العتيقة بمعنى الفاعلة ، والجديد بمعنى المفعولة ، ليفرق بين ماله الفعل وبين ما الفعل واقع عليه .

١١٧ ـ ويجمعون الحفيد وهو ولد على أحفاد ، فيقولون : لفلان كثير من الأحفاد ، وهذا خطأ ، لأن أفعالا لا يكون جمعا الا لما لم يطرد فيه أفعل كسيف وأسياف ، وحمل وأحمال ، وصلب وأصلاب ، وباب وأبواب .

والصواب أن يجمع على حفداء جمعا قياسيا، ككرماء، وبخلاء وظرفاء لأنه صفة لمذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى فاعل .

أما الحافد فيجمع على حفدة كساحر وسحرة ، وكاتب وكتبة ، ومنه قوله تعالى: «بنين وحفدة» ويجتمع أيضا على حفد بفتحتين كخادم وخدم ، وحفدة الرجل بناته، وقيل أولاد أولاده ، وقيل أصهاره ، وروى عن مجاهد أنهم الخدم والأعوان ، وقال الفراء : الحفدة الأختان وروى عن عاصم عن زر قال قال عبد الله يازر هل تدرى ما الحفدة ؟ قال نعم هم حفاد الرجل من ولده وولد ولده ، وقال ابن شميل الحفدة والحفد الأعوان ، وهذا أتبع لكلام العرب من الأصهار ، قال الشاعر :

فلو أن نفسى طاوعتنى لأصبحت
لها حفد مما يعد كثير

أى أعوان .

تقول : حفد الرجل يحفد حفدا من باب ضرب ، وحفدانا أيضا بالتحريك ويقولون : صلة جديدة ، وعبارة

---

(1) عتيقة : قديمة .

« واليك نسعى ونحفد »أى نسرع الى الطاعة ، ويقال : أحفده اذا حمله على الاسراع، وبعضهم يجعل أحفد لازما.

١١٨ ـ ويقولون : مات الميت ،قال أبو حاتم السجستانى : هذا خطأ والصواب أن يقال مات الحى ، ولذا عابوا على من قال

اذا مات ميت من تميم
وسرك أن يعيش فجىء بزاد

١١٩ ـ ويقولون لمن أصابه مرض هذا رجل معلول ، يعنون أصابته علة وهذا خطأ ، لأن المعلول هو الذى سقى العلل وهو الشرب الثانى

تقول : عله يعله علا ، وعللا اذا سقاه الشربة الثانية ، فهو معلول

قال صاحب القاموس : والعلة المرض : يقال : عل يعل بكسر العين واعتل ، وأعله الله فهو معل ، وعليل ولا تقل معلول ، والمتكلمون يستعملونها

هذا رأى القاموس ، أما المصباح فقد أجاز أن يقال معلول ، وعد هذا من تداخل اللغتين ، وأصله فى رأيه: أعله الله فعل فهو معلول .

١٢٠ ـ ويقولون : هذا الرجل ميتاق الفؤاد يعنون أنه بليد قليل الاحساس ، وهذه المرأة ميتانة الفؤاد والصواب موتان وموتانه ،ويقال أيضا المال موتان بالفتح ويضم اذا انحسر وصار قليلا ، لأن كل ماذكر واوى لا يأتى كما قالوا ، اذ أنه مشتق من الموت تقول : مات يموت موتا ، وما أموت فلانا معناه ماأموت فؤاده أو قلبه لأن كل فعل لايتزيد لايتعجب منه ، والموات بضم الميم الموت ، أما بفتحها فهو مالاروح فيه، وكذلك هوالأرض التى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد .

عباس أبو السعود

صلاح الدين الأيوبي وتعطيل الأزهر

للأستاذ محمد كمال السيد

وضع القائد جوهر أساس القاهرة المعزية الفاطمية فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٥-٧-٩٦٩م) على الشاطىء الشرقى للخليج المصرى • ثم بدأ فى بناء الجامع الأزهر بعد ذلك ببضعة شهور • واستغرق بناؤه ما يزيد قليلا عن العامين • وافتتحه جوهر بصلاة الجمعة فيه فى ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٢١/٦/٩٧٢م •) لأن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لم يقدم من المغرب ويدخل القاهرة الا بعد سنة كاملة من هذا التاريخ الأخير •

وكان انشاء المدن يستتبع عادة انشاء مسجد جامع للمدينة الجديدة فكان اسم الجامع الأزهر عند انشائه جامع القاهرة • فلما تعددت المساجد التى أنشأها الفاطميون داخل القاهرة الفاطمية اختير له اسم الجامع الأزهر •

فقد أنشأ العزيز بالله بن المعز الجامع الأنور بين بابى النصر والفتوح وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ فنسب اليه وعرف بجامع الحاكم • وأنشأ الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ الجامع الأقمر (بجهة بين القصرين) • وأنشأ الظافر بأمر الله سنة ٥٤٣ هـ الجامع الأفخر (بجهة العقادين بشارع المعز لدين الله وهو المعروف باسم جامع الفاكهيين) •

ولا يعرف على وجه التحقيق وقت اختيار اسم (الأزهر) لهذا الجامع • ولكن الأرجح أنه فى وقت متقدم من حكم الفاطميين • بدليل اختيار اسماء المساجد التى انشئت بعده بداخل القاهرة الفاطمية (الأنور والأقمر والأفخر) لتسير على نمط لفظه •

ومن المعروف أن اختيار لفظ الأزهر يرجع الى لقب السيدة فاطمة الزهراء

بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ووالدة الامامين الحسن والحسين • والى الامام الحسين ينتسب الفاطميون فجدهم اسماعيل بن الامام جعفر الصادق • والأخير هو الامام السادس عند الشيعة الأمامية الاثنى عشرية والاسماعيلية •

فأول الأئمة عند الطائفتين على بن أبى طالب كرم الله وجهه • ثم ابنه الحسن • ثم الحسين بن على • ثم على زين العابدين بن الحسين ثم ابنه محمد الباقر • ثم ابنه جعفر الصادق ابن محمد الباقر •

وبعد جعفر الصادق تفترق الطائفتان فالامامية الاثنى عشرية يرون أن الامامة بعده لابنه موسى الكاظم • بينما الاسماعيلية يرون أنها لمحمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق • لأن اسماعيل كان أكبر من أخيه موسى • ولكنه توفى فى حياة والده •

وكان الأزهر محل عناية الخلفاء الفاطميين • فقد أرادوا أن يكون منطلقا للدعاية للمذهب الشيعى •

وأشار أبو الفرج يعقوب بن كلس - وزير المعز ثم وزير ابنه العزيز - على العزيز أن يرتب رواتب لجماعة من الفقهاء يعملون فيه حلقات للتدريس • فرتب خمسة وثلاثين فقيها • وبنى لهم دارا بجانب الجامع • وكانوا يحلقون (أى يجلسون كل منهم فى حلقة) فى الجامع بعد صلاة الجمعة حتى صلاة العصر • وكانت تطلق لهم - فضلا عن المرتبات - الخلع والصلاة فى المواسم والأعياد من دار الخلافة وفى دار الوزارة •

وهو بهذا يعتبر أقدم الجامعات فى العالم المستمرة للآن • وان كان البعض يعتبر جامع القرويين (١) بمدينة فاس فى المملكة المغربية أقدم منه • فقد انشىء فى سنة ٢٤٥ هـ • أى قبل الأزهر بأكثر من قرن • واستمرت الدراسة فيه للآن دون انقطاع تقريبا • ولكن الأزهر فضلا عن توسطه فى العالم الاسلامى فانه ينفرد بأنه أول جامع تولت الدولة الانفاق على مدرسيها وتعهدتهم بالرعاية حتى العصر الحديث •

(١) اسم القرويين نسبة الى مهاجرين من القيروان كانوا يقطنون الحى الذى أنشىء فيه الجامع •

وكان الأزهر أيضا محل تقدير الفاطميين . فقد كان الخليفة يصلى الجمعة الثانية من شهر رمضان فى الجامع الأزهر . والجمعة الثالثة فى الجامع الأنور . والرابعة في جامع عمرو بالفسطاط أما الجمعة الأولى فكانت راحة . (١)

وابتدع الفاطميون بما عرف عنهم من الترف وحب التنعم أعيادا جديدة .. منها ليالى الوقود الأربع . وهى مستهل رجب ونصفه . ومستهل شعبان ونصفه . ومنها الموالد الستة . وهى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام . والامام على بن أبى طالب والسيدة فاطمة . والامام الحسن . والامام الحسين . ومولد الخليفة القائم بالحكم .

وفى ليالى الوقود والموالد كانت تنار الجوامع الستة الكبرى . وهى الأزهر والأنور والأقمر (٢) وجامع ابن طولون وجامع عمرو وجامع القرافة . فضلا عن باقى المساجد والمشاهد التى بها الأعضاء الشريفة أى مشاهد آل البيت النبوى الكريم .

وكان بجوار الجامع الأزهر – فى الجهة الجنوبية منه – منظرة تشرف عليه يجلس فيها الخليفة لمشاهدة ليالى الوقود . ولم يكن الوقود قاصرا على الأيام الأربعة المذكورة . ولكن كان أيضا فى ليالى الجمعة من شهرى رجب وشعبان فضلا عن طول شهر رمضان .

وكان للمقيمين بالأزهر رواتب من الخبز والحلوى تصرف لهم فى ليالى الجمع وليالى الوقود فى الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان .

وممن أقاموا بالأزهر فى هذه الفترة الحسن بن الهيثم (توفى سنة ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م تقريبا) العالم العربى الشهير الذى تعلمت منه أوربا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح وتشريح العين وتكون الضوء على شبكتها . واسماء أجزائها . وقالت عنه دائرة المعارف الاسلامية : (كان من أهم علماء العرب

---

(١) ظل تقليد صلاة ولى الأمر الجمعة الأخيرة من رمضان فى جامع عمرو بالفسطاط معمولا به حتى سنة ١٩٥٢ م .

(٢) أما الجامع الأفخر أو جامع الفاكهيين فلم ينشأ الا سنة ٥٤٣ أى فى أواخر حكم الفاطميين .

فى الرياضيات والطبيعيات • وكانت له فوق ذلك مشاركة فى الطب وعلوم الأوائل وخاصة فلسفة أرسطو • وأن لكتابه (المناظر) أثر بالغ فى معارف الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى حتى كبلر سنة ١٦٣٠ م •) • وقالت دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهيثم هو أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى عالم البصريات (تعنى بطليموس كلوديوس أو القلوزى مؤلف كتاب المجسطى الشهير فى الفلك توفى سنة ١٦١ م وبينه وبين ابن الهيثم ما يقرب من تسعة قرون) وقال سارتون عن ابن الهيثم أنه أكبر عالم طبيعى مسلم ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر والضوء فى جميع الأزمان

وعرفه الغربيون باسمه الأول بعد تحريفه الى Alhazen

وظل الأزهر محل اهتمام الدولة ورعايتها طوال حكم الفاطميين • فقد جدده الحاكم بأمر الله • ورفع سقفه ذراعا عما كان • وأوقف أوقافا عديدة عليه وعلى الجامع الأنور وعلى دار الحكمة التى أنشأها وعلى جامع المقس (١) • وكان نصيب الأزهر وحده من هذه الأوقاف ما يقرب من النصف • ($\frac{٧}{١٢}$) كما جدد فى عهد المستنصر بالله• وفى عهد الحافظ لدين الله • ولاتزال للآن من هذه العمارة الأخيرة قبة بالمجاز حفلت جوانبها وسقفها بزخارف جميلة وآيات من القرآن الكريم فيها آية الكرسى وأيات من سورة يس • وتعد أقدم قبة نقشت من الداخل (المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب الأزهر تاريخه وتطوره)

ولو أن الفاطميين قصدوا أن يجعلوا من الأزهر منطلقا للدعاية لمذهبهم الشيعى • ولكن حرية الفكر العلمى تأبى القيود • كما أن سعة الأفق عند الخلفاء الفاطميين كانت ترفض التعصب أو التزمت • فكما استوزروا أحيانا وزراء يهودا أو نصارى • وكما

(١) أنشأه الحاكم بأمر الله وعرف بجامع المقس نسبة للجهة التى أنشىء بها بالقرب من ميدان رمسيس الحالى • وقيل سميت الجهة بالمقس لأن هناك قسمت غنائم الفتح العربى • وقيل أنها من المكس أى الجمارك حيث كانت هناك الميناء النهرية لمدينة القاهرة • ثم عرف جامع المقس بجامع أولاد عنان (بشارع الجمهورية الحالى) لما سكنه الشيخ محمد عنان وأولاده من بعده • وأزيل أخيرا ليقام مكانه مسجد باسم جامع الفتح •

عينوا فى القضاء أحيانا من غير المذهب الشيعى • فكذلك كان يدرس فى الأزهر ـ فضلا عن التفسير والحديث وعلوم اللغة ـ فقه المذاهب الأربعة • وليست هى المذاهب الأربعة التى نعرفها الآن • ولكنها كانت المذهب الشافعى والمذهب المالكى ومذهب الشيعة الأمامية • ومذهب الشيعة الاسماعيلية •

ويحفظ لنا التاريخ اسما من علماء الأزهر الذين درسوا فيه فى العهد الفاطمى • هو المؤرخ القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى (توفى سنة ٤٥٤ هـ) • وهو من أقدم من كتبوا فى تاريخ القاهرة وخططها • وكتابه (المختار فى الخطط والآثار) مفقود• ويشير اليه المقريزى والقلقشندى وغيرهما من المؤرخين فى أكثر من موضع•وكان شافعى المذهب وله مؤلفات كثيرة أغلبها مفقود ،منها تفسير للقرآن فى عشرين جزءا •

وقد خلط المرحوم على باشا مبارك (الخطط التوفيقية جـ٥ ص ٤٨) بينه وبين أبيه المتوفى سنة ٣٩٦ هـ • فذكر أن الأب هو المؤرخ • كما نسب للأب تفسير رؤيا لأحمد ابن طولون • وهذا غير معقول لأن ابن طولون توفى سنة ٢٦٩ هـ •

وارتبكت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها فى الداخل والخارج فقد استولى الصليبيون علىأجزاء كثيرة من فلسطين والشام • وهددوا مصر ذاتها • واختلف شاور وضرغام على الوزارة فهرب شاور الى الشام مستنجدا بالسلطان نور الدين محمود بن زنكى فأرسل معه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب • وأمكن لشيركوه هزيمة ضرغام وقتله • ثم اختلف مع شاور • الذى راسل الفرنج ليعينوه على شيركوه• وأطمعهم فى تملك مصر • وعاد شيركوه الى الشام • واشتد طمع الفرنج حتى تسلموا أسوار القاهرة • وأعدو فيها شحنة (قوة عسكرية) للمقاسمة فيما يتحصل من العوايد والرسوم •

وساء أمر شاور واشتد عسفه • وزادت اهانة الفرنج للمسلمين • وأحرق شاور الفسطاط بحجة الخوف من استيلاء الفرنج عليها • واستمر الحريق بها ٥٤ يوما • حتى أتى على ما فيها وتركها خرابا •

وكاتب الخليفة العاضد لدين الله ـ آخر الخلفاء الفاطميين ـ السلطان نور الدين سنة ٥٤٦ هـ يستنجد به • فأرسل شيركوه مرة ثانية على رأس قوة طردت الفرنج • وقتل شاور • وتقلد شيركوه وزارة العاضد • ثم مات شيركوه بعد شهرين • فأقام العاضد مكانه صلاح الدين •

وأخذ صلاح الدين فى اضعاف شأن العاضد وتركيز السلطة لنفسه • وصار يخطب للسلطان نورالدين بعد العاضد •

فأراد العاضد ـ أو بالأحرى رجال القصر يحركهم مؤتمن الخلافة جوهر ـ استرجاع النفوذ فدبروا مؤامرةلاغتيال صلاح الدين• وفشلت المؤامرة • وكان قوامها العبيد الذين كانوا قوة يعمل حسابها فى أيام المستنصر بالله الفاطمى الذى كانت أمه جارية سوداء • فأكثرت من شرائهم ومكنتهم قوة ونفوذا •

وكما بدأت الدولة الفاطمية فى مصر بالقائد جوهر فقد انتهت بمؤتمن الخلافة جوهر •

فقد كانت واقعة العبيد بداية النهاية فأبطل صلاح الدين ركوب الخليفة • وظل محبوسا فى قصره • واستقدم صلاح الدين أباه واخوته من الشام • فأنزلهم مناظر الخلفاء ودور الأمراء ووهب اقطاعات الأمراء لأهلهوأصحابه وفى سنة ٥٦٦ هـ عزل قضاة الشيعة • واتخذ المذهب الشافعى أساسا للقضاء فى مصر •

ومات العاضد ليلة عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ • بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للخليفة المستضىء بالله العباسى بيومين • وانتهت الدولة الفاطمية بعد أن استمر حكمها ٢٧٠ سنة • منها بمصر ٢٠٨ سنة وبضعة شهور • فسبحان من له الدوام •

وقد ذكر المقريزى فى الخطط (جـ ١ ص ٣٥٩) أن الدعاء كان للمستنجد بالله العباسى • والمعروف أن المستنجد توفى فى ربيع الأول سنة ٥٦٦ هـ • وبويع للخلافة بعده لابنه المستضىء بالله• ولعل الأصل المستضىء بالله بن المستنجد بالله • وأسقط الناسخ أو الناشر اسم المستضىء •

وبانتهاء الدولة الفاطمية انتهى المذهب الشيعى رسميا من مصر • وعادتالى المذهبالسنى تمثله الخلافة العباسية فى بغداد • هذا من الناحية

الدينية ـ أما من الناحية السياسية فقد. كان لمصر كامل السيادة • كما كان عليها العبء الأكبر فى محاربة الصليبيين واسترجاع ما استولوا عليه من أراضى المسلمين بفلسطين والشام وآسيا الصغرى • وقد قامت بدورها فى ذلك خير قيام •

ورأى صلاح الدين فى الجامع الأزهر بوضعه وقتذاك صورة للدعاية وصوتا للترويج للمذهب الشيعى • فأراد محو هذه الصورة واخفات هذا الصوت • فارتكن على فتوى القاضى الشافعى أنه لا تجوز خطبة الجمعة فى مسجدين فى مدينة واحدة ـ وهى القاهرة الفاطمية • فألغى خطبة الجمعة من الجامع الأزهر وقصرها على الجامع الأنور ـ أى جامع الحاكم ـ بحجة أنه أكثر اتساعا • فعرف الجامع الأنور بجامع الخطبة • وظلت خطبة الجمعة معطلة من الأزهر مائة عام تقريبا •

ولم يكتف صلاح الدين بهذا فأخذ هو ومن تلاه من سلاطين بنى أيوب فى انشاء المدارس المتعددة • وهى أشبه بالكليات • تلقى فيها الدروس على شكل الحلقات • عامة يحضرها من يشاء من الطلاب وغير الطلاب لتقوم مقام الجامع الأزهر •

فأنشأ صلاح الدين خمس مدارس منها ثنتان سنة ٥٦٦ هـ • اثناء وزارته للعاضد • أى قبل وفاة العاضد بسنة تقريبا •

وأولى هذه المدارس كانت بجوار جامع عمرو بالفسطاط للفقه الشافعى وكانت تعرف بالمدرسة الناصرية ـ نسبة لاسمه الناصر صلاح الدين • ثم عرفت بمدرسة ابن زين التجار أحد أساتذة الفقه الشافعى حيث درس بها مدة طويلة حتى توفى سنة ٥٩١هـ ثم عرفت بالمدرسة الشريفية نسبة للشريف القاضى شمس الدين محمد ابن الحسين الحنفى • وفى هذا مايدل على أنها لم تقتصر فيما بعد على الفقه الشافعى • وظلت هذه المدرسة بهذا الاسم الأخير كما ذكرها السيوطى (توفى سنة ٩١١ هـ) فى حسن المحاضرة • ثم تعطلت مع باقى المدارس بعد استيلاء العثمانيين على مصر سنة ٩٢٣ هـ • (١٥١٧ م)

وقال المقريزى (الخطط ص٦٢٣) ان انشاء هذه المدرسة كان من أعظم

ما نزل بالدولة ـ يعنى الدولة الفاطمية وانها أول مدرسة عملت بديار مصر وهذا غير دقيق • فاذا كان لا يعتبر مدارس الجوامع الكبرى التى تلقى فيها دروس مثل جامع عمرو وابن طولون وغيرهما • لأنه ليس للمدرسين بها مربوط معلوم • فقد كان لمدرسى الأزهر رواتب • كذلك دار الحكمة التى أنشأها الفاطميون كما أن الوزير ابن سلار ـ وقد كان شيعيا وتحول للمذهب السنى ـ أنشأ سنة ٥٤٦ هـ مدرسة للفقه الشافعى •

والمدرسة الثانية التى أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ • كانت أيضا بجوار جامع عمرو • وكانت للفقه المالكى • وعرفت بالمدرسة القمحية • لأن رواتب المدرسين بها كانت تصرف قمحا ناتجا من ضيعة فى الفيوم موقوفه عليها •

ثم أنشأ صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ المدرسة السيوفية للفقه الحنفى •وهى أول مدرسة للحنفية بمصر • وموقع جزء منها حاليا زاوية الشيخ مطهر بالقرب من مدخل الصاغة • وكان مكانها أصلا دار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى • وسميت بالسيوفية لأن سوق السيوفيين تجارة وصناعة السيوف ـ كان هناك•

وبالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض • صاحب الديوان المشهور بين الصوفية برقيق معانيه • ودقيق مراميه • فى التغزل ومحبة الذات الآلهية • واشتهر أبوه على بلقب الفارض لبراعته فى علم الفرائض أى المواريث • وتوفى عمر بن على سنة ٦٣٢ هـ • ودفن بسفح المقطم • وقبره للآن يزار • وكان رحمه الله يقيم فى الأزهر •

وأنشأ صلاح الدين فى سنة ٥٧٢ أيضا المدرسة الصلاحية بجوار ضريح الأمام الشافعى لتدريس الفقه الشافعى وأدخلت هذه المدرسة فيما بعد ضمن المسجد •

والمدرسة الخامسة التى أنشأها صلاح الدين كانت بجوار المشهد الحسينى • وأصبح موقعها ضمن جامع الحسين عند المحراب الحالى للمسجد •

وأنشأ تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب (ابن أخى صلاح الدين •

وهو جد المؤرخ المشهور أبى الفدا صاحب حماة وبينهما ستة أجيال) مدرسة منازل العز بالفسطاط للفقه الشافعى . وكانت أصلها دارا بهذا الاسم للسيدة تغريد زوجة المعز لدين الله ووالدة العزيز . وأسكن صلاح الدين ابن أخيه المذكور فيها فجعلها مدرسة .

وبعد صلاح الدين أنشأ أخوه العادل مدرسة الفسطاط للفقه المالكى .

وأنشأ الكامل بن العادل بين القصرين المدرسة الكاملية العظيمة لتدريس الحديث الشريف وهى باقية للآن شمال جامع وخانقاه الظاهر برقوق بشارع المعز لدين الله بالقرب من جامع قلاوون .

وأنشأ الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل فى جزء من مكان القصر الشرقى الفاطمى الكبير المدرسة الصالحية لتدريس فقه المذاهب الأربعة: الشافعى والمالكى والحنفى والحنبلى . وآثار هذه المدرسة باقية للآن بحى خان الخليلى . ومحل محرابها كان باب الذهب الذى كان أهم أبواب القصر الشرقى فى الريح الغربى منه وهو يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا (اسماء ومسميات فى تاريخ وخطط القاهرة لكاتب المقال)

ولا أريد أن استرسل فى ذكر المدارس التى أنشأها سلاطين بنى أيوب وأمراء دولتهم . ولكن نقول اجمالا أن المقريزى ذكرلنا فى الخطط احدى وعشرين مدرسة أنشئت فى مدة حكمهم التى لم تتجاوز ٨١ سنة .

وانزوى الأزهر يعانى هذه المحنة من قطع الخطبة . وانصراف الدولة عن رعايته . باستيلائها على أوقافه . ومنافسة هذه المدارس المنشأة التى حظيت بالاقبال عليها لما فيها من مرتبات ومالها من أوقاف .

ولكنها لم تكن محنة كاملة . فقد ظلت للأزهر مكانته . وان كانت تزعزعت بعض الشىء فقد رأينا عمر ابن الفارض يقيم فى الأزهر . كما يحدثنا التاريخ أن العالم العربى الشهير عبد اللطيف بن يوسف البغدادى كان فى هذه الفترة من حكم الأيوبين يلقى دروسا فى الأزهر .

وهو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى . ولد ببغداد سنة ٥٥٧ هـ . وبرز فى الطب والفلسفة وعلوم الكلام والمنطق والبيان

وغادر بغداد الى الشام قاصدا صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ • وكان وقتها يحاصر عكا محاولا انتزاعها من الصليبين • ثم وصل عبد اللطيف بعد ذلك الى القاهرة فى نفس السنة •

وكانت القاهرة ودمشق فى القرن السادس الهجرى قد أنتزعتا السيادة الفكرية فى العالم الاسلامى من بغداد وتنافست القاهرة ودمشق عليها حتى استقرت للقاهرة فى دولتى السلاطين والمماليك •

وأكرم رجال الدولة عبد اللطيف البغدادى • ولما توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ • اتصل بابنه العزيز ولازمه حتى توفى العزيز سنة ٥٩٥ هـ •وقال عبداللطيف عن نفسه فى هذه المدة :

(وكانت سيرتى فى هذه المدة أن أقرىء الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى الساعة الرابعة • ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره • وآخر النهار أرجع الى الجامع الأزهر ويقرىء قوم آخرون • وفى الليل اشتغل مع نفسى • ولمأ زل على ذلك الى أن توفى العزيز) (١)

وفى هذا ما يدل على أنه كانت تلقى دروس فى الأزهر من البغدادى وأن هذه الدروس لم تكن قاصرة على علوم الدين واللغة • بل كانت أيضا فى الطب وغيره •

والتوقيت المذكور فى قول البغدادى هو حسب التوقيت العربى • فقد كان العرب يعتبرون غروب الشمس أول اليوم • لأنهم يأخذون بالحساب القمرى •وشهرهم مقيد بالهلال الذى تبدأ رؤيته أو مولده وقت الغروب • وبه بدء الشهر وبالتالى بدء اليوم من الشهر • فالساعة الأولى من اليوم هى الأولى بعد الغروب • ثم الثانية • ثم الثالثة وهكذا حتى الساعة الثانية عشر وهى توافق شروق الشمس • فتبدأ ساعات النهار • فتكون الساعة الرابعة من النهار المذكور حسب توقيتنا الحاضر العادى – لا التوقيت الصيفى – ما بين التاسعة والحادية عشر صباحا حسب فصلى الصيف والشتاء •

والأصل فى هذا أن المصريين القدماء كانوا يقسمون اليوم الى ٢٤ ساعة • ولكنهم كانوا يقسمونه الى

---

(١) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية لمحمد عبد الله عنان ص ٩٧ نقلا عن عيون الأخبار فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

قسمين : قسم لليل وقسم للنهار . وكل قسم ١٢ ساعة . ولما كان الليل والنهار يختلفان طولا وقصرا على مدار الفصول فقد كانت الساعات على ذلك غير متساوية . أى أن الساعة كانت اعتبارية أى $\frac{1}{12}$ من الليل أو النهار ثم أدخل هيباركس سنة ١٢٥ ق.م تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة متساوية لضبط الحسابات الفلكية وتبعه بطليموس كلوديوس الذى أدخل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة وكان العرب يعرفون هذا ويسمون الساعة التى هى من اليوم ومن ٦٠ دقيقة بالمستوية والتى هى $\frac{1}{12}$ من الليل أو النهار بالزمانية أو المعوجة . ولم يكونوا يستعملون غير الساعة الزمانية أو المعوجة فى أول دولتهم(١) .

وترك لنا عبد اللطيف البغدادى فى كتابه (الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) المعروف بمختصر أخبار مصر صورة واقعية عن مصر فى ذلك الوقت تتميز بالروح العلمية التى تجرد الأحداث من الأساطير والخرافات . وتعتمد على الحقائق . وبحث فيه مافى مصر من نبات وحيوان . وبهرته الآثار الفرعونية بما فيها من فن وعظمة وهندسة . ولم يفته ما فى وجه أبى الهول من تناسب ومسحة بهاء وجمال كأنه يبتسم . وساءه اهمال الحاكمين رعاية هذه الآثار بل والتعدى عليها . وهدم بعضها لاعتقاد أن تحتها كنوزا . أو للانتفاع بأنقاضها فى مبانيهم . كما عاصر الوباء الأسود الذى اجتاح مصر سنة ٥٩٧ هـ (سنة ١٢٠١ م) فوصف ما خلفه من دمار وخراب ومجاعات وفظائع تقشعر منها الأبدان (٢) .

واستمر عبد اللطيف البغدادى فى القاهرة حتى سنة ٦٠٢ هـ . فتركها وأخذ يتنقل فى البلاد الاسلامية مثل القدس ودمشق وغيرهما . حتى عاد الى بغداد فتوفى هناك سنة ٦٢٩ هـ .

وانتهت دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ وبدأ عهد السلاطين المماليك بدولتيهم البحرية والبرجية اللتين استمرتا حتى

---

(١) الشمس والقمر فى حساب الزمن لكاتب المقال .

(٢) يوجد بدار الكتب نسخة من مؤلفه المذكور طبع أكسفورد سنة ١٨٠٠م . وعرف البغدادى أيضا باسم ابن اللباد . وكان شافعى المذهب . وذكر على مبارك (الخطط جـ ٥ ص ٧٩) له ترجمة مطولة مشرفة ذكر فيها مؤلفاته .

سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بدخول العثمانيين مصر .

فبرقت بارقة من النور فى سلطنة الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) .

فقد كان عز الدين أيدمر أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس يسكن دارا بجوار الجامع الأزهر (مكانها الآن المدرسة الأقبغاوية من مبانى الأزهر الحالية وبها مكتبته) . فرعى عز الدين حق الجوار . واستصدر قرارا من الظاهر بيبرس باعادة الخطبة للأزهر .

وبحث عز الدين عن المغتصب من أموال الأزهر . وأمكنه استرجاع بعضه . وتبرع له بمبلغ كبير . كما تبرع السلطان . وشرع فى عمارته . وترميم الواهى من جدرانه . وأصلح سقوفه . وبيضه وبلطه . وفرشه وكساه حتى عاد حرما . وأقيمت صلاة الجمعة فيه فى ١٨ ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ(ديسمبر سنة ١٢٦٦م). بعد أن ظلت معطلة فيه ما يقرب من مائة عام .

ولما أراد الظاهر بيبرس اعادة الخطبة فى الأزهر . رفض قاضى القضاة الشافعى تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز . وامتنع عن التصريح بذلك طبقا لمذهبه أنه لا تجوز الخطبة فى جامعين فى مدينة واحدة . هى القاهرة الفاطمية كما سبق ذكره . فاستصدر الظاهر فتوى من العلماء من المذاهب الأخرى بجواز ذلك . وتوفى ابن بنت الأعز فى رجب سنة ٦٦٥ هـ . أى بعد اعادة الخطبة للأزهر بثلاثة شهور تقريبا .

وقيل ان هذا من الأسباب التى جعلت الظاهر بيبرس يستحدث نظام القضاة الأربعة . أى قاضى لكل مذهب . ولقاضى قضاة المذهب أن ينيب عنه نوابا للقضاء فى أنحاء البلاد . ومع ذلك ظل قاضى قضاة الشافعية مقدما على غيره . وله امتيازات مثل نظر الأوقاف وبيت المال ومال الأيتام وغيرها . وكان سلاطين مصر شافعيى المذهب غالبا . واستمر الحال كذلك حتى دخل العثمانيون مصر . فأصبح التقدم والفتوى للمذهب الحنفى مذهب سلاطين آل عثمان . وهو ما عليه العمل الآن فى مصر فى القضاء والتشريع . وان كان دون التزام .

وذكر السيوطى (حسن المحاضرة ج ٢ صفحة ١٠١) أن ضم القضاة الثلاثة الى القاضى الشافعى كان سنة ٦٦٣ هـ • وأن قاضى القضاة ابن بنت الأعز كان شديد التصلب فى الدين (فكان الأمراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم • وكان هدا من الحوامل على ضم القضاة الثلاثة اليه) ١ هـ • فلعل الاصلاحات التى قام بها عز الدين أيدمر فى الأزهر استغرقت هذه الفترة من سنة ٦٦٣ هـ - سنة ٦٦٥ هـ •

وفى تعدد المذاهب يسر للناس • وكما قيل فى اختلافهم رحمة •

ورتب عز الدين أيدمر سبعة من القراء لتلاوة القرآن الكريم •ومحدثا يسمع الحديث الشريف • وجماعة من الفقهاء لقراءة الفقه الشافعى • واحتفل باعادة الخطبة للجامع احتفالا فخما حضره الأمراء والأعيان • وقرىء القرآن • ثم دخلوا دار عز الدين فقدم لهم من الأطعمة والأشربة ما لذ وطاب •

وسرعان ما استعاد الأزهر مكانة الصدارة على باقى المدارس •

محمد كمال السيد

صلوات فى محراب الطبيعة

للأستاذ عبد الرحمن محمد بجا

أقبل الصبح فقوموا واشهدوا   كيف قد أشرق وضاح الجبين
واركعوا لله شكرا واسجدوا   واذكروا نعمة رب العالمين

* * *

انظروا الأطيار فى أوكارها   نهضت تنظم لله الثناء
وتحييه على أشجارها   بغناء قد سما كل غناء

* * *

ما ترى يمسكها غير الاله   بيد القدرة فى جو السماء
فالق الحب تعالى والنواه   خالق الانسان من طين وماء

* * *

وانظروا الزهر تهادى الخيلاء   بشذا فضل الاله المبدع
واختفى النرجس بعداً للرياء   زاهدا زهد التقى الورع

* * *

فاتقوا الله فما يدنى المنى   غير تقوى الله رب العالمين
كل شىء يتجلى حولنا   يملأ النفس بأنوار اليقين

* * *

كيف لايؤمن فينا من يرى   كل ما فى الكون للايمان داع
ان من فكر فى خلق الورى   يسفر الحق له دون قناع

* * *

واذكروا يوم الحساب الأعظم   انه لا شك للانسان آت
ان من أوجدنا من عدم   هو من يبعثنا بعد الممات

* * *

واذكروا العرب فذكراها لنا   يشحذ العزم لارجاع علاها
واذا الجانى عليها قد جنى   فادفعوا عنها وذودوا عن حماها

* * *

ربنا هيىء لنا من أمرنا   رشدا وانصر جيوش العرب
واجعل الوحدة وثقى بيننا   انما الوحدة أسمى الأرب

* * *

نحن شعب هيأ الله له   كل أسباب العلا والغلب
بالهدى أرسل فينا رسله   واصطفى من بيننا كل نبى

عبد الرحمن نجا

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **جامع بيان العلم وفضله :**
تأليف : الامام العلامة ابن عبد البر :

هذا الكتاب الذى قامت بنشره دار الكتب الحديثة بالقاهرة فى أكثر من خمسمائة صفحة ، من تراثنا الاسلامى الذى نعتز به ، قدم له بمقدمة موجزة الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، عرض فيها للمؤلف والكتاب .. والحق أن المؤلف غنى كل الغنى عن التعريف، فقد زود المكتبة الاسلامية بالكثير من مؤلفاته وشروحه وتحقيقاته ، ولانظن أحدا يجهل .. الاستيعاب فى تراجم الأصحاب » و « الكافى » فى الفقه و « المدخل » فى القراءات ، وكتاب « التمهيد » بما جاء في الموطأ من المعانى والأسانيد » ثم « اختلاف أصحاب مالك فى روايتهم عنه » وهو موسوعة فى أربعة عشر جزءا .. انه عالم الأندلس أبو عمرو ، يوسف بن محمد ابن عبد البر القرطبى المالكى ، الذى ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، وتوفى بمدينة شاطبة سنة ٤٦٣ هـ .

أما العلم الذى قصد اليه المؤلف فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمله » فهو — كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب — العلم الدينى المستمد من الكتاب والسنة ، وليس هو العلم الواسع الشامل الذى يجمع أشتات المعارف ، من طب وفلسفة وفلك ، وليس أيضا العلم المتصدى لعلوم العربية من أدب ونحو وصرف وبلاغة وغير هذا مما يتصل باللسان العربى، اذ كان هم المؤلف منصرفا الى جوهر العلم كله ، وهو علم الشريعة الذى يجب أن يكون غاية مطلب المؤمن ، وما ينبغى أن يقيم عليه وجوده ، ويعمل على ضوئه للحياة الدنيا والآخرة جميعا .

المؤلف جعل كتابه فى مبحثين كبيرين :

أولهما : طلب العلم فريضة على كل مسلم،وقد جاء فى خمسة وثلاثين بابا وعشرة فصول .

وثانيهما : مساءلة الله العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا ، وقد جاء فى ثلاثين بابا ، أما منهج المؤلف فى كتابه ، فهو أولا يختار الحديث رأسا للمسألة التى يتناولها بالبحث ، ويكاد يلم بكل طرقه ، ثم يتبع ذلك أقوال السلف من الفقهاء والعلماء والحكماء ، وأحيانا يستشهد بالشعر ..

وبعد ـ فالكتاب ـ كما يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ مدخل مستقيم آمن الى علم الفقه ، وعين سليمة ينظر بها طالب الفقه فى فطانة من فقه المذاهب ، وهو على بصيرة من أمر دينه ، وحقائق شريعته ...

* * *

● **التموين فى الاسلام :**
تأليف : الأستاذ السيد محمد عاشور :

هذا الكتاب يقع فى أكثر من مائة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف الفاضل التاجر والحامل بكالوريوس كلية تجارة القاهرة ، لم تشغله تجارته عن الاسهام بتزويد المكتبة العربية والاسلامية ببحوثه المتخصصة ، اذ صدر له عدة مؤلفات آخرها هذا الكتاب الذى بين أيدينا وأقول البحوث المتخصصة ، لأن المؤلف يجيد ويتقن بعض اللغات الأجنبيه منها الفرنسية والعبرية ..

والكتاب يتضمن زهاء ثلاثين بحثا منها : شئون التموين فى الاسلام ، والدول والرقابة على التموين ، والرقابة على الأسواق والأسعار ، والمؤلفون المسلمون الذين كتبوا فى الحسبة ، والسوق والبورصة فى الاسلام ، وتطور الحسبة منذ عهد الرسول ، والتسعير فى الاسلام ، والتخطيط للمستقبل ، والنقابات فى الدول الاسلامية ، ثم الدين الاسلامى يحل مشاكل التموين .

وفى البحث الأخير : الاسلام يحل مشاكل التموين ، يرى المؤلف ، أن الاسلام جاء ومعه الحلول الكفيلة لكل معضلة تقابلنا فى حياتنا ، وأهم هذه المعضلات : شئون التموين ، وأسباب هذه المعضلة كثيرة ، منها : زيادة الطلب على العرض ، والأثرة والاكتناز ، والبخل ، وعدم حب

الخيرللناس ، وعدم التعاون مع الغير، والاستماع الى الشائعات ، والاحتكار، وعدم التخطيط للمستقبل ، وعـــدم التمسك بما جاء به الدين الحنيف ، هذا ولم يقف الاسلام مكتوف الأيدى أمام هذه الأسباب ، بل أتى بالحلول المتعددة التيعملت علىتخفيف حدتها، وأهمها : حث على العمل ، وحث على الايثار والقناعة والتعـاون ، وتحريم الاكتناز والاسراف ، ومنع الاحتكار، وحث على التخطيط ..

انها كلمة عاجلة ، والكتاب دراسة جديرة بكل تقدير ..

★ ★ ★

● **الصفحات الأخيرة من حضارتنا :**
تأليف : الأستاذ عبد الحليم عويس :

هذا الكتاب الذى قامت بنشرة دار « المختار الاسلامى ـ بالقاهرة يقع فى أكثر من مائة صفحـــــة من القطع المتوسط ، والمؤلف ، عضـو بالمكتب الفنىللمناهج بوزارة التعليم بالكويت، ومن خيرة شباب علماء الأزهرالدائبين على البحث فى مجـــال الحقـــل الاسلامى ..

والموضوع الذى طرقه المؤلف ، من الموضوعات التى سبق للكتاب أن عرضـوا لهـــا ، ولـكن كمؤرخين أو قصاصين أو شعراء ، ومعظمهم عول على الاثارة لاستجـداء الدموع أكثر مما عول الفحص لاسـتثارة الهمم ، لكنالمؤلف فى هذه الصفحاتالمعدودة يكتب من واقع ذاتية خاصة .. ذاتية حامل العقيدة الذى تعـايش القضـية وجدانه منذ استطاع أن يحمل القلم فهو يقـدم بحثـا موجزا يراه دعوة لتشريح تاريخنا من جديد ، وبجرأة، فلأن نشرحه نحن ـ بانصاف ـ أولى من أن نتركـه لأدعيـــاء المنهـــج العلمى يشرحونه بحقـــــد وعنف واحجـاف .. ومن خـلال هـــذه الصفحات حاول المؤلف أن يمـــد الطرف ـ فى تاريخنا الاسلامى ـ الى آفاق ثلاثة:الأندلس (أوربا) والمشرق العربى بخلافتيه الكبيرتين (العباسـية والفاطمية) ثم المغرب العربى،وهى ـ كما يقول : الأجنحة الثلاثة الشهيرة التى تزعمت العالم الاسلامى ، ومثلت القيادة الفكرية والسياسية له ..

ما أحوج شبابنا المثقف الى قراءة هذه الصفحات الأخيرة من حضارتنا ، انها صفحات معدودة ، لكنهـا تحمل بين سطورها قضية أساسية كبرى من أخطر قضايا تاريخنا .

★ ★ ★

● حـول المكاتبـات اليهـودية فى التاريخ :

جاء فى مقال للاستاذ عبد الرحمن حبنكة فى جريدة أخبـار العـالم الاسـلامى بمكـة ، كلمـات على لسان الكاتب اليهودى (برنارد لويس) فى كتابه « نشوء تركيا الحديثة » :

« لقد تعـاون الاخوة المـاسونيون واليهـود بصـورة سرية على ازالة السلطان عبد الحميد، لأنه كان معارضا قويا لليهود اذ رفض بشدة اعطاء أى شبر أرض لليهود فى فلسطين » ومع ذلك فلاتزال وسائل الاعلام تعرض ألوانا مسرحيـة للنيل من الخـلافة الاسـلامية والسلطان عبـد الحميد بالذات ، وفى أسلوب ساخر حقير ، والأقلام الأجيرة التى تكتب تاريخنـا زائفـا لا تتجاهل أنهـا تكتب ارضاء أو مجاملة للأنظمة التى أضاعت كل فلسطين .. وحسبنا الله ..

* * *

● قراءات :

« لمـا أتى عمر رضى الله عنه بتاج كسرى وسواريه ، جعل يقلبه بعود فى يده ويقول : والله : ان الذى أدى الينا هـذا ، لأمين .. فقال رجل : يا أمـير المؤمـنين : أنت أمين الله ، يؤدون اليك ما أديت الى الله .. فاذا ارتعت رتعوا .. قال : صدقت » .

من « عيون الأخبار لابن قتيبة » .

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال من السيد/عبد الرازق حمود

عمرى الآن ٤٠ سنة وكنت تاركا للصلاة ثم تبت الى الله توبة نصوحا ، سألت بعضهم فقال لى لا تصل سنة بل يجب أن تقضى باستمرار ما عدا وقت الطعام والعمل والنوم .

فهل يجوز لى أن أترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة قضاء الصلوات الماضية وهل فى كتاب الله أو سنة رسوله أمر بالقضاء ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم) قال : من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها سوى ذلك ، واذا كان هذا فيما فات بعذر كالنوم والنسيان ففيما فات بلا عذر أولى وعليه فيجب عليه الاشتغال بقضاء الصلوات الفائتة ما أمكن ذلك ويكون على الفور فانها فائتة بلا عذر واذا كان اشتغاله بالسنة يشغله عن الاشتغال بقضاء الفوائت فالواجب عليه صرف الوقت فى قضاء الفوائت ويمكنه أن يصلى مع كل وقت خمسة أوقات مما عليه فيكون صلاته فى اليوم الواحد صلاة عن الحاضرة وخمسا من الفوائت ويستمر هكذا حتى يفرغ مما عليه وحتى لا تتعطل معايشه وأموره الدنيوية التى عليها قوم حياته وحياة من يعولهم والله تعالى أعلم ؟

السؤال

ما حكم مذهب مالك فى ملكية المناجم والمحاجر (الثروات تحت الأرض) وحق ولى الأمر (الوالى) فى التعاقد مع الغير (للأفراد والشركات على استغلالها ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن المعدن الذى يوجد فى باطن الأرض يكون ملكا للدولة مطلقا سواء كان معدن ذهب أو فضة أو غيرهما وسواء عثر عليه فى أرض غير مملوكة كالغابات أو فى أرض مملوكة وهذا هو القول المعتمد فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

واذا عثر على كنز من دفين أهل الجاهلية فخمسه لبيت المال والباقى لواجده ان وجده فى أرض غير مملوكة ، فان وجده فى أرض مملوكة بأحياء أو بارث ممن أحياها فيكون الباقى بعد الخمس لمالكها الذى أحياها أو ورثها منه ، وان وجده فى أرض مملوكة بشراء ، أو هبة فيكون الباقى لمالكها الأصلى الذى باعها أو وهبها .

وأما اذا كان الكنز الذى عثر عليه دفين مسلم أوذمى فانه يكون لربه أو وارثه ان علم كل منهما فان لم يعلم سرى عليه حكم اللقطة ، بمعنى أنه يعرف فان عرف سلم الى صاحبه والا ردت الى بيت المال والله تعالى أعلم

وعلى هذا فلولى الأمر أن يتعاقد مع الغير فيما آل اليه سواء كان مع أفراد أو جماعات حسب المصلحة العامة ؟

السؤال من السيد/توفيق أبو عيشة بالبدرشين

ما رأى الدين فى القراءة على الميت وأخذ الأجرة عليها وما دليل المجوزين ؟

الجواب

اختلف الفقهاء فى هذا ــ فمنهم من منعها ومنهم من جوزها والمجوزون استدلوا بأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الحديث الآتى (عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قلب القرآن يسين لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له . اقرءوها على موتاكم » رواه أحمد والنسائى وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه : ومتى جازت قراءة البعض جازت قراءة الكل .

واستدل المجوزون على أخذ الأجر على القراءة بما جاء (عن أبى سعيد

رضى الله عنه قال : انطلق نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب واستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد الحى فسعوا بكل شيء فلم ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عندهم بعض شيء فأتوهم فقالوا يأيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء فقال بعضهم : « انى والله لأرقى ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا » فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبه قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم : اقتسموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر الذى يأمر به فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال : « وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقتسموا واضربوا لى معكم سهما ثم ضحك النبى صلى الله عليه وسلم . رواه الجماعة الا النسائى وهذا لفظ البخارى وهو أتم وفى رواية أخرى للبخارى أيضا « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » ، والمآتم التى تقام فى هذه الأيام تخالف الشريعة الغراء ففيها اسراف وتبذير وضياع للمال فى غير محله وهو حرام ان كان فى قصر يتأثرون بهذه النفقات ولنرجع الى ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله من أخذ القراء على المقبرة بعد الدفن وفى السبب لمن لم يحضر الدفن وتمتد للغائب حين حضوره .

السؤال

من داود على البرعى

اشتهر بين الناس عامتهم وخاصتهم أن (اتق شر من أحسنت اليه) فهل هى حديث صحيح أم ليست بحديث وهل نستمر فى الاحسان عليهم .

الجواب

هذه الجملة ليست بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكره الحافظ السخاوى والأشبه انها حكمة لبعض السلف ذات معنى صحيح وهو أن من النفوس البشرية نفوسا فطرت على لؤم الطبع وجحود

المعروف ونكران الجميل ومقابلة الاحسان بالاساءة كما يشير اليه قوله تعالى : (وما نقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) (١) فقابلو انعام الله عليهم سعة الرزق ورغد العيش ونعمة الغنى بالجحود والكفر بدل الحمد والشكر •

فاذا امتحن المحسن بطائفة من هؤلاء وجب أن يتخذ الحيطة لشرهم ويتقى وسائل كيدهم والاحتراس من ذلك لا يمنع من موالاة الاحسان ولا يصده عن متابعة صنع الجميل • فلعله علاج واصلاح وفيه خير كثير وناهيك بما كان من أبى بكر الصديق رضى الله عنه مع ابن خالته مسطح فقد كان مسطح مهاجرا معدما وكان أبو بكر ينفق عليه من ماله برا واحسانا فلما افترى المنافقون حديث الافك وخاض مسطح مع الخائضين فى حق عائشة أقسم أبو بكر ليمنعن عنه النفقة فنزل وقول الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفو أو ليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر أنا أحب أن يغفر الله لى ووصله بالنفقة كما كان بل ضاعفها طمعا فى الرحمة والغفران وما أجمل العفو عن المسىء والصفح عن المذنب والاحسان اليهما ثقة بوعد الله تعالى والله لا يخلف الميعاد •

محمد أبو شادى

---

(١) التوبة من آية ٧٤

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

احتفال الأزهر بالاسراء والمعراج :

أقامت مشيخة الأزهر احتفـالا كبيرا بمناسـبة بدء الاحتفـالات بذكرى الاسراء والمعراج مساء يوم الأحد الموافق ٢٥ من رجب ١٣٩٥هـ ٣ من أغسـطس ١٩٧٥م بالجـامع الأزهر الشريف •

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس محمد أنور السادات فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر •

كما حضره فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر وفضـيلة الدكتـور محمـد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وكبار المسئولين فى الأزهر ، وعدد من كبار رجال الدين •

وألقى فضـيلة الامـام الأكبـر الدكتور عبد الحليم محمـود شيخ الأزهر كلمة الاحتفال ، تحدث فيها عن الاسراء والمعـــراج ، ومكانة الذكرى والدروس المستفادة منها •

وأعلن فضيلته : أن علماء الأزهر وعلماء المسـلمين يرفضون بقـوة وبشدة تدويل القدس •

وقال : انه ليس هناك من سبيل للسلام الا أن يعود القـدس تحت سيطرة المسلمين •

وهاجم فضيلته الفرق التى تدعى الاسـلام ، وفى نفس الوقت تدعى انتهاء الجهاد فقال : أن هذه الفرق مثـل القـاديانيـة وحـزب التحـرير الاسـلامى والبهـائية من عمـلاء اسرائيل ، ويمولها الاستعمار •

كمـا أعلن فضـيلته أن الأمـة الاسلامية أمة واحدة ، وأن الجهاد فرض على جميع المسلمين سواء من كان منهم قريب من جو المعركة أو أرض المسلمين فان الجهـاد يصبح فرضا على المسلمين جميعا ، القاصى منهم والدانى •

احتفال الأوقاف بالاسراء والمعراج :

أقامت وزارة الأوقاف، احتفالا رسميا بذكرى الاسراء والمعراج مساء يوم الاثنين ٢٦ من رجب ١٣٩٥ هـ - ٤ من أغسطس ١٩٧٥م بمسجد السيدة زينب رضى الله عنها .

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس محمد أنور السادات فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر .

كما حضره فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية ، وفضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وعدد من كبار رجال الدين .

وألقى فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر كلمة تحدث فيها عن الاسراء والمعراج ، وطالب بوحدة العرب والمسلمين ، واعداد العدة ، لتحرير الأرض وعودتها الى أصحابها الشرعيين ، وفك أسر المسجد الأقصى .

وكان فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية قد ألقى كلمة الأزهر فى بدء الاحتفال ، تحدث فيها عن معجزة القرآن الخالدة وعلى أن حادث الاسراء كان تثبيتا لفؤاد رسول الله وتمكينا وتكريما واظهارا لفضل رسول الله وفضل رسالته الخاتمة .

● **مؤتمرات الدعوة ونتائجها :**

عقد أئمة المساجد والوعاظ فى شهر مايو الماضى سلسلة من المؤتمرات فى كل من محافظات الغربية وكفر الشيخ والشرقية ، حضرها فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر والمحافظون وبعض أعضاء الحكم المحلى ..

ومن أهم القضايا التى طرحت للمناقشة فى هذه المؤتمرات :

١ - ظاهرة انحراف الشباب والمسئول عنها ودور الدعوة فى علاجها ..

٢ - تطوير أسلوب الدعوة بما يحقق الموعظة الحسنة بالأسلوب المناسب الذى يتلاءم مع كل تجمع

وبيئة وتلاحــم الأئمــة بالجمــاهير وتبصيرها بالنواحى الدينية والقومية ••

٣ ـ دور المسجــد فى المجتمع والعودة به الى ســيرته الأولى فى الاسلام ••

ومن أهم نتائج هذه المؤتمرات :

١ ـ اصــدار كتاب دينى للشباب يرد على الشبه والأفكار الخاطئة التى يعتنقهــا أفــراد جماعــة التفكــير والهجرة ••

٢ ـ تشــكيل لجــان اقليمية لكل محافظة لتخطيط شئون الدعوة وفقــا لطبيعة كل اقليم واحتياجاته الدينية •

٣ ـ تسيير قوافل للتوعية والدعوة الى مختلف تجمعات الشباب والعمال والفلاحــين ، وتوجيــه الدعاه الى الجامعات لترسيخ قواعــد الدين بين الطلبة والطالبات ، وتزويد الجماعات الدينية بالكليات والمكتبات الاسـلامية اللازمة ••

٤ ـ عقــد لقــاءات مفتوحــة مع الشــباب يشــترك فيهــا الدعاة وقادة الفــكر الاســلامى لتوضيح المفــاهيم الاسلامية فى جميع القضايا الفكرية المعاصرة ••

٥ ـ استخدام المساجد من العــام الدراسى القــادم كمــدارس ابتدائية لاستيعــاب التلاميــذ فى سن الالزام ولمعالجــة النقص فى أبنيــة المدارس وللعودة بالمسجد الى رسالته الأولى فى الاسلام ••

٦ ـ انشاء معهد للفتيات بمدينــة الزقازيق ••

٧ ـ رعاية حفظة القرآن الكريم ودراســة الحاقهم بالمعــاهد الأزهرية دون التقيد بشرط السن أو غيره من الشروط ••

● أقسام جديدة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر :

وافــق المجلس الأعلى للأزهــر برياسة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى اجتماعــه يوم الثلاثاء ١٣ من رجب ١٣٩٥ هـ ـ ٢٢ من يوليو ١٩٧٥ م على القــرار الذى اتخــذه مجلس الجامعة برياسة فضلة الدكتور محمد حسن فايد مدير الجامعة يوم السبت ١٠ من رجــب ١٣٩٥ هـ ـ ١٩ من يوليو ١٩٧٥ م بانشاء قسمين جديدين بكلية اللغة العربيــة جامعــة الأزهر وهما :

١ ـ انشاء قسم للصحافة والاعلام الدينى ••

٢ - انشاء قسم للدراسات العليا فى الاعلام الدينى والوسائل الحديثة لنشر الدعوة الاسلامية ••

وسيقبل بقسم الدراسات العليا للاعلام الدينى الخريجون من كليات الأزهر والجامعات الأخرى والوافدون من الدول الاسلامية ••

● فرع لجامعة الأزهر بالشرقية :

تم بحث انشاء فرع لجامعة الأزهر بالزقازيق ، وقد وافق المجلس الأعلى للأزهر برياسة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى اجتماعه يوم الثلاثاء ١٣ من رجب ١٣٥ هـ - ٢٢ يوليو ١٩٧٥م على قبول مبلغ ٢٥ ألف جنيه تبرعت به محافظة الشرقية للبدء فى اعداد مقر لكلية اللغة العربية كنواة لاقامة فرع لجامعة الأزهر بالشرقية •

● انجليزية تعتنق الاسلام وتشهر اسلامها أمام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر :

اعتنقت الاسلام فتاة انجليزية هى مارينا آن دولف بعد دراسة واعية وفهم عميق لمفاهيم الدين الاسلامى وأسراره وأصوله •

وامام فضيله الأمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أشهرت مارينا اسلامها واقترنت بالمهندس البحرى المصرى ابراهيم عبد الحميد العنانى واصبح اسمها منى العنانى •

● مشروع بتحذير شرب وبيع الخمر :

تقدم السيد/محمود نافع عضو مجلس الشعب بمشروع قانون ينص على تحريم الخمور وحظر الاعلان عنها وبيعها وحظر شربها والدعاية لها ، وقد وافقت عليه لجنة الشئون الاجتماعية بالمجلس ونأمل أن تتم موافقة المجلس على مشروع القانون المقدم •

وشكرا للأخ المسلم محمود نافع •

● مركز ثقافى اسلامى بغانا :

قام طلبة جمهورية غانا بانشاء مركز ثقافى اسلامى بغانا ويهدف المركز الى نشر الثقافة والفكر الاسلامى فى أنحاء غانا وفى ارجاء قلب افريقيا •

ابراهيم حامد النويهى

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٥٤٧ س ١٩٧٥-٦٠٠٢

In 1960, a decree was promulgated giving the ministry of Awqaf the right to divide the shares of awqaf holdings at their extenction It seems that this helped the fragmentation of the large endowments. Once these divided properties left its original waqf configuration, the other important law of the agrarian reform would be applicable.

To conclude, the changes of awqaf can be classified as follows: Since 1923 up to 1960 the institution of awqaf has undergone some important changes. More restrictions are put on the freedom of the administrators. The founders of awqaf were allowed to retain their property. Their right to endow was confined to the third of their property. The creation of Awqaf from agricultural lands was made improbable. The abolition of the ahli awqaf might lead future Khayri endowers to think twice : The ministry of Awqaf would take the endowments once they die, and their revenue will be spent according to the minister's decision. The ministry of Awqaf constituted and still constitutes a part of the general budget of the State. In the sixties it started a new era of investments beside its traditional role in the upkeeping of the pious foundations.

---

debates of the Egyptian parliament from 1926 on to show how an eighth of the whole cultivated area of Egypt, which was Awqaf, could have benefited the country if its waqf was abolished.

Inside and outside the Parliament, Prince Muhammad Ali emerged as one of the leading propogandists of the abolition of the ahli Waqf which he considered a purely civil act. In his arguments Prince Ali cited the example of France which abolished the ahli Waqf. The prince aired his understanding that the religion (of Islam) could not be the reason for the loss of the Egyptian land and the corruption of the Egyptions. He devoted a part of his arguments to counter attack a refutation given by Sheikh Muhammad Bakhit, the former Mufti of Egypt.

In the forties, a group of intellectuals called for a sort of agrarian reform which could be based among other factors on the abolition of ahli Waqf.

Politicians from several parties (i.e. Misr al-Fatah and the Wafd) also backed the demand for the abolition of the ahli wakf.

The foregoing perhaps accelerated the promulgation of law no. 48, 1946, which contained some reformist articles such as making temporary both ahli and Khayri waqf ; perpetuity of waqf was only for the mosque waqf ; and restricting the establishment of new awqaf. This law was followed by some modified articles to fill its gaps.

What the last law lacked was a radical reform that would be able to liquidate the large properties of awqaf which in the case of King Farouq (1936-1952) included more than one hundred thousand Feddans. It was the large landowners that were constituting the bulk of Awqaf.

The large holdings of Awqaf as well as the small ones constituting ahli waqf were liquidated by the 1952 law, and passed into the ownership of their beneficiaries.

By the abolition of the Shar'i courts in 1955, the cases pertaining to Awqaf were turned to civil courts. This perhaps put an end to the controversary around the duality of the judicial system towards Awqaf.

The reorganization of the ministry of Awqaf by dent of the law 272 issued in 1959 can be looked at as an important landmark in the development of the institution of Waqf. According to this law the Committee of Awqaf affairs, a newly established committee, can consider the deposition of the endowments' administrators, and the winding up of *Ahkar* (long-term leases of Awqaf in turn of nominal annual rents).

superseded by much more radical reforms of the Waqf system". The rest of this paper concisely analyses the Awqaf from 1923 to 1960.

The newly amassed Awqāf, especially after 1892, created a lot of problems that had mainly to do with their mismanagement. Gradually, the State was losing taxable land converted mostly into Waqf ahlī. Generally, the ahlī Waqf caused the society injustice when it became a means to avoid the law of inheritance, or the land tax. Legists, parliamentarians and statesmen were all aware about the state of deterioration which the system of Waqf reached. Repercussions of this awareness can be seen in legal sanctions introduced for the purpose of belittling future Awqāf This also can be seen in the debates of the Egyptian parliament where an explicit call was voiced to eliminate both Khayrī and ahli endowments. Contributions of statesmen (i.e., Prince Muhammad Ali) which reflected the need to abolish at least the ahlī endowments are equally noteworthy. Few instances are given in the following : At the end of his article on "Awqaf and the acquisitive prescription", a lawyer, while illustrating what he termed "the great danger" of the endowments quoted the Egyptian poet Hafiz Ibrahim saying, " ... Les ruines des Waqf en Egypte sont comme la petite vérole a la face de la civilisation..." He also referred to some cases of misuse of the Waqf institution. One of these cases dealt with those who sold the Awqaf, showing the deed of their purchase of the land, but carefully concealing the Waqfiyah of the same piece of land.

The appeal court passed a bold judgement in Fabruary 25, 1919 which shortened the thirty-three year duration period of Waqf to only five years, thus, enabling a beneficiary to be a full possessor. A judge (president of a indigenous court of the first instance of Mansūrah), notwithstanding the common maslahah (interest) of the judgement, maintained that the thirty-three year disposition should be adopted. He concluded his discussion of the issue by describing the Awqāf as a mainmort of a religious character that ever made it distinct from the free estate and the complete property.

Another example of a legal sanction imposed on Awqaf is portrayed in the first article of the law No. 18 issued in 1923, where the property is validated as Waqf only after its registration.

Yet, such sanctions were limited and did not stop the increase of Awqaf on the cultivated land. In 1925, the yearly average of this increase was put at 19.000 feddans. The total count of the Awqaf land was 770.000 feddans. These figures were used in the

grossly indebted, the Britsh, in collaboration with some other powers, e.g., the French, tried to control the general budget of Egypt — inculding that of Awqaf Tawfiq pasha consented to have foreign supervision over finance and administration, and refused to include what was called by his time the "Ministry of Awqaf". It is very likely that his turning of the ministry of Awqaf into an administration under his supervision was a reaction to the pressure of the British. In the decree he issued in 1884, the Khedive emphasized that Awqaf should be independent from ministerial departments.

However, in 1891, the Khedive went farther when he authorized the people a full possession of land, and legalized the act of endowment. This resulted in a confluence of new Awqaf, the most part if which was ahli. The irregularities and mismanagement of Awqaf started to be seen. For example, many Nuzzar (Administrators) were exploiting Awqaf and blackmailing the beneficiaries. The taxable land was consequently decreasing and the revenue became badly affected.

In the same year (1891), Cromer reported to the British Government that the revenue of the Diwan of Awqaf amounted to 130.000 Egyptian pounds, and that in spite of some care shown in verifying its accounts, he heard complaints dealing with the inaccuracy of these accounts. While the revenue nearly doubled in 1899, Cromer still expressed the hope in a reform to be done to the administration of Awqaf.

In the reign of Abbas II (1892-1914), the British were still pressing for a control over the Awqaf. Both Cromer (1883-1907) and Kitchner (1911-1914) in their capacity as representatives of Britain in Egypt, reported their dismay about the deteriorating situation of endowments in the country. They put the blame on the person of the Khedive. As a compromise, the two sides, the Egyptian and the British, agreed that Awqaf should have financial and administrative autonomy, but the minister of finance was to verify the accounts, and submit a yearly report to the Khedive.

All these events concerning the development of Awqaf in Egypt represent a background for the period between 1923 and 1952. Gabriel Baer observed that this period was characteristic of an attempt of the King to maintain the traditional right of the ruler to administer the Awqaf. Besides, this period gave birth to the law of 1946 which in some of its articles originated from the fruitful parliamentary deliberations of 1926 and 1927. But this law, though reformist in essence, "was

Awqaf land (which amounted to approximately the third of the whole productive land in Egypt). In 1846, Muhammad Ali issued a decree preventing people from the act of endowment. The reasons he gave were to avoid the harm which the act of endowment did to the taxable land, as well as to the people themselves, and to apply a *Shar'i* (legal) advice in that respect. Yet this ban on the founders of Awqaf did not materialize effectively. About a year later, a Alim was granted the Wali's permission to found a Waqf. It does seem that this example was followed by the rulers of Egypt after Muhammad Ali. Ismail (1863-79) stipulated in the decree of 1282/1866 that the Karaji (taxable) land could be endowed as Wakf at his own (the Khedives) will. This Khedivial will was excessively exercised. To cite, when in 1885 Sir Colin Scott-Moncrieff, Deputy Director of Public Works, 1883-92, counted, in one of his reports, 83,200 acres of the real-estates of Gharbiyah, he referred also to 19,024 acres of Awqaf land in the same province.

In addition to the Khedives personal permission to establish Awqaf, the Shar'i courts which appeared to be judicially independent were also one of the factors conducive to the increase of the endowed lands : These courts not only helped the indigenous population to convert portions of their property into Waqf but also helped the Europeans !

A French citizen founded a mixed ahli and Khayri Waqf, due to a judgement issued in 1869 by the Shari Court of Alexandria. But in 1881, the Consular Court of France, following a legal precedent of the Consular Court of Italy, declared the Waqf as illegal and void. A heiress of the above mentioned French citizen appealed to the mixed court of Alexandria. This court confirmed the judicial decision taken by the French Consular Court ; it explained its judgement in the following :

"It is up to the judge of the personal Status to decide — according to the law of his country — whether a testator can constitute as Waqf a part of his property. By the article 77 of the Civil Code, the legislator did not subordinate to the local law but the right of succession to the Usufruct : the right to dispose of his property as Waqf was not in question".

"In virtue of that decision (of the French Consular Court) the Waqf in question had never attained a legal existence ; (therefore), Madame F, had no right to be a beneficiary."

The British occupation of Egypt in 1882 left its mark on the history of the Awqaf and on the institution as such. With Egypt

DEVELOPMENT OF AWQĀF SYSTEM IN EGYPT

By

MUHAMMAD AMIN TAWFĪQ

In his *Ajā'ib al-Athar,* al-Jabarti mentions how in 1229/1813-1814 the results of a general measurement of the cultivated land in Egypt, which had been ordered byMuhammad Ali, were shown to the people. 600.000 Faddans of Awqāf out of a total of 2 million were counted in upper and lower Egypt. A general increase of one-third or one-fourth more than what had been in the old cadastre, was recorded. Al-Jabarti says : "The employees (of the survey) measured the *rizaq ahbasiyah* (Awqaf land) ... What they found exeeding the original figures put for those *Ahbas,* they added to the *Diwan* (State's property).

In another place of the same work, al-Jabarti maintains that this Awqaf land had been kept well recorded since Saldin, the Ayubid. Yet he observes that those who were needy among the *arbab* (administrators or beneficiaries) of the *ahbas* used to give up their shares to the *Multazims* in return for cash money. By the new survey, a sizeable portion of taxable land was restored to the State. Both peasants and Multazims had to pay for the excess of land. Ostensibly, the former were taxed because of the discovery of more Awqaf land than they could claim. The latter got more harm because they had to pay twice — a tax on the real-estates, another on the Awqaf land which they (illegally) had purchased.

However, because of the disadvantages of the *Iltizam* system, (e.g., Multazims' endowment of the taxable land of *Wasaya* instead of returning it to the State), and in addition to the humiliation which the Multazims were exposed to by preventing them, at least for a considerable time, the usefruct of the land, Muhammad Ali, in 1814, nullified the whole system of *Iltizam,* and the peasants started paying taxes directly to the State.

The policy which Muhammad Ali followed afterwards, that is to encourage individuals to cultivate waste land with the objective of having higher proceeds for the State's treasury turned to be insufficient to cope with the urgent financial needs of his administration. Therefore, another solution was sought in the still unmonopolized

for a specified period under assurances of safety, for trade or the exchange of benefits.

To promote amity between peoples could possibly end the war and open the door for an honourable and dignified peace.

If amity be consistent and uninterrupted, it will go side by side with mercy. The latter is more comprehensive, however, for amity exists between peoples while mercy prevails among peoples and in the battlefield as well. No wounded, captive or surrenderer is allowed to be murdered.

Of the aspects of equitable mercy and constant amity is to support the weak. Islam is a divine religion that lays down God's orders, and all divine religions have urged that protection of the weak against the strong, whether they be individuals, communities or states. God has said, "And we desired to show favour unto those who were oppressed in the earth, and to make them examples and to make them the inheritors." The Prophet has also said, "Keep me with those who are weak amongst you ; for you are supported and endowed with God's bounty only for the sake of those weak".

Islam aims not only at the defence of a weak state against a powerful one, but would also defend those peoples who have been harrassed by oppression and their prowess humbled by tyranny.

In his letters to Kings and Heads of State calling them to Islam, the Prophet stressed their obligations towards their subjects and that such obligations made it incumbent upon them to leave such subjects free to understand Islam and adopt it as a religion if they so wished out of their own free will. The Prophet's message to Hercules, King of the Greek, thus ran as follows, "If you embrace Islam, you will be unhurt otherwise you will bear the sin of the "Yarissis" meaning the growers, workers, and other powerless classes".

For this noble principle, Islam always made it a point to defend the freedom of the weak, particularly the freedom of creed, Muslims fought only to protect this freedom. They fought the infidels only because they tempted the Faithful out of their religion. Their war with the Greeks was only because they had killed those who had embraced Islam from among the people of Syria. Compare this principle and the attitude of present day countries ? (to be continued).

God in this verse has likened those leaders who would violate their covenants to a stupid woman who unravels threads into thin filaments after having made it strong. God also points out the impermissibility of deceit or treachery as a means of rendering a country more numerous or wealthy than others for any power derived through the violation of covenants is doomed to extinction.

The Prophet has defined the best of people to be those fulfulling their promises saying, "Shall I tell of the best people amongst you ... they are those who honour their promises". This was born out by the incident of the Hodaybieh peace treaty whereby the infidels covenanted not to fight the Prophet and keep on peaceful terms with him for ten years as aforesaid. Some Muslims told the Prophet that the infidels harboured treacherous intentions and prepared for his fight, whereupon the Prophet said, "Let aside their intentions ; we will invoke God's help against them".

AMITY :

The general human brotherhood whereby understanding was recommended by Islam as means of settling the differences of peoples both as races or tribes, should be joined to amity, action towards reform and the prevention of corruption even though peoples might differ in religion land and race. God has said, "Allah forbiddeth you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that ye should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers. Allah forbiddeth you only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out, that ye make friends of them. Whosoever maker the friends of them — (All) such are wrong-doers".

Consistent amity could not be interrupted by war nor by the difference in religion. It is related that at the time of Hodaybieh, the Prophet was informed that Quraish had been hit by famine. The Prophet promptly dispatched five hundred dinars to Abou Sofian, leader of the infidels, to buy wheat for the poor.

It could well happen during wars that relations were severed between the Muslim State and the warring country while bonds were maintained with the non-belligerent subjects of that country. They were thus allowed to reside in Muslim lands, and were not harmed in themselves or their properties. Those assumed in the definition of scholars are those persons who resided in Muslim lands

without excess except within the limits of such safeguards as would obviate repeated aggression. If aggression be injustice, its repelling will be only equitable.

This concept will not clash with the principle of tolerance and virtue for these should not be allowed to engender injustice for this would constitute indisputable corruption. Furthermore, Muslim virtue is far from being weak or submissive ; it is rather a positive and vigorous virtue that succumbs to no evil or evildoers, but towers over them all.

Justice is surely not the antithesis but the very reflection of mercy. Wherever justice prevails, mercy is there, but no mercy could exist side by side with injustice. Equal treatment would therefore, repel injustice more vigorously.

Reciprocal treatment is restricted by the exigencies of virtue as already stated. Should an enemy violate the sanctities of virtue, the army of virtue should not follow their unworthy example. The Holy Prophet's sayings have already been quoted in support of this.

On the other hand, reciprocal treatment should not exceed those fighting in the field of battle in the sense that an army of justice should not kill those who are not belligerent.

FULFILMENT OF PROMISES:

This is the ideal means of ensuring safety and basing understanding on solid foundations namely treaties of peace and non-aggression.

Such treaties derive their power not only from their terms but from the intention of their signatories to fulfil such terms. Islam has thus urged fulfilment of promises which it said, is power in itself while repudiations are aspects of weakness. God, the Almighty, has established that whoever amongst the Faithful who has convenanted has taken God surety for him. God has also ruled that the desire to extend the area of a state or its strength should serve as justification for treachery. The Quranic verse embracing all these meanings reads "Fulfill the covenant of Allah when you have covenanted, and break not your oaths after the asseveration of them, and after ye had made Allah surety over you. Lo ! Allah knoweth what ye do. And be not like unto her who unraveileth the thread, after she made it strong, to thin filaments, making your oaths a deceit between you because of a nation being more numerous than (another) nation. Allah only tieth you thereby, and He verily will explain to you on the Day of Resurrection that where-in ye differed".

Muslim treatment to foreigners has thus been based on virtue. The limits of virtue are not allowed to be exceeded whatever the enemies' flagrant behaviour.

JUSTICE :

Human relations as regulated by Islam, are based on equality no matter whether such relations be with loyal or hostile people. The Holy Quran has stressed justice to be more conducive to piety ; God having said," ... let not hatred of any people seduce you that you deal not justly, Do justice that is nearer to your duty," and "O Ye who believe ! Be ye staunch in justice, witnesses for Allah, even though it be against yourself..."

Equity in al its forms represents Islam's ideal system for God has said, "Lo ! Allah enjoineth justice and kindness, and giving to kinsfolk, and forbiddeth lewdness and abomination and wickedness. He exhorteth you in order that ye may take heed". Scholars refer to this verse as the most comprehensive of Islam's meanings, in the Holy Quran.

If every religion has a dominant feature, Islam's feature is justice It is the perfect criterion whereby relations between peoples in both peace and war times are determined. So while in peace time, good neighbourliness should be based on equality, the motive for war in wartime should also be justice. This is particularly so since all the human principles of tolerance and liberty, should be characterised by equality. Tolerance that engenders loss of rights cannot be deemed as tolerance or mercy ; it is rather injustice leading to the severest forms of cruelty. Forbearnce towards the unjust whether they be individuals or communities is injustice to those whom they had wronged, and denied legitmate rights.

Furthermore, the world will be a worthy place only when justice has become the basis of human relations in all their forms. No strong party would thus trangress on the weak, on rights be wasted on the strength of accomplished facts such as now recognised to be common logic. This so much so that international relations are now based on accumulated injustices.

Justice, moreover, is the criterion of human understanding as proclaimed in the Quranic verse on general understanding between races and peoples.

RECIPROCITY :

Equal treatment or reciprocity is an offshoot of equality ; the Prophet having recommended us to "Treat other people in the same manner in which we would wish them to treat us." By virtue of this equitable law a Muslim has to extend to whoever would transgress upon him, the same treatment

In relation to Muslims, a faithful should not submit to a non-Muslim state, nor should he follow non-Muslim banners for in such a case he will not be able to carry out the stipulations of his religion in dealings or punishments.

For non-Muslims, Islam has forbidden any transgression on their liberties, or their expulsion from their homes so long as they will not transgress on Muslims. Islam has also forbidden the fighting of non-Muslims unless they are the aggressors, as will be pointed out in connection with legitimate warfare.

Even in the case of fighting where aggression is expected of them, they should be given the choice between a covenant to be concluded with them, entry into Islam, or the fight. If they choose the covenant they must have it. If Islam be their choice, they will deemed as Muslims.

VIRTUE :

God, the Almighty, concluding the verse that emphasises understanding to be the ultimate aim of the peoples' dispersion as tribes and nations, said, "Lo ! the noblest of you in the sight of Allah, is the best in conduct".

Piety is the sum-total of all human virtues. Understanding should go side by side with virtue; the latter being required of individuals as much as it is incumbent on communities.

The Quran has urged adherence to piety, the embodiment of all the virtues in both peace and war times, with emphasis on holding to it in the latter eventuality ; God having said,"... And one who attacketh you, attack him in like manner as he attacked you. Observe your duty to Allah, and know that Allah is with those who ward off (evil)." The reason for this is that men would behave impulsively during wars and possibly commit acts, contrary to virtue, especially if the enemy profaned their sanctities.

Muslims should not follow the example of their enemies in transgressing upon virtues by distorting the dead, killing women and children, and profaning women's chastity.

It happened at the time of the Prophet that some Muslims, following the enemie's example, killed the children. The Prophet commenting on this act said, "I wonder how certain people should exceed proper limits by murdering children... Don't kill them ... Don't kill them, ...".

The Prophet also urged that no prisoners should be killed, saying "no one of you should molest his brother's own captive and kill him".

RULES OF INTERNATIONAL RELATIONS IN ISLAM—II

By

(LATE) SHEIKH MUHAMMAD ABU ZAHRA

Islam has defended all these elements by preventing imitation without proof, and urged that behaviour should be in conformity with belief. Islam has also protected the creed of those taking shelter with it, entering into coverout with Muslims or keeping on peaceful terms with them. It has also facilitated the performance by such people of their religious rites. Muslim scholars through their deductions from Quranic texts, the Prophet's tradions and the acts of the Prophet's companions, have laid the rule that "We have been ordered to leave people free to practise their creed." By this conception over which there is a consensus of viewpoints among scholars, the freedom of religious thought has been defended, and no non-Muslim was harmed but rather left free to perform his religious duties undisturbed.

In this context it is related that Omar ibn Al-Khattab on his visit to Jerusalem beheld a Jewish synagogue hidden from sight by dirt, with only its top visible. Omar went over to the buildling and with his own garment, removed some of the dirt. The Muslim army followed suit until all dirt has been lifted and the synagogue, thus cleared, was again fit for the Jews to celebrate their rites.

In this same blessed trip. Omar happened to be near a church at the time when the midday prayer was due to be said. Omar prayed outside the church. When asked whether prayers would be invalid if said insde, the free leader replied in the negative, but explained that he feared the Muslims might remove the church after his death or use it as a mosque if he prayed inside.

Muslim scholars in establishing the concept of freedom in such a free manner, drew on the clear idea that a man with a religion is better than anoher without one, for the former though erroneous, has a religious conscience.

Islam has ensured all the human freedoms, namely those of residence, speech, opinion and work. It has also guaranteed the freedom of self-determination. It is worthwhile to dwell a little on this last-mentioned freedom.

Regarding the relations between youth and other, Islam explains this relation in all its aspects : between relatives, between neighbours, and between others. In all these bonds there lies a strong basis of a social system that ensures the spread of human relationship, justice, tolerance and respect for both the individual and his property despite all differences of creeds, colour or country. This realises the ideal set by Islam for a good and honourable life.

Through the above mentioned two methods Islam laid the strongest base for the upbringing of the youth, who are good at heart, benevolent and truthful.

The Quranic Manners

« ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » • (الاسراء : ٣٧ — ٣٨)

It means : And walk not proudly on the earth for you cannot cleave the earth, neither shall you reach to the mountains in height. All this is evil in the sight of your Lord and abhorred.

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ••••» (لقمان : ١٨ — ١٩)

It means : And do not turn your face away from people in contempt ; nor walk haughtily on the earth ; surely Allah does not love any self — conceited, boaster. And be moderate in your walk, and lower your voice......

Piety is the safe-guarding of the soul from evil deeds by abandoning what is forbidden. The Quran contains many verses which clearly shows the effects of piety upon the individuals and groups, and urges the people by different ways to adhere to it. The piety provides a strong basis for victory in both this and the other world.

Sincerity means seeking God's favours through his work with the no hyprocrisy or self-pretence to please the people. The Prophet (Peace be upon him) says of sincerity : God tells that scincerity is part of my secret which I enclosed in the hearts of my favourite servants.

Faith is the strong foundation for the peaceful life. Belief in God alone is the light of life and it leads to the best ways : it guides the heart and prevents it from deviation. The hearts over-flowing with belief and depending on God are closed to the devil.

True and correct belief dominates strongly over the heart and orient man to the good. The Quran aims at directing people's minds to God's signs on earth and in the heavens. For, mentioning God's name with piety makes man remember his duty towards. God and towards himself.

One of the most important means suggested by the Quran to purify the youth's hearts and bind them to the worldy sights and to what God created at proofs of his power and glorious wisdom. This is one of the soundest means of guidance and education. The Quran draws the attention to these aspects of glorious nature as it says :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (فصلت : ٥٣) .

It means : "We shall show them Our portents on the horizons and within themselves until it will be manifest unto them it is the truth. Is it not enough that your Lord is witness over all things." (41 : 53).

The woships prescribed by God, prayers are at the top, have many psycological and social secrets and vital purposes that aim at the goodness of man and the upbringing of his heart.

The Quran refers to three aspects of obstacles that block the way to perfect conduct and lead the heart astray from the straight path:

The first obstacle is the diferent forms of heart-sins ; grudge, jealousy, hatred, cruelty, hypocrisy and lust. Sick hearts are blinded by the devil's temptations and suffer through the evils they incurred.

Regarding the will power it can be defined as the directive and protective power against looseness and deviation from the right Path. The Quran refers to genuine will-power as follows :

« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل » . (الأحقاف : ٣٥)

It means : "Then have patience even as the stout of heart among the messengers had patience" (46 : 35).

« وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (آل عمران : ١٨٦) .

It means : "But if you preservere patiently, and guard against evil, then that is of the steadfast heart of things" (3 : 186).

« واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » (لقمان : ١٧) .

It means : "And bear with patient constancy whatever may befall you. Lo ! that is of the steadfast heart of things" (31 : 7).

There also exist in the history of the prophets, their followers and the leaders of Islam wonderful examples of the strong will and staunch adherence to truth with patience and steadfastness.

The third power that raises youth to the examplary life is conscience or the sound heart. This is the inmate motive drive that directs to goodness and leads to correctness. The clear conscience or the sound heart is the light that guides man through his life and fills his soul with ease and contentment. Successful and reforming education of youth revolves on the axis of the conscience.

The Holy Quran refers to the sound heart and explains the positive means for its upbring and also to the hindrances that lie in its way. Referring to the sound heart the Quran says :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » (الشعراء : ٨٨ – ٨٩) .

It means : "The day on which neither wealth nor sons will avail. But he who came to God with a sound heart" (26 : 88-89).

The Prophet says : There is an organ in the human body which if sound the whole body will be sound; That is the heart.

Islam follows an effective plan in bringing up the youth according to the principles of good behaviour and honourable life. This plan goes through two methods. The first resorts to positive means to elevate the sane heart to the highest standards of goodness. The second deals with the obstacles that block the way to perfect conduct and prevent the heart from the straight path. The Quran refers to four main positive means which lead to upbringing of the youth according to the principles of righteousness and correctness. These means are piety, sincerity, belief and worship.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

SHA'BAN 1395	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1975

THE ISLAMIC ATTITUDE TOWARDS THE UPBRINGING OF THE YOUTH

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

In order to bring up the youth on exemplary lines Islam laid down the following two methods :

1 — To develop and reform the three natural powers laid by the Almighty God in the human being. These are mind, will-power and conscience.

2 — To regulate the relations between youth and others.

The three powers that God laid in man are the main weapons to raise youth to heights of virtue and to the ideals of noble life. They also are the basis for their improvement and the teaching of good conduct.

The human mind will be developed and reformed by the means of proper culture and education. Islam provides the youth with a kind of culture that has a strong influence upon the mind, developing character and arousing spritual consciousness in the hearts. By this kind of culture the man realises the greatness of the Creator of the universe and believes strongly that the Almighty God is the Possessor of everything. This belief leads him to seek help and guidance from Him alone.

The Qur'an draws the attention of the youth and their observation to the power of God in creating things and the worlds system. When they compare between this and whatever instructions they receive in physics natural science, botany and zoology, they may realize the power of God and His great creation.

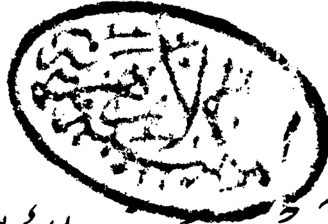
مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة السابعة والأربعون — رمضان سنة ١٣٩٥ هـ — أغسطس سنة ١٩٧٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان والقرآن .. وهذه الأمة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

في ليلة مباركة من ليالي رمضان أنزل القرآن الكريم أو بدأ نزوله على نبي أمي لم يكن يقرأ أو يكتب كما يقول الله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » فكان عجبا أن يقرأ الأمي وأن تكون معجزته كتابا لا تنقضي عجائبه، وأن يكون هذا الكتاب أكمل وأمثل كتاب سماوي ، وأن يبقى هذا الكتاب محفوظا في الصدور والسطور . ومعجزة للانس والجن لا يشوبه تحريف وتزييف، ولا تقوى قوة منفردة أو قوى مجتمعة على الأتيان بمثله أو بسورة من مثله . كما قال الله تعالى فيه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وكان عجبا أن يصنع هذا الكتاب من الأمة العربية « خير أمة أخرجت للناس » وأن يضع في يدها

قادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم وأن يبوئها مكانة الزعامة والامامة بين جميع الأمم والشعوب ، وأن يضىء بحضارتها لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى ، وكان ذلك كله هو التفسير الواقعى والتاريخى لقول الله : «هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ••

نعم كان ذلك ذلك بفضل الله ، فلا عجب مع الايمان بقدرته التى لا تعجز ورحمته التى لا تضيق ، وهو جل شأنه « يختص برحمته من يشأء » وقد اختص هذا النبى الأمى بما لم ينله نبى قبله • كما يفهم من قوله له : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، وقوله : «انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ، وقوله : « وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » •

وقد وصلت هذه الأمة بفضله وفضل القرآن الذى أنزل عليه الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، فتآلفت بعد اختلاف • وتجمعت بعد فرقة • وقويت بعد ضعف ، وتحررت من نفوذ الفرس والروم وهما القوتان العظميان اللتان كانتا تحكمان العالم • وتتنازعان السلطان عليه ، ثم مضت فى ظل لواء الاسلام تفتح البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتشرح صدور أبنائها بنور الكتاب وضياء السنة ، فانهما كما يقول الله فيهما : «وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم وكما يقول فيهما : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » ••

فليذكر المسلمون ماكانوا عليه وما صاروا اليه • وهم يستقبلون شهر رمضان ويزمعون صيام أيامه وقيام

لياليه ، يستبشرون خيرا بمقدمه ويمن هلاله ؛ كما كان يستقبله رسول الله ويقول : اللهم أهله علينا بالأمن والايمان . والسلامة والاسلام . والتوفيق لما تحب وترضى ، وليذكروا فى هذا الشهر ، أنهم دون غيرهم الذين قال الله فيهم : «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاةوآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

عبد الرحيم فوده

بيان
من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر
إلى العالم
عن إقدام إسرائيل على تهويد الحرم الإبراهيمى فى الخليل وانتهاك الأماكن المقدسة والاستهانة بالحرمات والديانات

أمر وزير الدفاع الاسرائيلى بتهويد الحرم الابراهيمى الشريف فى الخليل ، وتقسيمه بين المسلمين واليهود ، واحتلال الجزء الأكبر منه ، وجعله مكانا تقام فيه الحفلات وتشرب الخمور ، وتنفخ الأبواق ، ويحتفل فيه بالزواج والختان ، وأن يحال بين المسلمين وبين دخوله ، أو اظهار شعائرهم فيه ، والا هددوا باستعمال السلاح ضدهم ان هذا العمل يدنس طهارة المكان ، ويعتدى على قدسيته ، ويؤذى المسلمين ان لم يحل بينهم وبين أداء شعائرهم ، وهو انتهاك لحق الانسان فى أن تصان حرماته وانا لنسجل على اسرائيل — كما سجل عليها المجتمع العالمى من قبل — تدنيسها للمقدسات ، واستهانتها بالأديان والقيم الانسانية •

ونهيب بالمسلمين فى كل مكان ان لا يغفلوا لحظة عن واجبهم الدينى لتخليص بيت المقدس من يد الصهيونية ، وان يعملوا ما استطاعوا للحفاظ على قدسيته وعروبته وان لا ينسوا ما يتبع المسجد من المقدسات : مسجد الصخرة ، والمسجد الابراهيمى •

ان العدوان على أى جزء من هذه المقدسات عدوان على حرمة المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى ، وثالث الحرمين ، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ان الحرم الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى مقدس ، والاعتداء عليه اعتداء على حرمته وانتزاعه من يد المسلمين جريمة •

اننا نستنكر اعتداء اسرائيل على المقدسات الاسلامية ، وانتهاكها لحق الانسان فى العبادة ، ونستنكر استمرارها فى تغيير معالم القدس ، والاعتداء على آثارها الدينية والتاريخية والحضارية ، ونطالب الهيئات الدينية والانسانية فى العالم أن تمنع هذا العدوان الصارخ ، ونطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بصون القدس ومقدساتها ،كما نطالب أجهزة الأمم المتحدة أن تتخذ مايكفل وقف هذا العدوان الجديد وردع اسرائيل عن المضى فى هذه الجرائم .

والله عاقبة الأمور .

٣ من شعبان سنة ١٣٩٥ هـ ١٠ من أغسطس سنة ١٩٧٥ م

الامام الأكبر

شيخ الأزهر

دكتور عبد الحليم محمود

دراسات قرآنية :

فتنة سليمان عليه السلام

للأستاذ مصطفى الطير

« ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب »

البيـــان

مقـدمة :

سليمان عليه السلام ، نبى من أنبياء بنى اسرائيل ، وهو ابن داود عليهما السلام ، وكلاهما جمع الملك مع النبوة ، وشريعتهما تستند الى التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام،فهى كتاب الله الى بنى اسحق (اسرائيل) . كلفوا العمل به من عهد موسى الى عيسى عليهما السلام ، ولم ينسخها الا القرآن الكريم . أما الزبور الذى أتاه الله داود ، فقد كان كتاب أدعية وصلوات ، ويسميه أهل الكتاب – المزامير – وأما الانجيل فهو كتاب وعظ وارشاد وتذكير .

وبما أن سليمان نبى فيجب أن يتصف بما يتصف به أنبياء الله تعالى من الكمالات اللائقة بهم ، وأن يتنزه عن المعاصى ؛ فان النبى قدوة لأزمته، فلا يصح أن يختاره الله من أهل الخطايا ، فلابد أن تكون فتنة من نوع لا يقدح فى نبوته .

الروايات الفاسدة فى فتنته

كثرت الروايات والقصص الفاسدة عن فتنة سليمان ، وأخفها ما رواه الامامية عن أبى عبد الله أنه ولد لسليمان ابن ، فقال بعض الشياطين لبعض : ان عاش له ولد لم ننفك عما نحن فيه من البلاء والسخرة ، فتعالوا نقتله أو نخبله ، فعلم سليمان بذلك ، فأمر الريح فحمله الى السحاب مع مرضعة له من حيث لا يعلمون ، خوفا عليه من الشياطين ، قال القرطبى : فعاقبه الله على خوفه من الشياطين ، فلم يشعر الا وقد وقع الولد على كرسيه ميتا ، فهو الجسد الذى قال الله تعالى فيه : «وألقينا على كرسيه جسدا»قال الألوسى : وهذا الخبر غير صحيح ،

فان تسخير الريح بعد الفتنة ، ونحن نضيف الى ماقاله الألوسى أن الجن ما كانت تستطيع أن تتعرض لولده وهو على الأرض ، فقد كانوا «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » أما المتمردون منهم فقد كانوا مقرنين فى الأصفاد ، ولهذا فانه لما مات «مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته » واذا كان أمر الجن معه على هذا النحو ، فانه ما كان يخشاها على ولده حتى يرفعه الى السحاب ، فلهذا يتأكد فساد هذا الخبر •

ومن القصص الباطلة ماقيل من أنه احتجب ثلاثة أيام ، فأوحى الله اليه معاتبا على احتجابه وتركه النظر فى أمور عباده ، وانصافه المظلوم من الظالم ، وكان ملكه فى خاتمه ، وكان اذا دخل الحمام وضعه تحت فراشه ، فأخذه الشيطان وجلس على كرسيه ودانت له الأمة وأنكرت سليمان ، فساح أربعين يوما ، فأتى أهل سفينة فأعطوه حوتا ، فوجد فيه خاتمه فتختم به وأخذ بناصية الجنى ، وهو الجسد الذى القاه الله على كرسيه على هذا الرأى ، وقال سليمان مستغفرا مما حدث:«رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » • وسنبين وجه فساد هذه الرواية ، ومن القصص الفاسدة ماقيل من أنه غزا صيدون من الجزائر ، وقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وتزوجها ، وكانت دائمة البكاء على أبيها ، فأمر الشياطين فصنعوا لأبيها تمثالا ،فسجدت له هى وجواريها ، فأخبره بذلك اصف وزيره ، فكسر التمثال وضرب المرأةوخرج الىالفلاة باكيا متضرعا ، وكان اذا دخل الحمام أعطى خاتمه الى أم ولده وتسمى أمينة ، فدخل الحمام يوما وتركه معها ، فتمثل بصورته شيطان اسمه صخر ، وأخذ منها الخاتم وتختم به ، ولما جاء سليمان أنكرته وطردته رجلس الشيطان على كرسيه فنفذ حكمه فى كل شىء الا فى نسائه ، وهذا الشيطان هو الجسد الذى ألقاه الله على كرسيه عند اصحاب هذا القول

ولما حدث ذلك لسليمان عرف أن الخطيئة ركبته ، فظل يتكفف الناس أربعين يوما • عدد ما عبدت الصورة فى بيته ، فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر ، فابتلعته سمكة فوقعت فى يده ، فشق السمكة فوجد الخاتم بها ،

فتختم به وخر ساجدا لله ، وعاد اليه الملك — قال أصحاب هذه القصة : وخطيئة سليمان فيها غفلة عن حال أهله ، فقد كان عليه بعد أن امر بصنع التمثال لأبيها ، أن يرقب ما تفعله زوجته مع هذا التمثال فهى من قوم يعبدون الأوثان ، أما اتخاذ التماثيل فجائز فى شريعته ، والسجود له كان بغير علمه — الى غير ذلك من الروايات الفاسدة ، وفيها مايعف القلم عن ذكره •

هذه الروايات من وضع الزنادقة

قال أبو حيان : ان هذه المقالةمن وضع اليهود والزنادقة ، ولا ينبغى لعاقل أن يعتقد صحتها ، اذ لو تمثل الشيطان بصورة نبى حتى التبس أمره على الناس لم يوثق بارسال نبى — ثم قال : الله أكبر هذا بهتان عظيم •

وقد جاءت هذه القصة برواية عبد الرازق وابن المنذر ، منتهية الى كعب الأحبار ، ومعلوم أن كعبا كان يهوديا ، فهو يرويها عن كتب اليهود فهى أصل البلاء ، لأنها لا تتورع عن نسبة الموبقات الى الأنبياء •

ويستبعد جدا أن يربط الله ما أعطى لرسوله سليمان من الملك بذلك الخاتم ، ولو كان فى الخاتم هذا السر لذكره الله فى كتابه •

رأيان معقولان

يرى بعض المفسرين أن فتنة سليمان هى تقصيره فى عدم التعليق على مشيئة الله تعالى، استنادا الى حديث صحيح جاء فيهأن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة — وفى رواية أربعين امرأة — تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق ولد » وجاء فى الحديث : فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاءوا فرسانا» فمن هذا الحديث استنبطوا أن فتنة سليمان هى تركه التعليق على مشيئة الله ، وأن عقابه على ذلك كان عدم تحقيق ما كان يريده ، وأن تأتى واحدة منهن بنصف ولد ، وقد عبر عن شق الولد بأنه جسد ، ومعنى القائه على كرسيه أن القابلة ألقته عليه لينظر اليه :

وعدم قوله ان شاء الله فيه ترك الأولى ، وهو بالنسبة لمقامه يعتبر مخالفة يعاقب عليها بالابتلاء ،ويستحق

أن يستغفر الله تعالى من أجلها ،ولهذا قال : « رب أغفرلى » وهذا التأويل هو رأى الجمهورواستظهره الألوسى

ولأبى مسلم رأىغير هذا ، مناسب لنص القرآن الكريم ، وقد أقره عليه جماعة من المفسرين ، وخلاصته أن معنى « فتنا سليمان » أمرضناه مرضا شديدا ، حتى صار على كرسيه كأنه جسد بلا روح ، فلذا قال الله سبحانه فى شأن حالته الصحية:«وألقينا على كرسيه جسدا » وقد شاع قولهم فى الضعيف لحم على وضم ، وجسد بلا روح فالجسد الذىألقاه اللهعلى كرسى سليمان ، هو سليمان نفسه حين كان مريضا ، ومعنى قوله « ثم أناب » ثم عاد الى صحته ، فان الانابة تطلق على الرجوع مطلقا •

ولا شك أن هذا رأى خال من المآخذ الموجهة الى غيره ـ سوى ماقاله الجمهور ـ وثم للترتيب والتراخى ، وانما عطف بها على رأى الجمهور ، لأنه لم يعلم الداعى الى الانابة ، الابعد وقوع المخالفة بوقت طويل ، أما على رأى أبى مسلم فالعطف بها لأن عوده الى الصحة تراخى عن أول المرض •

الاستغفار وطلب الملك

بعد فتنة سليمان عليه السلام ، دعا ربه سبحانه طالبا منه أمرين (أحدهما) أن يغفر له فتنته ، (وثانيهما) أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده•

فأما طلبه الغفران فان كان عن زلة هى خلاف الأولى ـ كما قال الجمهور فيكون المقصود به طلب الصفح من الله استعطافا لتقصيره فى حقه تعالى ـ وان لم يصل التقصير الى حد الذنب ـ أما على رأى من فسر الفتنة باصابته بالمرض ، فالاستغفار من باب هضم النفس واتهامها بالتقصير مع الله مهما حسن العمل ، ولكى يجعله مقدمة لطلب الملك العظيم •

ومعنى قوله:«وهب لى ملكالاينبغى لأحد من بعدى » أنه ملك لا يليق لأحد غيره ولا يحصل له ، فقوله « من بعدى » بمعنى غيرى ، سواء أكان المغاير له فى عصره أم بعده ، كقوله تعالى : «فمن يهديه من بعد الله أى فمن يهديه غير الله سبحانه •

سؤال وجواب

ان قيل : كيف أقدم سليمان عليه السلام ـ وهو نبى ـ على طلب الدنيا

بهذه الصورة ، مع أن الله تعالى حث على الزهد فيها ، والاقبال على عمل الآخرة التى هى دار القرار .

فالجواب أنه طلبها ليؤدى حقوق الله فيها ، ويحمل عباده على طاعته ؛ وينشر العدل وينصف المظلوم ،ويعين الضعيف وذا الحاجة ، وبالجملة : ينفذ شريعة الله فيما ملكه الله عليه بين رغبته مع قدرته على ذلك ، وأى مانع من أن يطلب النبى ما هو قادر عليه ، مادام غرضه مصلحة الخلق والحصول على الثواب ، كما قال يوسف عليه السلام لعزيز مصر : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » فكأنه يقول : أعطنى من الملك ما لا يقدر عليه غيرى، لترانى فيه قواما على الحق والعدل ، وحاشاه أن يطلب ذلك لحظ نفسه : فانه كان يعمل الخوص بيده ويأكل خبز الشعير ويطعم بنى اسرائيل ويأكل خبز البر الخالص ـ كما رواه الامام أحمد فى الزهد .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما رفع سليمان طرفه الى السماء تخشعا حيث أعطاه الله ما أعطاه » .

وقال الجبائى : ان طلبه الملك كان باذن من الله على الصفة التى طلبها ، بأن أعلمه الله أن لا يضبطه سواه ، وأنه ان سأله كان أصلح له فى الدين، فان الأنبياء لا يطلبون الا ما يؤذن لهم فى طلبه .

وقال الزمخشرى : انه كان ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما ، فطلب من ربه معجزة على حسب الفه، وهى ملك زائد على الممالك زيادة خارقة للعادة ، ليبلغ حد الاعجاز ، فيكون دليلا على نبوته، قاهرا للمبعوث اليهم ، وكان زمنه زمن الجبارين المتافخرين بالملك ، ومعلوم أن معجزة كل نبئ من جنس ما اشتهر فى عصره ـ وقيل غير ذلك :

والرأى عندى هو الأول لخلوه عن التكلف والاعتراضات .

تسخير الريح لسليمان

يقول الله تعالى : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب» ومعنى كونها رخاء أنها لينة غير عاصفة ، وجاء فى وصفها أيضا قوله تعالى: «ولسليمان الريح عاصفة » وذلك لأنها تكون حسب الحاجة ، فان احتاج اليها لينة جاءت لينة ، وان احتاج اليها عاصفة

جاءت عاصفة ، ويصح أن يكون المراد من كونها رخاء أنها منقادة له مع كونها عاصفة، فقد شاع استعمال اللين فى الطاعة ، وكانت الريح تحمله فى أسفاره ، وكانت كما وصفها الله تعالى: « غدوها شهر ورواحها شهر » أى أنها فى صباح اليوم ومسائه تقطع مرحلة لا تقطع الا فى شهرين على الدواب ، ومعنى حيث أصاب حيث قصد .

تسخير الشياطين له

ويقول سبحانه فى تسخير الشياطين له « والشياطين كل بناء وغواص : وآخرين مقرنين فى الأصفاد » وكان البناءون منهم « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» والمحاريب تطلق على الغرف المرتفعة كما تطلق على المساجد وعلى الفجوات التى يكون فيها الأئمة والمراد بها هنا : اما القصور ، واما المساجد ، والجفان جمع جفنه وهى القصعة ، والجواب جمع جابية وهى الحوض العظيم ؛ والقدور آنية الطبخ وكانت لعظمها ثابتة فى أماكن الطبخ، وكان الغواصون منهم يأتونه بعجائب البحار وجواهرها .

أما المقرنون فى الأصفاد فهم مردة الشياطين ، قرن بعضهم ببعض بالقيود ليكف شرهم عن غيرهم .

سؤال وجواب

ان قيل ان الجن أجسام نارية شفافة ، فكيف يمكن تقرينها فى الأصفاد ؟ فالجواب أن المراد بتقرينهم بالأصفاد منعهم عن ايصال الشر الى غيرهم بما يشبه الأصفاد بالنسبة الى البشر ، فحيث كانت أجسادهم سيالة أى قابلة للانتشار كالأثير مثلا – يمكن حبسها فى محابس كما يحبس الغاز والهواء فى الأنابيب ، فيكون المولى سبحانه ، أقدر من سليمان على أن يصنع بهم ذلك .

أما القول بأن أجسامهم مع لطافتها صلبة كالزجاج مثلا، فيمكن تصفيدهم بالأغلال فغير مقبول لتحقق نفوذهم فيما لا ينفذ منه الشيء الصلب ، كدخولهم الحجرة المغلقة النوافذ .

وقيل ان الأقرب أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ما يكف به شرهم كما يكف الشريرون بالأصفاد ، وليس

هناك أصفاد ولا تقرين على الحقيقة ، فالمعنى على التمثيل لا على الحقيقة ، وهو قريب من الوجه السابق مآلا .

وأجاز بعضهم أن يكون المعنى أنهم مأسورون بعطائه ومحبوسون بكرمه ، فقد يطلق الصفد على العطاء ، لأنه يرتبط به المنعم عليه ، ومنه قول الامام على : من برك فقد أسرك ، ومن جفاك فقد أطلقك ، وفرقوا بين فعليهما فقالوا : صفده أى قيده ، وأصفده أى أعطاه ؛ والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الطير

صدقات الفقراء

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه: ان ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ ان لكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها صدقة ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر ، أخرجه مسلم وأخرج البخارى فى معناه عن أبى هريرة فى باب الذكر بعد الصلاة .

أهل الدثور : الدثور : جمع دثر وهو المال الكثير والمراد به الأغنياء :

وفضول الأموال ما يفضل منها عن حاجة الشخص شأن المسلم أن يكون حريصا على أن يستكثر من العمل الصالح ليستكثر من الثواب سواء فى ذلك الغنى والفقير ، الا أن فرص الاستكثار من الثواب لدى الأغنياء الصالحين أوفى منها عند الفقراء المعوزين ، فالأغنياء الصالحون يصلون ويصومون كما يصلى الفقراء ويصومون ويزيد الأغنياء أن لهم أموالا تزيد عن حاجتهم فيتصدقون بها ، ولاشك أن ثواب الصدقة عظيم ، وأجرها وفير يتضاعف فيها الثواب مالا يتضاعف فى غيرها وفى ذلك يقول الله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) . وقد لفت ذلك أنظار بعض أصحاب رسول الله الفقراء فذهبوا اليه يبسطون حالهم وحرمانهم مما يسبق به الأغنياء لعله يجد فيما

اصطفاه الله من علم عوضا عما امتاز به الأغنياء من كثرة الثواب ويشكون غيرتهم من ذلك لا غيرتهم مما فاتهم من المتاع بالمال والتوسع فى العيش والرقة فى الحياة ، وقالو له : ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، ومعنى ذلك أنهم أكثر منا ثوابا ، فأرشدهم الى ما يعوضهم عن الثواب وبين لهم أن سبيلهم اليه سهل ميسور ففى التسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عوض وثواب كبير وباستطاعتهم أن يقوموا به فالتسبيح محبوب الى الله ويجب أن يتقرب به عباده اليه لأنه برهان على اخلاص العبودية له وتنزيه عما لا يليق به ولا يرضاه ولذا أمر به فى عشرات من آيات القرآن الكريم ، وفى جميع الأوقات والأحوال • فقال تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى» •وقال: «فسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن الليل فسبحه وادبار النجوم » •

كما أرشدهم الى أن الأمر بالمعروف صدقة والنهى عن المنكر صدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من حيث هو عمل باللسان سهل على الانسان الا أنه مر المذاق سيما اذا تصدى له الفقير ومن لا مال له ولا جاه فقد يجابه بالصد ، ويزجر بالرد ويجازى بالسخرية والاستهزاء وربما تجاوز الأمر ذلك لأن الناس جبلوا على أن يصيخوا للغنى ولو قال هذر ويشيحوا عن الفقير ولو نطق درا ويعجبنى ما قاله عروة بن الورد عن جبلة الناس ومواقفهم من الفقير :

يباعده الندى وتزدريه
حليلته وينهره الفقير

وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل عيبه والعيب جم
ولكن الغنى رب غفور

فالأمر بالمعروف سيما من الفقير مركب صعب يحتمل القائم به فى سبيله العناء والشقاء جدير بماوعد به من الثواب ، لهذا ولحسن أثره فى اصلاح الجماعات وتقويم الانحرافات اذ هو نوع من الرقابة الاجتماعية الواعية أوجبه الله تعالى على المسلمين تضامنا فى المسئولية حيث قال سبحانه : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » •

وقد يعين القائم بهذه الرسالة على نجاح رسالته أن يكون قدوة فى سلوكه لتكون دعوته أنفذ ووعظه أجدى وأنفع كما يعينه أن يصطنع الرفق فى دعوته ، فان الدعوة بالاسلوب الخشن ربما أنتجت عكس مايراد منها وربما دعت الى التمادى فى الخطأ تحديا ومكايدة، والمنحرف فى الغالب مسوق بسلطان شهواته وعواطفه فهو فى حاجة الى الرفق والملاينة ، ومما أرشدهم النبى اليه من الأعمال ليستكثروا من الثواب أن يقوموا بواجباتهم الزوجية لأن فى ذلك اعفافا للزوج وصرفا عن الحرام فلا يتطلع الى حرمات الناس فالمرء مادام يطفىء نار شهوته فى أهله تخمد غريزته وتهدأ عاطفته كما أن فى ذلك اعفافا للزوجة والهاء لها عن تطلعاتها ورغباتها فى الغرباء ، وكما يكون أثر اشباع شهوة الرجل بامرأته يكون أثر اشباع شهوة المرأة بزوجها وماجاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «من وقع بصره على امرأة فتاقت نفسه اليها فليأت أهله» وقد استغرب أصحاب الرسول أن يكون فى ملامسة الرجل أهله ثواب لأن فى ذلك قضاء شهوة وتحصيل لذة وتحقيق رغبة وليس فيها فى نظرهم شىء من العمل الشاق والعبادة المتعبة التى تستحق الثواب فدفع استغرابهم ذلك وقال لهم : لو قضى الرجل شهوته فى حرام آخذه الله بما عمل فلماذا لا يثيبه الله اذا قضاها فى حلال وأقنعهم بهذا المنطق الذى لا يقبل جدالا .

بهذا الحوار كما ورد فى الحديث شفى رسول الله صدور أصحابه مما كانوا يجدونه من الضيق على قلة ثوابهم ومن الغيرة من الأغنياء على ما آتاهم الله من فضول الأموال التى كانوا ينفقونها فى سبيل الخير فيكثر ثوابهم وأعلمهم ان الله لم يقصر أبواب الفضل على الأغنياء بل جعل فيها سعة للفقراء ، وجعل لهم من الأعمال المتيسرة لهم ما يلحقهم بالأغنياء وهكذا وسع فضل الله عباده جميعا والله ذو الفضل العظيم .

ونحن اذ نختم هذه الكلمة بما ذكره العلامة الكرمانى عن سؤال قد يرد على خاطر قارىء الحديث وجواب الكرمانى عليه حيث قال : كيف يعدل قول هذه الكلمات - يعنى التسبيح والتهليل الى آخره - مع سهولتها وعدم مشقتها الأمور الشاقة الصعبة من الجهاد ونحوه وأفضل العبادات

أحمزها ـ امتنها وأشقها ـ قلت : أداء هذه الكلمات حقهامن الاخلاص سيما الحمد فى حال الفقر من أفضل الأعمال وأشقها ، ثم ان الثواب ليس بلازم أن يكون على قدر المشقة ألا ترى فى التلفظ بكلمة الشهادة من الثواب ما ليس فى كثير من العبادات الشاقة وكذا الكلمة المتضمنة لتمهيد قاعدة خير عام ونحوها ـ قال العلماء : ان ادراك صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة خير وفضيلة لايوازيها عمل ولا تنال درجتها بشىء ثم ان كانت نيتهم لو كانوا أغنياء لعملوا مثل عملهم وزيادة . ونية المؤمن خير من عمله ، فلهم ثواب هذه النية وهذه الاذكار .

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ،واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)

رواه البخارى

راوى الحديث :

سبق التعريف به فى عدد ربيع الآخر من عام **١٣٩٥** هـ

اللغــة :

(الدين يسر) أل فى الدين للعهد وهو دين الاسلام ، واليسر نقيض العسر ، ومعناه التخفيف والسهولة ، ويقال : تسير الأمر بتيسير يسرا من باب تعب ، **ويسر ييسر يسرا من باب** قرب فهو يسير أى سهل ، ومعنى أن الدين يسر،أن الاسلام بالنسبة لسائر الأديان تتمثل فى تـكاليفه السـهولة والتخفيف ، فان الله تعالى رفـع عن هذه الأمة التكاليف الشاقة التىكانت على من قبلهم من الأمم .

(ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) المشادة هى المغالبة ، يقال:شاده مشادة اذا غلبه وقاواه ،وأصل لن يشاد ،لن يشـادد أدغمـت الـدال الأولى فى الثانية ، ومثل هذه الصيغة يشترك فيها بناء الفاعل والمفعول ، فيقال فى اسم الفاعل ، مشاد ، وكذلك يقال فى اسم المفعول ، والفارق هوالقرينة ــ ومعنى **(غلبه) قوى عليه ؛ يقال : غلبه يغلبه** من باب ضرب غـلبا ــ بفـتح الغـين وسكون اللام ، وغلبا بتحريكها بالفتح وغلبه بالحاق الهاء والمراد من قوله : **(ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) أنه لا يتعمق شخص فى الدين ، فيترك الرفق الا غلب الدين عليه ؛ وعجز** ذلك المتعمق ، وانقطع عن **عمله كله** أو بعضه ،

(فسددوا) السداد بفتح السين ، الصواب من القول والفعل ، وأسد الرجل جاء بالسداد ، وسد يسند من باب جلس سدودا فهو سديد ومسدد اذا أصاب فى قوله وفعله - ومعنى : سددوا - الزموا السداد أى الصواب فى القول والعمل من غير تفريط ولا افراط •

(وقاربوا) لا تبلغوا النهاية ، بل تقربوا منها ، ويقال : رجل مقارب - بكسر الراء أى وسط بين الطرفين ، والمراد من طلب المقاربة عدم الغلو فى العمل •

(وأبشروا) يقال : بشرته بكذا ، وبشرته ، وأبشرته - أخبرته بما يسره - وسمى الاخبار بما يسر بشارة ، لأنه يظهر أثره على البشرة ؛ - ومعنى : أبشروا - افرحوا بما أعد لكم من ثواب على عملكم وان قل •

(واستعينوا) الهمزة والسين والتاء تفيد الطلب والمراد طلب العون •

(بالغدوة والروحة (الغدوة بضم الغين ، وقيل بفتحها ؛ ويقال : غدا غدوا من باب قعد ، ذهب غدوة ، وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، وجمع الغدوة غدى ؛ مثل مدية ومدى •

والروحة من الزوال الى الليل ، يقال : رحنا رواحا وتروحنا - سرنا فى ذلك الوقت •

(الدلجة) بضم الدال واسكان اللام ، كذا الرواية ، يقال : أدلج القوم ، ساروا الليلة كلها ، وهى الدلجة ، بفتح الدال وادلجوا بتشديد الدال ، ساروا فى آخر الليلة ، وهى الدلجة بالضم ، - والسر فى طلب الاستعانة بهذه الأوقات أنها منشطة للعمل ، وتعين عليه •

البيــان :

من نظر الى الاسلام نظرة فاحصة أيقن أنه دين اليسر والسماحة ، وأن تعاليمه قامت على مبدأ رفع الحرج والمشقة ورعاية المكلفين ، والترفق بهم ، فليس فيها ما تضيق به النفوس الزاكية ، أو تحس منه عتبا وارهاقا قال تعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١)

---

(١) سورة البقرة بعض آية ١٨٥

ومن مظاهر هذا اليسر تلبية طبيعة الانسان باباحة الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا والطيب من الرزق على وجه معتدل لا افراط فيه ولا تفريط ، كما قال سبحانه : «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١) .

ومن كان مريضا يضره الصوم،أو على سفر ، أفطر وقضى بعدد ما أفطر من الأيام من غير أن يشترط التتابع فى القضاء كما قال جلت حكمته ـ « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر (٢) .

ومن تعذر عليه استعمال الماء للوضوء أو الغسل تيمم وصلى : قال تعالى:«يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برء وسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط(٣) أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج وليكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٤) ويكون أداء الصلاة على قدر ما منح الشخص من وسع وقوة .

فمن عجز عن الصلاة قائما صلى قاعدا يركع ويسجد ، وان عجز عن القعود صلى بايماء على جنبه ، أو مستلقيا على ظهره .

عن عمران بن حصين قال : كانت بى بواسير ، فسألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ، فقال : (صل قائما ، فان لم تستطع فقاعدا ، فان لم تستطع فعلى جنبك) رواه الجماعة الا مسلما .

---

(١) سورة الأعراف اية ٣٢

(٢) سورة البقرة آية ١٨٣ ، ١٨٤

(٣) أصل الغائط المكان المنخض من الأرض ـ والمراد بقوله : « جاء أحد منكم من الغائط » أحدثتم حدثا أصغر بانزال البول أو البراز مثلا ،

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦

وزاد النسائى : (فان لم تستطع فمستلقيا لايكلف الله نفساالا وسعها) وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يصلى المريض قائما ان استطاع ، فان لم يستطع صلى قاعدا ، فان لم يستطع أن يسجد أومأ برأسه (١) ، وجعل سجوده أخفض من ركوعه ، فان لم يستطع أن يصلى قاعدا صلى على جنبه الأيمن مستقبل القبلة ، فان لم يستطع أن يصلى على جنبه الأيمن صلى مستلقيا رجلاه مما يلى القبلة) رواه الدار قطنى .

وهكذا لو تتبعت أحكام الشريعة الاسلاميةوجدت مظاهر اليسر جلية واضحة ، ووجدت أن جميع التكاليف قد روعى فيها التخفيف على العباد .

وحسبنا شاهدا على هذا قولهتعالى: « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (٢) وقوله : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج»(٣) - وقوله صلى الله عليه وسلم : (بعثت بالحنيفية السمحة) (٤) وما صح عنه عليه الصلاة والسلام من أنه: (ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما (٥) .

وقد فرضت على الذين كانوا قبلنا تشريعات شاقة : كعدم جواز الصلاة فى غير المسجد ، وعدم الطهارة بالتراب ، وقطع الثوب الذى تصيبه النجاسة وقبول التوبة بقتل أنفسهم ، ونحو ذلك .

لكن الله تعالى رحم هذه الأمة المحمدية ، فرفع عنها تلك التشريعات، وكان هذا استجابة للدعاء فى قوله سبحانه - : « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما جملته على الذين من قبلنا » (٦) .

---

(١) أى أشار بها وخفضها الى أسفل فى حالة الركوع والسجود .
(٢) سورة النساء آية رقم ٢٨ (٣) سورة الحج آية رقم ٧٨
(٤) رواه الخطيب عن جابر رضى الله عنه ، (٥) رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، (٦) سورة البقرة آية ٢٨٦

ومن أجل ما اشتمل عليه الاسلام من يسر وتخفيف ، قال جلت نعمته ـ في وصف رسوله الكريم ، وبيان فضل المؤمنين به والمتمسكين بهديه القويم : « ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) •

(يتبع) منشاوى عثمان عبود

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

حماية الإسلام للأعراض

للدكتور محمد جمال الدين عواد

لقد شمل الاسلام الأعراض بأقوى حماية يمكن أن يختص بها حق من حقوق الانسان وتبدو حماية هذه أوضح ما يكون فى العقوبات القضائية الشديدة التى يوقعها فى حالات الزنا وهتك العرض والقذف كما تبدو فى تحريمه الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وما الى ذلك من كل مايمس عرض الانسان وكرامته وفى تحقيره لمقترفى هذه الآثام وتوعده اياهم بأشد عذاب يوم القيامة .

فلم تكتف الشريعة الاسلامية بتقرير عقوبة الاعدام فى الزنا الذى يرتكبه شخص متزوج بل أوجبت تنفيذ هذه العقوبة فى أعنف صورها وأشدها تعذيبا للجانى وذلك بأن يرجم بالحجارة حتى يموت كما رجم النبى صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك ورجم الغامدية ـ فقد روى الامام (أحمد : أن ماعزا جاء فأقر عند النبى صلى الله عليه وسلم أربع مرات فأمر برجمه ، وعن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة هى المعروفة بالغامدية أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنى فقالت يانبى الله أصبت حدا فأقمه على . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها ففعل فأمر بها فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر أتصلى عليها يارسول الله وقد زنت ؟ قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى :

وتأسيا بهذا الهدى الكريم قال صاحب البدائع فى بدائعه : أن المحصن متى توفرت عليه الموانع من الزنا وأقدم عليه صار زناه غاية فى القبح فيجازى بما هو غاية فى العقوبات

الدنيوية وهو الرجم لأن الجزاء على قدر الجناية ، واذا كان مقترف هذا الأثم غير متزوج فان عقوبته فى الاسلام أن يجلد مائة على ملأ من الناس : قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » • ولكن ذهب جمهور الفقهاء الى اضافة عقوبة أخرى الى هذه العقوبة وهى نفى المجرم عاما كاملا بعد الجلد مستدلين على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم:«البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام » كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه جلد وغرب وكذلك روى عن على رضى الله أنه فعل ذلك ولم ينكر عليهما أحد من الصحابة فيكون اجماعا وفى هذا المعنى قال صاحب المغنى : وان الجمع بين الجلد والتغريب يدل على أنه كان مشهورا عندهم من حكم الله تعالى وقضاء رسول الله عليه وسلم الا أننا نرى أن يكون التغريب بالنسبة للرجل فقط لا للمرأة كما هو رأى الامامين مالك والأوزاعى : لأنها عورة وتغريبها يؤدى الى زيادة فسادها لا الى علاجها وان ذلك لكلام مستقيم وتخريج لقول من رأى مثل ماترى : فيقوم مقام التغريب الامساك فى البيوت فانه أصون لهن غير أنه ليس له وقت معلوم •

ـ وفى القذف تقرر الشريعة أن من قذف رجلا محصنا فى عرضه ـ أو امرأة محصنة فى عرضها بأن اتهم أحدهم بالزنا وعجز عن اقامة الدليل القاطع على ما يقول : والدليل القاطع الذى يتطلبه الاسلام فى هذا الصدد يتعذر الاتيان به لأنه لايتحقق الا اذا أتى القاذف بأربعة شهود عدول يشهدون بأنهم رأوا الفعل بأعينهم وفى صورة لاتحتمل الشك فان لم يكن كذلك فتوقع عليه عقوبتان مهينتان احداهما ـ عقوبة موقونة تناله فى جسمه وهى أن يجلد ثمانين جلدة،وثانيهما ـ عقوبة تناله فى مكانته وكرامته والثقة به وهى أن يعتبر ساقط الشهادة أى لاتقبل منه شهادة فى أمر ما مدة حياته الا اذا تاب توبة نصوحا لأن التوبة تجب ما قبلها : والدليل على هذا قوله تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة

ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون• الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » واذا وقع قذف بسبب غير الزنى كنهب وغصب واختلاس وغير ذلك من المحرمات التي لاحد فيها ولا كفارة عذر الحاكم القاذف بعقوبة تعزيزية وجوبا تتفاوت شدتها حسب اختلاف القاذفين بما يكفى لردعهم وزجرهم حتى لا يعودوا الى ذلك مرة أخرى لأن المعصية تفتقر الى ما يمنع من فعلها وفى الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب وما شاكل ذلك من كل ما يخدش كرامة الانسان أو ما يمس عرضه : يحرم الاسلام كل ذلك ويحقر مقترف هذه الآثام ــ ويتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » • وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » وقال: «ويل لكل همزة لمزة » والهمز : الكسر ، واللمز : الطعن وقد شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم والهمزة واللمزة ــ المكثر من الهمز وتناول أعراض الناس والمعتاد لهذه الآثام وقال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين• هماز مشاء بنميم• مناع للخير معتد أثيم » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : « ذكرك أخاك بما يكره قال أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته » وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » أخرجه مسلم : وللترمذى من حديث بن مسعود رفعه « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء » : وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه قال: «لا يدخل الجنة قتات » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم

القيامة » أخرجه مسلم وهكذا حمى الاسلام الأعراض بمحاربة الدوافع النفسية الداعية الى الجريمة ونهى عن ارتكابها فاذا فكر شخص فى أن يرتكب جريمة أو يقذف آخر ليؤلم نفسه أو يحقر شخصه ذكر العقوبة التى تؤلم النفس والبدن والغضب واللعنة والعذاب الأليم من الله وذكر التحقير الذى تفرضه عليه الجماعة فصرفه ذلك عن الجريمة فان تغلبت عليه العوامل الداعية الى الجريمةمرة أخرى على العوامل • الصارفة عنها فارتكب الجريمةكان فيما يصيب بدنه ونفسه من ألم العقوبة وفيما يلحق شخصه من تحقير الجماعة ما يصرفه نهائيا عن العود لارتكابها بل يصرفه نهائيا عن التفكير فيها •

والله سبحانه أعلم

د. محمد جمال الدين على عواد

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

ويذهب صاحب الكتاب المشبوه فى اللحاج والمماحكة مذهبا لايبالى بأى حديث وقع بصره عليه من الصحيح ، هذا البصر الذى يحتاج الى علاج من القاع حتى تصح الرؤية ، فلا يرى النهار الباقع ليلا بهيما تتراءى له فيه أشباح أوهامه وأطياف وساوسه وخبائثه فيخالها حقائق ماثلة وأصولا راسخة قال المسكين : (الحديث رقم ٣ فى القول بأن النساء ناقصات عقل ودين وأنهن أكثر أهل النار) ثم يقول بين قوسين (البخارى مجلد ١ ص ١٤ كتاب ١) .

ولتحليل هذه العبارة نحتاج الى وقفة يسيرة . فقوله البخارى مجلد ١ هذا صحيح وقوله ص ١٤ أيضا ينطبق على النسخة الاستامبولية التى دون على هامشها روايات البخارى كلها وهى طبعة صورت فى مصر وآخر من صورها دار الشعب حيث أخرجتها فى أعداد تشبه المجلات ويبدو أن صاحبنا هذا اشترى هذه الأعداد من اخراج كتاب الشعب وجعله هكذا صبرة بغير عناية ولارعاية ولم يكلف خاطره أن يجلد هذه النسخة والدليل على ذلك قوله كتاب يعنى العدد الأول الذى ظهر من صحيح البخارى فى كتاب الشعب . واذا تتبعت جميع الأحاديث التى نقلها تجده يذكر رقم العدد على أنه كتاب . وهذا جهل فاضح بتقسيم الجامع الصحيح ومعرفة اسم الكتاب فى اصطلاح البخارى .

فالكتاب عند البخارى هو طائفة من الأحاديث التى تجتمع على أصل من أصول الاسلام ويندرج تحت الكتاب أبواب فالكتاب الأول فى صحيح البخارى هو كتاب الايمان . أما ماسبقه من بدء الوحى فانه فى بعض النسخ يجعله بابا وفى بعض النسخ لايسميه بابا فيقول:

كيف كان بدء الوحى وبعد كتاب الايمان كتاب العلم ثم تتابع الكتب ، ولا صلة لها بما يسميه هذا كتابا ويعنى به العدد الذى يباع بقروش فى أيدى باعة الصحف والجرائد .

وهى ان دلت على شىء فانما تدل على جهل بطبيعة الكتاب وملامحه الظاهرة فضلا عما قلنا من عدم العناية به وتجليده ثم يقول ما يدل على الجهل حتى بالطريقة التى يقرأ بها البخارى ككتاب تعاظم الدهر شأنه وتكاثر الدنيا عظمته وجلالته قال :

«وينسب الى أبى سعيد الخدرى قال خرج رسول الله «ص» فى أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يارسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، مارأيت من ناقصات عقل ودين وأذهب للب الرجل الحازم من احداكن . قلن ومانقصان ديننا وعقلنا يارسول الله قال : اليس اذا حاضت احداكن لم تصل ولم تصم ؟ قلن بلى يارسول الله قال فذلكن من نقصان دينكن ، وفى رواية أخرى أنه علل نقصان الدين بأن شهادتها بنصف شهادة الرجل» انتهى بنصه وفصه من الكتاب المشبوه ونقول :

١ - هذا الحديث ليس الذى فى صفحة ١٤ وليس الذى فى صفحة ١٤ عن أبى سعيد وانما الذى فى صفحة ١٤ قول الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه هكذا (باب) كفران العشير وكفر دون كفر وفيه عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (حدثنا) عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم أريت النار فاذا أكثر أهلها النساء يكفرن قيل : أيكفرن بالله ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت مارأيت منك خيرا قط) .

٢ - يلاحظ القارىء ان الحديث هنا مروى عن ابن عباس وليس عن أبى سعيد ، وانما فى ترجمة الباب اشارة الى شاهد أو متابع أو معنى جزئى أو كلى ورد فى هذا الباب عن أبى سعيد وليس هو بطبيعة الحال الحديث الذى ساقه البخارى فلنبحث اذن عن حديث أبى سعيد الخدرى فى

أى باب نجده من صحيح البخارى والى أن نجده ننبه الى هذا العبث الخطير الذى يقوم به هؤلاء المقبوحون بتحريف الكلم عن مواضعه والتقول على البخارى فى صفحة ١٤ مالم يقله ومن ثم فقد كذبوا على البخارى، ونسبوه الى أبى سعيد وليس هو مرويا عن أبى سعيد وانما المروى فى صفحة ١٤ حديث آخر بمعانى أخر عن ابن عباس ومن ثم فقد كذبوا على أبى سعيد •

٣ ـ ولنأت على ما قاله شراح الحديث فى كتبهم المعتبرة من تراثنا التليد قال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرحة على البخارى كما أفاده ابن عباس ومن ثم فقد كذبوا على أبى حجر فى الفتح :

مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى ايمانا كذلك المعاصى تسمى كفرا لكن حيث يطلق عليها الكفر لايراد به الكفر المخرج من الملة ، قال وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة وهى قوله صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله ، فاذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلا على تهاونها بحق الله فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الله ويؤخذ من كلامه مناسبة هذه الترجمة لأمور الايمان وذلك من جهة كون الكفر ضد الايمان •

وأما قول المصنف : وكفر دون كفر فأشار الى أثر رواه أحمد فى كتاب الايمان من طريق عطاء بن أبى رباح وغيره وقوله : فيه أبو سعيد • أى يدخل فى الباب حديث رواه أبو سعيد وفى رواية كريمة فيه عن أبى سعيد أى مروى عن أبى سعيد وفائدة هذه الاشارة الى أن للحديث طريقا غير الطريق المساقة ، وحديث أبى سعيد أخرجه المؤلف فى الحيض وغيره من طريق عياض بن عبد الله عنه وفيه « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أضحى أو فطر الى المصلى فمر على النساء فقال : يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن : وبم يارسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن ، قلن :

وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى قال : فذلك نقصان دينها » .

٤ - بمراجعة النص الوارد عن أبى سعيد الخدرى نجده فى صفحة ٨٣ لا فى صفحة ١٤ وأنت ترى أن النص الذى أورده صاحب الكتاب المشبوه قد علمت يد العبث والتحريف عملها فيه ، وهو خلق أصيل مركوز فى الطباع اليهودية ومن ثم فان هؤلاء المتباكين على الشريعة الاسلامية من اندساس الاسرائيليات فيها قد اكتسبوا منهجهم واستفادوا طريقتهم من الأخلاق الاسرائيلية ، وتلكم هى العظائم التى ينبغى أن يفطن المسلمون لها ، وأن يعلنوا أهلها بضلالهم ، وها نحن أولاء فاعلون تبرئة للذمة وقياما بالواجب الكفائى . نسأله تبارك وتعالى أن يجعل فضح هؤلاء المنافقين، ودحر هؤلاء الدجالين والمحرفين والمنحرفين ، فى ميزان أعمالنا الصالحة يوم الدين .

نعم عمل فى النص الشريف تمزيقا وحذفا معتمدا على تضليل القارىء بارشاده الى صفحة ليست هى مظنة النص ، ومحل الايراد ليزيد القارىء بلبلة فيعمد الى التسليم له على باطله نشدانا لتوفير الوقت وراحة البال وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ويحتمل أن يريد بذلك حديث أبى سعيد أيضا « لايشكر الله من لايشكر الناس » قال القاضى أبو بكر المذكور والأول أظهر وأجرى على مألوف المصنف ويعضده ايراده لحديث ابن عباس بلفظ وتكفرن العشير والعشير الزوج قيل له عشير بمعنى معاشر مثل أكيل بمعنى مؤاكل ، وحديث ابن عباس طرف من حديث طويل أورده المصنف فى باب صلاة الكسوف بهذا الاسناد تاما واذا كان صاحب الكتاب المشبوه قد قطع الحديث وحذف منه الجزء الذى يفحمه ويدفع مقصوده ثم يورد هذا المحذوف بعد ذلك بصيغة مريضة بقوله (وفى رواية أخرى علل نقصان العقل الخ) وهى كما رأيت ليست رواية أخرى وانما هى رواية أبى سعيد بتمامها ، وبهذه المناسبة نذكر أن للبخارى فى تقطيع الحديث فلسفة تسمو على مدارك أمثال هؤلاء الأمين فى مسائل الدين. اذ أن للتقطيع فائدتين (احداهما)

أن البخارى يذهب الى جواز تقطيع الحديث اذا كان ما يفصله منه لا يتعلق بما قبله ولا بما بعده تعلقا يفضى الى فساد المعنى فصنيعه كذلك يوهم من من لا يحفظ الحديث أن المختصر غير التام لاسيما اذا كان ابتداء المختصر من أثناء التام كما وقع فى هذا الحديث فان أوله هنا قوله صلى الله عليه وسلم « أريت النار الى آخر ما ذكر منه وأول التام عن ابن عباس قال : «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر قصة صلاة الكسوف ثم خطبة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها القدر المذكور هنا ، فمن أراد عد الأحاديث التى اشتمل عليها الكتاب يظن أن هذا الحديث حديثان أو أكثر لاختلاف الابتداء وقد وقع فى ذلك من حكى أن عدته بغير تكرار أربعة آلاف أو نحوها وليس الأمر كذلك بل عدته على التحرير ألفا حديث وخمسمائة حديث وثلاثة عشر حديثا (الفائدة الثانية) تقرر أن البخارى لا يعيد الحديث الا لفائدة لكن تارة تكون فى المتن وتارة تكون فى الاسناد وتارة فيهما ، وحيث تكون فى المتن خاصة لا يعيده بصورته بل يتصرف فيه فان كثرت طرقه أورد لكل باب طريقا • وان قلت اختصر المتن أو الاسناد ، وقد صنع ذلك فى هذا الحديث فانه أورده هنا عن عبد الله بن مسلمة وهو القعنبى مختصرا مقتصرا على مقصود الترجمة كما تقدمت الاشارة اليه من أن الكفر يطلق على بعض المعاصى ثم أورده فى الصلاة فى باب من صلى وقدامه نار بهذا الاسناد بعينه لكنه لم يغاير اقتصر على مقصود الترجمة منه فقط ، ثم أورده فى صلاة الكسوف بهذا الاسناد فساقه تاما ثم أورده فى بدء الخلق فى ذكر الشمس والقمر عن شيخ غير القعنبى مقتصرا على موضع الحاجة ، ثم أورده فى عشرة النساء عن شيخ غيرهما عن مالك أيضا وعلى هذه الطريقة يحمل جميع تصرفه فلا يوجد فى كتابه حديث صورة واحدة فى موضعين فصاعدا هكذا أفاده الحافظ ابن حجر فى الفتح •

فاذا ثبت هذا علمت مبلغ الجهل فى قول صاحب الكتاب المشبوه (فى رواية أخرى) وهى ليست رواية أخرى ولا قطعة أخرى ولا مكانا آخر اللهم هذا التعابث الخبيث الذى ينقل متعمدا الحديث بعد تشويهه ثم ينسبه الى غير مكانه والى غير راويه

ولنأت الى ما يأخذه المؤتفكون على الحديث :

١ ـ « وهو شك الراوى فى أى العيدين كان خروج النبى صلى الله عليه وسلم مع أن الفرق بين اليومين فرق كبير لا ينسى » .

٢ ـ « رؤية النبى للنار وتأكده من أن معظمهم من النساء وهو أمر لا يعلم قبل يوم القيامة لأن هذا منازعة لله فى علمه الذى هو حقه خاصة » .

٣ ـ التعليل الوارد فى الحديث لنقصان دين المرأة بسبب حيضها لأنه ينافى عدالة الله فى الخلق .

٤ ـ لم يوح الى النبى صلى الله عليه وسلم بعدد أهل النار من الجنسين كما أوحى اليه القرآن .

٥ ـ القرآن يثبت مساواة الرجل بالمرأة والتكوين العقلى .

٦ ـ اعفاء المرأة من الصلاة والصوم فى الحيض لا يعفيها من الصدق والأمانة والعدل والوفاء وترك السرقة وشرب الخمر والوقوف عند حدود الله كالرجل تماما .

٧ ـ الحيض والنفاس عوامل ايلام للمرأة فلا يجوز أن يكون سببا فى شقائها بنقصان دينها .

٨ ـ السبب فى اعتبار شهادتها بنصف شهادة الرجل هو خصوصيتها برقة الشعور وحساسية العواطف ، ومعروف أن الرجل يستطيع الصمود والمرأة لا تستطيع الصمود فهى سريعة الانهيار فلا ينجيها من هذا الانهيار الا أن تأتى أخرى فتشد أزرها .

٩ ـ ثبت لدى كاتبى الكتاب المشبوه أن الرجل هو الذى يكفر العشير ويكفر الاحسان وليست المرأة وكلاما آخر لا يدخل فى الموضوع من قريب أو بعيد .

(والجواب) مع الاعتذار للقارىء أن نحفل بهذه الثرثرة الرخيصة فنحاول أن نسكتها ونوقف هذا النزيف من النكات السمجة وهو ضرب من الاحترام لعقل القارىء ولا كرامة ولا مبالاة بالكتاب المشبوه .

١ ـ ان شك الراوى فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم فى أى العيدين أضحى أو فطر ليس

له أثر فى متن الحديث لأن اليوم قد وصف بالعيدية وليس المقصود طبعا ولا من أغراض الحديث الاستحباب خروج النساء للعيدين فيتساوى الأضحى والفطر فى استحباب الخروج لهن ليشهدن الخير ويحضرن الصلاة وجعل مكانا للحيض ، والبخارى يروى الحديث فى كتاب الحيض ليدل على هذا المعنى فسيان اذن أن يكون فطرا أو أضحى . ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل فى الحديث « أيها النساء تصدقن فانى رأيتكن فى عيد الفطر أو فى عيد الأضحى تكفرن . حتى يعترض المؤتفكون بأن الكفر لم يحدد لنا العيد الذى يقع فيه حتى يكون الاضطراب أمرا واقعا فى صلب المتن . اما أن يكون الرسول قد خرج فى فطر أو أضحى فانه صلى الله عليه وسلم خرج فيهما جميعا ولم يدع فطرا ولا أضحى الا خرج فيه ففى أحد هذه الأعياد قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك للنساء فماذا فى الحديث من الاضطراب ؟ فلو قال أحد : لقد رأيت كتابا مشبوها حقيرا يطفح بالجهالات والضلالات (ويكون القائل هذا كثير الأسفار من القاهرة الى الصومال وبالعكس) فى القاهرة أو مقديشيو فهل هذا الشك ينفى رؤية الكتاب الذى يطفح بالجهالات والضلالات على بعد المسافة بين مقديشيو والقاهرة ، أو قال أحد: لقد سمعت بجماعة تنسب الى رجل يدعى أباريه لاندرى أمات أم أنه حى يرزق ويرزىء أتباعه بالعظائم ، هل هذا الشك فى موت أبى رية يدل على أن أبا رية شخصية خرافية ، واسم وهمى ، وأنه من اختلاق اسرائيل دسته على العالم العربى دون أن يكون له حقيقة فى الوجود ؟

أو أن ناقدا قال : ان كتابا مشبوها خرج على الناس بتشجيع عصابة متآمرة سيئة القصد تكيد للاسلام والدليل على ذلك أن مقدمة الكتاب ليست بقلم صاحب بقية الكتاب ، وأنه ربما يكون كاتبها عمرا وقد يكون زيدا فهل هذا يدل على أن الكتاب بغير مقدمة ألبتة ، أو ينفى وجود عصابة سيئة القصد تكيد للاسلام ؟

٢ ـ أما رؤية النبى صلى الله عليه وآله وسلم للنار فقد جاءت بالأخبار الصادقة عن الحبيب المصدوق والتى تقرب من التواتر ففى سنن النسائى من حديث عائشة فى حديث طويل

وفى آخـره : (وقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت فى مقامى هذا كل شىء وعدتم ، لقد رأيتمونى أردت أن آخـذ قطفا من الجنة حين رأيتمونى جعلت أتقدم ، ولقد رأيت جهـنم يحطم بعضهـا بعضـا حين رأيتمـونى تأخرت ورأيت فيها ابن لحى وهو الذى سيب السوائب) .

وأخرج النسائى عن عبـد الله بن عمرو قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» الى أن قال : « فقام صلى الله عليـه وســلم فخطب فحمـَد الله وأثنى عليـه ثم قال : ان الشمس والقمـر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحـد ولا لحياته فاذا رأيتم كسوف أحدهما فاسعوا الى ذكر الله عز وجل والذى نفسى بيده لقد أدنيت الجنـة منى حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيهـا خشية أن تغشاكم حتى رأيت فيها امرأة من حمير تعذب فى هرة ربطتها فلم تدعها تأكل من خشـاش الأرض فلا هى أطعمتهـا ولاهى سقتها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشهـا اذا أقبلت واذا ولت تنهش اليتها ، وحتى اذا رأيت فيها صاحب السبتتين أخابنى الدعدع يدفع بعصا ذات شعبتين فى النار ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن الذى كان يسرق الحاج بمحجنه متكئا بمحجنه فى النار يقول : أنا سارق المحجن » .

وقال الحـافظ ابن حجر : منهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونهـا فرآها على حقيقتهـا وطويت المسافة بينهما حتى أمكنه أن يتناول منها ، ومنهم من حمله على أنها مثلت له فى الحائط كما تنطبع الصـــورة فى المرآة فرأى جميع ما فيها أ هـ .

وأخرج النسائى أيضا رواية ابن عباس التى أخرجهـا البخارى وأتينا عليها فى أول البحث وأتى بها بتمامها ولقـد أثبتت الروايات المختلفة التى وردت فى كفران العشـــير أن التى قالت : « يارسول الله أيكفرن بالله »؟ هى أسماء بنت يزيد بن السكن .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حـديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « قمت على باب الجنـة فكان عامة أهلها المساكين ـ أى أكثر أهلها ـ وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى

النار ، وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء » •

وأخرج مالك فى الموطأ حديث ابن عباس بطوله وفيه قلوا : يارسول الله رأينـاك تناولت شيئا فى مقـامك هذا ثم رأينـاك تكعكعت فقال : انى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منـه ما بقيت الدنيـا ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا : لم يارسول الله ؟ قال : لكفرهن قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : **يكفرن العشير** الخ الحديث وأخرجه مسلم فى كتاب العيدين • ورؤية النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم للنار ثبتت فى البخارى غير ما ذكرنا فى كتاب الوضوء وفى كتاب العلم وفى كتـاب الجمعة وفى الكسوف وفى كتـاب الاعتصام وفى كتاب الرقاق وقـد سبق أن أوردنا ما جاء فى كتاب الايمان وما جاء فى كتاب الحيض • وورد فى صحيحى البخارى ومسلم وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث جابر ابن عبد الله قال :

« شهدت العيـد مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالصلاة قبل الخطبـة بـلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ، ثم أتى النســـاء فوعظهن وذكرهن وقال : تصـدقن فان أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سـطة النساء سفعاء الخدين فقالت:لم يارسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير ، فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين فى ثوب بلال » •

ان ذهاب هـؤلاء الى انكار ما ثبت وصح من الدين بالضرورة منازعة لله تعـالى فى مشـيئته فى أن يوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما يشاء من وحيه ، انما هو منازعة لله فى مشيئته ، ومنـازعة لله فى الحجر على علمـــه ألا يمنحه سـيد ولد آدم صـلى الله عليه وسلم •

٣ ــ أما الزعم بأن علة نقصان دينها من الحيض فتلك هى النظرة الساذجة التى يتعابث بهـا المتعـابثون لأن علة نقصـان الدين انما هو حبسهـا عن الصلاة والصوم وتلاوة القرآن ومس المصـحف ، وتلك أمور تترك فراغا ميتا من حياة المرأة لا يشـغل بقربة مكتوبة ولافريضـــة لازمة ، وذلك

بالبديهـة ومنطق الفطرة نقصان فى الدين لاخيار لها فيه •

وكذلك نقصان عقلها والاستدلال عليه بمعادلة الرجل لامرأتين ، وقوله تعالى (أن تضل احـداهما فتذكر احـداهما الأخرى) وجعل الطلاق فى يد أعقل الطرفين من الـزوج والزوجة ، وجعل الرجال قوامين على النساء بمافضل الله بعضهم على بعض، وجعل المرأة لا تخلو برجل الا كان الشيطان ثالثها ، وجعل المرأة لاتسافر الا مع ذى محرم ، وكون كيـدهن عظيم ، والاستعاذة من النفـاثات فى العقـد ، ونهيهن عن تشييع الجنائز وزيارة القبور •

٤،٥،٦،٧،٨،٩ تحمل فى تضاعيفها معنى دفعهـا وتزييفهـا والرد عليهـا وحسبك أن تقرأ تسليمهم بأن المرأة قد تنهـار وحدها فتحتاج الى أخرى تشد أزرها وتثبت قدمهـا وتعينها على أداء الشهادة وسيرى القارىء فيما يأتى من بحـوث ردودا على كـل عجب عجاب •

محمد نجيب المطيعى

يبكي من أجل أعدائه

للأستاذ السيد حسن قرون

كان تاجرا مغنيا يحسن ادارة تجارته ، وكان ذا مال نماه بمهارته ، يقضي بياض نهاره في معاملاته وأرباحه ويمضي سواد ليله بين أهله وصنمه ، فهو لا يلهو مع اللاهين ، ولا يفخر مع الفاخرين ، وهاجر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلده يثرب فلم يسرع للقائه ، ولم ينظر فيما أخذ فيه قومه من الخزرج ، وهو ماض بين التجارة وعبادة الحجارة قد يرى الأوس والخزرج يلتفون حول صاحب الرسالة العظمى ، وينتصر الرسول في بدر ، ولا يجلس مع الأنصار فيشاركهم فرحتهم بالحياة المثلى ، والنعيم الدنيوى والأخروى ، ولا يجلس مع حميمه وقريبه عبد الله بن رواحة ، وهو الرجل الذى بشر بانتصار رسول الله في بدر ، وهتف بذلك هو وزيد بن حارثة في العالية وأنحاء المدينة ، وكأنه سد أذنيه عن سماع الأنباء ورسالة السماء وكان عبد الله بن رواحة يعجب لموقف حميمه ، ويود أن يكون معه في الحياة الجديدة السعيدة التي تعلو بعبادة الله والجهاد في سبيل دينه .

وذات يوم ذهب اليه ليدعوه الى الاسلام ، لينقذه من هول المطلع ، وعذاب السعير ، فلم يجده في داره ، ونظر فرأى صنما قائما في ركن من الدار فقال في نفسه هذا هو الذى أخره عن أن يكون مثل قومه ايمانا واسلاما فأخذ قدوما وحبلا يضرب (١) الصنم وهو يقول :

تبرأ من أسماء الشياطين كلها
ألا كل ما يدعى مع الله باطل

وخرج موليا قرير العين راضي النفس مستريحا بما فعل ، وربة البيت تنظر اليه ولا تمنعه كأنها معه بقلبها ، وأقبل رب البيت وهو أبو الدرداء — واسمه عويمر بن زيد بن قيس من

---

(١) الطبقات : أبو الدرداء .

بنىالحارث بنالخزرج ، وكله محبة يعنى الخروج أيضا ـ فهاله ما رأى ، رأى صنمه ملقىعلى الأرض محطما ، فهاج وماج وزوجه ساكنة هادئة لا يعنيها من ثورته شيء . ثم قال : من فعل هذا ؟ قالت : عبد الله بن رواحة، وتراخى وجلس غير بعيد قد أسند رأسه بكفه ، وفكر فيما ذا يفعل مع هذا الرجل الذى اعتدى على مقدساته ولمعت فى رأسه فكرة أنارت جوانب قلبه ، فانكشف له ماكان مستورا عن عينه ، ورأى عبادته باطل الأباطيل ، ونظر الى أنقاض الصنم وقال : لوكان عند هذا خير لدافع عن نفسه . وماهى الاهنيهة حتىكان خارج الدار يبحث عنابن رواحة ولقيه فلم يعاتبه فىأمر الصنم ، بل جذبه جذبا وانطلق به الى رسول الله صلىالله عليه وسلم وهنالك أعلن اسلامه ، ومن هذا اليوم أصبح مسلما مؤمنا من جميع نواحيه قلبا وفكرا ، أملا وعملا ، لا التجارة تلهيه ولا الشياطين تغويه ، لئن تأخر اسلامه عن بنى أبيه لم يقصر عن عمل حين استظل براية الاسلام ولئن فاته أن يكون من أبطال (بدر) فلن يفوته أن يكون من أبطال الجهاد فيما بعد ، وصار من علية الصحابة وأهل النية فيهم ، شهد مشاهد كثيرة ، وروى أحاديث كثيرة ـ كما يقول ابن سعد فى طبقاته ،

ويروى الرواة أن أبا الدرداء شهد أحدا ، وأن رسول الله نظر اليه يومئذ والناس منهزمون فى كل وجه فقال : (نعم الفارس عويمر غير أفة) يعنى غير ثقيل .

وآخى النبى بينه وبين سلمان الفارسى فكانا أخوين فى الله لايفترقان ولا يختلفان ، وان اختلفا فالخلاف من قبيل الاشفاق على الصديق وحب الخير له من ذلك أن سلمان أتى أبا الدرداء فشكت اليه أم الدرداء أنه يقوم الليل ويصوم النهار ، فبات عنده فلما أراد القيام حبسه حتى نام ، فلما أصبح صنع له طعاما ولم يزل به حتى أفطر . فأتى أبو الدرداء النبى صلى الله عليه وسلم . فقال النبى : عويمر سلمان أعلم منك ، لا تحقق فتقطع ولا تحبس فتسبق ، أقصد تبلغ سير الركابات تطأ فيها البردين والحفقتين من الليل .

ونظير هذا ما حدث به بن سيرين قال : دخل سلمان على أبى الدرداء فى يوم جمعة ، فقيل له : هو نائم . فقال : ماله ؟ قالوا : انه اذا كان ليلة الجمعة أحياها ويصوم يوم الجمعة ، فأمرهم فصنعوا له طعاما فى يوم جمعة ثم أتاهم . فقال : كل قال : انى صائم فلم يزل به حتى أكل ثم أتيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكرا له ذلك . فقال النبى : عويمر سلمان أعلم منك (قال ثلاث) وهو يضرب على فخذ أبى الدرداء .

ويتضح مما ذكرنا ومما أغفلنا ذكره أن أبا الدرداء ناسك متبتل لا يرى الا أن الحياة عبادة ، وأن الآخرة هى الأولى بالعمل ، ولكن سلمان فهم مقاصد النبوة ، وهى القصد والاعتدال فى العبادة حتى لا يجىء التقصير من قبل الجهد الكبير ، ومن كلام أسلافنا : خير الأمور أوساطها ، وشر السير الحقحقة وهو أن يستفرغ السافر جهد ظهره فيتقطعه ، فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته ، والحديث المشهور فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك ، فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » .

ومن غريب أمر الصديقين أن أبا الدرداء خرج الى الشام مجاهدا ولم يفارقه حتى قضى نحبه ، وأن سلمان خرج مجاهدا الى العراق وفارس ثم استقر فى الكوفة ، ولم ينقطع الود بينهما على مدى الأعوام والأيام ، وكانت المكاتبة بينهما نصف المشاهدة كما نقول اليوم . واليك رسالتين (١) متبادلتين من رسائلهما :

كتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء أما بعد : فانك لن تنال ما تريد الا بترك ما تشتهى ، ولن تنال ما تأمل الا بالصبر على ما تكره ، فليكن كلامك ذكرا ، وصمتك فكرا ونظرك عبرا ، فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد ، والسلام .

فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك أما بعد : فانى أوصيك بتقوى الله وأن

(١) العقد الفريد : جـ٣ ص ٩٦ تحقيق سعيد العريان .

تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك ، ومن جفائك لمودتك واذكر حياة لا موت فيها في احدى المنزلتين : اما في الجنة ، واما في النار ، فانك لا تدري الى أيهما تصير .

لم يتراسلا في شأن من شؤن الدنيا مثل الحديث عن الغنى والفقر ، والزوج والولد ، والامارة والعمالة ، انما كانت الرسالتان تدوران حول التقوى ، وما يعمله الانسان لينال رضا الله ورسوله ، وكلتا الرسالتين من منهج رسول الله وأحاديثه ، فرسالة سلمان من حديث لرسول الله أوله : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها .. » ورسالة أبي الدرداء من خطبة لرسول الله بدأها بقوله : « أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم .. » وأغلب الظن أنهما نقلا ذلك على حد قولنا : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

وقد تقلبت الأيام با أبي الدرداء كما تقلبت بسلمان ، فدخلا المعارك كل في جهته ، وتوليا الوظائف كل حسب قدرته فصار سلمان أمير المدائن بعد فتحها وتولى أبو الدرداء القضاء في الشام . ويروى الرواة أنه استعمل على القضاء ، فأصبح الناس يهنئونه . فقال : أتهنئوني بالقضاء وقد جعلت على رأسي مهواة مزلتها أبعد من عدن أبين ولو علم الناس مافي القضاء لأخذوه بالدول (١) رغبة عنه ، وكراهية له، ولو يعلم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول رغبة فيه وحرصا عليه ، ولكنه مع ذلك نهض بما حمل به ، فكان نعم القاضي كما كان نعم الفارس . وانظر اليه وهو في جند معاوية بن أبي سفيان يمارس معركة بحرية تر عجبا ، انه يبكي . ولم يبكي ؟ كانت معركة فاصلة استولى فيها جيشا مصر والشام بقيادة معاوية وعبد الله ابن أبي السرح سنة ٢٨ هـ على قبرص ، وكان للغالب أن يأسر ويسبي يحكي جبير بن نفير (صحابي شارك في المعركة) فيقول (٢) : لما سبيناهم نظرت الى أبي الدرداء يبكي فقلت : ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله ، وأذل فيه الكفر وأهله ؟قال :

(١) التبادل
(٢) الطبري حوادث ٢٨ هـ

فضرب بيده على منكبى وقال : ثكلتك أمك ياجبير ، ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره بينا هى أمة ظاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا أمر الله فصاروا الى ماترى ، فسلط عليهم السباء ، واذا سلط الله السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة • قلب رحيم تحفه همة عالية ، وعقل حصيف نفذ الى حكمة الله فرأى أن الذل والهوان والسباء نتيجة مخالفة الله ، وتأثر فبكى لأنه انسان يشفق على أخيه الانسان • بينا هو فى استعلاء اذا هو فى انحدار وسباء • انسانية رحبة وسعت الأصدقاء والأعداء على السواء ، ولذلك قال الفيلسوف (غوستاف لوبون): لم تعرف الانسانية فاتحا أرحم من العرب ، ان أبا الدرداء لو كان المغلوب لجر من قدميه ، وافتن أعداؤه فى قتله والمثلة به ، فقد حدث قبل فتح قبرص أن كان قائد المسلمين فى زورق وحده ، فسألته امرأة رومية فأعطاها ما أغناها ، فكان جزاؤه عندها أندلت عليه جيش الروم • وسئلت كيف عرفت أنه القائد ؟ فقالت : انه أعطانى عطاء الملوك ولا يفعل ذلك غير الأمير ، فانطلقوا اليه فقتلوه • شتان بين انسان وانسان رحمة بالغة من أبى الدرداء وقسوة حاقدة من هذه المرأة التاعسة البائسة الغادرة •

ولأبى الدرداء أقوال مأثورة ، غصت بها كتب الأدب وغيرها وهى متنوعة تتناول أمورا كثيرة تتصل بحياة الناس ومناحى الفكر والسلوك من ذلك قوله فى الصداقة والأصدقاء •

ـ من لك بأخيك كله ؟

ـ ان قارضت الناس قارضوك ، وان تركتهم لم يتركوك •

ـ أعتاب (١) الأخ خير من فقده •

ـ كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فصاروا شوكا لا ورق فيه •

ـ انا لنبش فى وجوه قوم ، وان قلوبنا لتلعنهم •

ويقول فى التحدث والاستماع •

ـ أنصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد ، لتسمع أكثر مما تقول •

---

(١) ارضاء •

ــ علامة (١) الجاهل ثلاث: العجب وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن الشر ويأتيه .

ــ تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

ويقول فى الزهد ، وقد برز فيه فصار اماما :

ــ شكت أم الدرداء الحاجة فقال لها : تصبرى ، فان أمامنا عقبة كئودا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا .

ــ ويخطب فيقول: ياأهل دمشق ، ما لكم تبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تدركون ، وتجمعون مالا تأكلون؟

هـذه عاد وثمود قد ملئوا ما بين بصرى وعدن أموالا وأولادا . فمن يشترى منى ما تركوه بدرهمين ؟

ــ أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ، ولا يدرى أساخط ربه أم راض وأبكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل وموقفى بين يدى الله . أيؤمر بى الى الجنة أم الى النار ؟

وتتجلى نظرته الى الأمور العامة ، والاهتمام بالأمة فى ذلك الدعاء الصادر من الأعماق :

اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شرارنا ، واجعلنا خيارا كلنا ، فاذا ذهب الصالحون فلا تبقنا .

واشتكى أبو الدرداء ، فدخل عليه أصحابه ــ وممن عاده حبيب بن مسلمه فقالوا : ياأبا الدرداء : ما تشتكى ؟

قال : اشتكى ذنوبى . قالوا : فما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة . قالوا : أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال : هو الذى أضجعنى .

توفى أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة فى خلافة عثمان بن عفان ، فشيع بالدعوات الصادقة ، وترك من بعده ذكرا لا ينسى .

السيد حسن قرون

---

(١) لك أن تفسر الجاهل بالأحمق ولا يبعد عن المراد .

الصيام والتكافل الاجتماعى

للأستاذ محمد كمال الدين

يعتبر صيام شهر رمضان فى التشريع الاسلامى ركنا من أركان الاسلام الخمسة وأحد الأعمدة التى يقوم عليها اسلام المسلم ، به تكتمل صورة اسلامه ، وعليه تقوم شخصيته الاجتماعية المؤمنة ، وهو يعتبر نموذجا لأمانة الفرد مع نفسه ، ومع غيره ، وقبل ذلك مع ربه ، باعتبار الصوم عملا يبين مدى اخلاص المرء لعقيدته ومدى تمسكه بمبادئها والعمل بها .

وهو عمل يكون فى المقام الأول بين العبد والرب اذ لا يطلع على مدى حرصه عليه والاحتفاظ به الا الله جل شأنه ، الذى يعلم السر وأخفى ، ولذلك كان جزاء الصائم عند الله عظيما لا يعلمه الا هو كما يفهم من قول النبى فى الحديث القدسى عن الله : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

وللصيام دروس اجتماعية كثيرة تكون فى النهاية شخصية المسلم الحق وعليها يقوم المجتمع المتكامل القوى ، ومن هذه الدروس أثر الصيام على سلوك الفرد تجاه نفسه ، وتجاه غيره من أفراد المجتمع ، فهو يلزم بعادات جديدة غير التى يكون عليها بقية أيام السنة ، ومن هذه العادات ما يخص مواعيد الطعام والامساك عنه ، وفى هذا ما فيه من فوائد صحية أطال الأطباء والشراح القول فيها ، ومنها نفسه بكف بصره وجوارحه عن كل ما يغضب الله ، وهو يلزم نفسه باحترام حرية الغير ، وان يشعر بشعورهم .

الصوم يحقق المساواة بين أفراد المجتمع ، فيشعر الغنى بشعور الفقير حين يجوع ، وحين يحتاج الى الطعام فيمنعه عنه الصوم ، وبذلك يتحقق الاخاء الانسانى ، والاحساس بأن الناس أمام الله سواء ، وبأن الغنى فى ذلك الوقت هو غنى القلب والارادة والدين ، ومن هنا كان فرض زكاة

ما يخص المرء تجاه غيره ، فهو يلزم الفطر وكانت زكاه الأموال ركن من أركان الاسلام ، لتحقيق التكامل والتعاون (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ، (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ، (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ، وهى فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرة للصائم ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبوله ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات (رواه أبوداود وبن ماجة والدارقطنى عبد الله بن عباس) . وهذا كله يحقق أقصى مايتمناه المشرعون ورجال القانون لبناء مجتمع سليم يخلو من عوامل الغصب والسرقة والفاقة ، مجتمع يخلو من الحقد والضغينة والحسد ، مجتمع يشعر فيه الفرد أنه على قدم المساواة مع غيره ، له واجب كما أن عليه حقوقا قبل المجتمع الذى يعيش فيه وبهذا ينصرف الأفراد الى العمل المنتج والمثمر الذى ينتفع به المجتمع كله ، وبهذا تتلاشى الأنانية والفردية لتحل محلها الجماعية والشعور بالأمن والاستقرار .

والصوم يحقق التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع ، ويحقق التقارب بينهم فى المبادىء والأهداف ، ويكفى المظهر الجماعى الذى تراه حين يبدأون الصيام بالسحور ،أو يختمونه بالافطار الموائد فى وقت واحد توضع ثم ترفع ، المساجد تمتلىء بالقلوب المؤمنة فى أوقات معينة، التراحم والتواد يزدادان فى هذا الشهر فيكثر التزاور ، ويكثر الاحسان سرا وعلانية ، وتعمر القلوب بالحب والايمان ، هذا كله من مظاهر شهر واحد يتعلم فيه المرء فى بقية شهور السنة من المبادىء الانسانية ما يجعل عامه كله اخاء ومساواة ،وانما كان رمضان تأكيدا لهذه المعانى السامية وتخصيصا لابرازها فى أقوم صورة وأجلى تعبير ، فهو بذلك قدوة الشهور ونموذج السلوك الاجتماعى وماأحراه أن يكون مثلا يحتذى على مدار أيام العمر كله .

والصـــوم يحقــق قــوة الارادة والتعود على الصبر والاحتمال ، ويكفى ان المرء يبدل فيه كثيرا من عادته ،فى المـأكل والمشرب والعبـادة ، فتـكف جوارحه الحسية عمـا يغـضب الله ، يكف سمعه عن الاصغاء الى كل مكروه يكف نظره عما حرم الله من حرمات تكف جوارحه الأخرى عن المـكاره والآثـام ، وتحـل محـلها الطـاعات والقربات الى الله يكثر من العبادة وفعل الخيرات ، يغلب سلطان الروح على نزوات الجسد ، فيعيش مالـكا لزمام نفسه لا أسير ميوله وغرائزه الدنيوية

وقد يظن البعض أن الصيام يؤدى الى الخمـول والـركون الى الـدعة والكسل والسكينة ، ويخطىء هؤلاء فى ظنهم اذ أن العمل فيه من أوجب الواجبات كما هو واجب فى سـائر الأيام ، وهو عبادة كأية عبادة أخرى والصيام مناسبة لاجادة هـذا العـمل والاستزادة منه ، لأنه واجب دنيوى من أجل التقدم وتطوير الحياة ، وهو حافز للعمل الأخروى يؤديه المرء فى رضى واطمئنان ، وهو أدعى لمـراقبة المرء لنفسه ومراجعة ضميره ، وصرف جهوده الى نواحى المنفعة ، لا الى اللهو والعبث، وممارسة الرزائل والشهوات ومن هنا كانت ضرورة العمل لمراقبة الضمير ، والايمـان بالله والانصراف عن المحرمات الى سد مطالب العيش ، والابتغاء من فضل الله ، وهذا ما يأمر به سبحانه وتعالى فى قـوله : « فاذا قضيت الصـلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الجمعة ١٠) .ومن هنا كان العمل فى الصيام ، وفى غيره من أيام ، مـدعاة للتقـرب الى الله ، وطاعته فيما يفيد المرء فى حياته الدنيا والأخرى معا . وفى أهمية العمل كان عمر بن الخطاب يقول . « انى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل أله عمل ؟ فاذا قالوا : لا ، سـقط من عينى » وكان يقول لأبى هريرة : التمس لنفسك عملا فى الحياة ، فقد التمسه من هم أفضل منك ، وذكر له الأنبياء ، ومن قبله كان الرسول صلى الله عليه وسلم يباهى باليد العاملة ويقول : تلك يد يحبها الله ورسوله .

هـذه هى بعض دروس الصـيام الاجتماعية ، ويكفى فيها أنهـا تبرر وحدة الضمير فى الانسان تجاه نفسه

وتجاه غيره ، ووحدة الشعور لأنها تجمع مشاعر الأمة كلها الى مصير واحد تنتهى اليه وتصب فيه وهو التقو التى جعلها الله ثمرة الصيام : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) .

فاذا تحققت للمسلم هذه المبادىء ـ أو بعضها ـ واذا تحقق للمجتمع ـ بالتالى ـ ما يتحقق للفرد ، فقد ضمن بناء سليما قائما على المساواة والاخاء والعدل ، مهتديا فيها بمبادىء الاسلام الحنيف ، وعلى رأسها مبدأ الصيام كمبدأ تتجلى فيه وحدة المسلمين فى كافة مظاهر الحياة ، وتتحقق فيه المساواة والتكافل الاجتماعى ، وتعلو فيه كلمة الله ، مبدأ كهذا يحقق ولاشك أسمى ما تصبو اليه حياة المجتمع من ترابط وتقدم ورخاء ، ويطبق أسمى ما نادت به شريعة من حب وتعاون واخاء .

محمد كمال الدين

رمضان في باكستان

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

يشكل شبه القارة الهندية عالما عجيبا .. فى مناخه وتضاريسه .. فى حيواناته وطيوره .. فى طباع أهله وعاداتهم وتقاليدهم .. فى معاملاتهم وعلاقاتهم .. فى كل شىء . وقد آثرت هنا أن أقدم اليك عزيزى القارىء صورا رمضانية مما شاهدته على الطبيعة وعرفته عن قرب خلال أربع سنوات سلختها من عمرى فى باكستان .

استطلاع الهلال :

تعين الحكومة لجنة من كبار العلماء لهذا الغرض فى كل مقاطعة ، ومن البدهى أن تعدد اللجان على هذه الصورة انما قصد به تغطية الأفق الباكستانى من ناحية ، وثبوت الرؤية بالنسبة للجميع اذا أقرته لجنة من تلك اللجان من ناحية أخرى . لكن قد يحدث أن لا تأخذ جماعة برؤية الأخرى أو تتعصب فبينما تعلن لجنة الاستطلاع وهى فى الغالب موالية للحكومة رؤية الهلال تأتى طائفة أخرى معارضة لتعلن للناس عدم ظهور الهلال ثم يصبح الناس بين صائم - على طريق الحكومة - وبين مفطر - على طريق المعارضة - والعكس صحيح .

كنا يوما على مائدة سفير مصر السابق فى الباكستان الاستاذ على خشبة فروى لنا الدكتور كمال ابراهيم خبير الأمم المتحدة فى باكستان ومقره فى بيشاور كيف أن أحد لجنة الاستطلاع فى بيشاور قرر أنه رأى الهلال فكذبه آخر ولكنه أصر على الرؤية قائلا : هذا هو.. وانى مازلت أراه بعينى رأسى . فضرب الآخر بأصبعه عينى الرائى ففقأهما ، ولما أحس بأن نور عينيه قد ذهب وأكل الألم والغيظ قلبه هجم على غريمه ضربا بيديه وعضا بأسنانه حتى قتله !

والمراصد فى باكستان لا تستعمل فى الأغراض الدينية ، ولا يستأنس

بها العلماء كما أنهم لا يهتمون كثيرا باستطلاع الشهور الهجرية التى تسبق رمضان وانما يأخذونها على أن شهرا منها ثلاثون يوما والذى بعده تسعة وعشرون وهكذا غير أن الواقع يشهد بعدم صحة هذا فقد يتوالى شهران على تسعة وعشرين أو ثلاثين يوما ، ومن هنا يتكون فارق من الزمن قدره يوم أو يومان على نهاية شعبان بين الدول العربية التى تستطلع الأهلة وتحدد بدايات الشهور ونهاياتها على الواقع الفعلى وبين باكستان التى تحددها بالحساب النظرى فمثلا عندما تستطلع البلاد العربية هلال رمضان مع غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان لا يفكر واحد من أهل باكستان فى استطلاعه لأن هذا اليوم فى باكستان هو اليوم السابع والعشرون ، وحتى لوكان الفارق يوما واحدا كما يحدث نادرا فان العوامل الجوية لا تتيح لهم رؤية الهلال فيضطرون لاكمال شعبان عندهم ـ ثلاثين يوما ، وقد كنا نقع فى حيرة كبيرة عندما نفتح المذياع مساء التاسع والعشرين من شعبان ـ حسب تقويم باكستان ـ فنسمع اذاعة القاهرة أو الرياض أو الكويت تذيع قرآن المغرب ومدفع الافطار ، ثم يخيب أملنا عندما نسمع بعد قليل بيانا من اذاعة باكستان أن الهلال لم يثبت رؤيته وأن غدا هو المكمل للثلاثين من شعبان فبعض منا يصبح مفطرا لما عليه الجماعة فى باكستان وبعض آخر يصبح صائما احتياطا أو لأنه نمى الى علمه أن أهل اقليم معين قد رأوا الهلال دون اللجنة . لغط .. بلبلة ..فوضى .. وقد يصل الأمر أحيانا أن يصوم أهل باكستان شهر رمضان ثمانية وعشرين يوما أو سبعة وعشرين ونسأل العلماء . لماذا لم تصوموا كما صامت البلاد العربية التى رأت الهلال؟ فيكون الجواب : لأن لكل بلد مطلعا . ثم نسأل ثانيا : وهل يمكن أن يكون الفارق يومان ؟ فيأتى الجواب فيه نوع من التعصب والاعتداد والتشكيك فيمن رأى .

مظاهر الشهر الفضيل :

لا يتحمس الناس كثيرا لاستقبال رمضان ، فلا زينات ولا أنوار الا ما ندر ولا أغنيات أو ألحان وانما تغلق المقاهى والمطاعم أبوابها أثناء النهار فى الأسبوع الأول على الأكثر ثم تعود لتستقبل روادها واضعة على

الأبواب والواجهات ستائر تنبعث من خلفها رائحة الطعام تثير التوتر والغضب فى نفوس الصائمين - وما أقلهم - أما مطاعم الدرجة الأولى فلا تغلق يوما واحدا ولا ترى بأسا أن تقدم لروادها ما يشاءون ليلا ونهارا ، وتسير فى الشارع فترى الناس يدخنون ويشربون الكوكا والبيبسى ويتناولون الوجبات الخفيفة على مرأى وكنا نظن أولا أن أولئك من غير المسلمين لكن كان هذا الظن يتلاشى عندما نرى منهم أناسا نعرفهم بأسمائهم وأشخاصهم ، وإنصدم عندما نعلم أن كثيرا من المسلمين لا يصومون وبعضهم لا يصوم من الشهر الا أوائله . أما المكاتب ودواوين الحكومة فيختفى منها ما يتنافى مع حرمة الشهر المبارك واذا أراد موظف أو مسئول تناول شيء خرج من مكتبه واختفى فى أحد المطاعم .

الافطار :

هناك اعلام للناس بوقت الافطار قبل آذان المغرب بثوان أومعه ،ويكون فى العادة صوتا عاليا مميزا ففى مصر يفطرون على صوت المدفع ويمسكون عليه أما فى باكستان فيمسكون ويفطرون على صوت بوق الانذار بالخطرفى الحرب، وليس من العجب أن تتعدد الأبواق لكنه فى الفارق الزمنى بين اطلاقها فى مدينة واحدة فعند غروب الشمس ينطلقبوق يفطر معه الناس وبعد دقيقه أو أقل أو أكثر ينطلق آخر ثم ثالث ، ومثل ذلك فى الامساك .

يتناول الصائم فى افطاره تمرات أو يشرب الشاى بالحليب أو هما معا ثم يصلى المغرب وينصرف الى ما هو فيه ولا يتناول الطعام الا قبيل صلاة العشاء أو بعدها ، وليس هناك نوع من الطعام خاص برمضان غير أن الباكستانى والهندى على العموم لا يتذوق من الطعام الا ما كان مخلوطا والى درجة كبيرة بالمواد الحريفه حتى مع الحلوى والفواكه فالبطيخ والبرتقال والجوافة والموز والكوكا والبيبسى والربى وغيرها يأكلونها بالملح والفلفل .

ذات مرة كان يفطر عندى بعض الباكستانيين فرأيت أحدهم - بعد أن تناولتمرات - يأخذ المملحةويفرغها فى فمه !! ويوما كنت مدعوا على مائدة عشاء أقامها رئيس مجلس

النواب المحلى فى لاهور السيد محمد رفيق بفندق « فلاتيس » وهو من فنادق الدرجة الأولى تكريما لوفد مجلس الشعب المصرى برياسة الدكتور السيد على السيد وكيل المجلس • والحق أن المواد الحريفة فى مثل هذه الفنادق لا تكاد تذكر بالنسبة للباكستانى ، ولا تكون الا فى أنواع معينة من الطعام • فلم ألبث كثيرا حتى رأيت وجه الدكتور السيد على السيد يبدو عليه الألم ثم يأخذنى احتساء الماء وأصوات الشهيق والزفير تكاد تسمع منه حيث كنت أجلس فى مواجهته على مائدة واحدة ويلتفت يمينا وشمالا ثم يعاود الاحتساء ويرمقنى من خلف زجاج الكوب أنظر اليه اشفاقا فيسألنى والكأس تكاد تلامس شفتيه : لم كل هذا ؟ فشرحت له على عجل أنهم فى هذا الجو الحار يستعينون بهذه المواد على فتح شهيتهم للطعام حتى صارت عادة عندهم وتذوقا •

مالت الشمس وبدأت الحمرة والصفرة تتصارعان على أمواج أشعتها منبعثة من الأفق البعيد لا تحجبها تلك البنايات الصغيرة الأنيقة ذات الحدائق فى الحى الجديد بمدينة لاهور العريقة وأنا أرنو اليها كأنى أستحثها على الغروب عندما كنت ذاهبا مع أسرتى تلبية لدعوة افطار عند أسرة شعبية صديقة ، ولم يأخذنى العجب أن رأيت البيت غاصا بالمدعوين وزوجاتهم فقد كنت على علم بدماثة خلق المضيف وحسن علاقاته بالناس فسلمنا وجلسنا فى انتظار المغرب نتجاذب أطراف الحديث ، وبعد قليل انطلق بوق الانذار معلنا الافطار فلم يتحرك أحد من مكانه ، ولم يبد أى منهم الاهتمام وانما استمروا فى حديثهم نقلت فى نفسى لعلهم لم يسمعوا ، ورمقت على مائدة صغيرة بالقرب منى تمرا محشوا باللوز قد نثروا عليه جوز الهند المبشور بلونه الأبيض فسأل لعابى له ولم تكن سوى برهة قصيرة جدا حيث سمع الجميع آذان المغرب ورغم ذلك لم يتحركوا فظننت أنهم يحتاطون فلا يفطرون الا بعد نهاية الآذان ، وأردت أن انتهزها فرصة لأوضح لهم عمليا ومددت يدى فأكلت تمرة ثم سألت : لماذا لم تفطروا وقد أذن لصلاة المغرب ؟ فقال أحدهم : المغرب مغربان واحد لكم وقد أذن ومغرب لنا سوف يؤذن بعد ربع ساعة أى عندما يظهر

النجم فى السماء يؤذن مغربنا فنفطر ! فسألت مستغربا : من نحـن ؟ ومن أنتم ؟ !! فأجاب : أنتم أهل السـنة ونحن الشيعة • وسألت ثالثا : وهل يؤذن للمغرب مرتان فى مسجد واحد قال : نعم ان المسجد الواحد قد يؤذن فيه ثلاث مرات أو حتى خمس مرات اذا أراد واحد أن يصلى فى جماعةفى أى وقت صعد وأذن ولكن الحقيقة أن لأهل السنة مساجدهم ولنا ـ الشيعة ـ مساجدنا !! ، ولم أشأ أن أدخل معهم فى جدال فى هذا الوقت فأكلت تمرة أخرى ثم أديت صلاة المغرب والسنة ثم عدت الى التمر والماء مرة أخرى واخيرا قمنا الى غرفة الطعام بيد أنى ـ رغم كثرته وتنوعه ـ لم أجد فيه ما آكله سوى قطع الخبز فقد خلط بالمـواد الحريفـة ورأيتهم يأكـلون فى لذة ونهم ويتغـامزون فكبر على ذلك وتحاملت فأغمضت عينى وأخذت أبلـع دون تذوق والمـواد الحريفة تلســع وتكــوى غشــاء الفــم والحـلقوم ، وكأنى كنت آكـل نار أو أشرب حامض الكبريتيك المركز ، وضحك الجميع عندما تقدمالى صاحب المنزل بمنشفة قائلا : نشف عرقك • وعلق بعضهم مداعبا : بعد شهور قليلة ستصير باكستانيا • وقد خيبت الأيام ظنه فقد كان هذا درسا جعلنى أشرط على من يدعونى أن لايبالغ فى المواد الحريفة ، ولمـا بدأنا ننصرف وجدنا ربة البيت تودع كل أسرة وتعطيـها كمية من الطعام فى كيس أنيق من البلاستك وجاء دورنا وكانت النـار لاتزال تكوى حلقى وتهيـج أمعـائى فرفضت بلصرار وحزم كان من نتيجته أن قطعت هذه الأسرة عـلاقاتها معنـا لوقت غير قصير ولمـا التقينـا بهم فى موضوع عام ذكروا أن من عاداتهـم تقديم ما بقى من الطعام الى ضيوفهـم ليأكل من ورائهـم وأن رفضـه لأى سبب يعد اهانة لصاحب الوليمة •

احياء رمضان :

معظم الناس فى شبه القارة ينامون ويستيقظون مبكرين ، ولذلك فلاوقت عندهم لقراءة القرآن فى البيوت بعد التراويح أو اقامة السهرات القرآنية• كنت على موعد فى مسجد الجنـائز « جناز كاه مسجد» بلاهور لألتقى بعد صلاة التراويح مع بعثة القـراء التى أوفدتها وزارة الأوقاف المصرية لقراءة القرآن خلال شهر رمضان فىباكستان ولم يكد الشيخ الطوخى يقـرأ حتى غص المسجد بالناس ولم يبق فيه لقدم

وما هى الا ساعة أو أكثر قليلا حتى أعلن المرافق انهاء السهرة شاكرا مصر وقارئيها . والحق أن القارىء المصرى لا يقارن بأى قارىء فى العالم الاسلامى ، وكم كنت أود والناس معى أن تطول هذه السهرة وتمتد لكن السيد المرافق تعلل بأن الناس هنا ليس من عادتهم السهر الطويل .

ولأن المذهب السائد فى شبه القارة هو المذهب الحنفى فان صلاة التراويح عندهم عشرون ركعة يحرص معظمهم على أدائها فى المساجد ، ويقرأ الامام فى كل ركعة قدرا معينا من القرآن حتى اذا ما انتهى شهر رمضان كان الامام قد قرأ القرآن كله فى صلوات التراويح ولذلك تستغرق التراويح كل ليلة وقتا طويلا رغم أن الامام يقرأ فيها بسرعة تكاد تبتلع الألفاظ والكلمات فضلا عن المعانى وتدبرها . كما يحرص الناس على حضور صلاة الجمعة اليتيمة ويسمونها جمعة الوداع لأنهم يودعون بها شهر الصيام، وأيضا يحتفلون بليلة القدر دعاء وقرآنا وصلاة .

ولاتهتم الاذاعة كثيرابشهر رمضان فلا آذان لسائر الأوقات ولا برامج خاصة الا ماندر ولا قرآن قبل المغرب ولا ينقل المذياع بوق الافطار مما يجعلنا لا نأبه به قبل المغرب وانما نستبدل به أشرطة قرآنية ونعتمد فى افطارنا على انطلاق البوق ، وفى مساء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الثامن من رمضان ـ حسب توقيت باكستان ـ ١٣٩٣ بينما كنا نتناول طعام الافطار اذ طرق الباب طرقا متواصلا ثم يقتحم أحد الأصدقاء سائلا بلهفة دون أن يسلم : ما الأخبار ؟ قلت لا أدرى أى أخبار تريد ؟ فلم يرد وأسرع ليفتح المذياع فعقدت المفاجأة ألسنتا وشلت تفكيرنا ثم مكثنا طول الليل نتسمع أخبار بلادنا من مصادرها ، وخرجت فى صبيحة السابع من أكتوبر لأرى المظاهرات تهز أرجاء لاهور ثم توالت تساندها الاذاعة والصحف ، وقد أحسست فى تلك الأيام المجيدة أننى أعيش المعركة وأتفاعل مع النصر كأنى فى القاهرة أو دمشق .ولم يكن ذلك من أهل باكستان الا لأنهم ربطوا مصيرهم بالاسلام والعرب الذين هم دعاؤه ودعاته . لكن هل يعى العرب ذلك ؟ وهل يلتفتون الى تلك الخلفية

العميقة يقيمون اليها المعابر ويحصنون قلاعها ؟ جميل أن تنعقد المؤتمرات وتتعدد الزيارات ، وتتوالى البعثات ولكننى والشعب العربى والباكستانى مازلنا نطمح في أكثر من هذا .. فى برامج مدروسة .. فى تعاون قاعدى أصيل .

العيد :

يجرى فى استطلاع هلال شوال ما يحدث فى استطلاع هلال رمضان ولذلك يكون العيد فى الغالب متأخرا عنه فى البلاد العربية بيوم أو يومين ، ولقد كنا نرى أن طائفة تحتفل بالعيد بينما الأخرى صائمة .

فى أواخر رمضان ١٣٩٢ سافرت الى كابل ـ أفغانستان ـ فى مهمة علمية وأنا حريص على قضاء العيد مع أسرتى التى خلفتها فى لاهور ـ مقر عملى ـ ولعل ذلك الحرص كان ينبع من شعورى بوحدة أهلى فى بلد لا توجد به أسرة مصرية غيرنا ، وبالتالى فليس هناك من يدخل الأمل والفرحة اليهم فى ذلك اليوم السعيد ، ولم أستطع أن أنهى مهمتى الا مساء ليلة العيد فى كابل وكنت قبل ذلك لم أوفق فى الحصول على مقعد فى أى طائرة أو سيارة متجهة الى باكستان قبل العيد أو معه فضاق صدرى وتملكنى نوع من يأس غاضب ، وأخيرا سلمت أمرى لله وجلست أتناول طعامى فى مطعم الفندق الذى كنت أنزل فيه فتعرف على أفغانى عرف من لهجتى الفارسية أننى غريب وأبدى لى مساعدته واستطاع أن يحصل على مقعد فى سيارة تسافر أول أيام العيد ثم ودعنى قائلا : أبشر سوف تعبر ممر خيبر التاريخى وتقتفى آثار كبار الفاتحين كالاسكندر الأكبر الذى عبر هذا الممر لفتح بلاد الهند سنة ٣٢٧ ق.م ، ومحمود الغزنوى وغيرهما . وفى الصباح خرجت من الفندق وكانت المدفعية الأفغانية تعلن للناس يوم العيد وهم يذهبون ويروحون فى ملابسهم الجديدة . ثم انطلقت بنا السيارة متجهة الى باكستان وعلى بعد ثمانية أميال تقريبا من كابل بدأت تدخل بين سلسلة من الجبال مختلف ألوانها صعودا وهبوطا فى طريق ضيق مرصوف أو منحوت على حافة جبل تشرف بنا على منخفض سحيق يجرى فيه نهر كابل الذى يسير حتى يدخل باكستان مكونا أحد

روافد نهر السند العظيم ، وكثيرا ماكان الطريق يبدو أمامنا مغلقا بجبل شاهق مخيف ثم نجد السيارة تدور حوله من أسفله الى قمته فى طريق ملتو كأنه ثعبان خرافى التف حول فريسة أسطورية ضخمة لم يستطع أن ينال منها وأنفاسنا تعلو وقلوبنا تخفق وعيوننا تزيغ تتعلق أحيانا بألوان الجبال العجيبة ، وتهبط حينا فترى الهوة عميقة .. عميقة ، والطريق التى صعدناها كأنها خطوط فى لوحة من اللامعقول ، والنهر قد فقد اتصاله فلم نعد نرى منه غير نقاط متفرقة تعكس حزيمات من أشعة بيضاء ، وننزل فى بطء وحذر شديدين فنرى مياه النهر تنسل من بين الصخور وتصطدم بها فى عراك أبدى فتارة تتغلب فيتسع الوادى وأخرى تهادنها فتبدو الصخور كأنها عائمة بين المياه وأحيانا تنحسر المياه فى مجرى ضيق لا يكاد يبلغ مترا واحدا وكأن النهر قد سئم المعارك فوق ظهر الأرض فاتخذ طريقه من تحتها . ترى كم من آلاف السنين مرت حتى استطاع هذا النهر أن يشق لنفسه طريقا بين هذه الجبال المتوالية فى عتو وشموخ ؟

استمر صعودنا وهبوطنا هكذا مع النهر حتى وصلنا قبيل المغرب الى بيشاور ، ولم يكن الوقت يسمح بمواصلة السفر الى لاهور ، والخوف لما يزل ينشب فى قلبى وتتردد أصداؤه بين جوانحى ، وقد نال منى التعب فأخذت حقيبتى على عجل ودخلت أول فندق أستريح ، وبعد قليل انطلق بوق الأفطار : فسألت : أليس اليوم عيد ؟ قالوا : كلا ، وانما هو عيد فى كابل والبلاد العربية : ، وبعد وقت سمعت المذياع يعلن أنه لم تثبت رؤية هلال شوال وعليه فان غدا هو المكمل للثلاثين من رمضان ثم جاءنى الخادم ليقول : هل نوقظك الليلة للسحور أم أنك ستعيد معنا غدا قلت : كيف ؟ !! أجاب : لأن البتان - أهل بيشاور - رأوا الهلال الليلة وسوف يحتفلون بالعيد صباحا دون الحكومة وبقية أهل باكستان !! فسكت ولكنى كدت أذوب وأنا أسائل نفسى : أليس البتان من مسلمين ؟ أليسوا من أهل باكستان ؟ ولماذا لم تأخذ الحكومة برؤيتهم وعليهم التبعة ؟ ثم أليست باكستان وأفغانستان واقعتين على خط طول واحد أو تتقاربان

عليه ؟ أم أنه العناد والرفض حتى في أمور دينية من شأنها أن توحد ولا تفرق ؟ ! ! ، وفى الصباح طلبت قائمة الحساب فقولوا : والأفطار ؟ ألا تعلم أن اليوم عيد ؟ قلت : لقد صرت لا أعلم شيئا ! ثم مضيت بين مظاهر العيد فأخذت القطار الى لاهور ودخلت بيتى قبيل المغرب فوجدت أهلى قد أعدوا الطعام في انتظار بوق الأفطار !! ثم أصبحت فأديت صلاة العيد فى المسجد الجامع بلاهور وبذلك أكون قد حضرت ثلاثة أعياد للفطر فى عام واحد : عيد فى كابل ١٩٧٢/١١/٦ ، وعيد فى بيشاور ١٩٧٢/١١/٧ ، وعيد فى لاهور ١٩٧٢/١١/٨

صلاة العيد :

تبدأ صلاة العيدفى باكستان متأخرة عنها فى البلاد العربية فبينما نصليها فى مصر بعد طلوع الشمس بعشرين دقيقة أو ما يقرب من ذلك يصلونها فى باكستان بعد طلوع الشمس بساعة ونصف الساعة تقريبا ، واذا كان الجو ملائما صلوها فى العراء خارج المسجد ويؤديها حاكم المقاطعة فى المسجد الجامع ففى لاهور مثلا يحتشد فى « شاهى مسجد » خلق كثير لصلاة العيد تقدره الصحف بحوالى ربع مليون مسلم يأخذون أماكنهم فى ساحات المسجد وأسطحه وحدائقه والطرق المؤدية اليه ، وبعد الصلاة تطلق المدفعية من فوق المسجد ابتهاجا بالعيد قبل أن يخرج الحاكم الذى يعانقه المواطنون مهنئين •وليس من الغريب أن تهتم الهيئات الصحية بهذا الجمع الغفير فتأخذ مراكزها فى المسجد وخارجه لتؤدى واجبها الانسانى ولكن الغريب حقا أن نرى داخل المسجد لافتة ضخمة عليها صليب أحمر ـ كان ذلك قبل أن يتحول الصليب الأحمر فى باكستان الى الهلال الأحمر أوئل عام ١٩٧٤ ـ ولكنه صليب على كل حال !!

وعندما تدخل مسجدا لأداء صلاة العيد تجد رجلا ملتحيا يجلس أمام منضدة فوقها لافتة صغيرة كتب عليها مقدار الزكاة الواجبة على كل فرد مقدرة بالعملة المحلية ينظر فيها كل داخل فيعرف ما يجب عليه ـ حسب أفراد أسرته ـ ثم يخرج من جيبه

ويضع على المنضدة ، ولم أشأ أن أتابع ما تؤول اليه تلك النقود لأنى كنت أرى أن معظم القائمين على خدمة المساجد وخاصة الأهلية تجوز عليهم الزكاة •

وتبدأ شعائر صلاة العيد بطفل يتلو ما حفظ من قصار السور والناس يجلسون دون تكبير على خلافنا فى البلاد العربية ثم يقف الامام على منبر صغير وأحيانا لا يكون بالمسجد منبر فيقرأ بالعربية كلمات معينة حفظهن — وذلك مع كل خطبة — ثم يكمل بالأردية ناصحا آمرا ناهيا ثم ينزل فيصلى ركعتى العيد وأخيرا يتعانق الناس دون تقبيل — وهذه عادتهم دائما عند التهانى أو لقاء غائب — ثم يتفرقون فى ملابسهم الوطنية بيضاء جديدة يزورون أقاربهم وجيرانهم وتشكل زيارة القبور جزءا من برامجهم فى ذلك اليوم •

وهناك نوع من الطعام خاص بيوم العيد يسمى عندهم « سويان » بالغنة فى الألف ويقابل الشعرية بالحليب عندنا يقدمونه لزوارهم ومهنئيهم ، والأغنياء يجعلون معهأنواعا من الحلوى والبسكويت يشترونها من الأسواق ولا يعملونها فى البيوت •

وفى النهاية لا أنسى أن أذكر أننى قابلت فى باكستان أعلاما علماء وعتادا ناسكين واخوة أصدقاء أعتز بهم وأدعو الله أن يكثر من أمثالهم كما أتوجه الى المولى سبحانه ونحن نستقبل هذا الشهر العظيم أن يجمع المسلمين فى كل مكان على الخير ويهديهم اليه صراطا مستقيما ؟

دكتور عبد المقصود محمد شلقامى

الحكم بالكفر على المؤمن العاصى

للدكتور مصطفى عمران

من القضايا التى شغل بها المسلمون قديما فى صدر حياتهم ، وكانت سببا بالغا فى اختصامهم وانقسام جماعتهم الى أفراق وشيع مسألة مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام ، أكافر هو أم مؤمن ؟

ولا نزال نطلع فى أيامنا هذه على ضلال بين تجاه هذه القضية مصدره فى الأغلب تشدد فى الدين ومغالاة ينحرف ببعض الناس عن سواء السبيل فى فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويعمى ويصم عما كان عليه جماعة المسلمين وما استقر عليه سلف الأمة وتابعوهم باحسان الأمر الذى يقتضينا توضيح مذهب أهل السنة والجماعة فى مرتكب الذنوب من جماعة المسلمين ، وما طرأ على اجماع الأمة فى هذه القضية من آراء وبدع لا تكاد تتسق مع سماحة الاسلام ويسره ، وحرصه على وحدة المسلمين وتألف قلوبهم ، ومقته للفرقة والشقاق تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

مذهب أهل السنة والجماعة فى مرتكب الكبيرة :

يقول الامام الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتابه «الفرق بين الفرق» ص ٩٧ - ٩٨ : « وكان علماء التابعين فى ذلك العصر) يعنى صدر الاسلام) مع أكثر الأمة يقولون ان صاحب الكبيرة من الاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بأن كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفى عنه اسم الايمان والاسلام ، وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين .

الأمة المسلمة عند أهل السنة :

أما مفهوم الأمة المسلمة عند أهل السنة والجماعة ، فيقول الامام البغدادى رحمه الله : « والصحيح عندنا (يعنى عند أهل السنة) أن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق ، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة اليها ، فكل من أقر بذلك كله ، ولم يشبه ببدعة تؤدى الى الكفر فهو السنى الموحد، وان ضم الى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر ، فان كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرة أو الخطابية الذين يعتقدون الهية الأئمة أو الهية بعض الأئمة ، أو كان على مذهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات أو بنات البنين أو على مذهب اليزيدية من الأباضية فى قولها بأن شريعة الأسلام تنسخ فى آخر الزمان أو أباح ما نص القرآن على تحريمه أو حرم ما أباحه القرآن نصا لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الاسلام ولا كرامة له (١) ... » .

مفهوم الايمان عند أهل السنة والجماعة :

وفى ضوء ما ذكرنا كان مفهوم الايمان عند أهل الحق من جمهور الأشاعرة والماتريدية وعلماء الأمة هو : التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم والاذعان له وقبول كل ما جاء به مما علم من الدين بالضرورة ، أى التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى علمه الخاصة والعامة دون ما حاجة الى بحث ونظر كوجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكوجوب الصلاة والحج وحرمة الخمر والربا ، ويحتجون على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » .

وعلى هذا فالنطق بالشهادتين والأعمال الصالحة غير داخلين فى حقيقة الايمان لأنه مجرد التصديق بالقلب بل الأعمال الصالحة شرط كمال

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٠ — ١١ .

للايمان ، والنطق بالشهادتين شرط لاجراء أحكام الاسلام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد الدخول فى الاسلام •

يقول المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية فى الزمن الأسبق: « الايمان هو التصديق والاذعان بالقلب ؛ فلا يزول الا بنقيضه أو ضده لا يعمل الجوارح مع أن القلب مطمئن بالايمان فمن صدق بقلبه مذعنا ولم يقر بلسانه ، لا لعذر منعه ولا لاباء ، بل كان بحيث لو طلب منه النطق لأجاب ، وارتكب كل كبيرة ، ولم يعمل شيئا من الطاعات من صلاة وصوم وزكاة وحج مع كونه مصدقا بكل ما علم من ديننا بالضرورة فهو مؤمن عاص فقط ، ناج من الخلود فى النار »[1] •

الخوارج ومذاهبهم فى مرتكب الكبيرة:

وقد ظلت الأمة الاسلامية مجمعة على عقيدتها هذه لا تحكم بكفر أحد من أهل القبلة مهما قعد عن عمل الواجبات وارتكب لسائر المحرمات حتى حدث فى الاسلام ما يعرف بمسألة التحكيم فيما وقع من نزاع بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وما استتبع ذلك من سخط بعض أصحاب على رضى الله عنه عليه وثورتهم ضده من أجل رضوخه للتحكيم وخلعهم طاعته وخروجهم عليه •

وقد انقسم هؤلاء الثائرون الذين اشتهروا فى تاريخ الاسلام باسم الخوارج الى عشرين فرقة لكل منها آراؤها الخاصة بها والمخالفة جميعها لما كان عليه سلف الأمة وجماعة المسلمين فى مسألة مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام •

ومن أشهر هذه الآراء :

١ ــ أنهم جميعا يكفرون عليا وعثمان وأصحاب الجمل (عائشة وطلحة والزبير) والحكمين (أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص) وكل من رضى بالتحكيم ويكفرون مرتكب الكبائر •

---

(٢) القول المفيد ص ٩٣ .

٢ـ أن الأزارقة من الخــوارج تزعم أن كل مرتكب لذنب صــغير أو كبير مشرك بالله •

٣ ـ أن الأباضــية من فرق الخوارج يقولون : ان مرتكب ما فيه الوعيــد مع معرفتــه بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر وليس كفران نعمة بكافر كفر شرك •

٤ ـ وزعم قوم من الخوارج فى القرن الخامس الهجرى أن صــاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر وأنه فى شر من الكافر المظهر لكفره (١) •

ويقول الامام أبو المظفر الاسفراينى فى كتابه التبصير فى الدين « والكفر لا محالة لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رســول الله صــلى الله عليــه وسلم (٢) » •

موقف المعتزلة من مرتكب الكبيرة :

وقد بقى الأمر فى مرتكبى الذنوب من أهل ملة الاسـلام على هــذين القولين حتى حدث فى الاسلام هذه الطائفة المعروفة باسم المعتزلة بزعامة واصــــل بن عطاء فخالفت القولين جميعا ، وابتدعت القول بأن مرتكب الكبيرة من هذه الأمة منافق ، والمنافق منزلة بين المنزلتين •

يقــول صــاحب كتــاب النصير فى الدين ص ٤٠ « فكانت الصــحابة والتابعون وجميع أهل السنه يقولون انهم (أى الفســاق من أهــل ملة الاسلام) مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح ، فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية ، وأن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافى ايمانا فى قلوبهم ، وكان الخوارج يقولون : انهم كفرة مخلدون فى النار مع الكفار ، فخالف واصل القولين ، وقال : ان الفاسق لا مؤمن ولا كافر وأنه فى منزلة بين المنزلتين ، وحكمهم فى الآخرة أنهم مخلدون فى النــار مع الكفار ، وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز لله تعالى أن يغفــر له ؟ فخــالف فى القــول جميــع المســلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصرى من مجلسه ،فاعتزل جانبا مع أتباعه فسموا

---

(١) أنظر الفرق بين الفرق للامام البغدادى ص ٩٧ •

(٢) ص ٢٦ •

معتزلة ؛ لاعتزالهم مجلسه ، واعتزالهم قول المسلمين » .

والحق البين المبرأ عن الهوى والغرض المؤيد بنصوص الكتاب والسنة هو ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة من :

١ ـ أن الايمان محله القلب وليس اللسان والجوارح .

٢ ـ أن مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام مؤمن مهما قعد عن عمل الواجبات وارتكب من المحرمات .

٣ ـ وأنه لا يجوز الحكم بالكفر الا اذا ظهر ما يدل على فقد الايمان من القلب كالاستهزاء بالأحكام الشرعية ، وسب الأنبياء والملائكة ، واستحلال ما أجمع المسلمون على تحريمه ، وانكار ما علم من الدين بالضرورة كالصلاة والحج .

هذا ، وقد حاول مولانا الشيخ محمد بخيت التوفيق بين ما أجمع عليه أهل السنة من أن حقيقة الايمان مجرد التصديق والاذعان بالقلب فقط وما ذهب اليه الخوارج القائلين بتكفير مرتكب الكبيرة أو الذنب مطلقا وماذهب اليه المعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا كافر ولا مؤمن ، الأمر الذى يترتب عليه أن يكون الايمان عند هاتين الفرقتين مركب من التصديق بالقلب والعمل بالجوارح ، فقال ما مجمله : ان مراد أهل السنة هو ما به يتحق أصل الايمان الذى به ينجو المكلف من الخلو فى النار على وجه التأييد ، أما مراد الخوارج والمعتزلة القائلين : يتركب الايمان من التصديق بالقلب وعمل الواجبات وترك المحرمات فهو الايمان الكامل ، وأن مراد هؤلاء من خلود المصدق المذعن التارك للواجبات أو بعضها ، أو الفاعل للمحرمات أو بعضها فى العذاب طول مكثه فيه لا عدم خروجه أصلا ؛ فالايمان كشجرة ذات أصل وفروع ، فأصلها التصديق والاذعان وفروعها عمل الواجبات وترك المحرمات وكما أن الشجرة اسم لمجموع الكل كذلك الايمان وكما أن الشجرة اسم لمجموع الكل كذلك الايمان وكما أن الشجرة

(١) كقوله تعالى : أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، « وقوله » : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... « وقوله عليه السلام » : اللهم ثبت قلبى على دينك .

لا تزول أصلا الابزوال أصلها كذلك الايمان .

ثم يقول رحمه الله : « فاعرف هـذا الذى قلنا لك ، ولا تلتفت لما تجده مخالفا له فى بعض كتب القوم من ذكر الخلاف وتشنيع كل فريق على الآخر وتكفيره ؛ فان كل فريق لم يقصد بما ذكره الا التنفير من مذهب مخالفه ، وبيان لوازمه التى لو قال بها قائل لكان كافرا ، ولم يقصد أن مخالفه كافر ؛ فان الحق أننا لا نكفر أحدا ممن صلى بصلاتنا ، وتوجه لقبلتنا ، وصدق وأذعن بما علم بالضرورة من ملتنا (١) » .

ويقول الامام النووى فى شرحه لصحيح الامام مسلم : « واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يعلم من دين الاسلام ضرورة حكم بردته وكفره (٢) » .

هذا ، ومهما يكن من أمر الخلاف أو الوفاق بين العلماء فى حكم مرتكب الكبيرة من أهل ملة الاسلام فمما ينبغى على المسلمين أفرادا وجماعات ـ نهوضا بما كلفهم به الله تعالى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومعذرة اليه عز وجل أن يصيبهم بعذاب من عنده وفرارا من مقت الله وسخطه ـ أن يبذلوا طاقاتهم فى النصح لهؤلاء العصاة وتخويفهم مكر الله بهم وانتقامه منهم ، وتذكيرهم بمغفرته لهم واحسانه اليهم اذا تابوا اليه وأنابوا بما هدنا تعالى اليه فى قوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فاذا هم عموا وصموا وأصروا على الفسق وأقاموا على المعصية فعلى الذين يخشون ربهم ويعتزون بدينهم ولا يخافون فى الحق لومة لائم أن يتجهموا لهؤلاء المتمردين على الله ، ويعبسوا فى وجوههم ، وأن يشتدوا ما وسعهم فى النكير عليهم والتنديد بهم وأن يغلظوا عليهم فى القول

(١) أنظر القول المفيد لعمدة المحققين الشيخ محمد بخيت ص ١٤
(٢) الجزء الأول من شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ص ١٥٠

ويعرضوا عنهم فى المعاملة مؤثرين بالخير والنفع اخوانهم من أهل الصلاح فى الدين والاستقامة فى فى الخلق ؛ انتفاعا بما ذكر به سبحانه عباده المؤمنين بما سلف من ثابت سنته فى قوله : « واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون • فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » واستجابة لأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الامام مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » •

وتغيير المنكر باليد وتأديب العصاة وردع الفساق بالقوة والضرب على أيدى المستهترين وتطهير المجتمع الاسلامى من المتهتكين المجاهرين بالسوء هو واجب ولاة الأمر فى الدرجة الأولى ، والأمانة التى حملهم الله اياها يحاسبون عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم •

وعلى خاصة المسلمين ثم عامتهم أن ينصحوا للولاة والحكام ما استجابوا لله والرسول ، وأن يقوموهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا اذا ما اعوجوا عن صراط الله المستقيم ، وأن يجاهدوهم طاقتهم اذا هم تخلوا عن رسالتهم ، وقعدوا عن اعزاز دين الله والحفاظ على شريعته وصونها من عبث العابثين ؛ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » •

هذا ، والله المسئول أن يبصرنا بأحكام ديننا السمح وأن يهبنا من لدنه السداد والرشاد ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان •

دكتور مصطفى عمران

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

تكلمنا في العدد الماضي عن المبادى والنظريات التي تحكم التنظيم القانوني للعقود في الشرائع الوضعية في العصر الحديث

ونتكلم في هذا العدد عن التنظيم القانون للعقد في القانون الانجليزي •

يأخذ القانون الانجليزي بما تأخذ به سائر الشرائع الوضعية من تقسيم العقود الى عقود شكلية ، وعقود رضائية •

وطبقا لقانون مكافحة الغش الصادر سنة ١٦٧٧

والتعديل الذي أجرى عليه في سنة ١٩٥٤ "Statute of" "Frauds 1677" يتعين أن تكون العقود الآتية مكتوبة حتى تكون ملزمة من الناحية القانون :

١ – عقود الكفالة أو الضمان "Contracts of suretyship or guarantee"

٢ – أي عقد يتعلق بالعقارات سواء كان بيعا أو اجارة أ وانتفاعا أو غير ذلك •

ولينعقد العقد الرضائي "Parol Contract" صحيحا وملزما لجميع أطرافه يتعين توافر أربعة عناصر أساسية هي التراضي "mutual agreement" والأهلية "Capacity" والمقابل الذي يقوم كل متعاقد بتقديمه للآخر "Consideration" والمشروعية "Legality"

أما العقود الشكلية والتي يتعين أن تتم عن طريق محرر رسمي "deed" فانها تنعقد بمجرد توافر الايجاب والقبول ممن هم أهل لمباشرتها ولا يشترط فيها وجود عنصر المقابل •

وسنتكلم عن كل عنصر من هذه العناصر بشيء من التفصيل •

أولا ــ التراضى :
Mutual Agreement

يشمل عنصر التراضى الايجاب "offeror" أى الوعد أو الاقتراح المقدم من أحد المتعاقدين للآخر ويسمى هذا الطرف بالموجب "Offer" ويسمى الطرف الآخر المعروض عليه هذا الوعد أو الاقتراح بالموجب له "offeree"

ويشترط فى هذا الايجاب أن يكون واضحا "clear" حتى يعرف المتعاقد الآخر حقيقة ما هو معروض عليه وأن فرقا بين الدعوة الى التعاقد والمفاوضات يكون باتا "definite" لأن هناك فرقا بين الدعوة الى التعاقد والمفاوضات التى تسبق التعاقد عادة كما يشترط فى هذا الايجاب أن يكون جديا فالمزاح لا يمكن أن يعتبر ايجابا صحيحا ملزما • فمتى توفرت هذه الشروط فى العرض أو الاقتراح المقدم اعتبر ذلك ايجابا سليما من الناحية القانونية •

هذا الايجاب لابد وأن يتصل بعلم الموجب له وهو الطرف الآخر وهو أمر واضح اذا كان الطرفان فى مجلس واحد أو يتعاقدان بالتليفون أما اذا كان التعاقد يتم بالمراسلة فان الايجاب لا ينتج أثره الا من تاريخ تسلم الموجب له للبرقية أو الخطاب المثبت به الايجاب • والعنصر الثانى لركن التراضى هو القبول "serious" فمتى سمع الموجب له بالايجاب فى مجلس العقد أو تسلمه فان له أن يرفض أو أن يقبل هذا الايجاب فى المدة المحددة له أو فى مدة معقولة ان لم تكن هناك مدة محددة بمعرفة الموجب •

ويجب أن يتم القبول بالمطابقة تماما للايجاب دون أى تحريف أو تعديل له أو تعليق على استيفاء أية نقاط أخرى ومتى صدر القبول بهذه الصورة ينعقد العقد فاذا كان المتعاقدان فى مجلس واحد أو يتعاقدان بالتليفون فالأمر واضح وسهل أما اذا كان التعاقد يتم بالمراسلة فيعتبر القبول كاملا ومنتجا لكل آثاره متى سلم للبريد أو مكتب البرق وحتى ولو فقد بعد ذلك ولم يتسلمه الموجب وذلك على عكس الايجاب حيث يشترط أن يتسلمه الموجب له استلاما فعليا ومن ذلك يتضح أن القانون الانجليزى يأخذ بنظرية تصدير القبول والتى سبق أن شرحناها فى العدد الماضى •

واذا أراد الموجب أن يسحب ايجابه فان هذا السحب لا ينتج أثره الا من وقت وصوله (السحب) الى الموجب له لأن سحب الايجاب مثل الايجاب تماما ولذلك لو أرسل أ خطابا الى ب لسحب عرضه بينما كان ب قد أودع قبوله فى البريد أو البرق (ولم يكن قد وصل أ) فان العقد ينعقد صحيحا وملزما •

والقبول قد يتم بالقول "by word of mouth" أو بالكتابة "by writing" أو بالفعل أو السلوك "by conduct" وللموجب الحق فى تحديد الطريقة التى يتم بها القبول •

وحتى ينتج كل من الايجاب والقبول أثرهما فى تكوين العقد يتعين أن يكون كل من الموجب والقابل أهلا للتعاقد وهنا ننتقل الى الكلام عن العنصر الثانى وهو الأهلية •

ثانيا ــ الأهلية : Capacity

واما أن يعتبر صحيحا ولكن غير

يعتبر القانون الانجليزى كل شخص يقل سنه عن احدى وعشرين سنة ميلادية قاصرا "infant" وليس أهلا للتعاقد فاذا تعاقد هذا القاصر فان هذا العقد اما أن يعتبر غير موجود أصلا "void" واما أن يعتبر قابلا للابطال وفق اختيار القاصر ومشيئته وحده voidable واما أن يعتبر صحيحا ولكن غير ملزم للقاصر "valid"

واما يعتبر صحيحا وملزما للقاصر "unenforceable"

فطبقا للقانون الصادر بشأن القصر سنة ١٨٧٤ "Infants Relief Act 1874"

تعتبر العقود التى يجريها القاصر بالنسبة للقروض ذات الفوائد "moneylending contracts" وعقود (الشراء فيما عدا الضروريات التى سنشير اليها فيما بعد) والتصديق على الحسابات تعتبر جميعها باطلة بطلانا مطلقا وغير موجودة أصلا Void فلا يملك القاصر اجازتها بعد بلوغه سن الرشد فلو اقترض أحد القصر مبلغا من المال فان القاصر لا يلتزم برد هذا القرض حتى ولو ادعى كذبا بأن سنه يزيد على احدى وعشرين سنة وقت الاقتراض •

اما العقود التى يجريها القاصر لشراء الحاجات الضرورية له "necessaries"

مثل المأكل والملبس والكتب الدراسية وما شابه ذلك بشرط أن يكون ثمنها معقولا وان تكون ملائمة لمستواه الاجتماعى فانها تعتبر صحيحة وملزمة له وذلك طبقا لأحكام المادة الثانية من قانون بيع البضائع سنة ١٨٩٣

Sales of Goods Act 1893 S. 2.

وكذلك العقود التى يجريها لتحقيق منفعة خاصة به مثل عقود التدريب والتعليم والتوظيف فانها أيضا تعتبر صحيحة وملزمة للقاصر .

أما تلك العقود الصحيحة ولكن غير الملزمة للقاصر فى نفس الوقت فهى العقود الخاصة بالاتفاق على الزواج فلو اتفق رجل سنه خمسة وعشرون عاما مع بنت سنها ثمانية عشر عاما على الزواج ثم حنث بوعده فانه يمكنها مقاضاته على اخلاله بهذا العقد ولكن اذا كان الاخلال من جانبها هى فانه لا يمكنه مقاضاتها فاذا ما بلغت الحادية والعشرين فانها لا تعتبر مرتبطة بهذا العقد الا اذا جددته بعد ذلك .

ويعتبر أيضا غير أهل للتعاقد المجانين والمعتوهين "Insane Persons" وتسرى عليهم نفس الأحكام التى تسرى على القصر كما تسرى نفس هذه الأحكام على المخمورين الذين فقدوا وعيهم "Intoxicated Persons" فأصبحوا لا يتبينون أقوالهم أو أفعالهم بشرط أن يثبت المجنون أو المخمور أنه كان كذلك وقت التعاقد .

ولا يكفى لانعقاد العقد صحيحا أن يصدر كل من الايجاب والقبول ممن هو أهل للتعاقد وانما يجب أن يكون التعبير عنهما خاليا من العيوب التى تعيب الارادة ولا تجعلها حرة حرية كاملة فى التعبير عن الغرض حتى يكون التراضى حقيقيا "Genuine consent" وهذه العيوب التى تعيب الارادة وبالتالى تؤثر على سلامة العقد هى الغلط "mistake" والغش Fraud والاكراه "duress" والاستغلال أو الغبن "undue influence"

والغلط هو اعتقاد خاطىء "erroneous belief" يقوم فى ذهن المتعاقد يدفعه الى التعاقد كما اذا شاهد آنية من الأوانى فاعتقد انها أثرية وطلب شراءها على هذا الأساس . والغلط الذى يعيب الرضاء هو الغلط الجوهرى وحده "Important or material"

أما الغلط غير الجوهرى immaterial فلا أثر له على صحة التراضى ويعتبر الغلط فى القيمة غلطا غير جوهرى فلو اشترى المتعاقد سلعة بمبلغ مائتى جنيه معتقدا انها تساوى ثلاثمائة جنيه ثم اتضح له بعد ذلك انها لا تساوى أكثر من مائة جنيه فقط فانه لا يمكنه التحلل من العقد بسبب هذا الغلط الذى وقع فيه • كذلك يشترط أن يكون الغلط معلوما لدى الطرف الآخر "mutual mistake"

أما الغلط الذى ينفرد به أحد الطرفين "unilateral mistake" فليس له أى أثر على سلامة العقد ففى المثال المتقدم لو أن البائع علم ان المشترى انما يشترى هذه الآنية لأنها أثرية وهو (البائع) يعلم أنها ليست كذلك فان العقد هنا يكون معيبا بعيب «الغلط» اما ان كان لا يعلم انه يشتريها لأنها أثرية فالعقد يظل صحيحا ولا أثر للغلط الذى وقع فيه المشترى فى هذه الحالة •

والعيب الثانى من عيوب الارادة هو « الغش "Fraud" وهو عبارة عن استعمال أحد المتعاقدين وسائل من شأنها التأثير على المتعاقد الآخر لحمله على التعاقد لتحقيق كسب غير متكافىء مع القيمة الحقيقية للشىء الذى يقدمه "Unfair advantage" فتكون حقيقة الشىء المقدم مزيفة ويعلم بهذا التزييف المتعاقد الذى يقدمه قاصدا خديعة الطرف الآخر الذى يجهل أن هذا الشىء مزيف والذى يتعاقد نتيجة التأثير الذى وقع عليه من الطرف الآخر • ووصف الشىء على غير حقيقته يبيح للطرف الذى يقع عليه الضرر التحلل من التزامه وابطال العقد اذا كان ذلك الوصف غير الحقيقى بحسن نية "innocent misrepresentation" اما اذا كان هذا الوصف مقصودا به الخديعة والغش "Fraudulent misrepresentation" فللطرف المضرور فى هذه الحالة الحق فى المطالبة بالتعويض الى جانب ابطال العقد والعيب الثالث من عيوب الارادة هو الاكراه "duress or coercion" الاكراه قد يكون باستعمال القوة أوباستعمال القوة لحمل الطرف الآخر على التعاقد "Physical force or threat of physical force"

أما العيب الرابع والأخير من عيوب الارادة فهو « الاستغلال » "Undue influence" والاستغلال يشبه الى حد كبير الاكراه غاية ما فى الأمر أن

الأكراه يتم بالاعتداء أو التهديد بالاعتداء على جسم الطرف الآخر اما الاستغلال فهو اكراه بوسائل أخرى ليس من بينها الاعتداء البدنى ولكن النتيجة واحدة فى الحالين هى حمل المتعاقد على قبول ما كان يرفضه لولم يتعرض لظروف الاكراه أو الاستغلال ومن أمثلة الاستغلال استغلال المحامى لعميله أو الطبيب لمريضه أو الوصى للقاصر وذلك للحصول على فائدة لا يستحقها .

فاذا شاب الارادة أى عيب من هذه العيوب الأربعة فان العقد فى هذه الحالة يكون قابلا للابطال "Voidable" لصالح الطرف المضرور يطلبه بعد زوال العيب الذى شاب العقد فلا يسقط حق القاصر فى الابطال الابعد بلوغه سن الرشد بمدة معقولة ولا يسقط حق الطرف المتعاقد عن غلط أو غش فى الابطال الا بعد اكتشاف الغلط أو الغش ولا يسقط حق الطرف المتعاقد تحت ظرف الاكراه أو الاستغلال الا بعد زوال ظرف الاكراه البدنى أو الادبى .

ننتقل بعد ذلك الى الكلام عن العنصر الثالث من العناصر التى يستلزمها انشاء العقد .

ثالثا ـ المقابل :
Consideration

جميع العقود الرضائية لا تنعقد صحيحة الا اذا تضمنت عنصر « المقابل » اما العقود الرسمية deeds فلا يشترط لصحتها توافر هذا العنصر .

والمقابل هو ما يعطيه كل متعاقد للمتعاقد الآخر لاتمام العقد فعندما أبيعك كتابا معينا بمبلغ خمسة جنيهات فالكتاب هو المقابل الذى أعطيه لك بموجب العقد وخمسة الجنيهات هى المقابل الذى تعطيه لى . وبدون وجود عنصر « المقابل » فى العقد من كل من الطرفين فان العقد لا ينعقد اطلاقا فاذا وعدتك باعطائك خمسة جنيهات كهدية ولم تقدم شيئا مقابلا من جانبك فانه لا يكون هناك عقد ولا التزم بتسليمك المبلغ الذى وعدتك به على سبيل الاهداء .

فقيام العقد الرضائى فى القانون الانجليزى يحتم أن يقدم كل من الطرفين شيئا للآخر بمعنى أن كلا من الطرفين يكون متحملا بعبء ما detriment فى نظير الفائدة التى ستعود عليه من العقد فيكون كل من الطرفين منتفعا ومتحملا بعبء فى نفس الوقت ولا يشترط التوازن أو المساواة بين

ما يقدمه كل طرف للآخر فمثلا اذا اتفق والد مع ابنه على اعطاء الابن مبلغ مائة جنيه اذا أقلع عن التدخين لمدة سنة كاملة فان هذا العقد يعتبر صحيحا لأن وعد الابن بعدم التدخين يعتبر « مقابلا » لمبلغ المائة جنيه ويعتبر عنصر المقابل متوافرا من الجانبين فى هذه الحالة فالاب سيدفع مائة جنيه وسيحصل على « الاكتفاء النفسى » "Personal satisfaction" لسبب اقلاع نجله عن التدخين والابن سيحصل على مبلغ مائة جنيه وفى سبيل ذلك سيتحمل بعبء عدم التدخين فى الوقت المسموح له بالدخين قانونا ٠

ولكن لو فرضنا ان الأب اتفق مع ابنه على أن يدفع له هذا المبلغ فى نظير عدم قيادة سيارته بسرعة تزيد على السرعة المسموح بها قانونا فان عنصر المقابل هنا لا يتوافر فى العقد وبالتالى لا ينعقد العقد لأن الابن فى هذه الحالة لن يتحمل أى عبء لأنه ليس له أى حق من الناحية القانونية فى قيادة سيارته بسرعة تزيد على السرعة المحددة وبالتالى فهو لم يتحمل بأى عبء ولم يتنازل عن أى حق من حقوقه ٠

كذلك لو عرض (أ) على (ب) أن يبيعه سيارته بمبلغ ألف جنيه ووافق أن يلتزم بهذا الايجاب مدة أسبوع ولو يقدم (ب) شيئا مقابلا لهذه الموافقة على بقاء الايجاب مدة أسبوع فان هذا الايجاب لا يعتبر ملزم (أ) ويستطيع أن يبيع سيارته لشخص آخر قبل نهاية الأسبوع لأنه لم ينشأ عقد بالابقاء على الايجاب مدة هذا الأسبوع لعدم تقديم (ب) للمقابل أما اذا قدم (ب) مقابلا لذلك ولو خمسة قروش فان الايجاب يظل ملزما لـ (أ) لأنه قد نشأ عقد صحيح بذلك يوجب على (أ) أن يبقى على ايجابه مدة الأسبوع ٠

ويشترط فى المقابل أن يكون شيئا حاضرا أو مستقبلا فاذا وعد أب ابنه بدفع مبلغ مائة جنيه له لأنه نجح فى الامتحان فان هذا الوعد لا يعتبر ملزما للأب لانه لا يوجد « مقابل » فى هذه الحالة بالمعنى القانونى ٠ كذلك يشترط فى « المقابل » أن يكون مقدما من ذات المتعاقدين فلا عبرة بالمقابل المقدم من أى طرف ثالث غير المتعاقدين ٠

ويشترط أخيرافى المقابل أن يكون شيئا مشروعا غير محظور بحكم القانون ٠

والعنصر الرابع من عناصر تكوين العقد الصحيح هو عنصر المشروعية .

رابعا ـ المشروعية :
"Legality"

فالعقد لابد وأن يكون القصد منه تحقيق هدف مشروع ويتشدد القانون الانجليزى فى ذلك الى حد كبير .

ويعتبر الهدف غير مشروع فى القانون الانجليزى اذا كان مخالفالأى قانون من القوانين فعقد الاقراض بالربا الفاحش Usury أى بفائدة تزيد على الفائدة التى حددها القانون يعتبر عقدا باطلا وغير موجود فلا يعتبر شرط الفائدة باطلا والعقد صحيح كما تذهب أغلب القوانين وانما يعتبر العقد بأكمله باطلا وغير قائم أصلا .

كذلك يعتبر القانون الانجليزى عقود المراهنة "betting and wagering contracts" عقودا باطلة لعدم المشرعية ويعرف القانون الانجليزى هذه العقود بانها تلك العقود التى تنعقد بين شخصين لكل منهما وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الآخر فى أمر معين ويتفق الاثنان على أن يعطى أحدهما للآخر رهانا معينا اذا ما اتضح بعد ذلك أن وجهة نظره هى الصحيحة .

كذلك من أمثلة العقود الباطلة لعدم مشروعية العقود الخاصة بارتكاب أية جريمة أو مخالفة للقانون أو للآداب العامة أو للحصول على الرتب والألقاب الشرفية وكذلك العقود التى يترتب عليها افساد علاقة الدولة بغيرها من الدول فمثلا اذا أصدرت الولايات المتحدة قانونا بحظر دخول الخمور فى أراضيها فان أى عقد يبرم فى انجلترا لتهريب الخمور للولايات المتحدة يعتبر باطلا طبقا للقانون الانجليزى لعدم المشروعية فى هذه الحالة .

هذه هى العناصر الأربعة التىيتعين أن تتوافر مجتمعه لينشأ عنها عقد صحيح فاذا نقص أحدها لم ينشأ العقد أصلا وهو ما يعبر عنه تجاوز بالعقد الباطل "Void contract" بينما أنه من الناحية القانونية لا يوجد أى عقد اصلا حتى يوصف بالبطلان .

والعقد بعد نشأته لا يمثل موقفا أبديا فهو ينشأ لغاية معينة ويفرض

فى سبيل تحقيقها التزامات معينة على كل من الطرفين فان تم تنفيذ العقد بحذافيره فانه ينحل بعد ذلك وتنتهى هذه الرابطة العقدية وينتهى أثر العقد لسبب نفاذه بالكامل
"discharge by performance"

وقد يستحيل تنفيذ العقد لأسباب لا دخل فيها لاى من الطرفين كما لو كان موضوع العقد بيع شىء معين بالذات لا مثيل له وهلك هذا الشىء قبل التسليم فان العقد هنا ينحل لسبب الاستحالة •
"discharge by impossibility"

وقد يتفق المتعاقدان على عدم تنفيذ العقد فينحل العقد بهذا الاتفاق
"discharge by operation of law"

وقد ينحل العقد بفعل القانون
"discharge by agreement or rescission"

كما لو تعاقد شخص على بيع مادة من المواد وقبل التسليم أصدرت الدولة قانونا بحظر التعامل فى هذه المادة •

وأخيرا ينحل العقد برفض أحد الطرفين تنفيذ التزاماته التى نشأت بموجبه أى ينحل العقد بسبب الاخلال به "discharge by breach"

واخلال أحد الطرفين بالعقد وعدم قيامه بتنفيذ الالتزامات المفروضة عليه بموجبه ينشىء فى ذمته التزاما بتعويض الطرف الاخر عن الضرر الفعلى والحقيقى الذى أصابه نتيجة عدم تنفيذ لالتزاماته •

فالأصل فى القانون الانجليزى أن يكون جزاء عدم تنفيذ العقد هو الحكم بالتعويض النقدى على الطرف الممتنع ولا يجبر على تنفيذ العقد تنفيذا عينيا "specific" "performance" الا اذا كان التعويض النقدى لا يعتبر كافيا وان الطرف المضرور لم يكن قصده من التعاقد مجرد النفع المالى كما اذا تعاقد على شراء شىء له قيمة خاصة عنده ولا يعوضه المال عن عدم حصوله على هذا الشىء •

فالأصل فى القانون الانجليزى أن يكون التعويض عن عدم تنفيذ العقد هو التعويض النقدى اما التنفيذ العينى فهو يعتبر استثناء من هذه القاعدة •

والتعويض لايكون الاعن الاضرار الفعلية المتوقعة فقط حسب طبيعة العملية المقصودة من العقد فاذا تعاقد

شخص على شراء آلة من آلات الرى ثم ظهر بعد ذلك بها أى تلف فان البائع يكون مسئولا عن التعويض عن هذا التلف وليس عن الاضرار التى نتجت عن عدم استعمال هذه الآلة فى موعدها .

وقد يتفق المتعاقدان فى العقد على تحديد التعويض liquicated damages الذى يدفع لايهما جزاء اخلال الطرف الآخر بالتزاماته فاذا كان هذا التحديد معقولا ومناسبا كان واجب النفاذ اما اذا كان متجاوزا للحد ومقصودا به عقاب الطرف الممتنع عن التنفيذ "Exemplary or punitive damages" فللمحكمة تخفيضه ورده الى الحد المعقول .

وعلى الطرف الذى أضير من عدم تنفيذ العقد أن يثبت الضرر الذى حدث له وقيمته ويفرض القانون عليه الالتزام ببذل أقصى جهده لحصر هذا الضرر فى أضيق نطاق ممكن حتى لا يرهق خصمه بدفع تعويض أكثر من اللازم حتى ولو كان هذا التعويض محددا من أول الأمر ولو لم يكن هناك أى خطأ أو تقصير من الطرف المضرور.

فمثلا اذا تعاقد أ مع ب على أن يلتحق الأول بخدمة الآخر لمدة سنة شهور بأجر شهرى قدره مائة جنيه وبعد انتهاء الشهر الأول طرد ب أ من خدمته رغم أدائه عمله على أكمل وجه ورغم حاجة ب الى خدماته فانه طبقا للمعمول به فى أغلب الشرائع يتقاضى أ فى هذه الحالة تعويضا قدره خمسمائة جنيه قيمة مرتبه عن باقى مدة العقد لأنه لا يوجد أى خطأ من جانبه أما فى القانون الانجليزى فان أ يلتزم ببذل أقصى جهده للحصول على عمل بأقصى أجر ممكن فاذا نجح مثلا فى الحصول على عمل فورى بنفس الأجر لم يكن له أى حق فى التعويض واذا نجح فى الحصول على عمل بأجر أقل كان له المطالبة بالفرق عن باقى مدة العقد . فالقانون الانجليزى يفرض على الطرف المضرور من عدم تنفيذ العقد بذل أقصى جهد ممكن لخفض التعويض الذى سيلتزم به خصمه وهى قاعدة تدل على قمة الالتزام بالجانب الخلقى فى المعاملات .

وأخيرا فان الالتزامات التى يفرضها العقد على كل من الطرفين لا يمكن طبقا للقانون الانجليزى أن

تسقط بمضى المدة (التقادم) Lapse of time وذلك على خلاف معظم التشريعات الوضعية والتى تقضى بسقوط الحق وابراء ذمة المدين من التزامه اذا مضى على عدم تنفيذه لالتزامه مدة معينة رغم قيام الطرف الآخر بالوفاء بالتزامه كاملا فمثلا لو باع أحد منزله لآخر وتسلمه المشترى ولم يدفع الثمن ومضى على ذلك المدة التى حددها القانون لسقوط الالتزام بدفع الثمن بالتقادم ثم طالب البائع المشترى بثمن هذا المنزل فان المشترى يستطيع الامتناع عن السداد والاحتفاظ بالمنزل فى نفس الوقت لأن التزامه بدفع الثمن قد انقضى بالتقادم .

هذه القاعدة السارية فى معظم الشرائع الوضعية من تحديد مدد معينة لسقوط الحقوق والالتزامات بالتقادم بحجة أن ذلك مدعاة للاستقرار أو أنه جزاء للدائن المهمل . هذه القاعدة لا يطبقها القانون الانجليزى اطلاقا فلا يسقط أى حق ولا ينقضى أى التزام مهما مر عليه من سنين .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن التنظيم القانونى للعقد بصفة عامة فى القانون الانجليزى وسنتكلم فى العدد القادم ان شاء الله عن هذا التنظيم للعقد فى الشريعة الاسلامية.

حسن حسب الله

أوائل الشهور العربية

للأستاذ محمد كمال السيد

الشهر أصلا دورة قمرية ، أى دورة القمر حول الأرض دورة كاملة ، وتتم هذه الدورة فى ٢٩ر٥٣٠٨٨ يوما ، أى فى تسعة وعشرين يوما ونصف وكسر ،

ق س ى

وبعبارة أخرى فى ٢٩ر١٢ر٤٤

وكل اثنتى عشرة دورة قمرية تعتبر سنة قمرية ، ومدتها ٣٥٤ر٨ر٤٨

وقد عرف العرب هذا الحساب الفلكى الصحيح ، وعبروا عن السنة القمرية بأنها ٣٥٤ يوما وخمس وسدس يوم ، أى $354 \frac{11}{30}$ يوما ،

وكانت معرفة الانسان للحساب القمرى أسبق من معرفته للحساب الشمسى ، فالأول أسهل استقراء ، لقصر مدة دوران القمر حول الأرض ، وللاختلاف الظاهر فى قرصه يوما بعد يوم ،

فلما عرف الانسان السنة الشمسية احتفظ بتقسيمها الى اثنى عشر شهرا ، ولما كانت السنة

ر ق س ى

الشمسية ومدتها ٣٦٥ر٥ر٤٨ر٤٦ لا تقبل القسمة على اثنى عشر ، اختلفت الشهور طولا – مع تفصيل ليس هنا مكانه – وأصبح الشهر تقسيما اصطلاحيا للسنة لا يرتبط بظاهرة طبيعية ،

ولكن ظل الشهر العربى تقسيما أصليا للزمن ، يرتبط بظاهرة طبيعية هى الدورة القمرية ،

وبهذا الخلاف بين السنتين القمرية

ر ق س ى

والشمسية الذى يبلغ ١٠ر٢١رـــر٤٦ أصبحت الشهور العربية تدور مع السنة الشمسية متنقلة بين الفصول ،

---

(١) يوجد فوق هذا الرقم كسر مقدار ٢ر٧٦ ثانية ضربنا صفحا عنه حيث يتكون منه فى السنة ٣٣ ثانية تقريبا ولا يتكون منه يوم كامل الا كل ٢٥٧٢ سنة قمرية ،

وقد تنبه أحد أذكياء الكتاب فى عهد المتوكل على الله العباسى فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) الى دقة الصياغة فى الآية الكريمة : (فلبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) - الآية ٢٥ من سورة الكهف رقم ١٨ بالمصحف - فلو أراد سبحانه وتعالى مجرد الرقم لقال تسعا وثلاثمائة • ولكن فى لفظ (وازدادوا) اشارة خفية فسرها بأن كل ٣٠٠ سنة شمسية تساوى ٣٠٩ سنة قمرية •

وهو حساب سليم وتفسير معقول• فلو طبقنا الحساب الفلكى الحديث لوجدنا الرقمين متساويين مع فارق
ق س ى
٧٣٫٨٫٣٨ زيادة فى السنين الشمسية •

ويرتبط الشهر العربى بكثير من شعائر الاسلام مثل الصوم والحج • وبالمواسم الدينية التى يحتفل بها المسلمون • مثل أول السنة الهجرية• ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام• والاسراء والمعراج (وغيرها من المواسم والأعياد • وببعض الأحكام الفقهية مثل العدة والنفقة وغيرها •

ولا شك أن لله حكمة بالغة فى جعل بعض شعائر الدين مثل الصوم والحج تدور مع السنة حتى يمارسها المسلمون فى كل الفصول وعلى اختلاف الطقس • فهى ليست من عروض التجارة أو أنواع الزراعة التى تخضع لجو معين •

وبارتباط بعض شعائر الدين بالشهر القمرى • أصبحت رؤية الهلال مسألة هامة • فهى تحدد بدء اليوم من الشهر • ولما كانت رؤية الهلال تتحدد عند غروب الشمس • فيكون الليل أول اليوم فى الحساب القمرى • بخلاف الحساب الشمسى الذى يعتبر أول اليوم هو شروق الشمس (وقد تقرر أخيرا فى اجتماع اتحاد الفلكيين الدولى سنة ١٩٢٢ أن اليوم يبدأ فى منتصف الليل) •

ورؤية الهلال كانت - ولاتزال - مثار جدل بين المسلمين • خصوصا فى أول رمضان وعيد الفطر • فاختلاف خطوط الطول والعرض تجعله قد يرى فى قطر اسلامى دون آخر كما أن ضرورة الاعتماد على الرؤية البصرية تثير شكوكا فى حجية هذه الرؤية • فقد يكون فيها انخداع

بصر . أو طمع فى الجائزة التى تضعها بعض الدول الاسلامية لرصد الهلال .

والاعتماد على الرؤية البصرية ـ دون الحساب العلمى الفلكى ـ مرتبط بالحديث الشريف (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته . فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) .

ولكن المنجمين ـ أى علماء الهيئة والفلكيين ـ (وليس كما يتبادر للذهن أنهم من يقرأون الطوالع ويتنبأون بالمستقبل للاعتقاد القديم بتأثير مواقع النجوم وحركاتها على الأفراد والأحداث) ـ لجأوا الى طريقة أخرى فى احتساب أوائل الشهور دون الاعتماد على الرؤية البصرية أو الحساب الفلكى . بل معتمدين على الحساب الرياضى . وهى طريقة تؤدى فى نهايتها الى حساب ينضبط تماما كل ثلاثين سنة . ويكون قريبا من الضبط خلال هذه المدة .

فقد ذكرنا أن السنة القمرية $\frac{11}{30}$٣٥٤ يوما . بمعنى أن هناك ستة شهور من السنة كل منها ثلاثون يوما . وستة شهور كل منها تسعة وعشرون يوما . يكون مجموع ذلك ٣٥٤ يوما . ثم يتكون من كسر اليوم ١١ يوما كل ثلاثين سنة .

فاعتبروا الشهور الفردية من السنة ثلاثين يوما . والزوجية تسعة وعشرين يوما . فالمحرم وربيع أول وجمادى الأولى ورجب ورمضان وذو القعدة كل منها ٣٠ يوما ؟ صفر وربيع ثانى وجمادى الثانية وشعبان وشوال وذو الحجة كل منها ٢٩ يوما .

ثم يضيفون يوما الى ذى الحجة كلما قارب كسر اليوم يوما صحيحا، بترتيب وضعوه . حتى تتم اضافة ١١ يوما كل ٣٠ سنة . وتسمى السنة التى يضاف اليها اليوم سنة كبيسة .

والترتيب الذى وضعوه للسنة الكبيسة هو : السنة الثانية ـ الخامسة ـ السابعة ـ العاشرة ـ الثالثة عشرة ـ السادسة عشرة ـ الثامنة عشرة ـ الحادية والعشرين ـ الرابعة والعشرين ـ السادسة والعشرين ـ التاسعة والعشرين .

وهذا الترتيب كما ترى يتوالى كل سنتين أو ثلاث • حيث يقارب كسر اليوم يوما صحيحا • فمثلا : فى الاحدى عشرة سنة الأولى كبسنا أربع سنوات بأربعة أيام تساوى ٩٦ ساعة والاحدى عشرة سنة مضروبة فى
س
٨٫٤٨ (كسر اليوم كل سنة) تساوى
ق
٩٦٫٤٨ • وهكذا •

وعلى هذه الطريقة درجت الشيعة فى احتساب الشهور • فكان عندهم شهر شعبان دائما ٢٩ يوما • وشهر رمضان دائما ٣٠ يوما • وفى حالة عدم ظهور الهلال فى أول رمضان تأولوا فى تفسير الحديث الشريف (صوموا لرؤيته) أى صوموا اليوم الذى يرى الهلال فى عشيته • وهذا تأويل بعيد كما هو ظاهر •

وذكر القلقشندى (صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٧٠) طريقة حسابية لمعرفة أوائل الشهور العربية اذا عرفت أول المحرم •

وهى أن تحسب عدد الشهور من المحرم الى الشهر الذى تريد معرفة أوله • ثم تأخذ نصف هذا العدد فتضيفه عليه • واذا كان الرقم فرديا صححت نصفه الى رقم صحيح • وتضيفه • ثم تحسب من أول المحرم أيام الأسبوع حتى تصل الى الرقم الناتج من المجموع • فما ينتهى اليه العدد يكون هو أول الشهر المطلوب •

نأخذ مثالا لهذا : أول السنة الهجرية الحاضرة • فكان أول المحرم سنة ١٣٩٥هـ يوافق يوم الاثنى (١٣/١/١٩٧٥ م) •

ونريد أن نعرف أول رمضان وهو شهر فردى • وأول شوال وهو شهر زوجى •

فمن المحرم الى رمضان تسعة شهور (داخلا فى العدد المحرم) • نصفها ٤ $\frac{1}{2}$ تصحح الى ٥ وتضاف على التسعة فيكون المجموع ١٤ • فيحسب من يوم الاثنين (أول المحرم) ١٤ (داخلا فى العدد الاثنين) تصل بنا الى الأحد • فيكون أول رمضان يوم أحد (وهو يوافق ٧/٩/١٩٧٥)•

ومن المحرم الى شوال عشرة شهور • نصفها خمسة تضاف الى العشرة • فيكون المجموع ١٥ • ومن

الاثنين (أول المحرم) نحسب ١٥ يوما تصل بنا الى الاثنين • فيكون أول شوال يوم الاثنين (وهو يوافق ٦/١٠/١٩٧٥) •

وهى طريقة مشكوك فى نتائجها، تصيب تارة وتخطىء تارة أخرى • ومن أخطائها الظاهرة مثلا أننا لو طبقناها على أول شهر ربيع الأول من السنة الهجرية الحاضرة لوجدنا أنأوله الجمعة أى بعد الاثنين أول المحرم بأربعة أيام • ومدة الأربعة أيام المذكورة هى نفس المدة فى أى سنة من السنين الهجرية • أى أن شهرى المحرم وصفر تامان دائما • كل منهما ٣٠ يوما • وهذا لا يتفق مع الحساب الرياضى المتبع عند المنجمين والسابق ذكره • ولا مع واقع الرؤية التى قد تختلف فى نهاية كل منهما من سنة لأخرى •

ولكن يمكن الاسترشاد بهذه الطريقة على سبيل التقريب •

وكان المرحوم الشيخ محمد أبو العلا البنا أستاذ علم الفلك بجامعة الأزهر قد قدم تقريرا فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٧ الى الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون ردا على قرار مؤتمر علماء المسلمين الخاص برؤية هلال رمضان • ذكر فيه أن الآيات الواردة فى القرآن عن حساب السنين والأيام هى الآيات القرآنية الآتية :

(فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) ــ الآية رقم ٩٦ من سورة الأنعام رقم ٦ بالمصحف •

(هو الذى جعل الشمس ضياءا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) ــ الآية رقم ٥ من سورة يونس رقم ١٠ بالمصحف •

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا) ــ الآية رقم ١٢ من سورة الاسراء رقم ١٧ بالمصحف •

وذكر فى تقريره أن هذه الآيات جميعها مكية • وأن الأحاديث الشريفة عن الرؤية البصرية كلها

مدنية . بمعنى أن الحساب الفلكى نزل به القرآن قبل أحاديث الرؤية ولم يقل أحد من المفسرين أن أحاديث الرؤية نسخت آيات الحساب الفلكى . كما أن الرؤية لم تذكر فى القرآن لا مكيا ولا مدنيا .

واستخلص من هذا أن الحساب الفلكى هو الأصل والأساس فى معرفة أوائل الشهور القمرية . والرؤية البصرية هى الفرع . ولا يحتاج اليها الا اذا عجز الحساب الفلكى فى بعض الشهور . عن معرفة أول الشهر .

وذكر فى تقريره أن صوم رمضان شرع فى شعبان من السنة الثانية للهجرة . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما أراد اعتبار شعبان ٢٩ يوما على حسب القاعدة الحسابية السابق ذكرها ـ نزل عليه الوحى بأن الشهر بعينه قد يكون ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما . فأبطل هذه القاعدة الحسابية الرياضية . ولما لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة من يعرف الحساب الفلكى أمر بالاعتماد على الرؤية البصرية فى الصوم . وأن المسلمين لم يروا الهلال فأتموا شعبان ثلاثين يوما . وان رأوا هلال شوال فى ليلة الثلاثين من رمضان . فصاموا رمضان ٢٩ يوما تلك السنة .

وهو يرى فى تقريره أن الاعتماد على الرؤية البصرية كان لضرورة عدم وجود من يعرف الحساب الفلكى . فاذا وجدت وسائله وعلماؤه . كما هو الآن فيجب اتباع الحساب الفلكى الذى هو الأصل الذى نزل به القرآن .

وهو رأى عالم له قيمته ووجاهته.

ولكن الحساب الفلكى لايحل لنا مشكلة أخرى تقوم الآن . وهى الرغبة فى توحيد الأمة الاسلامية ـ أو العربية على الأقل ـ فى عباداتها وأعيادها ومواسمها . فالهلال قد تمكن رؤيته الاعتبارية بالحساب الفلكى فى عاصمة من العواصم العربية أو أكثر . ولا تمكن رؤيته فى عاصمة أخرى أو أكثر.

وعندما كانت الدول العربية تابعة للخلافة العثمانية . كان ثبوت رؤية الهلال فى أى بلد من العالم العربى

الاسلامى أو من تركيا ينسحب الى باقى البلاد الأخرى • وتأتى الاشارة من استانبول بالصوم • وكثيرا ما كانت هذه الاشارة تتأخر • فقد حدث فى بعض السنين — ولعلها سنة ١٩١٤ أو سنة ١٩١٥ — أن أصبح الناس فى مصر صائمين •ثم وردت اشارة بعدم رؤية الهلال • فأفطروا ضحى • ثم وردت اشارة بعد الظهر بقليل بثبوت رؤية الهلال وكانوا قد تناولوا غذائهم فأتموا اليوم صائمين •

وهذه البلبلة معيبة — تظهرنا أمام العالم بمظهر التخلف • وعدم المقدرة على التكيف مع الزمن • كما أنها تدعو الى الارتباك فى مصالح الناس• فمن الخير أن يعرف الناس مقدما مواعيد صيامهم وأعيادهم •

وللمسيحيين واليهود أعياد كثيرة ترتبط بالحساب القمرى • اذ الأصل فى أغلب هذه الأعياد فى الديانتين تقريبا واحد وهو عيد الفصح •

وعيد الفصح عند المسيحيين — أو كما يسمى أيضا عيد القيامة • وهو أكبر أعيادهم حيث يرتبط بتحديد موعده تحديد عدد كبير من الأعياد المتنقلة قبله وبعده • وتحديد هذا العيد يرتبط بثلاثة اعتبارات : ١ — أن يكون بعد الاعتدال الربيعى الذى حدد له ٢١ مارس ٢ — أن يكون فى البدر الكامل التالى للاعتدال الربيعى ٣ — أن يكون يوم أحد • (واذا صادف البدر الكامل بعد الاعتدال الربيعى يوم أحد فيؤجل العيد للأحد التالى • حتى لا يقع عيد المسيحيين وعيد اليهود فى يوم واحد• لأن عيد اليهود يتحدد بالأمرين الأول والثانى) •

ويرتبط بعيد الفصح أو القيامة عند المسيحيين كثير من أعيادهم المتنقلة • فالصوم الكبير قبله ب ٥٥ يوما (هذا عند أقباط مصر والمسيحيين الشرقيين أما المسيحيين الغربيين ف ٤٦ يوما) وأحد الشعانين فى يوم الأحد السابق له • وخميس الصعود بعد ٤٠ يوما منه • وعيد العنصرة فى الأحد السابع منه • وغير ذلك من الأعياد المتنقلة المرتبطة به •

ولم يمنع هذا المسيحيين من ترتيب أعيادهم فوضعوا الجداول المطولة ، لعدة قرون مضت وقادمة ، كل طائفة بجداولها - عن عمر الهلال فى أول يناير أو أول توت من كل عام ، وموقع البدر الكامل بعد الاعتدال الربيعى وموقع يوم الأحد على مدار السنين ، وهذا بالحساب الفلكى والرياضى فلا تراهم يختلفون .

وليس فيما أرمى اليه من اتباع الحساب الفلكى - أو فيما ذكرت عن أعياد المسيحيين أى تقليد لهم ، فالمسيحيون لم يبتكروا القمر ولا حسابه ، بل خلقه ووضع حسابه مالك الملكوت سبحانه وتعالى ، ونحن نتبع الحساب الشمسى فى حياتنا اليومية من معاملات وارتباطات ، فلا يعد هذا تقليدا للمسيحيين ، فالخالق سبحانه وتعالى (جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) .

ومتى وجد المسلمون فائدة فى طريق ، وجب عليهم اتباعه ، ما دام لا يتعارض مع دينهم ، فعمر ابن الخطاب رضى الله عنه دون الدواوين ووضع التأريخ أو التقويم نقلا عن الفرس أو تقليدا لهم ، واستعمل المسلمون الدرهم الفارسى والدينار الرومى عشرات السنين حتى سك عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) الدرهم والدينار العربيين ، ونحن الآن ننتفع بكل مقومات الحضارة الغربية من وسائل الكشف العلمى والطب والصيدلة والنقل والترفيه وغيرها دون أى تردد فى أنها منقولة عن المسحيين .

والاسلام لا ينكر العلم وفضله ، بل يحض على الاستزادة منه ، وكان العلم أول تكليف للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأول ماذكر من فضل الله على الانسان بعد خلقه بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

وليس من الدين فى شىء أن يقع المسلمون كل تسعة وعشرين يوما فى الشك فى ترتيب عباداتهم ومعاملاتهم وارتباطاتهم .

فأقترح فى تواضع أن تتفق الدول العربية على احدى مدينتين تكون مقرا لاثبات الهلال فى كل الشهور بالحساب الفلكى حسب الوضع

الجغرافى لأيهما . على أن يكون اصدار البيان بهذا فى بدء كل عام هجرى . على الأقل . ان لم يكن لعدة سنين مقبلة .

والمدينتان هما القاهرة أو مكة . ولكل منهما وزنها واعتبارها فى الموضوع .

فالقاهرة أكثر توسطا بالنسبة للعالم العربى . ومرصدها أكثر تقدما . وهى مقر جامعة الدول العربية . أما مكة فهى مهبط الوحى ومنبت الدعوة ومقر الكعبة .

ولكى لا تكون هناك شبهة من سيادة دينية أو توجيه دينى فى الموضوع . تشكل هيئة فى جامعة الدول العربية ـ وهى لجميع الدول العربية ـ يكون من اختصاصها هذا الموضوع .

وشبهة السيادة منتفية . فلاسيادة لانجلترا فى اعتبار جرينتش احدى قراها أساسا لتقسيم خطوط الطول فى العالم كله .

والمسألة كما ترى تنظيمية أكثر منها دينية . وأنها تتعلق بالمظهر دون الجوهر .

وفق الله المسلمين الى ما يحبه ويرضاه ؟

محمد كمال السيد محمد

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

١٢١ ـ ويقولون : تكبدنا فى السفر كثيرا من المشاق ، وهذا التعبير غير سليم ، والصواب أن يقال فى هذا المعنى : تحملنا ، أو تجشمنا ، أو عانينا ، أو يقال : كابدنا مشاق السفر أى قاسيناها ، ومن هذا قول العرب : المسافر يكابد الليل ، أى يركب هوله وصعوبته ، وكابد الرجل المسير اذا قاسى شدته .

أما التكبد فله معنيان لا يمت كل منهما بأى صلة الى معنى المقاساة والتجشم والمعاناة أحدهما التوسط كما فى قولك : تكبدت الشمس السماء اذا صارت فى كبيدائها وهو وسطها ، وقولك : تكبدت الفلاة اذا توسطتها .

والآخر الخثورة كما فى قولك : تكبد اللبن اذا خثر وغلظ وذهب صفرة ورقته وبقيت خثارته أى عكارته ووسخه .

١٢٢ ـ ويقولون فى جمع مغارة ـ وهى الكهف فى الجبل كالغار ـ مغائر ، والفصيح أن يقال فى جمعها مغاور بالواو ، كما يقال : مفازة ومفاوز ، ومعابة ومعايب ، ومكيدة ومكايد ، ومعيشة ومعايش ، وذلك لأن حرف المد سواء أكان واوا أم ياء لا يهمز فى الجمع اذا كان أصلا فى المفرد كما فى الأمثلة المذكورة .

أما اذا كانت المدة مزيدة فى الواحدة فيجب قلبها فى الجمع همزة ، كقلادة وقلائد ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز وعجائز .

وعلة هذا القلب هو اجتماع المدة ساكنة مع ألف الجمع ، ولا يمكن حذف احداهما لفوات الغرض منها ولهذا وجب تحريك المدة ، ولايكون ذلك الا بقلبها همزة .

١٢٣ ـ ويقولون : ربما رأيناه كثيرا ، وربما يكثر وجوده فى هذه

الأيام وفى هذين التعبيرين تناقض واضح ؛ لأن العرب انما وضعت رب لتفيد التقليل ، فكيف تكون الرؤية قليلة وكثيرة فى آن واحد ؟ وكيف يكون وجود هذا الشيء قليلا بذكر ربما ثم يكون وافرا بكلمة يكثر فى تعبير واحد ؟ ومما يدل على أن رب للتقليل فى قولهم فى المثل « رب عجلة تهب ريثا » وقوله تعالى « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » .

والصواب - لتأدية معنى الكثرة - أن يستبدل بربما قد التى للتحقيق فيقال : قد رأيناه كثيرا وانما قلنا قد التى للتحقيق ؛ لأن قد تأتى أيضا للتعليل كما فى قولك : قد يجود البخيل ، كما تأتى للتوقع فى قولك : قد يعود المسافر الليلة .

١٢٤ - ويقولون للمكان الذى تعرض فيه الأشياء معرض بفتح الراء ، والصواب كسرها ، لأنه اسم مكان مصوغ من مصدر الثلاثى المكسور العين فى المضارع ، اذ يقال عرض يعرض ، ومثل ذلك يقال : مصر مهبط السياح ، والأرض معدن لذهب .

أما اذا كانت عين المضارع مفتوحة أو مضمومة فانه يجب فتح العين فى اسمى المكان والزمان ، تقول : ملعب الكرة فسيح ، ومصنع الزجاج مغلق ، وكذا تقول : مدخل الدار بهيج ، ومنظر الريف جميل .

١٢٥ - ويقولون : فلان يتفانى فى أداء واجبه ، كما يتفانى فى حب وطنه باسناد يتفانى الى المفرد ، يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن ، وكان ينبغى لهم أن يسندوا هذا الفعل وأمثاله الى اثنين فصاعدا ، فيقال : تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون قال الزمخشرى : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدى الى مفعول واحد ، أو المتعدى الى مفعولين ؛ فان كان من الأول كضارب لم يتعد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجاذبته الثوب وناسيته البغضاء ؛ تعدى الى مفعول واحد ، تقول تنازعنا الحديث ، وتجاذبنا الثوب ، وتناسينا البغضاء .

وقال ابن منظور والجوهرى : وتفانى القوم قتلا : أفنى بعضهم بعضا فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن

أن يحمل التفاعل على غير بابه ، بأن يراد به الفناء ؛ لأن ذلك سماعى كما فى قولك : تغافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت ، أى ادعيت لنفسى الغفلة ؛ والجهل ؛ والعمى ؛ والونى ولست متصفا بها .

١٢٦ ـ ويقولون للقائم : اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم ، والاختيار ـ على ما حكاه الخليل بن أحمد ـ أن يقال لمن كان قائما : اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس ، وعلل بعضهم ذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ، ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها : جالس وقد جلس ، ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق .

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس أى ان لم تطع أوامرى فاقصد نجدا

١٢٧ ـ وشاعت على ألسنة المثقفين وأسنة أقلامهم كلمة المعطف اسما للملحف الذى تسميه العامة (بالبالطو) وهذا منهم وهم كبير ، لأن (البالطو) مما يفصل ويخاط ، ولكن المعطف ـ كما قال ابن سيدة ـ ثوب غير مخيط ولامفصل يرتدى على المنكبين والكتفين ومجتمع العنق ثم يعطف طرفه أى يثنى .

وقد عقد ابن سيده فى الجزء الرابع من مخصصه بابا بعنوان الملاحف ولم يذكر فيه الا مالم يفصل ولم يخط كالأردية ، والأزر ؛ والرياط والمعاطف .

لهذا ينبغى لهم أن يعدلوا عن كلمة المعطف (للبالطو) ؛ لأنها وضعت فى غير موضعها وأن يسموه المدرع بزنة المبضع كما فعل ذلك مجمع اللغة حيث قال :

المدرع هو ثوب فوق سائر اللباس ودثار البرد من صوف أو من غيره .

١٢٨ ـ ويقولون: نحن فى مسيس الحاجة الى الاتحاد ، والصواب أن يقال : نحن فى حاجة ماسة الى كذا ، أى حاجة مهمة ، كما يقال : بين هؤلاء رحم ماسة أى قرابة قريبة ، أو يقال : مست الحاجة الى كذا اذا ألجأت اليه .

أما المسيس فهو الملمس ، تقول : مسه يمسه من باب تعب ، وفي لغة من باب قتل مسا أى أفضى اليه بيده من غير حائل ، والاسم المسيس ، وماسه مماسة ومساسا بالكسر من باب قاتل بمعنى مسه ، ومن هذا قوله تعالى « لا مساس » أى لا أمس ولا أمس وتماسا أى مس كل منهما الآخر ، وفى التنزيل « من قبل أن يتماسا » كل أولئك معناه اللمس .

١٢٩ ـ ويقولون : جاءوا عن بكرة أبيهم ،وهذا قول غير سليم، والفصيح أن يقال جاءوا على بكرة أبيهم ، أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد ، هكذا قال أبو عبيد وقال غيره :البكرة تأنيث البكر وهو الفتى من الابل ، يصفهم بالقلة ، أى جاءوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم .

وقال بعضهم : البكرة هنا هى التى يستقى عليها ، وهى اذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم أحد فشبهوا اجتماع القوم فى المجىء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم .

١٣٠ ـ ويقولون : هؤلاء عشرون نفرا ، وأولئك ثلاثون نفرا ، وهذا خطأ من جهتين احداهما أن تمييز العشرين وما ماثلها لابد أن يكون مفردا منصوبا : مفردا لأنه يذكر لبيان حقيقة المعدود ، وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، ومنصوبا لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك .

وميز العشرين للتسعينا
بواحد كأربعين حينا

والنفر دال على الجمع لأنه اسم جمع ، قال أبو العباس: النفر والرهط والقوم هؤلاء معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها .

وفى المصباح والصحاح وغيرهماأن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة .

ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه بواو الجماعة فى قوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن « وقوله » قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال : هـؤلاء عشرون رجالا ، لا يجوز أن يقال : هؤلاء عشرون نفرا والجهة الأخرى أنهم دلوا بقولهم : هم عشرون نفـرا على أن النفر يقـع على العشرين وما بعدها من الفاظ العقود وما بينـها ، والواقع أنه لـم يسـمع من العـرب استعمال النفر فيما جاوز العشرة كما فى قول صاحب المصباح •

عباس أبو السعود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الفقه الميسر**

تأليف : فضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور

هذا الكتاب الجيد الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة : يقع فى جزأين كلاهما يقع فى أكثر من مائتين وخمسين صفحة من القطع الصغير . والمؤلف من العلماء العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية ، ومن المشهود لهم بالعلم والاخلاص والتفانى والاحتمال فى سبيل الله والاسلام .

لقد خص المؤلف الجزء الأول بالعبادات ، كما خص الجزء الثانى بالمعاملات وقد عدل فى مؤلفه على مذهب الامام الشافعى ، أخذا به ، وتمسكا بمبادئه ، ففضيلته يرى فى مذهب الامام الشافعى - رحمه الله ، أعدل المذاهب وأسهلها وأقربها الى الفهم ، بشهادة العدول وذوى الفضل والعقول ، لذا اختار من الكتب المؤلفة فى فقه الشافعية كتاب «كفاية الاخيار» للامام تقى الدين أبى بكربن الحسينى الدمشقى من علماء القرن التاسع الهجرى .

اذن فالخطان الأساسيان اللذان التزم بهما المؤلف هما : أولا أن الكتاب فقه شافعى ، وثانيا أن الاعتماد أساسا على أحد المؤلفات فى الفقه الشافعى ، أما العمل الذى قام به المؤلف ، فهو تهذيب عبارات الكتاب المشار اليه ، وزيادة مالابد منه ، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه ، ثم الاختصار مع بقاء الجوهر المفيد منه ، والحق أن مثل هذا العمل ، من الأعمال الشاقة المضنية ، التى تتطلب جهدا خاصا غير ميسر لأى عالم ..

واذا كان الأصل المعتمد عليه فى كتابناهذا ،من المؤلفات القيمة الجديرة بكل تقدير . وان ما أضفاه المؤلف

العالم الجليل ، من علمه وفقهة وسعة أفقه عليه ، قد زاده تقديرا ، الا أن البعض يرى لو أن النص التراثى ظل فى الكتاب بارزا ، ومنفصلا عن الجهد القيم الذى بذله فضيلة المؤلف . ولو أن العمل قداعتمد على أكثرمن مؤلف فى الفقه الشافعى لما كان ثمة اعتراض كذلك قد يرى البعض الآخر أن عصر التقليد قد مضى ، وياحبذا لو جاء الفقه الميسر شاملا المذاهب الفقهية كلها أو أكثرها ليتحقق التيسر .. ونحن نرى أنفضيلة المؤلف كانهدفه احياء تراث فقهى له قدره وعمله هو تهذيبه لتيسيره على الأفهام ، وقد اقتضت أمانة المؤلف أن يبرز ذلك ، ولم يكن هدفه التحقيق ، حتى يأتى بالنص منفصلا عن التحقيق ذاته ، وازاء ذلك الهدف ـ وهو احياء تراث معين .. لايكون مطلوبا من المؤلفأن يستوعب كتابة الآراء الفقهية الأخرى الا ما تدعو اليه الحاجة ويبقى بعد ذلك تقديرنا للجهد العلمى الذى بذله المؤلف ، وهو جهد مشكور ...

● **الطلاق فى الاسلام**

تأليف : فضيلة الشيخ كمال أحمد عون

هذا الكتيب الذى نشرته دار النهضة العربية ، يقع فى أكثر من مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف من علماء الأزهر الشريف ، وشيخ معهد المعلمين الأزهرى بطنطا ، وعنوان الكتاب الكامل « الطلاق فى الاسلام محدد ومقيد » فى سبيل حل جذرى لمشكلة الطلاق .. ويبدو من هذا العنوان أن المؤلف يريد أن يقدم جديدا فى مسألة الطلاق .. فهو يقرر أن الطلاق سنى مأذون فيه ، وبدعى غير مأذون فيه وأن مشروعيته للرجل وللمرأة على السواء ، وان الطلاق الموصوف بالثلاث فيه خلاف بين الفقهاء

ولقد عرض المؤلف لمسائل التحكيم والاشهاد فى الطلاق ، وطلاق الغضبان وغير ذلك ، والحق أن فضيلته كان ملتزمابروح الشريعة السمحة ، وآراء العلماء والفقهاء ، وقد دعا فى نهاية الكتاب الى تدعيم لجنة الأسرة بالكفايا الاسلامية المستنيرة ، وأن ينتفع بجهود

الدارسين من الفقهاء ، ليخرج القانون مشرقا بروح الاسلام ،محققا أمل هذه الأمة الاسلامية فيه .

وبعد ـ فمما لاجدال فيه أنفضيلة الشيخ كمال عون قدم لنا بحثا فقهيا جديرا بكل تقدير فيه من سعة **الأفق** الملتزمة بروح الشريعة ، **وفيه جهد** علمى مشكور ..

● أثر الحروب الصليبية على الفكر الغربى الحديث

تأليف : محمد اسد

كتيب فى بضع عشرة صفحة من القطع الصغير ، نشرته المختار الاسلامى بالقاهرة، والمؤلف مستشرق أوربى أسلم وحسن اسلامه ، وهو مؤلف : الطريق الى مكة ، وهذه الصفحات المعدودة تفوق قيمتها مجلدا ضخما ، وحسب المؤلف أن يكون أوربيا أدرى بما نحن عاجزون عن الدراية به .

لقد أكد المؤلف أن المؤرخين الأوروبيين منذ عهد اليونان والرومان، مالوا الى أن يتبصروا بتاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوربى والتجارب الثقافية والغربية وحدها .. أما تاريخ العالم وثقافاته العديدة .. فلا يعدو أن يكون فى أعين الغربيين تاريخا موسعا للغرب .. كذلك أكد المؤلف أن الحقد الغربى القديم ضد الاسلام ظل ويظل وسيظل قائما بطريقة لا شعورية ، ولا سيما فى زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره فى مخيلة الغربى ..

البحث الموجز جاء على طريقة الحوار .. وما أحوج شبابنا المثقف المسلم الى استيعاب مثل هذا البحث الخطير الشأن ..

● تعطيل الجماعة الاسلامية بالهند :

نشرت مجلة المجتمع الاسلامية التى تصدر بالكويت مقالا ضافيا عن الاجراء التعسفى الذى اتخذته حكومة الهند ضد الجماعة الاسلامية هناك ، حيث حلت الجماعة وصودرت أموالها واعتقل زعماؤها ، ولقد طالبت المجلة بوقفة من أجل هذه المحنة التى أصابت جماعة اسلامية لها شأنها ، ولها تأثيرها فى مجال الدعوة الى الله ، كذلك طالبت المجلة الاسلامية الكويتية بضرورة تكوين هيئة اسلامية عالمية

ذات وزن وهيبة ، تشكل من مجموعة ممتازة من العلماء والدعاة والمحامين والسياسيين، مهمتها الأساسية ، الدفاع عن حريات الاعتقاد والرأى لجميع المسلمين ، ودفع الظلم عنهم •• وأن تكون هذه الهيئة مستقلة تماما عن الحكومات فى التمويل والتوجيه والتحرك ••

ومجلة الأزهر وصوته •• اذ تضم صوتها الى صوت المجلة الاسلامية الشقيقة تسأل الله عز وجل أن يحقق الرجاء •• وأن يكتب للهيئة المرجوة النجاح ••

● **قراءات :**

اسمعوا •• انه سيكون بعدى أمراء فلا تصدقوهم بكذبهم •• ولا تعينوهم على ظلمهم •• فان من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم •• لم يرد على الحوض ••

حديث شريف رواه الطبرانى

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال : محمد على دردير :

ما حكم من أكل ظانا بقاء الليل فتبين له طلوع الفجر وان ما أكله كان بعد الفجر .

الجواب :

ان صيامه باطل وعليه القضاء ولا كفارة عليه .

من السائل نفسه ، هل يصح للانسان أن يكتحل فى رمضان وأن يأخذ الابر .

الجواب :

الكحل فى رمضان لا يفسد الصوم ويدل على ذلك قول عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم اكتحل فى رمضان وهو صائم رواه ابن ماجه ويسرى هذا الحكم على ما يستقطر فى العين ـ كالقطرة ـ أو الأذن مالم يصل الى الحلق أو الأنف .

ومثل ذلك غبار الطريق والطحين ولا بأس بالحقنة فى الوريد أو تحت الجلد ولابأس بالطيب .

من السائل نفسه شاب قبل أجنبية فى نهار رمضان بشهوة وأنزل فما حكمه .

الجواب :

يجيب على هذا السؤال فضيلة الأستاذ حسنين مخلوف فيقول لقد أثم هذا الشاب باقترافه هذا المنكر وعليه التوبة منه وصومه فاسد وعليه القضاء دون الكفارة .

السؤال من داود ابراهيم الطير :

رجل ينزف من أنفه ولو بقى أثناءه معتدل القامة يستنفد ذلك منه دما كثيرا ولو استلقى على ظهره حسب نصيحة أهل الخبرة يتسرب الدم الى حلقه فما حكم صومه شرعا .

الجواب :

ويجيب على هذا فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف فيقول سألت طبيبا فاضلا فأخبرنى بأن انقطاع النزيف من الأنف لا يتوقف على الاستلقاء على الظهر بل يمكن قطعه باستنشاق الماء البارد فى الوضع العادى بدون استلقاء فلا ضرورة تدعو الصائم الى الاستلقاء وقت النزف حتى ينصب الدم فى حلقه فيفطر بابتلاعه .

لذلك نفتى السائل بأنه مادام فى الامكان علاج النزف باستنشاق الماء البارد لايجوز الالتجاء الى الاستلقاء الذى يفضى الى الافطار فاذا تفاقم الأمر وقرر طبيب حاذق ضرورة اتخاذ وسيلة أخرى للعلاج والانقاذ تؤدى الى الافطار كان هذا الصائم من أرباب الأعذار فيفطر وعليه القضاء والله تعالى أعلم .

من السائل نفسه :

ما حكم الحقنة الشراجية .

الجواب :

يجيب على هذا فضيلة الشيخ حسنين مخلوف فيقول :

ادخال أى مادة سائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء مفطر شرعا باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة اذ الأمعاء من الجوف كالمعدة وسائر الجهاز الهضمى ومايدخل فيه اختيارا مفطر لحديث (الفطر مما دخل) رواه أبو يعلى فى مسنده مرفوعا عن عائشة وذكره البخارى تعليقا فقال :

وقال ابن عباس وعكرمة الفطر مما دخل وليس مما خرج والمراد الدخول من المنافذ المعروفة بدلالة العزف .

وقد نص الحنفية على أن من احتقن أفطر ووجب عليه القضاء ولا كفارة عليه فى الأصح وفسروا الاحتقان بصب الدواء فى الدبر بواسطة الحقنة وبمثله قال الحنابلة كما فى المغنى والشافعية كما فى المجموع والمالكية كما فى الشرح الكبير .

وفى المجموع للنووى أن هذه الحقنة مفطرة على المذهب سواء أكانت قليلة أم كثيرة وسواء وصلت الى المعدة أو لا وبه قطع الجمهور ونقله

ابن المنذر عن عطاء والثورى وأبى حنيفة وأحمد واسحاق وحكاه البدرى وسائر الأصحاب عن مالك ونقله المتولى عن عامة العلماء .

وأما ابن حزم فقال ان مايدخل الى الجوف من الدبر أو الأحليل أو الأذن أو العين أو الأنف أو من جرح فى البطن او فى الرأس لايفطر وقال اننا ما نهينا عن أن نوصل الى الجوف بغير الأكل والشرب ما لم يحرم علينا ايصاله (يراجع المحلى ص ٢٢٤ جـ ٦ وعليه فالحقن بجميع أنواعها لاتفطر .

السؤال من الفليبين :

تطلع الشمس فى بلاد الفليبين قبل طلوعها بمصر بمقدار ٦ ساعات ولم يثبت رؤية هلال رمضان عندهم فى العام الماضى يوم الأحد فلم يصوموه بل صاموا يوم الاثنين ولكن رؤية الهلال ثبتت فى بعض البلاد الاسلامية يوم الأحد فاختلفوا فيما بينهم هل يجب عليهم قضاء يوم الأحد باعتبار أنه أول شهر رمضان أو لا يجب قضاؤه ويطلبون حكم الله فى ذلك .

الجواب

انه متى ثبتت رؤية هلال رمضان فى بلد اسلامى فقد ثبت الشهر ووجب الصوم على جميع البلاد الاسلامية فمتى وصلهم الخبر عن طريق يطمئنون اليه ولو كان ذلك الطريق هو المذياع لأنه أصبح من الطرق المأمونة فى تبليغ الأخبار فاذا بلغهم الخبر فى وقت لايتمكنون فيه من الصوم بأن بلغهم الخبر نهارا وجب عليهم الامساك بقية هذا اليوم وقضاؤه بعد انتهاء الشهر ومن هذا يعلم الجواب عن السؤال وهو أن شهر رمضان يثبت فى حق الفليبين واعتبر أوله فى العام الماضى يوم الأحد عندهم كبقية البلاد الاسلامية وحينئذ يجب عليهم قضاء هذا اليوم وأما اختلاف المطالع فانه لا يؤثر فى هذا الحكم .

السؤال : ما حكم مذهب مالك ؟

فى ملكية المناجم والمحاجر « الثروات تحت الأرض » وحق ولى الأمر (الوالى) فى التعاقد مع الغير على استغلالها « اعطاء حق الامتياز » الغير (أفراد أو شركات)

الجواب

المعدن الذى يوجد فى باطن الأرض يكون ملكا للدولة مطلقا سواء كان معدن ذهب أو فضة أو غيرهما وسواء عثر عليه فى أرض غير مملوكة كالفيافى أو فى أرض مملوكة وهذا هو القول المعتمد فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

واذا عثر على كنز من دفين أهل الجاهلية فخمسه لبيت المال والباقى لواجده ان وجده فى أرض غير مملوكة فان وجده فى أرض مملوكة بأحياء أو بارث فمن أحياها فيكون الباقى بعد الخمس لمالكها الذى أحياها أو ورثها منه ، وان وجده فى أرض مملوكة بشراء أو هبة فيكون الباقى لمالكها الأصلى الذى باعها أو وهبها .

وأما اذا كان الكنز الذى عثر عليه دفين مسلم أو ذمى فانه يكون لربه أو وارثه ان علم كل منهما ، فان لم يعلم سرى عليه حكم اللقطة بمعنى أن يعرف فان عرف سلم الى صاحبه والا ردت الى بيت المال .

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** بيـان فضـيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة شهر رمضان :**

وجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسـلامية بمناسبة شـهر رمضان المبارك قال فيه :

أيها الأخوة المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .. السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .وكل عام وأنتم بخير؛ونرجوالله سبحانه أن يأتى رمضان المقبل وقد تحررت الأراضى الاسلامية من رجس المستعمرين والمغتصبين ، وعاد البيت المقدس الى الطهر والنقاء فى رعاية المسـلمين ، وأن المسـجد الأقصى الذى باركه الله تعالى وبارك حوله ، وكان أولى القبلتين واليه كان مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه كان معراجه ، أن المسجد الأقصى ينادى كل مسـلم على ظهر البسيطة ليكون جنديا فى سبيل انقاذه من دنس اليهود المغتصبين ، وأن أرض سـيناء الطيـبة لتهيب بالمسـلمين جميعا أن يهبوا لتطيرها من شرور اليهود وآثام الصهيونيين ، نقول هذا بمناسبة هذا الشـهر المبـارك ، شـهر البطولات والصـبر ، اسـتكثروا فيه من أربع خصال :

خصـلتين ترضـون بهما ربكم ، وخصـلتين لاغنـاء بـكم عنهمـا ، فأما الخصـلتان اللتان ترضـون بهما ربكم : شـهادة أن لااله الا الله .. وتستغفرونه ..

وأما الخصـلتان اللتان لاغناء بكم عنهما تسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ..

أيهـا الأخوة المسـلمون .. ان الكريم ، وان القرآن الكـريم هو دستور الأمة الاسلامية وهو قانونها ، أنه يهدى للتى هى أحسن وأقوى ، وهو الذى أخرج الانسانية التى اتبعته من ظلام الشرك الى نور التوحيد ، وان من أنفـس ما وصف به قـول سيدنا على : (**كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو** الفصـل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى **غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ،** وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم وهوالذى لاتزيغ به **الأهواء،** ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تقضى عجائبه من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكـم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) ..

فالى القـرآن الكـريم أيا الأخوة المؤمنون نهتدى به ونعتصم به فنحظى بمرضـاة الله تعـالى ونفـوز بنصره الدائم ، وندخل فى اطار مفهومقوله تعالى : (ولينصرن الله من ينصره ان **الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهمفى** الأرض أقاموا الصـلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر **ولله** عاقبة الأمور) .

*** فضيلة الأمينالعام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر يضع خطة للدعاة فى رمضـان :**

قام فضيلةالشيخ خلف السيدالأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بوضع خطة لتنسيق توزيعكبار العلماء والدعاة فى شـهر رمضـان لالقـاء المحـاضرات الدينيـة فى جميـع الاحتفـالات التى أقيمت لاحياء هذا الشهر المبارك .

وتضمنت الخطة سهرات رمضـان بالسرادق المقـام أمـام القصـر الجمهـورى بعـابدين ، ومسـاجد الجمهورية ووحدات القوات المسلحة ، والجمعيات والمؤسسات الاسلامية .

*** احتفالات العالم الاسلامى بشهر رمضان :**

يحتفل العـالم الاسـلامى بشـهر رمضان المبـارك ، ويقيم الأزهـر

والوزارات والهيئات والمؤسسات احتفالات دينية لاحيائه ••

كما تقيم جميع محافظات جمهورية مصر العربية احتفالات دينية طوال الشهر بما يتناسب مع جلاله ومكانته •

وتوفد وزارة الأوقاف عدداكبيرا من العلماء والقارئين الى مختلف دول العالم لالقاء المحاضرات الدينية وتلاوة القرآن الكريم ••

تهنئة للأمة العربية والاسلامية بشهر الصوم الكريم ، ودعاء بأن يعيده الله على العرب والمسلمين بالنصر والخير والتوفيق ••

*** كلية مستقلة للدعوة وقسم لتخريج داعيات أسلاميات :**

أعلن فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى حديث لصحيفة الجمهورية نشرته يوم الجمعة ٧ من رجب ١٣٩٥ هـ — ١٨ من يوليو ١٩٧٥ م أنه تقرر :

١ — انشاء كلية مستقلة للدعوة ذات منهاج دراسى عال لتخريج دعاة متخصصين يجيدون اللغات الأجنبية وذلك لشغل مناصب الدعوة فى دول آسيا وافريقيا ••

٢ — انشاء قسم للدعوة بجامعة البنات لتخريج داعيات اسلاميات فى مجال التثقيف الدينى وتحفيظ القرآن الكريم ••

*** ضم معاهد للأزهر :**

أصدر فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر قرارا وزاريا رقم ٢٤٥ لسنة ١٩٧٥ م بضم المعاهد الأزهرية التى سبق وضعها تحت الاشراف الفنى للأزهر وهى :

معهد شبرا الخيمة للبنين ،اعدادى ومعهد الشهداء اعدادى ، ومعهد أبو حماد اعدادى ، ومعهد سمسطا اعدادى ، ومعهد سمالوط اعدادى، ومعهد أبو تيج اعدادى ، ومعهد فتيات أسيوط ثانوى ، ومعهد المنشاة اعدادى ، ومعهد قفط اعدادى ، ومعهد رأس غارب اعدادى ، ومعهد

فتيات شبين الكوم اعدادى وثانوى ومعهد ايتاى البارود اعدادى ، ومعهد بلقاس اعدادى ، ومعهد الفشن اعدادى ، ومعهد فتيات ملوى اعدادى وثانوى ، ومعهد القوصية اعدادى ، ومعهد موط بالوادى الجديد اعدادى ، ومعهد الغيات اعدادى ، ومعهد فتيات نجع حمادى اعدادى .

*** حول قانون الأحوال الشخصية :**

رد الدكتور ابراهيم نجا وكيل جامعة الأزهر على ما أثير حول قانون الأحوال الشخصية فى المؤتمر القومى العام يوم الأربعاء ١٤ من رجب ١٣٩٥ هـ ـ ٢٤ من يوليو ١٩٧٥ م فقال :

(سيادة الرئيس .. اننا نشكر لسيادتكم افساح المجال لكل من يريد أن يتكلم ، ولكننا نريد أن نضع الأمور فى وضعها الصحيح .. ان شريعة الله قد أوضحت كل الأمور الصحيحة ، وأعطت المرأة حقها وكرمتها تكريما عظيما ، لم تمانع الشريعة فى أن تتعلم المرأة ، لم تمانع الشريعة فى أن تمارس المرأة عملا .. ولكننا نريد منها أن تتمسك بتعاليم الله حرصا على هذا المجتمع الاسلامى الذى من يوم أن تركنا تلك التعاليم بؤنا بالخسران المبين ، ان كتاب الله قد أوضح الحق وأوضح للمرأة حقها .

ماذا تريد المرأة من الرجل ؟ ! أتريد أن تتسلط عليه .. الرجال قوامون على النساء ، ولكن تلك القوامة التى فرضها الله جعلها قائمة على أسس سليمة .. فاذا وجد فى المجتمع بعض المنحرفين الذين لا يريدون للمرأة اعطاء حقها فان ذلك مناف تمام المنافاة لشريعة الاسلام .. ان الاسلام كرم المرأة أعطاها حقها .. ماذا تريد المرأة بعد ذلك ؟! اننا نحتكم الى كتاب الله .. ومن أظلم ممن يبتغى غير حكم الله ، أفحكم الجاهلية يبغون .. اننا نريد أن نرجعها الى الطريق الحق الى الطريق السوى .

وإننا نحتكم إليكم أن تتمسكوا بكتاب الله حتى لا يضل الناس ولا تزيغ أفهامهم .. أنتم مسئولون مسئولية قوية فى هذا الموقف الرائع عن كتاب الله ، والعمل بسنة رسول الله .. وقانون الأحوال الشخصية ان امتنع عن كتاب الله لا يمكن أن يوافق عليه أى مسلم ، والله يوفقكم ويسدد خطاكم) .

*** بدل لأئمة المساجد :**

صدر قرار بمنح أئمة المساجد بدل انتقال وملبس ومسكن قدره حوالى عشرة جنيهات اعتبارا من شهر أغسطس عام ١٩٧٥ م

*** مدرسة للقرآن الكريم بجاكرتا :**

تقرر انشاء مدرسة اسلامية متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم فى العاصمة الأندونيسية ، وستكون مدة الدراسة بها ست سنوات .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢٠٦/١٩٧٥-٩٠٠٢

strict sense as well as the the political and social ones. While revealing an acceptance of fundamental theological and ethical concepts of Islam, these poems were already extant at the time when Muslims started fighting (after Hijrah) until their final victory in all Arabia. There is a sincere reflection and echo of the battles of Badr, Uhud, the Ditch, and the conquest of Makkah.

So far the main features of the poetry of the Sīrah has been given. We must now explain how far the Sira's poetry is authentic and therefore historically reliable.

Guillaume summarized the criticison of all-Jumahī (d. 231/845) concerning the corruption of poetry on the hands of Ibn Ishaq, and the excuse Ibn Ishaq gave himself that he knew nothing about the poetry he received. He also referred to Ibn al-Nadīm's accusation against Ibn Ishaq that he was party to the fraud. In Guillaume's view "It is more than likely that Ibn Ishaq hmiself was [illegible] that all was not weil with his poetry, for the general practice of writers is to put the verse into the narrative at the crucial moment, as Ibn Ishaq at times does, whereas after the prose account of Badr and Uhud he lumps together a whole collection of verse by various poets".

As we have already seen, Ibn Hisham sometimes paused to suspect the attribution of specific poems or verses to poets. Among those against whom he raised doubts was Ḥassān ibn Thbit whose share of poetry cited in the saīr excelled that of his contemporaries. Ibn Hisham to verify some of the poetry affiliated to Hassan used to ask for the advice of specialists in poetry such as the Basriyan Abu Zayd al-Ansāri Ibn Hishām perhaps for the sake of cutting short the text, did not explain the motives of his rejection or approval of the poetry. It was through a few of his insinuations that some recent scholars found clues to justify their doubts on the authenticity of a position of the Sīra's poetry.

However, contemporary research on some contents of the poetry of the sira has so far led to probable explanations. The findings of M. A. Azzam and Walid Arafat shed some light on the motives of the spuriousness of poetry. According to Azzām : "Between the period covered by the sīra and the editing of the book itself loom the two tragedies of Karbalā, when al-Husayn and his followers were slain in 61 A.H. (680 A.D.), some ten thousand of the Ansār including no less than eighty of the prophets' companions are said to have been put to death. Much of the poetry of the sīra was meant to be read against the background of those tragedies".

(to be continued)

Your opposition to Muhammad's teachings and your

Unbelief in it, which God sees and witnesses,

Your driving God's people from His mosque

So that none can be seen worshipping Him there.

تَعدُّون قَتْلًا فى الحَرامِ عظيمةً
وَأعظمُ منه لو يرى الرُّشد راشِدُ
صُدُودُكُمْ عَمَّا يقول مُحمدٌ
وكفرٌ بِهِ ، واللهُ رَاءٍ وشاهدُ
وإخراجكمْ من مَسْجِدِ الله أهله
لئلًا يرى لله فى البيت سَاجِدُ

The poetry of the Sīrah contains some information about the prophetic campaigns. Hassān talked about the Divine help to the Muslims in the battle of Badr. He mentioned with pride the instrumental role of the Ansar (e.g. Banū al-Aws and Banu al-Najjar) in fighting for the new faith. Two poems which were authored to by Hamzah ibn Abd al-Mūt alib where the number of the Muslims at Badr was put to 300 while the Qurayshites numbered 1000 was rejected by Ibn Hisham. Another number attributed to Ali ibn Abi Talib was also dismssed.

Beside the Muslim poets, Christians and Polytheists are given a place in the Sira. One example for Christian poets is Umayyah ibn Abi al-Salt who mourned the dead of Quraysh at Badr.

The non-Muslim Hind, daughter of Utbah ibn Rabiaʿh composed four eulogistical poems mourning her father. All except one of which was dismissed by Ibn Hisham as being spurious.

In response to the battles that followed Badr (e.g. Uhud), Hassan and Kab ibn Malik are frequently quoted in the sira. Such Muslim poets composed their poems in refutation of those composed by non-Muslims. The Muslim poems portray the concepts of the hereafter, the punishment in hell and the reward in paradise and laudation of the prophet and his followers. Non-Muslim poems are significantly loaded with tribal ethics such as hospitality, courage, honour etc.

Ḥassān and his son ʿAbd al-Raḥmān are to be given the credit of preserving the names of all the campaigns.

Francesco Gabrieli, commenting on the influence of Islam in poetry in general said that the poems of the spokesmen of the prophet (i.e. Kaʿb ibn Mālikʿ-AbdAllāh ibn Rawaḥah and Hassan ibn Thabit) show clearly the two-pronged character of the religion they defended : the religious aspect in the

Before the mission of the prophet, Ibn Ubayy was going to be crowned a chief of his people, but the coming of Islam caused him to be cast aside and therefore, despite his nobility he reluctantly accepted Islam. The second skoffed at the prophet basing his refusal to convert to Islam on being in a place of honour with his people and on being wealthy. Kaᶜb ibn Māilk records the attitude of ᶜĀmir who like Ubayy incurred the title "hypocrite" :

God save me from an evil deed. Like yours against your clan, O Abda Amr.

You said, I have honour and wealth !

But of old you sold your faith for infidelity.

However, traces of hailing nobility can be seen. For example Abū Qays ibn al-Aslat while requesting Quraysh not to wage war against the prophet and his followers resorted to laudation of its ancestral virtues :

If men were valued, you would be a jewel

The best of the vale is yours in noble pride.

You preserve noble, ancient peoples

Whose genealogy shows no foreign blood.

According to professor Izutzu "the glorious deeds of the tribe are respectfully handed down by word of mouth from father to son, and as they are thus transmitted from generation to generation they go on increasing like a snowball",

The new principles of Islam gradually replaced the pre-Islamic ones ; such replacement was expressed in the same language that tribesmen understood. Instead of tribal solidarity, the need to keep the bonds of relationship within the family was called for. This is clearly seen in a poem composed by Abū Qays ibn Šarmah ibn Anas

My sons, severe not the bonds of kinship

Be generous though they are mean.

The influence of the Qur'ān is unmistakable in this verse and others which the *sīra* shows in different places. It is the Qu;ān which forbade breaking off family relations, and it was the Qur'ān which set the motive behind the concept that being an infidel was to be prohibited rather than fighting in the sacred month of Shaᶜbān. This is revealed in verses attributed to Abū Bakr (the first Khalīfah) and to Abd Āllah ibn Jaḥsh.

You count war in the holy month a grave matter.

But graver is, if one judges rightly

تداركت سَعْدًا عنوة فأَخَذتُه

وكان شفاءً لو تداركت منذرا

واو نلته طُلَّت هناك جراحُهُ

وكان حَرِيًّا أن يُهَان وَيُهْدَرَا

I overtook Saᶜd and took him by force

It would have been better if I had caught Mundhir.

If I got him his blood would not have to be paid for

He deserves to be humiliated and left unavenged.

Hāssan ibn Thābit, the Khazarjiite, on listening to these verses composed the following poem :

You were not equal to Saᶜd and the man Mundhir

When the people's camels were thin.

But for Abū Wahb (my) verses would have passed over

The top of al-Balqā (place in desert) swooping down swiftly.

Do you boast of wearing cotton

When the Nabataeans wear dyed wrappers ?

Be not like a sleeper who dreams that

He is in a town of Caesar or Chosroes.

Don't be like a bereaved mother who

Would not have lost her child had she been wise ;

Nor like the sheep which with her forelegs

Digs the grave she does not desire ;

Nor like the barking dog that sticks out his neck.

Not fearing the arrow of the unseen archer.

He who directs poetry's shafts at us

Is like who sends dates to Khaybar.

From these verses from Ḥassān it can be seen what role poetry played in glorifying the Ansār not only because of their nearness to early Islam but also on the grounds of courage that they showed in battles and of being powerful. Here Hassān seems to have toned down his panegyeric of noble ancestry and departed from his previous pride at belonging to the kings of the Yaman or the princes of Shām. This attitude might have been caused by those tenets of Islam which dropped the honour of ancestry or wealth and dispensed with good deeds. Furthermore, we find that such nobility is condemned in the case of Ibn Ubayyal-Awfī and abū Āmer the monk.

Ibn Isḥāq them commented on the fourth line by stating that the words "(abābi abi) mean 'no matter' in the Himyari language".

Ibn Hishām used a verse attributed to Abū Tālib (the prophet's uncle) while explaining the Sūrah (Chapter) 93. It reads :

A very accurate measure he has been using in weighing

He himself is his own guard, for he is not (that) fearing.'

بميزانِ قِسْطٍ لا يخس شَعيرَةً

لَهُ شاهد من نفسه غيرُ عائِل

The last underlined word عائل (the fearing) was given an explanation through this view of the verse. Other instances (e.g. the *Sīra* p. 148) might explain a tendency to expand the scope of the *Sīra* in a multiplicity of topics including linguistics.

Prosodic information is given by Ibn Hishām when he cites two hemistiches of *rajaz* attributed to Ru'bah ibn al- Ajjāj. Of the many poems authored by Ḥussān ibn Tbābit(d. 54/673), this verse shows how he traces the genealogy of his people, the Khazraj of the Anṣār to the kings of the Yaman and the Ghassānid princes of Shām (Syria) :

إمَّا سألت عنَّا . .

فإنَّا مَعَشَرٌ نُجُبٌ

الأُسْد نَسِبتَنَا والماء غسَّانُ

If you inquire (people) about us.

Then, (let it be known) that it is meritorious.

That our genealogy goes up to the Shām and the Yaman.

In the same track, a master whose genealogy goes to Banī al-Najjār and Khazraj (of Anṣār) is praised because he excelled over kings.

The mission of the prophet which was known to the pilgrims and tribesmen found its first support from a group of Khazrajites who belonged to the clan of Banī al-Najjār. They met the prophet at a place called al-Aqabah Having converted to Islam they went to Madīnah and the following year twelve selected representatives of the Anṣār, three of Aws and nine of Khazraj, entered an alliance with the prophet at ʿAqabah. The names of the twelve are preserved in a poem which Ibn Hishām attributed to Kaʿb ibn Mālik

This conversion to Islam was not tolerated by Quraysh. We know from two verses attributed by Ibn ishak to Dirar ibn al-Khattab ibn Mirdas, how Quraysh organized a hunt to capture the twelve, representatives. One was captured. His name was Sad ibn Ubadah. The two verses read :

POETRY IN THE *SIRA* (*Biographical Work on the Prophet*)

By

MUHAMMAD AMIN TAWFĪQ

To use poetry in a biographical work on the Prophet Muhammad has raised two major questions First, what this poetry reveals. Sesond, how critics, early and modern, view it as authentic, and historically reliable.

This article endeavors, within its limits, to answer the two questions.

Through out the *sira, poetry* is mainly used for the following purposes :

— To serve as *shahid* (witness) of linguistic and prosodic connotations.

— To confirm genealogies (e.g. of Banī Hāshim and the Anṣār).

— To back the mission of the prophet (e.g. through juxtaposition of Qur'anic verses and poetry ; laudation of those who were converted to Islam and criticism of their foes ; and to preserve and hail the names of the martyrs and the allied chieftains).

It must be noted here that more than one of these reasons can be seen at the same time.

Both Ibn Isḥāq and Ibn Hishām used poetry in a linguistic sense. For example, the first did so while depicting how the family of Tibān took possession of the kingdom of the Yaman and how a claimant of the throne killed his brother. He cited an anonymous Himyarite saying :

In former generations what eyes have seen

The like of Ḥassān who has been slain !

The princes slew him lest they they should be kept at war.

On the morrow they said "It is naught - " (does not matter)

Your dead was the best of us and your living one

Is lord over us while all of you are lords.

لَاهِ عينا الذى رأى مثل حَسَّا
نَ قتيلًا فى سَالِفِ الأَحقَابِ
قتلته مقاول خشية الحَبْـ
ـسِ غداةً قالوا : لباب لِباب
ميتُكُمْ خَيْرُنا وَحَيُّكُمْ رَبٌّ
عَلينا وكلكم أَرْبَابى

the Islamic rule. They have not abandoned the lofty principles laid by Islam, of defending virtue, liberties and justice. Nor had they the power to call things by names other than their own, for war was actually and factually in progress and the land of the offenders was actually the land of war unless they had concluded a covenant or a peace treaty.

This denomination, however, did not impede the relations between Muslims and others being based on justice, liberty, and virtue ; the scholars having never mentioned that conuest gave the Musim State, a sovecreignty which was not based on virtue, justice and piety. There was no master and slave in Islam and no victor and manquished but only justice and equity. (to be Continued)

---

ght more likey, but a reader of the Books of Muslim jurisprudence in the chapters of wars and Expeditions would possible come to the conclusion that they incline to establish war and not peace as the basis of relations. The point arises whether the Books of Jurisprudence have contravened what the Holy Quran has called for and the Prophet's Traditions has pointed to. If such a supposition be correct, could Ibn Taymieh, the most prominent scholar, have reported what the jurists had not said especially that they have called the land of the offenders as the land of war without distinction between the aggressors and the non-aggressors unless there be a charter and a covenant in which case, they would call it the land of covenant ?

The truth is that jurists have divided lands in that way because the nature of things at the time of Al-Idjtihad (deductions by jurists) called for such division. There was no fourth land, the land of those who have abandoned the fight though they were dissidents.

Muslims ever since they have gone out on wars for fear of an invasion of their lands, or the extinction of the light of their religion have been the target of campaigns from every corner of the earth for the Kings would not leave the people of theis Religion at peace to call on men to embrace it. Muslims had therefore to guard themselves against their neighbours, and offered them three alternatives : (a) To conclude a covenant to gain security against aggression, (b) entry into the new religion, or (c) the fight. If such neighbours would not agree to embrace the religion of their free will, and reject the covenant that would ensure the Muslims against the fear of aggression and enable the Muslim call to proceed on its course, they would no doubt be harbouring aggressive intentions, and could not have possibly been left by the Faithful until they have launched their aggression. As Islam's eminent warrior Ali Ben Abi-Taleb has put it "No people invaded on their land escaped humiliation".

It could be agrued that this division by jurists would give the impresson that relations between Muslims and other peoples were governed by war until peace has been concluded. It might also be said that international relations in Islam had been governed by accomplished facts and not by lofty religious ideals. In other terms they were very much like contemporary relations which would justify present-day statesmen in their aggressions.

In reply to this enquiry we would say that what the jurists have adopted of the real facts was only the denomination and not

is) were ye before ; but Allah hath since been gracious unto you", and "So if they hol daloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them".

All these texts embody an unrestricted call for peace and indicate that no adherer to peace should fight even though he belonged to tribes at war with the Prophet. The last-quoted verse was revealed in this sense, referring to those who could not choose whether to fight the Prophet or their people and eventually elected to abandon warfare and keep neutral.

God, therefore, later said. "Ye will find others who desire that they should have security from you, and security from their own folk. So often as they are returned to hostility they are plunged therein. If they keep not aloof from you nor offer you peace nor hold their hands, then take them and kill them wherever ye find them. Against such We have given you a clear warrant".

We have put forward this difference of views in the above context despite the fact that it is more appropriate as an illustration of the motive for warfare and should, as such, have been set out in connection with relations in wartime. The reason for this displacement is that such divergence of views would indicate the basis of the Arabs' relations with other peoples ; it was until a covenant and a charter have been laid, or peace until aggression has been bunched. According to the conception that the motive for war is idolatory, the basis of such relations is war as means of safeguarding the Muslim call, whie the other conception, which ibn Taymieh thought more probable, and attributed to a majority of scholars, the basis of these relations should be peace so long as no attack or aggression is launched, even in the absence of a covenant guaranteeing such peace, consolidating its provisions or regulating its terms.

A review of the Prophet's traditions would show that the Prophet fought only in two cases :

a) An attack on Muslims or the expectation of such an attack in the event of an enemy being noticed to make preparations for aggression on the Muslim community. The Prophet, through his wisdom, could not have waited until his people have been attacked.

b) That the Kings should constitute a bar between him and the Muslim call, and then persecute the Muslims to give up their Faith as the Roman King has done.

We are no doubt in agreement with Ibn Taymieh's assertions and have supported what he thou-

'Yathreb', the Prophet proceeded to a warefare with the idolators in defence of the call of Islam and to prevent the persecution in which they has persisted, and for the Faithful to shelter themselves by the call from the horror of their persecution on the idolators' hands. When the Faithful thought warfare an excessive measure God told them in His Book "Persecution is worse than slaughter"

The Prophet did send an expedition to fight the Romans in Syria only because the Romans persecuted the Faithful to give up their creed. Hercules had ordered the murder of all those of the people of Syria who had embraced the Religion, and war was thus imperative for the defence of the faithful. The Prophet willed it with emphasis that the army be led by Osman ibn Zayd whose father had been killed in the first battle. The Army was despatched at the time of Abu Bakr Al Seddik despite the renegades' tightened pressure, and attempts at besieging the pure city.

The Prophet's companions followed the same example, for they sent armies to the lands of Kisra who tried to commit against the Prophet the same crime as the idolators had attempted before. But God saved the Prophet. The story is that in response to the Prophet's call for Islam, Kisra sent out people to murder Muhammad. It was thus imperative to consolidate the Muhammadan call and to repel this aggression for the Muslims to fight the Persians.

Quranic texts verily support the view quoted by ibn Taymieh as being the opinion of the majority of scholars, for the call for peace is free and unrestricted in the Quran while the texts permitting the warfare are restricted by the exigence of meeting attack with attack. God, calling for peace, sadi "O ye who believe ! come, all of you, into submission (unto Him) ; and follow not the footsteps of the devil. Lo ! he is an open enemy for you".

God also said, "And if they incline to peace, incline thou also to it, and trust in Allah. Lo ! He is the Hearer, the Knower. And if they would deceive thee, then Lo ! Allah is sufficient for thee. He it is who supporteth thee with His help and with the believers, And (as for the believers) hath attuned their hearts. If thou hadst spent all that is in the earth thou couldst not have attuned their hearts, but Allah hath attuned them. Lo ! He is Mighty, Wise" ; and ".. Say not unto one who offereth you peace : "Thou art not a believer", seeking the chance profits of this life (so that ye may despoil him). With Allah are plenteous spoils. Even thus (as he now

RULES OF INTERNATIONAL RELATION IN ISLAM—III

By

(LATE) SHEIKH MOHAMMAD ABU ZAHRA

Basis of Relations between Muslims and other Peoples :

Of fighting, Ibn Taymieh enquired whether war had been prompted by the transgression of the infidels upon Islam, and the desire to repel such aggression or was it motivated by the infidels' infidelity. He said that different views on this matter were held by the scholars for while a school of thought (The majority of scholars) would consider the repelling of the aggression to be the motive, another school attributed to the Shafeis hold the motive to be fighting the infidels because of their infidelity, thus consolidating the Muslim call ; it being the mission of every Muslim to call for Islam so that God's word will always be the highest.

Ibn Taymieh expressed himself in favour of the former view held by the majority and quoted in its confirmation, verses from the Quran, examples from the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's traditions and the acts of the Prophet's companions. From the Holy Quran he quoted God's words, "Fight in the way of Allah against those who fight against you, but begin not hostilities," And fight them until persecution is no more, and religion is for Allah. But if they desist, then let there be no hostility except against wrongdoers," "And wage war on all the idolators as they are waging war on all of you", "And one who attacketh you, attack him in like manner as he attackethe you, and "If you punish, then punish with the like of that wherewith ye were afflicted. But if ye endure patiently, verily it is better for the patient".

It is derived form the Prophet's tradition that the Prophet called for the religion in peace but was molested and hurt by the idolators. They persecuted the Prophet's companions to coerce them out of the creed they had chosen for themselves. The Prophet held to patience and appeasement, and rendered good counsel to them. When they determined to uproot the religion and to kill the Prophet, he emigrated, but they continued to molest him with hostility. When Islam was eventually established in

of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting. He touches neither food nor drink, simply because he believes that it is the commandment of God that he should not do so. In the inner recesses of his house there is none to see him if he pours down his dry and burning throat a glass of water, yet there has developed in him the sense of the Presence of God to such an extent that he would not put a drop of it on his tongue. Not only whenever a new temptation comes before him he overcomes it because just there is an inner voice "God is with me and He sees me". Thus a new consciousness of a higher life, a life above that which is maintained by eating and drinking, has been awakened in him, and this is the highest value established through fasting.

---

the decrease of the harmful activity of intestinal microbes and restricts their secretion of poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin, may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Fasting is also useful to increase the mental and intellectual activity of man. Modern science has proved that this activity can be increased by hundreds and man's production in fasting is better than his production with a full stomach. Because eating leads to the rushing of greater quantities of blood to the stomach and to the other parts of the digestive system to help in digestion. This process lessens mental and intellectual activities. It also lessens bodily activity, and this is why the doctors advise us to stop work when the stomach is full. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character. Fasting is one of the means which creates honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, he finds himself thirsty and leaves water near untouched. It also creats honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God, then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientificial ways just as overlooking every unlawful or detestable thing; abandoning slander and lying and keeping out o fhearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink".

The Quran and the sayings of the Prophet stress that the seeking of Divine Pleasure should be the ultimate object in fast. The Prophet says : "fasting is a shield, so the faster should not indulge in foul speech..." He also said : "If it is the fasting day of one of you, he has not to be fussy or excited, and he were insulted or attacked, by anybody, he would have to say "I am fasting". Not the deepest devotion can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter

that he is thus taught to conquer his physical desires ; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, in stead of being the slave of his desires he should be their master, being able to change the course of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will — power is so developed that he can command himself. The exercise of abstaining from everything that is not allowed, strenghtens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardships of life, and increases his powers of resistance. The man who can face the hardships of life, is able to live at times without his usual comforts and can be fit for a healthy social life in all times and climes.

In addition to its social values fasting has many physical values. The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength by rest. All organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

Some ignorants have claimed that fasting hinders productive faculties for a month. But by widening the horizons of scientific research in every field it has been proved that fasting aims at the good of both individual and society, not only in its spiritual and moral value but in its physical value. Modern medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for a certain period. Some opinion have called for fasting a day in every week, others have limited fasting to a week in every month, but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting may be considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight.

It has been discovered lately that the increase of uric acid in the body causes many dangerous diseases to all the systems of the body. Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to

movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

A lunar month has been chosen for fasting because the advantages and disadvantages of the particular season in which it falls are shared by the whole world. A solar month would have given the advantages of shorter days and cooler weather to one part of the world, and burdened the other with the disadvantages of longer days and hotter weather. For these evident reasons, the lunar month is more in consonance with the universal nature for the teachings of Islam ; and all people have the advantages and disadvantages equally distributed.

Referring to the object of fasting the Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .
(البقرة : ١٨٣)

It means : "O ye who believe ! Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that ye may ward off (evil)". (2 : 183).

«...وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون.»
(البقرة : ١٨٤)

It means : "...... and that ye fast is better for your if ye did but know". (2 : 184).

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual and moral heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but affects the Muslims everywhere.

The rich and the poor, the high and the low, the master and the servant, the ruler and the rued, the black and the white, go through a similar experience for a whole month. When the rich are made to feel the pangs of hunger like the poor and go without food for a day, this course undoubtedly awakens sympathy for the poor in the hearts of the rich and thus a great social barrier that exists between the two classes will be removed. It is for this reason that the helping of the poor is especially enjoined in the month of Ramadan. Also this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

RAMADAN 1395	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1975

SOCIAL AND PHYSICAL VALUES OF FASTING IN RAMADAN

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The institution of fasting in Islam came after the institution of Prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all religions, though the forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order.

It will be seen from the words of the injunction that laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says .

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . (البقرة : ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction ; therefore whoever of you witnesses this month, he shall fast therein. (2 : 185) .

It is well-known that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of the Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim community. On the other hand it is due to the choice of a particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny crescent of Ramadan they change the course of their daily lives, and there is a great mass

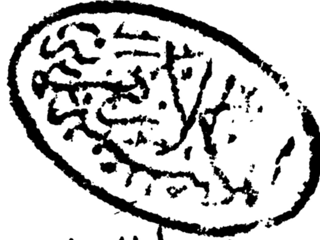
مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن ـ السنة السابعة والأربعون ـ شوال سنة ١٣٩٥هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٧٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحياء من الله ..

للأستاذ عبد الرحيم فودة

الحياء ـ كما قيل ـ تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف مايعاب به • أو يذم بسببه ، وهو دليل على فيها ، ومن يخش أن يظهر كذبه وسمو النفس والحرص على الشرف والكرامة ، ثم هو الى ذلك يحول بين الانسان وبين الاسفاف والهبوط والوقوع فيما فيه مهانة وخزى وازدراء قدر ، فمن يتصور قبح

الفواحش • كالزنا والبخل وينفر منها طبعة • فان الحياء يمنعه من الاقدام عليها • ويردعه عن الوقاع فيها ، ومن يخش أن يظهر كذبه اذا حدث أو ينكشف نفاقه اذا نافق • فان الحياء يمنعه من الكذب والنفاق ، وما يقال فى الكذب والنفاق والفواحش يقال فى غيرها من الرذائل والمنكرات التى تواضع الناس على احتقارهاوازدراء أقدار من يقعون فيها

أو يتصفون بها . فان الحياء يمنع منها . ويحول دون الاقدام عليها .

٢ – واذا كان الحياء من الناس يمنع من الوقوع فيما ينكرونه وينفرون منه ويحتقرون من يقع فيه ، فان الحياء من الله يمنع المؤمن به أن يقع فيما يغضبه . أو يرتكب شيئا مما نهاه عنه ، لأنه يشعر بأنه معه حيث كان لايغيب عن علمه مايخفيه وما يبديه ، بل يعلم ما يدور في الصدور من وساوس وهواجس ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، كما يقول جل شأنه : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » وكما يقول : «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ، وكما يقول : «يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » .

٣ – ومن ثم كان الحياء من الايمان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : الحياءمن الايمان ، وكان من الخير بالمنزلة التى يشير اليها قوله عليه السلام لرجل من الأنصار كان يعظ أخاه : دعه فان الحياء لايأتى الابخير ، فالحياء من الناس يحمل الانسان على احترام ما تعارفوا عليه من عادات صالحة . وتقاليد محمودة ، والحياء من الله يجنبه ارتكاب المآثم والجرائم ، ويباعد بينه وبين المنكرات ، ويسدد خطاه على الطريق الذى شرعه وارتضاه ، ويحقق فى ضميره وشعوره معنى التقوى ، فيتمثل كل ما يأمره به ويتجنب كل ما ينهاه عنه، وينتظم بعمله وخلقه مع المتقين الذين يقول الله فيهم :« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

٤ – وقد قال صلى الله عليه وسلم : واستحيوا من الله حق الحياء . فقيل له : يارسول الله انا نستحى من الله والحمد الله ، فقال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى . وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى . فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء .

ومن ذلك يفهم أن الحياء من الله يثمر سلامة القلب واللسان ، وصحة عمل الجوارح والقوى ، وايثار كل ما فيه الخير والحق ، على كل ما فيه الشر والباطل ، وهذا ما يفهم

من كلمة التقوى فى الاستعمال اللغوى بمعنى جعل النفس فى وقاية ، وفى الاستعمال الشرعى بمعنى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وقد قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، وقال جل شأنه : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » ، وقال سبحانه : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

٥ - وليس من الحياء - طبعا وشرعا - الخوف من مواجهة الظالم أو المجرم الآثم بانكار ظلمه وجرمه واثمه ، فذلك جبن واستخذاء لايعرف قلب المؤمن ، ولا مكان له فى ضمير حر كريم ، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - أشد الناس حياء ، ومع ذلك لم يترك النهى عن منكر . ولا أحجم عن محاربة باطل ،ولاسكت عن تصحيح خطأ أو تقويم انحراف ، بل واجه الدنيا كلها وهى تتألب عليه وتتحزب ضده بما عرف عنه من صدق ايمان وقوة يقين . وشجاعة قلب . وسداد رأى . وقال لعمه - وهو يطلب الرفق به وبقومه - والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته صلى الله عليه وسلم ووفقنا الى اتباع هديه . وجملنا بفضيلة الحياء منه .

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

الأساطير فى بلاء أيوب

رأى الدين فيها

للأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى : « واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ٤١ — اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ٤٢ — »
الآيات من سورة ص

البيان

أسرف القصاص فى الحديث عن بلاء أيوب عليه السلام ، دون أن يضبطوا رواياتهم بميزان التحرى والصدق فيما يروون ، وهم فيما فعلوا تجنوا على الحق ، وافتروا على نبى كريم وأغضبوا الله رب العالمين :

ومن القصص المكذوبة عليه ، ماحكاه ابن الأثير الجزرى ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، اذ قال فى تاريخه (الكامل) ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله ، فحسده وسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه على ماله ، فجمع رؤساء أصحابه من العفاريت ، وكان لأيوب (البتنية) جميعها — من أعمال دمشق — وكان له فيها ألف شاة برعاتها ، وخمسمائة فدان ، يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال .. الخ فلما جمعهم ابليس قال : ما عندكم من القوة والمعرفة ؟ فانى سلطت على مال أيوب ، فقال كل واحد ما عنده ، فأرسلهم فأهلكوا ماله ، وأيوب يحمد الله ولا يفتر فى عبادة ربه والشكر له على بلائه فى ماله والصبر عليه .

فسأل ابليس ربه أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم فأهلك ولده كلهم ، ثم جاءه متمثلا بمعلمه الذى كان يعلمه الحكمة ،وجعل يرققه على أولاده الذين ماتوا ، حتى رق أيوب فبكى ، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه ، فاغتبط ابليس ، وسر من تأثيره عليه الى هذا الحد لكن أيوب ندم لذلك واستغفر الله كثيرا ، فصعدت حفظته بتوبته الى الله تعالى .

قبل ابليس ، فلما لم يرجع أيوب عن عبادته والصبر على بلائه ، سأل ابليس ربه أن يسلطه على جسده ، فسلطه عليه عدا لسانه وقلبه وعقله ، فلم يجعل له عليها سلطانا ، فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده ، وصار أمره الى أن انتثر لحمه ، وامتلأ جسده دودا ، فصبر ، وكان كلما سقطت دودة من جسده ردها اليه وقال : كلى من رزق الله ، وأصابه الجزام وأنتن جسده ، حتى لم يطق أحد أن يشم ريحه ، فأخرجه أهل القرية الى تل من الكناسة خارج البلد ، لا يقربه أحد الا زوجته ، وكانت تختلف اليه بما يصلحه ، فبقى مطروحا على الكناسة سبع سنين ، لا يسأل الله أن يكشف مابه ، وليس على الأرض أكرم منه على الله .

وقيل فى سبب بلائه هذا أن أرض الشام أجدبت ، فأرسل فرعون الى أيوب أن هلم الينا ، فان لك عندنا سعة ، فأقبل بخيله وما شيته وأهله ، فأقطعهم فرعون القطائع ، ثم ان النبى شعيبا ـ عليه السلام ـ دخل الى فرعون فقال : يافرعون : أما تخاف أن يغضب الله غضبة ، فيغضب أهل السماء والأرض لغضبه ، وتغضب البحار والجبال كذلك ـ وأيوب ساكت لا يتكلم ـ فلما خرجا أوحى الله الى أيوب : يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه ، استعد ، للبلاء ، فقال أيوب : أما كنت أكفل اليتيم ، وأحسن الى الغريب ، وأشبع الجائع وأكفت الأرملة ـ أى أضمها الى احسانى ـ فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون : من فعل ذلك ياأيوب ، فأخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال : أنت يارب فأوحى الله اليه : استعد للبلاء ، قال فدينى ، قال : أسلمه لك وأحفظه ، قال : فما أبالى ، ثم قال ابن الأثير : وقيل السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرنا :

ونحن نقول : ان الناظر فى هذه القصة ، يرى أنها تحمل فى طياتها أسباب الحكم عليها بالاختلاق والافتراء ، فهى عديمة السند حتى يمكن الحكم عليها ، كما أن فيها أن الشيطان استأذن الله فى تسليطه على ماله وولده وجسده ، وأن الله تعالى أذن له فى ذلك ، وهذا محال ، فانه لا يجوز عقلا أن يسلطه الله على

أجساد أنبيائه وأولادهم وأموالهم ، يقضى فيها وطره من تعذيب وحرمان واهلاك وتشويه أمام الخلائق » في حين أن الله تعالى لم يجعل له سلطانا على بنى آدم الا بالوسوسة ، كما أن الأنبياء معصومون من البلاء المنفر ، كالجذام والبرص والجنون ، ومما يعوق أداء الرسالة على الوجه الأكمل كالعمي والشلل ونحو ذلك .

وأصحاب هذه القصة جهلوا هذا الذى علم من الدين بالضرورة ، وأقاموا بهذا الجهل الدليل الواضح على افترائها » فمن من العقلاء يصدق أن يصيب الله أحد أنبيائه بنتن الجسد وتساقط الدود منه والجذام ، حتى ألقى على تل من الكناسة ، وكيف يعقل أن يستأذن الشيطان ربه فى فتنة نبى فيأذن له ؟ مع أن ابليس ليس بحاجة الى استئذان ، فانه قال لربه حين أبى السجود لآدم «لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » .

ثم انه كيف يستأذن ربه بعد أن طرده الله فيأذن له وهو عليه غضبان ، وكيف يعقل أن يرى أيوب من فرعون معصية ويسكت عن نهيه عنها ، فاذا كان شعيب تمكن من نصح فرعون ، فأيوب لا تمنعه دنياه من أن يؤدى حق الله فى الزجر والتذكير ، ثم كيف يمكث الدود فى جسده سبع سنين فى رواية » وثمانى عشرة سنة في أخرى - دون أن يموت - اللهم أن هذا هو البهتان المبين .

ما يقتضيه الدين القيم

ان الدين القيم يقتضى من صاحبه، أن يعتقد فى شأن مرضه أنه كان ابتلاء شديدا من الله تعالى ، وأنه سبحانه لم يسلط ابليس على جسده وولده وماله - كما زعم الزاعمون - وأن مرضه سواء طال أم قصر لم يكن منفرا ، فان الأنبياء معصومون مما يعوق أداء الرسالة على الوجه الأكمل ، كالعمى والصمم والشلل والأمراض المنفرة ، وما زعمه الزاعمون من عمى شعيب لم يثبت ، وما أصاب يعقوب كان غشاوة مؤقته وزالت ، وقد كان قبلها وبعدها وحينها يؤدى رسالته على الوجه الأكمل .

أما ابتلاؤهم بالوسوسة الشيطانية » فهو قدر مشترك بينهم وبين سائر المكلفين ،قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا

وهم لايفتنون » وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى فى مس الشيطان لأيوب ، وفيما يلى بيان قصته التى أوردها الله فى سورة (ص) •

مس الشيطان لأيوب

يقول الله تعالى : « وأذكر عبدنا آيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » أى أذكر قصته للناس ليقتدوا به فى الصبر على البلاء ، واللجوء الى الله بالدعاء ، وجاء الشفاء والسلامة من فتن الشيطان التى تعذب ضمير المؤمن •

والمقصود من مس الشيطان لأيوب ، وسوسته له وهو فى مرضه ، بأن بلاءه فوق الاحتمال ، وأن الله تخلى عنه ونسيه ، وأنه لافائدة من عبادته له وهو لايهتم به وغير ذلك •

وغرضه أن يبعثه على الجزع والقنوط من رحمة الله ، بما يكرره من عبارات الاقناط من آن لآخر ، وتلك عادته فى الوسوسة التى لايتورع عنها حتى مع الأنبياء ، فقد صح أن الشيطان تفلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ليقطع صلاته ، فأمكنه الله منه وهم أن يربطه فى احدى سوارى المسجد حتى يراه الناس صباحا ، ثم تذكر دعوة أخيه سليمان عليه السلام اذ يقول « وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى » فلم يفعل ورد الله الشيطان خائبا •

وكان أيوب عليه السلام يحس من هذه الوسوسة ومجاهدتها فى مرضه بنصب وعذاب فوق ماهو فيه من المرض الشديد ، فلهذا نادى ربه « أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ليصرفه عنه ويعينه عليه ، وهذا هو الرأى المرتضى فى تفسير مس الشيطان بالنصب والعذاب •

أما ما قيل من أن النصب والعذاب كانا من وسوسة الشيطان لغيره ، وذلك أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين ، فارتد أحدهم بعد أن عاده، زاعما أنه لو كان نبيا لما أصيب بذلك ، فلما انقطع عن زيارته سأل عنه ، فقيل له انه ارتد وقال ماذكر ، فتألم لذلك وتعذب ، أما هذا القول فلا يعول عليه ، فانه كلام مفترى ولا أصل له ، كما أنه يدور فى ذلك المرض المنفر الذى يستحيل أن يصاب به الأنبياء •

ومثله فى الافتراء ما قيل من أن نفرا من بنى اسرائيل مروا به وهو

ملقى على الكناسة،فقال بعضهم لبعض ما أصابه ذلك الا لذنب عظيم جناه ، وكل ذلك من وسوسة الشيطان ، فعظم عليه ذلك وأصابه التعب والعذاب فقال ما قال :

أيها القارىء الكريم : هذا وأمثاله ماهو الا مفتريات اسرائيلية ،فأعرض عنها ، واحرص على ما ارتضيناه تفسيرا للنص الكريم .

شفاء أيوب

قد علمت أنه عليه السلام لجأ الى ربه شاكيا من تعذيب الشيطان له بالوساوس فى مرضه ، راجيا منه الشفاء حتى لا يجد الشيطان الى اقناطه من رحمة الله سبيلا ، وقد استجاب الله دعاءه فقال له : «اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب » فضرب الأرض برجله ، فنبعت عين ماء بارد ، جعل الله تعالى فيه شفاءه اغتسالا وشربا ، فهو ببرودته ومافيه من عناصر العلاج ،ينشط جسده ، ويشفيه اذا اغتسل به وشرب منه .

الانعام عليه بالأولاد

أراد الله تعالى أن يتمم نعمته على أيوب جزاء له على صبره ، فجمع له بين الشفاء وهبة الأولاد ، رحمة منه وفضلا ، وفى ذلك يقول الله تعالى « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب » فالمراد من أهله هنا أولاده ، والمراد من هبتهم له جمعهم بعد تفرق ، أو شفاؤهم من أمراضهم فكأنهم بذلك وهبوا له ، أما احياؤهم بعد موتهم كما قيل ، فلا يساعده النص القرآنى ولا دليل عليه من السنة .

ولم يكتف الله بذلك ، بل رزقه من زوجته بعد الشفاء أولادا مثل من وهبهم الله له منهم ، على أى من الوجهين السابقين ، وكان هذا وذاك رحمة له من الله تعالى ، وتذكيرا لذوى العقول الصافية ، ليصبروا على الشدائد كما صبر ؛ ويلجئوا اليه كما لجأ ، ليفرجها عنهم ويحسن العاقبة لهم كما فعل بأيوب عليه السلام .

الله يفتى أيوب فى يمينه

كان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة ضربة ان شفاه الله،وذلك لأنها ذهبت لحاجة فأبطأت عليه وهو فى أشد الحاجة اليها ، فلما شفاه الله أفتاه سبحانه فى يمينه بقوله : « وخذ

بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب »

والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش أو الحطب أو نحوهما ، ومنه المثل « كان ضغثا على ابالة » أى كان قبضة من الحطب على حزمة كبيرة ، ويضرب للثقل الكبير يوضع عليه ثقل صغير فلا يستطاع حمله .

وفسر ابن عباس الضغث فى الآية بعنكال النخل ــ وهو القنو الذى به الشماريخ .

ومعنى الآية على هذا أن يأخذ أيوب عليه السلام ، قنوا به مائة شمراخ ، فيضرب به امرأته ضربة واحدة ، فان فعل لم يحنث فى يمينه والآية رخصة فى الحدود وغيرها ، ومن استعمالها فى الحدود فى شرعنا ما روى من أن وليدة فى بنى ساعدة حملت من زنى ، فقيل لها : ممن حملت ، فقالت : من فلان المقعد ، فسئل فقال : صدقت ، فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « خذوا عنكولا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة واحدة »

قال أصحاب هذا الرأى : لافرق بين مطيق للجلد المتعارف وغير المطيق اذا كان غير محصن ، واشترطوا فيه الايلام وأن يصيب المحدود جميع الأعواد المائة ، وقال ألكيا : ذهب الشافعى وأبو حنيفة وزفر ، الى أن من فعل هذا بر فى يمينه عندهم ، وخالف مالك ورآه خاصا بأيوب عليه السلام ووافقه على رأيه آخرون .

وقد استدل عطاء بالآية على مسألة أخرى ، فقد سأله رجل حلف على زوجته أن لا يكسوها قيمصا حتى تقف بعرفة ، فأفتاه بأن يحملها على حمار ويقف بها بعرفة ،فقال الرجل: انما عنيت يوم عرفة،فقال عطاء:أيوب حلف على أن يجلد امرأته مائة جلدة ، أكان يقصد ضربها بالضغث ؟ وقد أمره الله أن يتحلل من يمينه بضربها به ، ثم قال : انما القرآن عبر

واستدل بالآية على جواز الحيلة ، على أن لا يذهب الأخذ بها بحكم آخر ، فمن وهب ماله لآخر قبل أن يحول عليه الحول ، وبعد أن قبض الآخر المال أعاده الى الأول بهبته له فلا ينفعه ذلك فى التخلص من الزكاة بحجة أنه لم يحل عليه الحول وهو

فى ملكه،فقد ملكه لآخر أثناء الحول ثم عاد اليه بملك جديد ، فهو لذلك يرى أن يبدأ الحول بالنسبة له بعد عود المال اليه ثانيا بالهبة من المالك الثانى وهذا خطأ ، فان الشارع لايرى فى نقل الملك من صاحب المال الأصلى الى آخر الا أنه عملية تهرب من حق الله الذى أوجبه نحو مصارف الزكاة ، فلهذا لا تعفى تلك الحيلة المالك الأصلى من وجوب الزكاة اذا مضى الحول ، وان تخلله هذا التمليك الصورى والله تعالى هو الموفق للصواب .

مصطفى محمد الطير

مما يستحب تعجيله من الأمور

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ياعلى ثلاثا لا تؤخرها ، الصلاة اذا دخل وقتها والجنازة اذا حضرت والأيم اذا وجدت لها كفؤاء أخرجه الترمزى .

أكثر أمور الحياة يستحب فيها التروى والتريث والتدبير والتخطيط واستجماع الفكر والتماس المشورة واستنصاح العقلاء حتى تتوافر لها أسباب النجاح وما أكثر ما دعت الأديان الى التمهل والصبر وما أكثر ما نصح العقلاء والحكماء بالتأنى والتروى والمشورة ، ومن مأثور كلام الامام على رضى الله عنه : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه . .

ان التقحم على الأمور والعجلة بها مظنة الخطل والزلل ، والانسان فى سعة من أمره ما لم يصدر منه فاذا صدر ضاق به الأمر وانغلق دونه باب العذر ، ولم يكن بعد الا أن يتحمل نتائجه ان خيرا فخير وان شرا فشر .

الا أن هناك أمورا استحبت فيها العقول والمروءات ، واستحبت فيها الأديان كذلك الاسراع بها والتعجيل بانجازها انتهازا للفرصة واغتناما للوقت وراحة من الأعباء ، ولقد ذكر حديثنا هذا ثلاثا منها ، أولهما التعجيل بالصلاة اذا دخل وقتها ، لأن فى ذلك مبادرة الى الطاعة والامتثال وابراء للذمة وضمانا لأدائها فى وقتها وتخفيفا لثقل الانتظار وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجلها ويقول لمؤذنه بلال : أرحنا بالصلاة يابلال أى أذن بالصلاة نسترح بأدائها من شغل القلب بها . والمؤخر للصلاة على احتمال أن يفوته وقتها ، فقد

يعرض له من النسيان والشواغل ما يصرفه عنها أو ينسيه أداءها ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة فى أول وقتها . ومن أصدق ما قيل خير البر عاجله .

الأمر الثانى من الأمور التى يستحب تعجيلها تجهيز الميت ودفنه ولكن اذا تحقق موته باخبار الطبيب الحاذق أو بظهور العلامات التى تقطع بموته ، فان غم أمر موته لمرضه بمرض تشتبه فيه الغيبوبة بالموت .

فالمستحب تأخير تجهيزه ودفنه حتى يستبين الأمر ويتأكد الموت ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ضحوة ودفن فى جوف الليل من ليلة الأربعاء ولعل سر استحباب هذا التعجيل أنه تخفيف للمصيبة فى الميت على أهله وأحبابه فان منظر الميت مسجى على راحلة الموت أمام نواظرهم منظر رهيب مثير لمشاعر الحزن باعث لشجون الذكريات ، وانه موقف رهيب يصعب احتماله خصوصا على الأرامل والأطفال ، وفى سرعة الدفن راحة ما من هذا الموقف .

ويعجبنى فى هذا الصدد ما أثر عن بعض الحكماء اذ قال : كل شىء يبدو صغيرا ثم يكبر الا الموت فانه يبدو كبيرا ثم يصغر ، هذا الى أن فى تأخير دفن الميت شغلا لبعض الناس عن مهامهم دون جدوى ، وقد ورد فى حديث آخر : اذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به الى قبره .

والأمر الثالث من الأمور التى يستحب فيها التعجيل ، تزويج الأيم اذا وجدت لها كفؤا ، والأيم فى الأصل المرأة التى لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا مطلقة أو متوفى عنها زوجها ولكن غلب استعمالها فى المرأة التى طلقت أوتوفى عنها زوجها والكفء النظير والمساوى ، والكفاءة فى النكاح هى أن يكون الزوج مساويا للمرأة فى حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك ومعنى ماجاء فى الحديث أنه اذا تهيأت فرصة الزواج للأيم بأن طلبها رجل كفء لها ليتزوجها فتستحب المبادرة الى اجابة طلبه واتمام زواجها به ، ولا يحل لوليها أن يقف فى طريقها حائلا دون الزواج لأى سبب من الأسباب ، وهذا حق من الحقوق

التى منحتهاالشريعة الاسلامية للمرأة وكان خطوة فى تحريرها من رقها التى كانت تعانيه فى الجاهلية العربية وغير العربيـة فلقد كان من عادات العرب ، أنهم كانوا اذا مات الرجل منهم كان أوليـاؤه أحق بأمـرأته ان شاءوا أن يتزوجها بعضهم ، وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجـوها ، فهم أحق بها من أهـلها ، فنهى الله تبارك وتعالى عن ذلك بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثـوا النساء كرها ولا تعضـلوهن لتذهبـوا ببعـض ما آتيتـموهن » أى لتأخـذوا ميراثهن أو ليـدفعن اليكم صـداقهن اذا أذنتم لهن بالنـكاح • قـال ابن عباس : وسبب نزول هذه الآية :كان الـرجل يـرث امـرأة ذى قـرابته فيعضـلها حتى تمـوت أو ترد اليـه صداقها ، ومعنى الآية ، لا يحل لكم أن تأخروهن بطريق الارث فتزعمون أنكم أحق بهن من غيركم وتحبسوهن لأنفسهم ، ان حرية المرأة فى اختيار زوجها مظهر من مظاهر انسانيتـها ، وقد كانت محرومة منها فى الجاهلية فمنحها الاسلام اياها على أوسع مدى وأوجب استشارتها فى الزواج سواء كانت ثيبا أم بكرا وأعطاها حق فسخ الزواج ان تم دون اذنها وعلى غـير رغبتها وفى كتب الفقه تفصيلات وعلل دقيقة للأئمة رضى الله عنهم ، ان فى منح المرأة هـذا الحق ـ حق تعجيل زواجها بالكفـء معنى اجتماعيا عظيما الى جـانب معـناه الانسـانى ينبثـق كلاهما من روح الاسلام فى العناية بالمرأة ووجوب صيانتها والحفاظ على سمعتها وكرامتها فالمرأة الأيم مـرت بتجربة الزواج والاستمتاع بالأزواج فهى تحن الى تكرار التجربة واستعادة فترات الاستقرار والهناء ، واحتباس أوليائها لها عن الزواج حرمان من من هـذه الفـرصة والسيـطرة على العواطف لها حدود وقد ينفلت زمام هذه السيطرة فتنحرف وينهار صرح كرامتها وينهار معها الوضع الاجتماعى للأمـة ، والمرأة على الـدوام مجلبـة للانـظار وموضـع للقيـل والقـال وخصـوصا الأيم فانهـا فى أغلـب الأحيان ضحـية للاشـاعات الـكاذبة والاسراع بتزويج المـرأة بالـكفء يحقق كل المعانى السامية التى أشرنا اليها •

وقد جاء فى أحاديث أخرى استحباب الاسلام تعجيل أمور أخرى غير ماجاء فى هذا الحديث ، منها التعجيل بأكرام الضيف عند نزوله بالطعام والشراب احتفاء به وتطييبا لخاطره وسدا لجوعه وظمئه فقد يمنعه الحياء أن يستعجل ذلك فندب المضيف الى أن يتولى ذلك استبقاء على حياء الضيف وقضاء لحقوق الضيافة ، ومن ذلك وجوب التعجيل بوفاء الدين اذا أيسر المدين وقدر على الأداء وقد جعل الاسلام التباطؤ فى الأداء ظلما حيث قال : مطل الغنى ظلم يعنى أن تأخر الغنى القادر على الدفع وأداء ما عليه لمستحقه ظلم للمستحق باحتباس حقه وهو حرام وظلم لنفسه بمدافعة صاحب الحق وهو معصية ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة)

رواه البخارى

تمهيد :

فى المقال السابق شرحنا الكلمات اللغوية للحديث ، وقلنا فى بيان مقاصده :

ان تعاليم الاسلام قامت على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، ورعاية المكلفين ، والترفق بهم ، وأنه ليس فيها ماتضيق به النفوس الزاكية ، أو تحس منه عنتا ورهاقا ، وذكرنا لهذا أمثلة وجيزة •

وفى مقالنا هذا نمضى فى بيان أهداف الحديث ، ونحاول أن نذكر بعض نماذج فى التشريع الاسلامى يتجلى فيها اليسر والسماحة فنقول :

فى هذا الحديث يؤكد لنا صلوات الله وسلامه عليه ما يتميز به الدين من يسر وسهولة ، ويبين أن أى شخص يتعمق فى الدين ، فيترك الرفق ، ويأخذ نفسه بالمشقة لابد أن يضعف ويعجز عن العمل ويغلبه الدين ويقهره ثم رسم عليه الصلاة والسلام منهاجا سويا ، اذا سار عليه الناس أبقوا على انفسهم وتمكنوا من مواصلة العمل ، وظفروا بما يبتغون من مثوبة وجزاء ،

فأمرهم بالتزام السداد ، أى الصواب فى القول والعمل من غير افراط ولا تفريط ،

وقال لهم : قاربوا أى لاتبالغوا ، ولا تغلوا فى العبادة ، ولاتبلغوا النهاية فيها ، بل تقربوا منهـا ، وطلب منهم أن يستبشروا بالثواب على العمل وان قل فـان قليل العمـل مـع المـداومة والاتصال خير وأوفى جزاء من كثيرة مع الانقطاع ،

كما يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم : (أحب الأعمال الى الله تعالى تعالى أدومها وان قل) (١) ـ وحثهم صـلوات الله وسـلامه عليه على أن يستعينوا على العمل بالأوقات المنشـطة له ، فيكون شأنهم فى ذلـك شـأن المسافر ، فكما أن المسافر لايواصل السير فى جمبع ساعات الليل والنهار، بل يتخير ، منها مايهـون عليه السفر ويعينه على بلوغ غايته، فيسير فترة فى الصباح ،وفترة فى العشى، وفترة من آخر الليل ، وبعد كل فتره يستريح ليستجم وينشط لما بعدها ، فكذلك ينبغى لهم أن يسـتعينوا على الأعمـال بالأزمنة الميسرة لها ، والمشجعة عليها ، فان هذا ابلغ فى رعايتهم ، وتمكينهم من المداومـة على العمـل ، واثـارة الشوق اليه والاحسـان فى أدائه ، وعندئذ يستحقون من الله تعالى حسن القبول ، وعظيم المثوبة ، كمـا قـال سبحانه : « ان الـذين آمنو وعملوا الصلحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا » (٢) .

وقـد رأينا أن من المفيد للقارىء الـكريم أن نذكر لـه نمـاذج من التشريع الاسلامى تعلن عما يتمتع به هـذا التشريع من يسر وسـهوله ، ونجتزىء فى ذلك بما يأتى :

١ ـ اذا أصـابت النجاسـة شيئا كالثوب مثلا ، فان الوسيلة المعروفة لتطهيره أن يغسـل بالمـاء الطـاهر ، ويعصر فى كل مرة اذ يتوالى الغسل والعصر تسـتخرج النجـاسـة جزءا فجـزءا حتى ينقى منها الثـوب تماما فيحكم بطهارته .

ولما كانت الأرض المتنجسة لايتأتى عصرها جعل الشارع الحكيم طهارتها حاصـلة بمجرد صـب المـاء الطاهر على موضع النجاسة فيها ،

ولو تأمل الانسـان مايحـدث من ملاقاة المـاء للنجاسة يجد أنها تنتشر

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ,

(٢) سورة الكهف آيه رقم ٣٠ .

وتنبسط رقعتها ، وتتسع مساحتها بعد أن كانت ضيقة ـ فكان مقتضى الظاهر ألا تطهر الأرض بهذا الصب، ولكن الشارع سبحانه حكم بطهارتها بمجرد صب الماء الطاهر عليها تيسيرا على عباده ، وترفقابهم »

واليك الحديث الآتي الذي يثبت هذا الحكم ، ويبين مدى ماكان يأخذ به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، ويدعوا اليه من الرفق والتيسير ؛

روى البخاري ومسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :

بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال » ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه » ثم قال : ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر » انما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال : فأمر رجلا من القوم ، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه

(اعرابي) هو الذي يسكن البادية ،

(مه مه) مه ، اسم فعل أمر مبني على السكون »معناه اكفف ، وفي تكراره تأكيد لطلب الكف .

(لاتزرموه) بضم التاء ، واسكان الزاي ، وكسر الراء ، أي لاتقطعوا عليه بوله ،

(أو كما قال) شك من راوي الحديث » والمراد اما أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قال هذا اللفظ المذكور في الحديث » أو قال مثله ، وهذا يدل على مدى تحري الصحابة رضوان الله عليهم للفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ،

(فشنه عليه) بالفاء والشين ، أي صب دلو الماء على مكان بول الأعرابي تطهيرا له وفي رواية أخرى للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابي في المسجد ، فقام اليه الناس ليقعوا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(دعوه » واريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء ، فانما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين) .

رواه الجماعة الا مسلما

(ليقعوا به) أى ليزجروه وفى رواية أخرى للبخارى : فزجره الناس •

(أريقوا على بوله) صبوا عليه ؛

(سجلا) السجل بفتح السين وسكون الجيم هو الدلو الملآن ماء ،

(ذنوبا) الذنوب بفتح الذال بمعنى السجل ،

وأخرج أبو داود هذا الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان أعرابيا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فصلى ركعتين ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

(لقد تحجرت واسعا) ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد ، فأسرع الناس اليه ،

فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : (انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال : ذنوبا من ماء)

(تحجرت واسعا) ضيقت رحمة الله تعالى وهى أمر متسع فسيح ،

ففى هذه الواقعة دليل على طهارة الأرض المتنجسة بصب الماء عليها ، وأكبر شاهد على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك أقوم نهج ، وأرشد خطة ، وأيسر سبيل ، وأنه وجه لكل من أصحابه والأعرابى أنسب خطاب وأبلغه •

فبالنسبة لأصحابه علم أنهم بادروا الى الانكار على الأعرابى حرصا على طهارة المسجد واحترامه ، وصيانته عن الانجاس والأقذار ، فأقرهم صلوات الله وسلامه عليه على مبدأ الانكار ، لكنه طلب منهم أن يأخذوا أنفسهم بالرفق والتيسير فى انكار المنتهى عنه ، وعلل ذلك بقوله : (فانما بعثتم ميسرين) •

والحكمة فى أنه عليه الصلاة والسلام اسند اليهم - رضوان الله عليهم - البعث بالتيسير - مع أنه هو المبعوث بذلك - أنهم مبلغون عنه فى حضرته وفى غيبته ، فينبغى أن يسيروا على نهجه ، وأن يستووا على صراطه ، وأرشدهم صلوات الله وسلامه عليه الى كيفية التطهير للمكان الذى اصابه البول ،

وبهذا وجه الرسول عليه الصلاة والسلام الى أصل عظيم من أصول الشريعة ،

وهو دفع أعظم المضرتين بتحمل أخفهما – تيسيرا على العباد ،

لأنه لو قطع على الأعرابى بوله لأضر به وكان يحصل من اقامة هذا الأعرابى من مكانه تنجيس بدنه وثيابه ، ومواضع أخرى من المسجد غير الذى وقع فيه البول أولا – فدفع هذا الضرر الكبير بتحمل ضرر قليل : وهو تنجيس جزء ضئيل من المسجد يتسير تطهيره .

وأما بالنسبة للأعرابى فقد عرف أنه ارتكب ما ارتكب بدافع الجهل بما يجب للمسجد من تطهير وحرمه ؟ فطلب الترفق فى معاملته ، وأدرك الأعرابى حسن صنيع الرسول – عليه الصلاة والسلام معه ، فبعد هذا دعاه صلوات الله وسلامه عليه ، وبين له ما يجب للمسجد من طهارة واحترام ؟ وما ينبغى أن يشغل به من أنواع العبادة والطاعة – وعندما سمعه قبل ذلك يقول فى دعائه :

اللهم ارحمنى ومحمدا ، ولا ترحم معنا أحدا – بين له أن رحمة الله واسعه ،

وأنه بقوله هذا قد حجرها وضيقها بجعلها قاصرة عليه وعلى محمد ،

فينبغى أن يعمم فى دعائه بها ويطلبها للجميع ، ليكون ذلك أدعى للاجابة ، وأرجى للقبول ،

فأى عناية بعد هذا بالمكلفين ، وأى رعاية لمقتضى حالهم ، وأى كلام أبلغ وأنفع فى الدعوة الى التيسير مما وجه اليهم ؟

(يتبع) منشاوى عثمان عبود

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٨ —

لا يشك عاقل فى أن رفض البدهيات الضرورية ، والبراهين القطعية بأعذار سمجة وتشكيكات ملؤها الأفن والعفن ، يمكن أن يكون مرده الى لوثة تنأى بصاحبها عن مجتمع العقلاء الأكياس ، لما يملأ صدره من وحى الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس .

واذا تأملنا موقف ذلك الكتاب المشبوه وانى ليملؤنى الأسى أن أطلق على هذا الهذيان كتابا من حديث تتفق العقول جميعا على شرف غايته ونبل لحمته ، وكريم نسجه وطهر مورده ، ولنعرض أولا ما يقوله ذلك الهاذى قال :

الحديث رقم ٢١ فى خشبة تعبر البحر حتى توصل الدين المالى الى صاحبه مجلد ١ الكتاب ٦ثم يعقب عليه بما سمح له به تفكيره العقيم وفهمه السقيم وخلقه الذميم باعتراضات هكذا .

١ ـ اذا كان النبى قد جاءنا بالقرآن الذى يكلف الدائن والمدين باستحضار الشهود وكتابة الدين قليلا أو كثيرا فكيف يعقل أن يقص علينا قصة رجلين عطلا حكم الله فى التداين على سبيل الترغيب فى الاقتداء بهما مع أن فعلهما كان معصية لله .

٢ ـ تعطيل المدين للأسباب التى علمها الله لخلقه فى الاتصال والمراسلة ، ويكفيه خروجا على الطبيعة أن يرسل المال داخل خشبة ثم يلقى بها فى البحر الى قوله : وذلك عمل لا يصدر الا عن انسان مخبول !!!

٣ ـ قبول هذا الحديث يأخذ بألباب المؤمنين الى مجالات الخبال والتواكل التى تأباه الحشرات .

٤ ـ كيف يتصور والعياذ بالله أن يكون هذا الخبل فى البخارى ولاقوة الا بالله .

٥ ـ كيف نتصور ونحن المؤمنون العقلاء أن تأتينا هذه القصة الخرافية على لسان النبى وهو القائل (اعقلها وتوكل) فهل قائل هذا تعجبه قصة ذلك الرجل الأبله الذى وضع المـال فى خشبة وألقى بها فى البحـر ـ ثم ننزه القلم عن نقل ماطفح به سـوء الأدب وطيش الخلق ورعونتـه ثم يختم كلامه هكذا :

والحق أن هـذا الحديث دخيل اسرائيلى على كلام النبى صلى الله عليه وسلم وانا لرافضوه !!! اهـ ولندع هذا الهراء جانبا لنأتى الى صحيح البخارى نفعنا الله ببركاته ولو كره الذين فى قلوبهم زيغ فجاء هكذا :

باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها . وقال أبو الزناد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى عن أبيـه أن عمر رضى الله عنه بعثه مصدقا فوقع رجل على جارية امرأته فأخذ حمـزة من الرجـل كفيـلا قدم على عمر وكان عمر قد جلده مائة جلدة فصـدقهم وعذره بالجهالة وقـال جـرير والأشعث لعبد الله بن مسـعود فى المـرتدين : اسـتتبهم وكفلهم فتابوا وكفـلهم عشائرهم . وقال حماد : اذا تكفل بنفس فمات فلا شىء عليه .

وقال الحكم : يضمن . قال أبو عبد الله وقال الليث : حـدثنى جعفر ابن ربيعه عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبى هـريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجـلا من بنى اسرائيل سـأل بعض بنى اسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشـهدهم فقال : كفى بالله شهيدا قال : فائتنى بالكفيل قال : كفى بالله كفيلا قال : صـدقت ، فـدفعها اليـه الى أجـل مسـمى ، فخـرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليـه للأجل الذى أجله فلم يجـد مركبا ، فأخذ خشـبة فنقرها فأدخل فيهـا ألف دينـار وصحيفة منه الى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها الى البحر فقال : اللهم انك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا فرضى

بك وسألني شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا فرضى بك ، وانى جهدت أن أجد مركبا أبعث اليه الذى له فلم أقدر وانى أستودعكها ، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فاذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا،فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال : هل كنت بعثت الى بشىء ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه قال : فان الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة • فانصرف بالألف الدينار راشدا » اهـ •

وبالنظرة لأول وهلة يسترعينا أن الحديث ضمن مجموعة من الأخبار المعلقة وهو منها ــ أعنى من حيث كونه معلقا ــ لأن قوله : قال أبو عبد الله يعنى محمد بن اسماعيل البخارى : وقال الليث : حدثنى الى آخره • والليث هنا هو ابن سعد وهو من شيوخ شيوخ البخارى•وأخرجه أحمد موصولا هكذا قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل « حدثنى أبى حدثنا يونس ابن محمد حدثنا ليث يعنى ابن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن ابن هرمز عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وساق الحديث بالنص الذى ساقه البخارى • وقدساق البخارى الحديث مختصرا فى الاستقراض واللقطة والاستئذان والشروط والبيع والزكاة •

ولنجعل كلامنا لمن يعنيهم الحق ونشدان الصواب ويرجون تجارة لن تبور لا المتطرفين والمتهكمين وأصحاب الجهل المركب :

ان البخارى بذكائه وفطنته ــ لا بخبله كما تقيأ هذا الدعى ووصف من يفعل هكذا بالخبل ــ أقول بذكائه وفطنته ساق أقوالا معلقة فى صدر الترجمة وختم هذه المعلقات بهذا الحديث للعبرة والموعظة وكما قلنا أورده أحمد موصولا وبين أحمد والليث بن سعد : يونس بن محمد والليث شيخ شيوخ البخارى اذ بينه وبين البخارى أمثال قتيبة بن سعيد ويحيى بن بكير وعبد الله بن صالح

فهـو هنا من معلقاته ، وان كان قـد وصـله أبو ذر عن المستملى فقـال : حدثنى عبد الله بن صالح وحيث ان البخارى أورده معلقا بصيغة التوكيد بقول (وقال الليث) فانه فى حكم المتصل كما هو معروف من هذا العلم ثم نأتى الى مادة الحـديث فان رجلا أراد استسلاف ألف دينـار وظاهر القصـة أنه كان على سـفر بدلالة المفهوم ، وتعذر على هذا المستقرض أن يحضر كفيلا كما تعذر عليهما أن يحضرا شـهودا وهذه أمـور طبيعية يحتمل وقوعها فى كل يوم وفى كل ساعة لعدم وجود من يعرفهما حيث كانا ، ويبدو أيضا من سياق الواقعـة أنهمـا كانا على درجـة عاليـة من الـورع ، فكلمـا طلب المقرض من المستقرض وثيقة تعذر عليه احضارها ذكر الله تعالى والله تبارك وتعالى يقول: (أليس الله بكاف عبده) وقال تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقد اطمأن المقرض ولا حرج عليه •

ومما تجدر الاشارة اليه أن الوثيقة أمر اختيارى وليست شرطا فى صحة عقد القرض ولا ركنا ولا فرضا ، وانما جىء بها فى القرآن على سبيل الارشاد والى أفضل وجوه التعاقد ؟ ولكن القرض لا يكون باطلا اذا وقع بغير اشهاد أو بغيـر كتابة • وأنـواع البينة كثيرة فالاقرار بينة واليمين بينة وقرائن الأحـوال بينة وراجـع ان شئت اعلام الموقعين عن رب العالمين للامام ابن قيم الجوزية •

فلمـا أعـطى المقرض الألف الى المستقرض راضيا بالله كفيلا وراضيا بالله شهيدا مع العلم بأن العقد الى أجل مسـمى ، فأركان القرض تامـة من مقرض ومسـتقرض وأجل مسـمى وقدر الدين وايجاب وقبول وشاهد وكفيل رضيا به وهو الله تعالى ، ولو لم يكن هناك شاهد ولا كفيل لمـا كان العقد باطلا ، وطرفا العقد من ذوى الأهلية وجواز التصرف •

فلما حل الموعد ذهب المدين الى الشـاطىء يلتمس سـفينة توصله الى الشـاطىء الآخـر ليذهب الى الرجل ليوفى له دينه ، فلما لم يجد سفينة لعلـه خشى أن يعـود بالمـال فيدركه أجله أو يسرع اليه أذى فيكون قد أضاع دين الرجل ، ولمـا روى من (أن المسافر وماله لعلى قلت) بفتح القافة والـلام أى على خطر ، فجـاء بخشـبة كبيرة ونقرها فأحدث فيهـا

فجوة تتسع للألف دينار ذهبا ، فكأنها فى هيئتها وكبرها مع وزن الذهب فى حشوتها أسباب معقولة لتتبعها فى البحر والعثور عليها والاهتداء الى صاحبه ، لاسيما اذا وضع مع الذهب صحيفة ، مكتوبة باسم الدائن ، وأن هذا حقه فى ذمة المدين .

وفى الموعد المضروب والمكان المعين خرج الدائن ينتظر صاحبه يوفيه ويبر بعدته ، ولعله يحدث نفسه بهذا الذى هتف بالله كفيلا ، وهتف به شهيدا ، هل هو على درجة من الوفاء والولاء تتفق مع شرف هذه الكفالة ، وبينما هو يصوب بصره الى بعيد اذا به يبصر جسما عائما تتقاذفه الأمواج الى الشاطىء فى وقت أحس فيه بالبرد القارس ، وأن هذه الكتلة الخشبية كفيلة اذا نشرها أن توفر لحظات من الدفء له ولأهله ، فلينشرها جذاذات .

فلما حملها الى بيته وأجرى المنشار فى أجزائها حتى وصل الى التجويف الذى فيه المال والصحيفة وقرأها وعد المال فوجده حيث المقدار الذى له فى ذمة صاحبه .

أما المستقرض فانه لم يجعل هذا الطريق وحده سبيلا الى الوفاء وانما سعى الى الوفاء يدا بيد بعد أن وكل أمر هذه الخشبة الى الله تعالى الذى هتف باسمه عند التعاقد ، ووجد سفينة توصله الى حيث يكون الدائن ، وأخذ معه ألفا أخرى ، وهو فى هذا يأخذ بأسباب كثيرة ، منها متابعة الكتلة التى تتقاذفها الأمواج ، فاذا ندت عنه ولم يصبها الدائن كان هو قد حضر الى الدائن معتذرا عن تأخيره بعدم توفر السفن القادمة الى محلة الدائن ، فلما وجد الدائن دينه والصحيفة ، وعرف أن المال ماله لم يقبل أن يأخذ الألف مرة أخرى ، وانقلب الرجل بألفه الأخرى الى أهله موفور الكرامة عامر الذمة شريف النحيزة نبيل المنقبة فلا خبل الا فى عقل هذا الغبى ، ولا واجبا متروكا الا فى عرف من لم يشم رائحة العلم بالاسلام .

ولقد بلغ مثل هؤلاء الأدعياء الاسلام كاشاعة فذهبوا يركلونها بالأقدام ، وينطحونها بالقرون ، والجنون فنون .

أما قـول صـاحب ذلك الكتـاب (وانا لرافضـــوه) يعنى الحـديث الشريف ومعذرة اذا لم أجد ترجمة دقيقـة للـكلمة التـركيـة (**طظ**) ونستغفر الله العظيم •

وقد يتوهم أن أسبابا مشروعة قد حيد عنها أو وسائل أحكم وأســـلم من هذه قد عزف عنها **المتداينان ولكن** المعن لا يجـد أمثل ولا أسلم ولا أحكم مما وقع (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) •

محمد نجيب المطيعى

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٩ —

كانت الملامح الواضحة فى الروح الاسلامية التى برزت فى كثير من المناسبات فى شعر شوقى أنه يربط بين الاسلام وأشياء أخرى يرى هو أنها تمكن له ، وترعاه من عوادى القلق والاضطراب . وأنها بالتالى لابد منها لصونه وحفظه ، ورسوخ قدمه ، وتأكيد سلطانه ، وعلو منزلته ، ودوى صوته وامتداد ظله فى الأرض فلا يقصر فى الحديث عنها والتنويه بها ، والحث على أن يكون لها مزيد من العناية والاهتمام ... واذا كان هذا الدين قد حمله الى البشرية بلسان عربى مبين محمدبن عبدالله صلى الله عليه وسلم وكان من دعائمه التى قام عليها ذلك البيان الذى بهر به العرب . وتحدى به قومه ، وسحر به أساطين البلاغة والفصاحة ، فهو لاينسى أن يفى هذه اللغة حقها من الاجلال والاحترام ، وأن يكيل لها من الثناء ما يتناسب مع هذا الجهد العظيم الذى قامت به فى التنويه بهذا الدين ؛ والاعلان عنه ؛ والتعريف به . حتى غزا الضمائر والأفئدة ، وجعل الناس يتحدثون عنه ، ويفكرون فيه .. وعلى اعتبار أن الجزيرة كانت هى الوعاء الذى احتوى الدعوة والهداية، وشرفت بهذا الاختيار ، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، لأن الرسالة نبتت فيها ، وترعرعت بين جنباتها ، يذكر أهلها بما هم أهل له من الكرم والشجاعة ، والبر والخير ، والاقدام والبطولة ، والوفاء والحق ، والانسانية والنجدة ، ويشيد بتاريخهم المملوء بالأمجاد والمفاخر ، وأرضهم التى أنبتت الأبطال والفاتحين ، وبيتهم الحرام الذى كان مثابة للناس وأمنا . وقد شاءت الأقدار أن يبارح وطنه نزولا على رغبة الغاصب ابان الحرب العالمية الكبرى — كما يقولون — وأن ينفى الى الأندلس وهنالك

خطر له أن تتملك أفكاره وهواجسه هذه المعانى كلها ، وأن تسيطر على ذهنه وتستبد به تلك الأحاسيس فلم يشأ أن يتركها تمر به مرور العابر، أو تطوف برأسه كما تطوف أضغاث الأحلام . وحينئذ صحت عزيمته هذه على أن تكون كتابا بعنوان « دول العرب وعظماء الاسلام» وكان البحر الذى سبح فيه أو اغترف منه وهو الرجز الذى يفزع اليه المؤلفون للعلوم ، والناظمون لقواعد الفنون ، كصاحب متن السلم فى المنطق ، وابن مالك فى ألفيته وهكذا — ويظهر من ابتداء هذا الكتاب أنه أراد به فى هذه الغربة أن يكون رياضة للنفس ، وقتلا للوقت ، ونسيانا للهموم والآلام ؛ الى جانب كونه اشباعا لرغبة تلح عليه؛ وميل يستهويه ، ونزعة تقيمه وتقعده ، ومن تلك العناوين البارزة فى دول العرب وعظماء الاسلام ، لغة العرب ، التاريخ ، الوطن ، البيت الحرام ، السيرة النبوية الشريفة ؛ الخلفاء الراشدون ، خلافة أبى بكر ؛ خلافة عمر ، وخالد بن الوليد ، مقتل عمر ، خلافة عثمان بن عفان .

أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، معاوية ، عمرو بن العاصى ، خالد بن الوليد ، دولة بنى أمية ، صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، خلافة عبد الله ابن الزبير ، موت ابراهيم الامام والبيعة لأخية السفاح وأبو مسلم الخراسانى ، الدولة العباسية أبو جعفر المنصور ، دولة الفاطمين ومثل هذا اللون من الشعر دأب الناس على تسميته بالنظم ، وضنوا عليه باسم الشعر ، وربما قالوا هو شعر علمى أو تعليمى ، لأن وظيفته لا تعدو بيان الحقيقة العارية ، والقاعدة البحتة ، والمسائل المجردة ، فلا تدخل فيه روعة الخيال ، ولا الدقة فى التصوير ؛ ولا جمال الصياغة ، ولا اختيار الألفاظ ، ولا هندسة البناء ولاحسن التأليف ، ولا التحليق فى سماء البيان ، ومع هذا كله فانه كان شاعرا بكل ماتحتمل الكلمة من معنى ، لم يترك القارىء يعيش فى الأدغال والأحراش والغابات والجبال والصحارى والفيافى ، وانما جعله يتنقل فى مراتع الحسن ، ومراتع الجمال ، ومجالى السحر والروعة ، بما يضفيه على الكلام من ألوان الفتنة الأخاذة ؛ والابداع الخلاب ، والحسن الفياض، وحين يكون للمؤلفين مقدمات يصدرون بها المؤلفات ، أو يذكرون

فيها العلة الباعثة على التأليف ، أو الغرض المرجو منه ، لا يفوته هو — كذلك — أن يستن سنتهم ، ويجرى فى مضمارهم ، ويسلك منهجهم ، بادئاً ذلك بحمد الله والصلاة والسلام على أفضل خلقه صلى الله عليه وسلم

من بلغت أمته به الأرب
ورفعت همته ذكر العرب
صلى عليه الله فى سمائه
وعرشه السابح فى أسمائه
وجعل الجنة من رحابه
وزفها لمحسنى أصحابه
خلائف الحق أئمة الهدى
الرافعين بعده ما مهدا
الفاتحين بالقنا للحق
المنقذين من قيود الرق
وبعد فاسمع يابنى وافهم
لاتأخذ الأمور بالتوهم
لما رمى الله بهذى الحرب
على بنى الشرق وأهل الغرب
لحكمة يعلمها تعالى
يملأ من أسرارها الأفعالا
يبرزها غدا من الخباء
ان غدا يأتيك بالأنباء
تحركت سواكن الأقدار
واطردت عوامل الأكدار
وحكم الله بهجرة الوطن
وطالما ابتلى بها أهل الفطن
فكنت استعدى على الهموم
بنات فكر ليس بالملموم
استدفع الفراغ والعطاله
وبطل من يقتل البطالة
حتى أراد الله أن نظمت
من سير الرجال ما استعظمت

والذى يلفت النظر فى هذا النظم الذى يصدر عن أمير الشعراء السهولة وعدم التكلف ،

وأنه كان يتعمد المجيء بالألفاظ التى يتوهم الناس عاميتها وعدم انتمائها الى الفصحى ليبرهن بذلك على أنها من صميم العربية ، وذلك مثل كلمة « العطالة » بمعنى العطل الخلو من العمل ، كما يلفت النظر — كذلك أنه وهو يسوق اليك هذا الكلام الذى يخيل اليك لعدم الاحتفال به والعناية بشأنه ، كأنما يشافهك به فى سمر عادى ، أن الحكمة تتسرب اليه ، والمثل الرائع يطغى عليه ، فلا

تدرى أأنت أمام قصاص بارع ، أم متحدث لبق ، أم حـاك مـاهر ، أم حكيم يجيد ارسال الأمثال ، وسوق المواعظ . وربما كان يقصد الى ذلك كله قصـدا ليغرى القـارىء بالارتباط به ، والأخذ منه ، والمتابعة له ، بما يذلله له من السير ويسهله عليه من المعاناة . ويضاعفه له من المغريات . فالبحر هـو الرجز الـذى كـانت العرب تحدو به الابل فى الصحراء بما تنغمه لها من غناء ، وتردده من موسيقى ، وتملأ به أسماعها من أصـداء ، ومع كونه على هـذا الوزن يجعله مرسلا من غير روى يلتزم به، ليكون أدخل فى السلاسة ، وأقرب الى الفطرة ، وأشد شبها بالحديث الذى لايرتبط بالحدود والقيود ، غير أنه وهوذلك الشاعر الضخم ربما ظن بعض الناس أنه يعلن افلاسه فى هذا الميدان بالتزامه السير على هذا الوزن، أو نظمه على هـذا البحر ، ولـذلك نراه فى دفعه عن نفسه هذه الشبهة ، ورده لذلك الاعتراض ، تبـدو عليه عبقرية الموهوبين ، وفلسفة الحكماء، ودهـاء الأذكيـاء ، ولباقة الأسـاتذة الـكبار الـذين ، لا يقنـعهم أنهم يفحمون خصومهم ، ويسدون عليهم منافذ السبل ، وانما يزيدون على ذلك كله أنهم يستلون منهم الاعجاب بهم والاحترام لهـم ، والاغتبـاط لهـذا المنطق الذى ألهمهم الله اياه ، وجبلهم به . وطبعهم عليه .

واخترت بحرا واسعا من الرجز   قد زعموه مركبا لمن عجز

يرون رأيا وأرى خلافه   الـكأس لا تقوم السلافة

وقيمة اللؤلؤ فى النحور   بنفسـه وليس بالبحور

وأنت لاتتردد فى قبول هذا المنطق والاذعان له ، والنزول على ارادته ، والاعجاب به ، والتسليم بما ينادى به من أن الجمال فى الجـوهر لا فى المظهر . وفى الحقائق لا فى الظـلال . لأن الخمر لاتخلع عليهـا الكأس شيئا من الجـودة أو الرداءة ، أو الطعم والمذاق ، والحسن والقبح . وقيمة اللؤلؤ فى النحور أنه لؤلؤ لا أنه من بحر خاص ، أو جهة بعينها . وهكذا كان الرجل يصعد الى القمم فلا يرضى بالسفوح ، ولا ينزل الى مسـتوى الفلـول المهـزومة ؛ والشـخصيات الهذيلة . وهـو ذلك الـذى يجلس على عرش من البيان . لـم يلحقه فيه لاحق ، ولـم يسبقه

سابق ، ونحن نرى من مسيرتنا معه، ومعايشتنا له ، وتقصينا لآثاره هنا وهنالك ، ودراستنا لكل ما خلفه من شعر أو نثر أنه كان دائم الاعتزاز بالضاد اعتزازا لا يكتفى معه بمحصوله منها ، وفقهه لها » وانما كان يرى أنها التراث الذى جمل الله به العرب وساعدهم به عى أن تدين لهم الأرض ، وتنقاد اليهم الدنيا ،ويفتحوا به القلوب •

تبارك الرحمان ذو الاحسان
مميز الانسان باللسان

لولاه لم ينهض بسائر النعم
ولا غدا فى الأرض سائر النعم

فهو أداة العلم والبيان
وهيكل الحكمة والأديان

ومفجر الفكر والاختراع
ومستقى اللهاة واليراع

ومسكة العمران بين الناس
على العصور وعلى الأجناس

رب لسان جمع الأقواما
وكان كالجنس لهم قواما

ورب شعب نال مجدا باللغة
لم يبلغ الأقوام فيه مبلغه

وكانت له فى ظلها حضارة
رفت نعيما وبرت نضارة

لسانك الأول فى الكتاب
ولغة الصبوة والعتاب

فخض عباب فقهه وسره
وغص على صحيحة وجره

لا ترض منه مبلغ الرعاع
وخصة الأعمى من الشعاع

وامش بأبواب الكتاب تهتد
وقف بأبواب الحديث واجتد

هما هما القالب فيه يفرغ
ومعدن الحسن الذى لايفرغ

وقد كنا دائما أبدا نعلن أنه يحب التاريخ ، وتروعه منه أحداثه ، ويعجبه منه أنه يلعب بأهواء الناس ، ويقلب للشعوب والدول ، كما يقلب لاعب الشطرنج بأحجاره بين يديه ، فلا يترك عاليا يحتل القمم ، ولا وضيعا ينزوى فى السفح ، ولا غالبا يستبد ، ولا مغلوبا يعانى آلام التقهقر والانهزام ، وانما يدور فى فصول الرواية ، ومشاهد التمثيلية ، بما يعطى للناس من الدروس والمواعظ مالايجدونه فى صدور الحكماء ولا رؤوس الفلاسفة ، ولا بطون الكتب، وهذا هو السر فى أنه كان كثيرا

مايتحدث عنه ، ويبالغ فى التنوية به، والاستفادة منه .

سبحانه قص حديث آدم
على تنائى العهد والتقادم
ورفع التاريخ أعلى منزله
بنصه فى كتبه المنزله
بين الأنا جيل علت أصوله
وفى الحواميم غلت فصـوله
ألم يك التاريخ ظل العالم
وأقدم الأعلام والمعالم
توهم الخلد به الأوائل
وظن أن نال البقاء الرائل

فاللغـة والتـاريخ والوطن عنـده مقدسات تثور نفسه لهـا ، وتشـتد غيرته عليها ، وينبرى لسانه للـدفاع عنها لأن اللغة أداة المعرفة ، ووسيلة البيان ، وترجمـان الفكر ، والوطن الذى أقلته أرضه ، وأظلته سماؤه ، وامتـلأت رئتـاه بهــوائه ودرجت عليه طفولته ، وترعرت فى أحضـانه آماله وآلامه ، وذكرياته وخواطره ، وأحلامـه وأمانيـه ، يحن اليه كما تحن الابل الى أعطانها ، لا ينسى له أياديه عليه ،ولا منته عنده ، وحديثه عنه لا يكون حديثا عن بناء شامخ ، أو جدار قائـم ، أو قصــور تناطـح الجوزاء وتملأ أجواز الفضاء ، وانما هو حديث عن مفاخر تتحدى الزمن وتغالب الأيام ، وتضيف الى رصـيد أبنـائهـا من المـكارم ، وتراثها من الأمجاد ، ما نطاول به الناس ، وتباهى به الأمم ، وتتقدم الصفوف فى زحام المكاثرين ، ولا يعنيــه بعد هذا وهذا من حديثه عن تلك الكلمـات ، أو أو ذكـره لتلك العنـاوين ، الا أن تكون وسيلة الى غرض يهـدف اليه ، أو غاية يحاولها ، أو قصـد تنتهى مسيرته عنده ، ولكنه يجعله مدخـلا الى فضاء واسع يرجو أن يعيش فيه هو وغيره ، ساكن الجأش ، هادىء القلب ، طيب الخاطر ، قرير العين ، سـعيد النفس ، لاتذلـه المطـامع ، ولا تتحكم فيه الأهواء ، ولا تخضعه السـيطرة ، ولا يشتريه المـال ، ولا يستبد به الطيش ، هذا الفضـاء هو الاسـلام ، الـذى يسـوى بـين الأفراد ، ويعـدل بـين الجماعات ، ويجلب الخير للأمـم ، ويرفـع عن الناس غشاوة الجهل ويأخذ منه كل

انسان نصيبه من البر ، وقسطه من اليمن ، وحظه من النور

وانجز الله النبى وعده
وساد قومه الزمان بعده
فورثوا قيصر في المشارق
وأخذوا الغرب بسيف طارق
وأمنوا الأمصار فاتحينا
وعدلوا فى العالمين حينا

وهكذا ونحن نتصفح هذا الكتاب - على الرغم من ضآلة حجمه ، وقلة صفحاته - نرى كل موضوع منه ، يصلح - وحده - لأن يكون كتابا جليلا ، يتحدث فيه عن مجد الاسلام، وصفحاته النقية ، وقضاياه التى جانبت التحيف ، وبرئت من نقيصة الظلم ، وأمراض الهوى والميل ، والعلة أو الغاية ، وهو الدين الذى صلحت به البشرية ، وتحررت به الانسانية ، وازدهرت به الحضارة ، وتقدم به الناس وضمنوا به لأنفسهم وأهليهم الفوز والنجاح ، والسعادة والخير ، والهدوء والاستقرار ، والنجاة من عذاب يوم القيامة ؟

دكتور / ابراهيم على أبو الخشب

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

القرآن الكريم ليس كتاب دين يحث على اخلاص العبادة لله والتقرب اليه فحسب ، وانما هو الى جانب ذلك وما يتصل به من عقائد وعبادات وأوامر ونواه ، دستور من أعظم الدساتير التى عرفتها الانسانية فى تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد القوية الكفيلة بقيام المجتمع الانسانى السليم كما يقول الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وكما يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وكما نظم الاسلام كافة أمور الحياة دنيا ودينا فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ووضع خير المناهج لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب ادارتها وآدابها وقوانينها •

فالعسكرية الاسلامية تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ، وكانت هى درعها الواقية ، وأدى تطبيقها بمعرفة الأوائل الى اقامة امبراطورية اسلامية امتدت خلال مائة عام من سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا •

وقد كان للمسلمين الأوائل تاريخ مجيد سطروه بدماء شهدائهم ومجاهديهم ولا تزال صفحاته لألاءة تزخر بكل أحداث العز والفخار ، ولولا جهاد أولئك واسترخاصهم المال والولد والنفس فى سبيل الله لتغير وجه التاريخ ، ولبقيت شعوب العالم حتى الآن فى ذل وتخلف وهوان ، ولولا أن باع المسلمون

الأولون أنفسهم لله فى سبيل جنة عرضها السموات والأرض لتخلفت مواكب الحضارة الحديثة ومدنيتها الزاهية ، عن البروز على هذا الطراز المدهش العجيب .

لقد كان لأجدادنا المسلمين الأوائل فضل التأسيس لهذه الحضارة ، وفضل شق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية فى ميادين العلم والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والقانون وكان فضلهم هذا من بعض ثمرات الجهاد فى الاسلام وقد عاشوا عصورهم أعزاء أقوياء أغنياء ، كل ذلك بفضل عامل الجهاد الذى لميكن مجتمع من مجتمعاتهم يخلو من تشجيعه ودفع الضريبة له بسخاء .

ويوم تخلى المسلمون عن الجهاد ، وأقبلوا على الدنيا وزينتها ، ضاع وجودهم وكيانهم فتمكن العدو منهم وتسلط عليهم من لايخافهم ولايرحمهم ، وقامت ضدهم حرب تعددت أشكالها ، وتنوعت صورها الا أنها فى جوهرها وأهدافها البعيدة حرب حضارية تستهدف :

ـ طمس معالم الحضارة الاسلامية ومنع قيامها من جديد .

ـ فرض التبعية على العرب والمسلمين فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية أيضا .

ولقد كان من بين أهداف تلك الحرب الحضارية طمس معالم العسكرية الاسلامية ومنع قيامها من جديد وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى مجال الفكر العسكرى وفنون الحرب .

والباحث العسكرى المطلع يجد أنه منذ عصر النهضة حتى اليوم وضعت آلاف الكتب حول الامبراطورية الرومانية بينما لا يتعدى ما كتب عن الفتوحات الاسلامية عدد اصابع اليد .

وحتى أولائك الباحثين الذين كتبوا عن تلك الفتوحات نرى أكثرهم يعلل سرعة التوسع الاسلامى باندفاع الغرائز الحربية المتأصلة فى المسلمين منذ الجاهلية التى تدفعهم الى السلب وأعمال القرصنة ، ويضيف الى ذلك ضعف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ويبالغ فى ابراز ذلك الضعف ليهون من عظمة المسلمين وانتصاراتهم .

وحتى من أراد من هؤلاء الباحثين أن يبدو موضوعيا فى بحثه (مثل الفيلد مارشال مونتجمرى فى كتابه الحرب عبر التاريخ) نراه يركز كثيرا على الدوافع المعنوية النابعة من الايمان والعقيدة ولا يتناول بالبحث المناسب الجوانب الفنية للعمارك من زاوية العلم العسكرى وفن الحرب ، والتى تزخر بها معارك الاسلام حقيقة وهو ما سوف نحاول بيانه فيما بعد •

ولعل من أهداف تلك الدعاية المغرضة التى روجها أعداء الاسلام بأن الاسلام قام بالسيف ، فرض نوع من الحساسية حول تناول الجوانب العسكرية فى الاسلام بحيث يؤثر الكتاب المتخصصون تجنب دراستها من وجهة النظر الفنية ، وبذلك يصل أعداء الاسلام والمسلمين الى هدفهم الذى أشرنا اليه وهو طمس معالم الفكر العسكرى الاسلامى الذى هو أحد الجوانب الرئيسية فى الحضارة الاسلامية •

ان جهاد العرب والمسلمين فى هذا الصراع الحضارى الذى يستهدف ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم لفى حاجة قصوى الى نهضة حضارية شاملة تقوم على احياء حضارتهم العريقة مع الأخذ بكل أسباب التطور والتوسع فى الابتكار ورفض التبعية والتقليد ، وحينئذ يجدون أنفسهم عباقرة فى فن الحرب وفى كل المجالات الأخرى •

وما أصدق قول شوقى وهو يصور ألمه من تخلف المسلمين وأمله فى أن يستعيدوا ماضيهم العظيم :

فقل لرسول الله ياخير مرسل
أبثك ماتدرى من الحسرات

شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كاصحاب كهف فى عميق سبات

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وذلك ماضى مجدهم وفخارهم
فما ضرهم لو يعملون لآتى ؟

وهذا زمان أرضه وسماؤه
مجال لمقدام كبير حياة

مشى فيه قوم فى السماء وأنشأوا
بوارج فى الأبراج ممتنعات

فقل رب وفق للعظائم أمتى
وزين لها الأفعال والعزمات

وليتدبر العرب والمسلمون ما قاله دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل فى أعقاب اغتصاب أرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨» أن أشد ما أخشاه لو أن قائدا عربيا ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » ومما قاله أيضا عقب النصر الرخيص فى يونيه ١٩٦٧ « اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض بعد على حضارة العرب والاسلام » .

وليتدبروا أيضا ما قاله الوزير الاسرائيلى عام ١٩٦٧ مناحم بيجين لجنود اسرائيل : « لا ينبغى أن تتألم قلوبكم وأنتم تقتلون عدوكم ، ولا ينبغى أن تأخذكم به شفقة ولا رحمة ما دمنا لم نقم بعد بالقضاء على الحضارة العربية التى لابد أن نقيم حضارتنا على أنقاضها ، ولا بد من ارغام العرب على الاستسلام الكامل » .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ، ان لدى العرب والمسلمين القدرة على قيادة النهضة الحضارية الشاملة ما استمسكوا بدينهم ، وأقاموا وحدتهم وعملوا لمستقبلهم بالايمان والعلم والصبر والمصابرة . ويصف روم لاندو قدرة العرب على قيادة النهضة الاسلامية فيقول :

« لايوجد سبب على وجه الاطلاق يبرر الزعم أن العربى فقد الصفات التى مكنت أجداده من أن يقيموا حضارتهم العظيمة ، فهو لا يزال يملك تلك الرجولة والمروءة وذلك الاستطلاع العقلى الحاد وذلك الخيال المبدع ولا يستطيع أى انسان أن يعيش بين العرب ولا يتأثر بانسانيتهم التى تعمر قلوبهم وكرمهم » .

وسوف نحاول أن نتناول بالدراسة الجوانب العسكرية الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها الأصيلة وأن نوضح مفاهيم العقيدة العسكرية والاستراتيجية العسكرية والفن الحربى ، والجدير بالذكر أن الاستراتيجية العسكرية لم تعد فى عصرنا وقفا على رجال العسكرية المتخصصين وهو ما كان أمرا طبيعيا وقت أن كانت الحروب تقتصر على الميدان الذى تتصارع فيه الجيوش ، أما فى هذا العصر الذى لم تعد فيه بقعة من الأرض على طول البلاد وعرضها بمنأى عن متناول العدو والذى أصبحت الحرب تدار

عسكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا بحيث تشمل كل مرافق الدولة وأجهزتها العسكرية والمدنية والشعب بأسره ، فى هذا العصر أصبحت الاستراتيجية العسكرية من الأمور القومية التىيقررها ويعالج مشكلاتها العسكريون والمدنيون بحسب تخصصاتهم المختلفة .

ثم إن الثقافة العسكرية أصبحت من جوانب الثقافة العامة اللازمة لأبناء الأمة لكى يؤدوا دورهم بفهم ووعى وايجابية .

وعلينا أن نتأسى بالمسلمين الأوائل الذين كانوا يعلمون أبناءهم الغزوات كما يقول أحد التابعين رضى الله عنهم « كنا نعلم أبناءنا الغزوات كما نعلمهم الآية من القرآن » .

« للبحث بقية »

محمد جمال الدين

الإسلام وحركة التاريخ

للأستاذ محمود عاشور

قبل أن أدخل في الموضوع استسمح القارىء عذرا فى استخدام بعض الألفاظ مثل ثورة وثائر فهى تعطى المضمون الاجتماعى للفظ فى عصرنا الحاضر ، ولكن مع تحفظ فى الاستخدام يفرضه وجود اختلاف أساسى بين الاسلام كدعوة الهية وبين الثورات كحركات انسانية - فالأولى منبعها وحى الله - والأخيرة مصدرها فكر الانسان .

دعوة الاسلام ثورة انسانية ... والداعى ثورى عظيم :

فى أواخر القرن السادس الميلادى كان العالم كله فى الشرق والغرب فى الشمال والجنوب يتعثر فى خطى الرجعية ويئن من وطأة الجور والاستبعاد .. فشعوب بأسرها تستذلها قلة من الرجال يلقبون بالأباطرة حينا وبالقياصرة حينا آخر . وعوالم بجموعها تضللها فئة أطلقت على نفسها رجال الدين .. اتخذت من هذا اللقب حجابا تتستر وراءه . لتضلل هذه الجماهير حتى لا تفيق من سباتها .. وتزيح هذه العصائب عن أبصارها .

هذا الى جوار حروب كثيرة كانت تثار اشباعا لتهمة الغزو والفتح فقط حتى بات العالم على شفا الهاوية .. وكادت تدور عليه الدائرة .

أما فى جزيرة العرب .. فالواقع الاجتماعى يوضح أن القبائل العربية فى مكة وما حولها لم تكن مستقرة بل كانت حياتهم حياة سفر وانتجاع وتجارة .. وسمر ولهو وحرب وخصام على ناقة أو فرس .. كما نعرف من حرب البسوس وداحس والغبراء .

كما كان لكل قبيلة وثن تعبده وتستعينه وتستقسم عنده .. وكانت

الكعبة معظمة عندهم يتوارثون تعظيمها من قديم وكانت كل قبيلة تأتى بصنمها فتنصبه حول الكعبةحتى بلغ عدد الأصنام فى الكعبة ثلثمائة وستين •

كما كانت الوثنية متغلغلةفى أعماق حياتهم •• كل هذا جعل الواقع الاجتماعى فى جزيرة العرب يختلف اختلافا جذريا بعد الاسلام عما كان قبله •• وقد أحس العرب بهذا الاختلاف وتلك المفارقة عندما قالوا « أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيىء عجاب • وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشىء يراد • ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق » •

كل هذه الآيات توضح دهشة العرب •• وتبين ذهولهم للدعوة الجديدة •

فى هذا الجو الخانق اختار الله النبى العربى محمدا (ص) اليتيم الفقير الناشىء فى جوف الصحراء ليكون النبى الملهم• والرسول الموحى اليه ليرد البشرية الى الاسلام والطمأنينة والى التراحم والتعاون ، والى الايمان واليقين •

وكانت رسالته من أشق الرسالات واخطرها لهذا الجو العاصف ، الذى كان يجتاح العالم حينذاك ولهذا التخلف المزرى الذى اتسم به البشر •

فقاد الرسول (ص) ثورة كانت مثالا فى الاعداد والتنظيم •• والقوة والتغيير لكى ينهض بهذا المجتمع ، بمبادئه الانسانية العالمية السامية •

اذا كان مولد النبى (ص) مولد تاريخ جديد استطاع أن ينهض بالبشرية ويطلقها من عقالها •• ويحقق لها الأمن والطمأنينة والحرية والمساواة •

المعايير الثورية :

لقد جاء الاسلام بمبادىء استطاع قائد ثورته ان يرسيها ويحقق لها السيطرة والنجاح •• فقد حرر الانسان داخليا وخارجيا •• واستطاع أن يكفل له حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

فتحرير الانسان من داخله بدأ بارساء العقيدة فى نفسه بحيث لا يتركه مبلبلامتحيزا تائها لايحقق الاستقرار لذاته •• وكان اهتمام الاسلام بذلك

حتى لا يستذل الانسان لمعبود غير الله •

وتحريره خارجيا : بدأ بتحريره من العبودية والاسترقاق •• ثم تحريره فى عيشه ومستقبله وحياته • واتبع فى ذلك أسلوب التغيير الشامل فى كل نواحى حياته •• وفى اتجاه تقدمى يبعده عن كل المهاترات ومظاهر التخلف التى كانت سائدة فى جزيرة العرب •

ونحن اذا قارنا هذه المبادىء والأصول بمبادىء الثورات وشعاراتها نجد الاسلام فى مبادئه قد حقق تقدما أبعد مما كانت تنادى به •

فالثورة الفرنسية مثلا حدثت فى أواخر القرن الثامن عشر أى بعد الاسلام باثنى عشر قرنا •• وادعت أنها أول من صاغ حقوق الانسان ولخصها قادتها فى كلمات ثلاث هى : الحرية والاخاء والمساواة ، وجاءت أمريكا بعد ذلك وأدعت أنها سبقت الى ذلك وأعلنت فى وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦ انها تعد الحقائق التالية من البديهيات :

خلق الناس جميعا متساويين •• وقد منحهم الخالق حقوقا خاصة لا تنتزع منها الحياة والحرية والسعى وراء السعادة •

ثم قامت الثورة الاشتراكية : لتحقيق العدالة بين الناس •• وتقضى على ماكان بينهم من فوارق •• وتعطى للمحرومين والمستغلين حقوقا حرموا منها لفترة طويلة من الزمن •

هذه ثورات قامت فى العصر الحديث ونحن نعطيها مضمون الثورة ومفهومها لانها حققت تقدما للانسانية •• واستطاعت فى فتراتها أن تنقذ المظلومين من بنى البشر فهل حقق الاسلام ذلك ؟ حتى نطلق عليه مفهوم الثورة •• ؟

وهل فى دعوة الثائر العظيم محمد (ص) مضمون ثورى بهذه المقاييس ؟

اعتقد أنه حقق كل هذا وأكثر من هذا •• وتفوق الاسلام فى ثوريته يتميز فى المساواة ، ومعناها أن يكون الناس جميعا متساويين أمام القانون فى الحقوق والواجبات •• وقد أكد ذلك محمد (ص) بقوله : « الناس سواسيه كاسنان المشط لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » كلكم لآدم وآدم من تراب » ولم يكتف بالقول المجرد بل اتبعه بالعمل الحازم العادل •

وأجاب صحبه حين طلبوا منه العفوالكاملة فى امتهم وشعبهم عن سارقة لشرف أسرتها ومكانتها •

« انما أهلك من كان قبلكم انهم كانـوا اذا سرق فيهـم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » •

واما المسـاواة فى القضاء فلم يكن للنبى (ص) سـوى مجلس قضـائى واحد يمثل أمامه النـاس جميعا دون ما تمييز بين رفيـع ووضـيع وغنى وفقير •

والمساواة فى التوظيف ليس أدل عليها من هذا الحديث الشريف « من ولى رجلا شيئا من أمـور المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أولى منـه فقـد خان الله ورسـوله وجمـاعة المؤمنين » •

وأما الأخوة : فالقرآن الكريم هو أول من نادى بالأخـوه العقائدية والأخوه الانسـانية « أنمـا المؤمنون أخوة» والنبى العربى هو أول منآخى بين المهاجرين والأنصار حتى تقاسموا البيوت والأمـول ، وأول من خص الفقراء والمساكين بحظ موفـور من مـوارد الـدولة حتى بـات هـؤلاء يشعرون بالوجود الصحيح والكرامة

وأما الحرية فقد هيأ لها الاسـلام انقى الأجـواء واستـطاع أن يحـل مشكلة مزمنة هى مشكلة الرق •• فقـد رأى أنهـا توقـف التطـور الاجتمـاعى وتحـول دون رقـى الجمـاعات •• ففتح لهـا الباب على مصراعيـه حتى انهـار نظـام الرق وتصـدعت أركـانه ، وقضى عليـه تماما •

وقد أثرت توجيهـات الرسـول وتعاليمـة فى ذلك حتى كـثر العتق واستقامت معاملة الرقيق ورأينا عمر ابن الخطاب وهو من هو •• يتناوب ركوب البعير هو وغلامه حتى وصل بيت المقـدس وكانت النوبة للغـلام فدخلها خليفة المسلمين راجلا ودخلها الغـلام راكـبا كما حـرم الاسـلام الشرك بكافة صوره وحاربه بجميع اشكاله فالله وحده هو رب الناس فمن يعبد غير الله فهو مشرك ومن يستعبد لغـيره فهو أيضـا مشرك وفى هـذا قضاء على كل أنواع العبوديات •

ثم حرر بعـد ذلك افكار الناس وعقولهـم ، فهـو لا يرفض طـرق التفكير الخاصة بل يدعو الى احتكاك الآراء وسعة الاطلاع وتنوع الثقافات،

ويعتبر الفكر ارثا انسانيا مشتركا بين الأمم .

أما حرية المعتقد فقد صانها الاسلام واتاح للنصرانية واليهودية أن تعيشا فى ظل دستوره الخالد « لا اكراه فى الدين » .

وأما حرية الرأى والقول : فقد كفلها الاسلام وحققها الى أوسع مدى بقوله : « قل الحق ولو على نفسك » ذلك مانادى به محمد بن عبد الله (ص) منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، حتى اصبحت حرية الرأى والقول مفخرة من مفاخر الدين الاسلامى ومبدأ أساسيا من المبادىء التى ترتكز عليها دولة الاسلام .

فهذا رسول الله يسير الى احدى غزواته فينزل بجيشه فى موقع غير لائق من الناحية الاستراتيجية فسأله عمر بما معناه : « أبوحى تنزل فى هذا المكان أم باجتهاد ؟ » فيجيبه الرسول (ص) أنه « اختار هذا المكان بناء على اجتهاد شخصى .. فيتعرض الصحابى الجرىء على هذا الاختيار وينصح بالعدول عنه فيمتثل رسول الله (ص) ويبدل المكان .

حضارة اليوم هل حررت العبيد ؟ :

لقد مضى على ثورة النبى (ص) أكثر من ثلاثة عشر قرنا واتيح للانسانية أن تتطور وتتدرج رقيا وحضارة ، وتحقق حلما من احلامها بالغاء الرق فى أواخر القرن التاسع عشر حين اجتمع فى برلين عام ١٨٨٥ عدد كبير من الدول ابرموا معاهدة بمنع تجارة الرقيق فى العالم . . ولكن نظام الرق الذى الغى رسميا لازال قائما ـ مع الأسف ـ يعيش بوجهيه المخزيين : الرق الجسدى والرق المعنوى . ففى أفريقيا السوداء مايزال الانسان يباع ويشترى ، وفى امريكا أم الحرية ... لازال هناك تفرقة بين البيض والسود وفى الأمم الضعيفة ما فتىء الانسان الضعيف عبدا للقوى يستغله ويحرمه حقوق الحياة وينزع من بين يديه ثروة بلاده ... فاذا ثار من أجل حريته سلط عليه القوى الغادر الحديد والنار .

الديموقراطية :

مما سبق يتضح أن الرسول (ص) جاء باعظم نظام ديمقراطى فى العالم فنظام يجعل الحاكم نائبا عن الأمة يرجع اليها فى كل الأمور ،

ويقرر مبدأ الشورى أصلا وأساسا لعمل الحاكم ونجاحه والرضاعنه لهو احسن الانظمة الديمقراطية نظريا وعمليا • يؤكد ذلك قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ومخاطبته الرسول (ص) قائلا : « وشاورهم فى الأمر » فهو لم يقتصر فى مهمته للانسان على احياء شعوره الفطرى بالخالق وعبادته ، وانما أوحى اليه فى الجانب الانسانى ايضا بما يحقق قيمته فى الحياة ويقف به فى مركزه أمام الكون فامتزجت الروحية بالمادية ، وكان التفاعل الخلاق بينهما لمزيد من الرقى وتقدم الانسانية •

محمد النموذج :

لقد ساعد النبى (ص) على انتشار مبادئه ونجاح ثورته انه كان قائدا أعطى المثل والقدوة ، فقد كان يقوم بكل شىء أولا • يطبقه على نفسه وأسرته ثم يدعو الناس اليه بعد ذلك وقائد هذا شأنه لا بد أن يكتب لدعوته النجاح وكيف لا وهو القائل « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » •

اذن لقد استطاع الرسول (ص) ان يجعل دعوته مثالا لكل الدعوات ومنارا لمن اتى بعده من المصلحين ، فجعل من حياته دستورا للحاكمين ومن سيرته شاخصا يهتدى به الأحياء على مر الأجيال •

لقد كانت حياته متناهية فى البساطة غاية فى السمو والترفع فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان فى ذلك مضرب الأمثال •

وكانت سيرته حافلة بكل أنواع التضحيات فضحى بنفسه مرات ومرات ، ضحى بها عند اعلان دعوته واصراره عليها – وعدم الرجوع عنها على قلة الناصر والمعين وضحى بها ليلة هجرته ، وفى أيام هجرته ، وضحى بها فى الغزوات التى دافع فيها عن كيانه بل كيان دعوته •

خاتمة :

لا أحسب ان نظاما اجتماعيا من من الأنظمة الحديثة مهما بلغ من الحرص على توفير العدالة يستطيع أن يؤمن هذه العدالة ويوفرها للمجتمع كما أمنها الاسلام ووفرها • فالاسلام مع كونه دينا يعنى بتطهير الروح وتهذيب النفس نظر الى الحياة نظرة واقعية ••

وأدرك ان هذه الحياة لايمكن أن تستقيم وان يبلغ الانسان فيها سعادته ••• الا بتحقيق التوازن بين الروح

والمادة : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ... أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، بمثل هذا الفهم الواعى للحياة ، بدأ الرسول نضالة لبناء مجتمع صحيح يتحقق فيه التوازن .
وقد استطاع ان يقيم مجتمعا صالحا أعطى الانسانية الكثير من قيمها ودفع بها الى الأمام فى معارك الرقى والتقدم والحضارة .

الاسلام اذن دين تقدمى :

للرد على هذا الخاطر لابد أن نصيخ السمع لصيحة الاسلام تصرخ فى الناس صراخا يفزع الظالمين والجشعين « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، ثم تؤجج عليهم ثورة المظلومين والمحرومين بالحديث النبوى « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يضربوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده » ولكلمة أبى ذر المدوية « عجبت لمن لا يجد القوت فى بيته ، كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه » .

أى تقدمية أعظم من أن نرى نبى الاسلام وقائد ثورته ، تساق اليه أموال الأرض وكنوزها ورغد عيشها وهو الحاكم المطاع ، فيفرقها فى الناس ولا يحرم منها الا خاصة أهله وذوى قرباه حتى اذا عاتبه نساؤه فى ذلك اعلن أن ولاية الأمر ليست مغنما يمتاز به السلطان عن سائر الناس « ان كنتن تردن الحياه الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا » .

وان كنتن تردن الله ورسوله والدارالآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » اليس من حقنا أن نستوقف ركب التاريخ لنقول له سجل بمداد الفخر والاعجاب أن رئيس الدولة الاسلامية الأولى (ص) مات ودرعه مرهونة عند يهودى وان أبا بكر قد فارق الدنيا محروما من كل مال كان له قبل الخلافة وأن عمر حرم على زوجته أكل الحلوى من مال المسلمين . وهو القائل : « والله لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى ربى لم لم اسو لها الطريق » .

هذه ملامح العظمة فى ديننا وهذا نتاج ثورة الاسلام وهؤلاء الخلفاء تربية المناضل القائد محمد بن عبد الله (ص) .

وحرى بنا أن نعى تلك الدروس وأن نتعلمها .. وان نضحى فى سبيل الهدف والمبدأ أن نناضل فى سبيل

بنــاء مجتمعنــا وتقــدمه ، وان نقف لاعدائنا بالمرصــاد صامــدين مؤمنين حتى نحقق النصر . بايمان وعقيدة . بجد وعمل .. بنضال وتضحية .. حتى نحقق الغاية ونصل الى الهدف ..ونحقق قول الله عز وجل « كنتم خــير أمة أخرجت للنــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

محمود عاشور

تعليــق

من المجــازفة تســمية النبى ثائرا وتسمية الاسلام « ثورة » فالنبى كمــا يقول الله فيه : « انا أرسناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » والاســلام كما يقول الله فيه : « أفمن شرح الله صــدره للاسلام فهو على نور من ربه » .

المجلة

أسلوب التربية فى الإسلام

للأستاذ على القاضى

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان فى أحسن تقويم وفضله على سائر مخلوقاته وجعل الملائكة يسجدون لآدم وكرمه فحمله فى البر والبحر وجعل له عقلا يميز به النافع من الضار ثم أرسل له رسلا يهدونه الى الطريق القويم وكان آخر الرسل محمد صلوات الله عليه الذى أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور ولينشر الأمن والعدل والطمأنينة بين الناس جميعا ، وليجعل كل فرد يحس بكيانه وأنه عضو نافع فى المجتمع ، وليسير الجميع للبناء المتكامل الذى يجعلهم يشعرون بالسعادة •

والمسلم الذى يحمل هذه الرسالة الهائلة لا بد وأن يعد لذلك وأن يربى تربية قويمة حتى يكون قادرا على حملها وأدائها بما يمكنه من تحقيق أهداف الاسلام كاملة •

وللاسلام أسلوبه الخاص فى التربية وقد اتخذ طرقا مختلفة اذا أحسن استخدامها فانها تؤدى الى تربية المسلم التربية المطلوبة التى تجعله قادرا على تحقيق رسالة الاسلام فى الأرض •

ذلك لأن الله هو الذى خلق الانسان وهو أدرى بما يحتاج اليه من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية والعقلية ، ويتلخص أسلوب التربية فى الاسلام بالطرق الآتية :

١ ـ التربية عن طريق القدوة :

القدوة تحدث أثرها القوى فى نفوس من يربيهم الانسان ، ولقد كان محمد صلوات الله عليه هو القدوة الأولى للمسلمين كان خلقه القرآن ولذلك يقول الله تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وكان عليه السلام جوادا وكان أجود من الريح المرسلة وكان يصوم ويفطر ويقوم وينام ويتزوج النساء وقد أنكر على الصحابة الثلاثة الذين

اتفقوا فيما بينهم على أنواع من العبادة رأوا أنها توصلهم الى رضوان الله فقال أحدهم : سأقوم ولا أنام وقال الثانى : سأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا لن أتزوج النساء فلما سمع النبى صلوات الله عليه ذلك قال لهم : (أما أنا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ثم قال : النكاح سنتى ممن رغب عن سنتى فليس منى) .

وكان مضرب المثل فى الشجاعة فاذا سمع بالمدينة صوت غريب وخرج الصحابة ليروا السبب وجدوا رسول الله قد سبقهم الى ذلك واذا حمى وطيس المعركة الى الدرجة التى تجعل الشجاع يفر منها وقف صامدا يقول :

أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب

وينادى الصحابة حتى يتجمعوا حوله وتبدأ المعركة لينتصروا وقد أصبح واضحا ومعروفا عند المسلمين أن النبى عليه السلام لا يأمر بشىء الا ويسبق الناس الى فعله ولا ينهى عن شىء الا ويسبق الناس الى اجتنابه .

النبى صلوات الله عليه قدوة للمسلمين جميعا وقد اقتدى الصحابة به فى كل أعماله بقدر استطاعتهم فانطلقوا يصنعون الأعاجيب ؟ وحتى بعد وفاته صلوات الله عليه فان الرسول كان حيا دائما بين المسلمين بسيرته ؟ والاسلام يقيم التربية على أساس القدوة » فالطفل له قدوة بين اسرته وسيرة النبى صلوات الله عليه جزء من التربية .

وقد عاب القرآن الكريم الذين يقولون ما لا يفعلون وبين لهم أن هذا يغضب الله تعالى (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

وقد طلب المربون العرب أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه يقول عتبة بن ابى سفيان لمؤدب ولده (ليكن اصلاحك لبنى اصلاحك نفسك ، فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح ما استقبحت) .

٢ ـ التربية عن طريق العادة :

العادة تؤدى دورا خطيرا فى حياة الانسان ذلك لأنها توفر قسطا كبيرا من الجهد البشرى بتحويله الى عمل سهل يؤديه الانسان فى يسر .

وطريقة تكوين العادة تكون بتكرار عمل معين مرات كافية لجعله جزءا من عمل الانسان كالصلاة والاسلام يحول الخير كله الى عادة يقوم بها الانسان دون جهد أو مقاومة ويحول دون الآلية الجامدة بالتذكير الدائم بالهدف والربط الحى بين القلب البشرى والله تعالى .

وموقف الاسلام من عادات الجاهلية ينقسم الى قسمين : ففى العقيدة وما يتصل بها اتخذ وسيلة القطع ، أما فى العادات الاجتماعية فقد لجأ الى التدرج كما حدث فى الخمر مثلا فقد طلب من المسلمين أولا ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم بين لهم ثانيا : ان لها منافع وفيها مضار ولكن المضار أكثر من المنافع (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) ثم حرمهما بعد ذلك بقوله : (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وهكذا .

وسبب ذلك أن هذه عادات عامة ليس من السهل أن يحسم الانسان موقفه منها فى لحظة ولذلك تدرج بهم حتى أقلعوا عنها وقد أعطوا الفرصة النفسية لتغييرها .

٣ ـ التربية بالمشكلات :

المشكلات التى تأتى للفرد أو المجتمع تعمل دائما على صهره اذا وطن نفسه على تذليلها وحلها ، وحل المشكلات يجعل الانسان قويا بعد تغلبه على صعوباتها ويجعل الانسان أقدر على تحمل صعوبات الحياة وحل مشكلاتها (واصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الأمور) (واصبر على ما يقولون وأهجرهم هجرا جميلا) .

والقرآن يطرق الحديد وهو ساخن حتى تؤتى التربية ثمارها ففى غزوة أحد التى هزم المسلمون فيها بعد النصر يقول للمسلمين (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) .

وفى غزة حنين التى هزم المسلمون فى بدايتها لأن بعض المسلمين أعجبوا بكثرتهم بين لهم سبب هزيمتهم حتى يستفيدوا[1] من أخطائهم (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين•ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) •

هذا حين كان المسلمون منهزمين فأراد أن يسرى عنهم ويجعلهم يستفيدون من هذا الدرس • أما فى حالة انتصارهم فانه يحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة حتى لا تأخذهم نشوة النصر فيسلكوا سلوكا لا يرضاه لهم ففى غزوة بدر انتصر المسلمون على المشركين انتصارا رائعا واختار المسلمون فداء الأسرى بالمال فعاتبهم الله تعالى فى شىء من القسوة بقوله : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) •

وبذلك يضمن الا يصيبهم الغرور الذى يؤدى الى نتائج سيئة كما حدث لاسرائيل عقب حرب ١٩٦٧م •

٤ ـ التربية عن طريق الاقناع :

فى النفس البشرية ميل الى الاستجابة اذا اقتنعت والاسلام يعمل على اقناع بنيه بما ينبغى أن يتخذوه سلوكا لهم ومن ذلك ما قاله لقمان لابنه (يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) والله سبحانه وتعالى يوجه رسوله الكريم الى الاقتناع بالحكمة : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) •

ومن ذلك ما لحظه الاسلام من أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد على ممارسة التنظيم الاسلامى يتجمعون عندما تتحرج الأمور ليتناجوا بينهم ويتشاوروا بعيدا عن أماكن التشاور الأمر الذى لا تقره طبيعة الجماعة الاسلامية وروح التنظيم الاسلامى التى تقتضى عرض كل رأى وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة الاسلامية من أول الأمر وترك

التحركات الجانبية فى الجماعة لأنها قد تؤذى ولو بدون قصد وقد تؤدى الى عدم الطاعة .. حاول أن يقنعهم بترك هذه العادة فان فعلوا فليكن بالخير (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى) .

ولقد كان الرسول الكريم يخاطب الناس على قدر عقولهم ويأمر بهذا ولم يكن يكثر من توجيه أصحابه فى جلسة واحدة خشية أن يسأموا . عن ابن عباس قال :(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا) .

٥ ــ التربية بالثواب والعقاب :

الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق النار وعد بالجنة وأوعد بالنار ، فالنفس البشرية تحتاج الى هذين النوعين . والقرآن الكريم يستخدم كل وسائل الترغيب (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) .

فاذا لم يصلح هذا الأسلوب فان الترهيب هو الوسيلة لمن يحتاج اليها ومعنى ذلك أن الاسلام لايرضى بأن يجارى النفوس فى انحرافاتها أو فى تقصيرها ولا أن يتلمس لها الاعذار فان نتيجة ذلك كله أن يزداد عدد المنحرفين والمقصرين فى المجتمع حتى يصبحوا أكثرية ويصبح الانحراف أو التقصيرهو الأساس والرفق الزائد كالقسوة الزائدة كلاهما يفسد النفس البشرية .. وفى تعليم الصلاة مثلا يتعلم الطفل بالقدوة وبالعادة وبالاقناع وبالترغيب فاذا لم يفد ذلك كله حتى سن العاشرة ضرب عليه ضربا يلائم سنه وطاقته حتى يؤديها ولقد سار المربون العرب على هذا النهج فكانوا يكافئون ويعاقبون .

كان الطلبة النابهون فىالمدارس الأولية يكافئون فى الغالب بأن يستعرضوا فى شوارع بغداد على ظهور الابل حيث يقذف الناس اليهم باللوز وكان التلاميذ النابهون أيضا يمنحون أجازات كاملة أو أجازات جزئيةاذا اتقن أحدهم حفظ جزء من القرآن . يقول الغزالى فى ثواب الطفل : (واذا ظهر من الصبى خلق

جميل وفعل محبوب فينبغى أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به ويمدح بين الناس) .

ويرى فى عقاب الطفل (أن يتغافل عن التقصير أول مرة وفى المرة الثانية يعاقب سرا مع تعظيم الأمر له) .

والعبدرى فى المدخل يرى العلاج بالضرب اذا لزم الأمر على أن يكون للتأديب وغير مبرح ويقول : (رب صبى تكفيه عبوسة وجهك عليه وآخر لا يرتدع الا بالقول الغليظ وآخر لا يزجر الا بالضرب كل على قدر حاله) .

خاتمة :

هذا هو أسلوب التربية الذى استخدمه الاسلام فى تربية أبنائه من المسلمين حتى تؤدى الى تحقيق الرسالة وقد أدى الى نتائج رائعة حين طبق تطبيقا سليما ونرجو أن نعود الى تطبيقه قريبا حتى نرى النتائج الرائعة التى نحن فى حاجة اليها فى حياتنا الحاضرة .

على القاضى

مقدار المفروض مسحه من الرأس في الوضوء

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس فرض من فرائض الوضوء لقوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » فانه أمر بمسح الرأس والأمر للوجوب •

ثم اختلفوا فى المقدار المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو كل الرأس ذهب الى ذلك المالكية والحنابلة فى المشهور عنهم •

القول الثانى : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ربع الرأس ذهب الى ذلك الحنفية •

القول الثالث : أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو مايصدق عليه اسم المسح من غير تحديد بمقدار معين • ذهب الى ذلك الشافعية :

وقد استدل أصحاب القول الأول على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو كل الرأس : بالكتاب والسنة :

أما الكتاب : فقوله تعالى:«وامسحوا برؤوسكم »

ووجه الدلالة : ان الباء فى قوله « برؤوسكم » زائدة لأن ذكرها وحذفها سواء فى عدم الاخلال بالمعنى اذلا فرق بين قولنا مسح رأسه ومسح برأسه فالتركيب بدونها واضح فى العموم على مايفهم من قوله تعالى « فاغسلوا وجوهكم » ولزيادتها فى هذا التركيب فائدة هى تقوية العموم المستفاد منه • ودفع توهم أن الشارع كما خفف وظيفة الرأس من غسل الى مسح • خفف أيضا فى مقدار المسح •

واعترض على هذا الاستدلال • يمنع أن الباء زائد • لأن الزيادة

خلاف الأصل ولم يقم دليل على تعينها للزيادة والأصل أن التأسيس خير من التأكيد •

وأما السنة : فأولا : ماروآه الجماعة عن عبد الله بن زيدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه » •

وثانيا : مارواه أحمد والبخارى عن الربيع بنت معوذ - رضى الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ عندها ومسح رأسه ، مسح الرأس كله من فوق الشعر لا يحرك الشعر عن هيئته »

ووجه الدلالة : من هذين الحديثين • أنهما يدلان صراحة على أن النبى - صلى الله عليه وسلم • فعل مسح الرأس كله ، وفعله - صلى الله عليه وسلم بيان للمراد من قوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » فيكون مسح الكل هو المطلوب •

واعترض على الاستدلال بالحديثين بأنهما انما يدلان على فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدلان على الوجوب لاحتمال أن مسح الكل لبيان الأكمل •

واستدل أصحاب القول الثانى على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ربع الرأس بالكتاب والسنة :

اما الكتاب : فقوله تعالى : « وامسحوا : برؤوسكم » •

ووجه الدلالة « أن الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق • فيكون المطلوب الصاق اليد بالرأس لأن قوله تعالى « وامسحوا » يستدعى مفعولا وهو آلة المسح • وانما كانت اليد لأنها المستعملة فى المسح غالبا • وعلى ذلك يكون تقدير الآية ، وامسحوا أيديكم ملتصقة برؤوسكم، والقاعدة أن الباء اذا دخلت على الممسوح اقتضت استيعاب الآلة ، واذا دخلت على الآلة اقتضت استيعاب الممسوح تقول مسحت رأس اليتيم بيدى فيفهم منه تعميم الرأس بالمسح، وتقول : مسحت يدى برأس اليتيم فيفهم تعميم اليد بالمسح ، والآية من

قبيل الثانى فتقتضى تعميم اليد بالمسح واستيعاب يد ملتصقة بالرأس لا يستغرق غالبا سوى ربع الرأس فتعين مراد الآية :

واعترض على هذا الاستدلال :

بأن قاعدة أن الباء اذا دخلت على المسموح اقتضت استيعاب الآلة واذا دخلت على الآلة اقتضت استيعاب المسموح ، لايعرف لها أصل ولاشاهد فى الاستعمال لأنك تقول : مسحت يدى بالحائط ، ولا يتوقف صدقه على استيعاب اليد وتقول : مسحت الحائط بيدى ولا يتوقف صدقه على استيعاب الحائط . فالاستيعاب وعدمه انما يكون بقرينة دالة عليه ، وليس من دخول الباء تارة على الآلة وتارة على الممسوح فالآية - على هذا القول بأن الباء للالصاق - تحتمل مسح الكل ومسح البعض . ولا دلالة فيها على أن المفروض مسحه بعض مقدر بربع الرأس .

وأما السنة : فما رواه أحمد ومسلم عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة .

ووجه الدلالة من هذا الحديث :

أن اقتصار النبى - صلى الله عليه وسلم - على مسح الناصية يدل على أنه لايجزىء أقل منها والناصية مقدار ربع الرأس فتعين .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأن فيه قوله « فمسح بناصيته وعلى العمامة » فهو يدل على عدم الاكتفاء بمسح البعض ربعا أو غيره اذا لو كان مجزئا لاقتصر عليه ولما مسح على العمامة .

واستدل اصحاب القول الثالث :

على أن المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء هو ما يصدق عليه اسم المسح » بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى «وامسحوا برؤوسكم » .

ووجه الدلالة : أن الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق فيكون المطلوب الصاق المسح بالرأس . وتكون الآية من قبيل المطلق وهو يتحقق بمسح البعض كما يتحقق بمسح الكل شأن المطلق الذى يراد منه تحقيق الماهية فى أى فرد من

أفرادها • فماسح البعض لأى بعض كأن يكون ممتثلا لاتيانه بما يحقق المسح المأمور به • فيكون المقدار المفروض مسحه هو بعض يصدق عليه اسم المسح •

واعترض على هذا الاستدلال :

بأن كون الباء فى قوله « برؤوسكم » للالصاق لا يدل على جواز الاكتفاء بالبعض وأنه هو المقدار المفروض مسحه من الرأس فى الوضوء لأن الرأس حقيقة فى الكل مجاز فى البعض • ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذر الحمل على الحقيقة • ولا تعذر هنا فتعين أن يكون المأمور به الصاق المسح بكل الرأس حملا للفظ الرأس على حقيقته :

وأما السنة : فما رواه أبو داود عن أنس رضى الله عنه ـ أنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطرية • فأدخل يده تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة •

ووجه الدلالة من هذا الحديث:

أنه صريح فى جواز الاكتفاء بمسح بعض الرأس وليس المقصود بقوله « فمسح مقدم رأسه » تحديد المقدار المسموح بل المقصود هو تحقيق ماهية المسح فى أى فرد كان متى صدق عليه اسم المسح •

واعترض على هذا الاستدلال :

بأن فى سند هذا الحديث أبو معقل وهو مجهول • فلا يصلح الاستدلال به •

القول الراجح : الناظر فى أدلة الأقوال الثلاثة وما ورد عليها من اعتراضات يتبين له أن الأدلة جميعها لاتنهض للحجية لتعارضها وعدم سلامتها مما ورد عليها ولا تزال الآية محتملة بطلب مسح الكل ومسح البعض •

ونرى أن احتمال مسح الكل أرجح لما فيه من الاحتياط والخروج من العهدة على الأقوال الثلاثة ضرورة أن مسح الكل يتحقق به مسح البعض سواء أكان هذا البعض ربع الرأس أم كان ما يطلق عليه اسم المسح

« تطهير الرجلين فى الوضوء »

اتفق الفقهاء على أن تطهير الرجلين الى الكعبين فرض من فرائض الوضوء •

ثم اختلفوا فى الواجب فى كيفية تطهيرهما فى الوضوء على أربعة أقوال •

القول الأول : أن الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما فقط فلا يغنى عنه مسحهما ولا يجب معه • ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من المجتهدين •

القول الثانى : ان الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو مسحهما فقط ذهب الى ذلك الامامية من الشيعة •

القول الثالث : أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو أحد أمرين : غسلهما أو مسحهما • على سبيل التخيير فأحدهما يحصل به الواجب • ذهب الى ذلك الحسن البصرى والجبائى وابن جرير الطبرى •

القول الرابع : أن الواجب فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما ومسحهما فلا يتحقق الواجب الا بجمع الغسل والمسح فى تطهيرهما • ذهب الى ذلك بعض الظاهرية •

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول على أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو غسلهما بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى : « يا أيها الذين أمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ويديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين •

ووجه الدلالة : أن قوله تعالى « وأرجلكم » منصوب عطفا على قوله تعالى « وجوهكم » المأمور بغسلها فيكون المأمور به فى الأرجل غسلها فقط كالمعطوف عليه عملا بمقتضى العطف وهو التشريك فى الحكم •

وأما السنة : فما رواه الدارقطنى عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنه ــ قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا » •

وجه الاستدلال : أن الحديث صريح فى الدلالة على وجوب غسل الرجلين لأن الأمر للوجوب وظاهر فى تعيين الغسل فقط لأن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقع بيانا ، والاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بغسل الرجلين فى الوضوء يقتضى تعينه فقط .

واستدلال أصحاب القول الثانى : على أن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو المسح فقط بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين »

ووجه الدلالة : أن قوله تعالى « وأرجلكم » مجرور عطفا على رؤوسكم المأمور بمسحها فيكون المأمور به فى الأرجل مسحها فقط كالمعطوف عليه عملا بمقتضى العطف وهو التشريك فى الحكم .

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قوله تعالى « وأرجلكم » ليس معطوفا على برؤوسكم بل هو معطوف على قوله « وجوهكم وانما جر لمجاورته لرؤوسكم .

وأما السنة : فما رواه الطبرانى عن عباد بن تميم عن أبيه قال :رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يتوضأ ويمسح على رجليه »

ووجه الدلالة : أن النبى صلى الله عليه وسلم اقتصر فى وضوئه على مسح رجليه فكان فعله بيانا للمأمور به فى الآية فيكون هو الواجب لأن الاقتصار فى مقام البيان يفيد الحصر

واستدل أصحاب القول الثالث على أن الواجب فى تطهير الرجلين هو أحد أمرين :

الغسل أو المسح على سبيل التخيير بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم

الى الكعبين » ووجه الدلالة أن قوله تعالى « وأرجلكم الى الكعبين » قرىء بالنصب وقرىء بالجر وكلتا القرائتين سبعية متواترة وقراءة النصب ظاهرة فى وجوب غسل الرجلين لعطفهما على المغسول من الأوجه والأيدى • وقراءة الجر ظاهرة فى وجوب مسح الرجلين لعطفهما على الممسوح وهو الرؤوس • ولا ترجيح لاحدى القراءتين على الأخرى وهذا يقتضى حصول الامتثال بالغسل فقط أو بالمسح فقط لأن كلا منهما يصدق عليه أنه مأمور به فى الآية •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قولكم ولا ترجيح لاحدى القراءتين على الأخرى ممنوع لما ثبت فى السنة من اقتصار الرسول صلى الله عليه وسلم — على الغسل وهو يدل على ترجيح مقتضى قراءة النصب فيتعين العمل بها • ويجب تأويل قراءة الجر بأن الجر فيها للمجاورة •

وأما السنة : مارواه الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه — بلفظ « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا » وما رواه الطبرانى عن عباد بن تميم عن أبيه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم — يتوضأ ويمسح على رجليه » •

ووجه الدلالة من الحديثين : أنهما صريحان فى أن كلا من غسل الرجلين ومسحهما قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسم • فيكون الاقتصار على أحد الأمرين مجزئا فى الخروج من عهدة التكليف كما فى الواجب المخير

واعترض على هذا الاستدلال بأن مارواه الطبرانى عن عباد بن تميم لا يصلح حجة على ورود المسح عن النبى صلى الله عليه وسلم • فقد ضعف الحديث ابن عبد البر فقال : ان فى صحبة تميم هذا نظر فالثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم • قولا وفعلا انما هو غسل الرجلين لا مسحهما فالقبول بأن الواجب الغسل أو المسح لا دليل عليه من كتاب أو سنة •

واستدل أصحاب القول الرابع بأن الواجب فى تطهير الرجلين فى الوضوء هو الغسل والمسح معا فلا يجزىء أحدهما دون الآخر بقوله تعالى : « يا أيها الذين أمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم

وأيديكم الى المرافق وأمسحو برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » ووجه الدلاله من الآية أن قوله تعالى « وأرجلكم » قرىء بالنصب والجر وكلتا القراءتين سبعية متواترة وقراءة النصب توجب الغسل لعطفهما على المغسول من الوجوه والأيدى • وقراءة الجر توجب المسح لعطفهما على الممسوح وهو الرؤوس•وحينئذ يكون كل من الغسل والمسح مأمور به فى الآية ولا يخرج عهده التكليف الا بالجمع بين الغسل والمسح معا فوجبا واعترض على هذا الاستدلال بأن كلا من الغسل والمسح يكون مأموراً به ويجب الجمع بينهما اذا لم يرد بيان من السنة يبين وجوب الغسل وحده أما وقد ورد البيان وتواتر نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم • قولا وفعلا بوجوب الغسل وحده وأجمع الصحابة عليه • فقد قال عبد الرحمن بن أبى ليلى : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين •

القول الراجح : الراجح من الأقوال الأربعة فى كيفية تطهير الرجلين فى الوضوء هو القول الأول وهو ماذهب اليه جمهور الفقهاء من أن الواجب هو الغسل فقط لقوة دليله وخصوصا من السنة فان القائلين بالمسح سواء من أوجبه وحده أوخير بينه وبين الغسل أو أوجب الجمع بينهما لا يجدون جوابا عن الأحاديث الدالة على وجوب الغسل فقط •

دكتور/ ابراهيم دسوقى الشهاوى

سكينة بنت الحسين
بين الناس ومع الله

للأستاذ حسن البيسوني

السيدة سكينة سليلة بيت النبوة والأصل العربى العريق فوالدها الامام الحسين سيد الشهداء وخير شباب أهل الجنة وأمها الرباب بنت أمرىء القيس سيد بنى كلب • ولدت رضى الله عنها سنة ٤٧ هجرية على أرجح الروايات فلم تشهد مصرع جدها الامام على كرم الله وجهه اذ كان قبل مولدها بسبع سنوات وكانت وفاة عمها الامام الحسن وهى لا تزال طفلة تناهز الثالثة من عمرها • فكانت فى طفولتها المرحة خلية البال عن المشاركة فى آثار هاتين الفاجعتين احساسا وادراكا ولكنها ماكادت تخطو نحو مرحلتى الصبا والشباب حتى وراكب ذلك توالى الأحداث الجسام على الأمة الاسلامية ففى سنة ٥٦ هـ نقض معاوية بن أبى سفيان عهده مع الامام الحسين وراح يأخذ البيعة لابنه يزيد ليتولى أمر المسلمين من بعده بعد أن مهد لذلك أعواما طوالا • وقد امتنع عن هذه البيعة خمسة من أعلام أهل المدينة وأصحاب الرأى فيها على رأسهم والدها الامام الحسين • وكان الموقف المدلهم يملاء قلب وعقل الامام سبط الرسول ، وكانت السيدة سكينة فى تلك الآونة بجانبه دائما تخفف عنه بمرحها واشراقها ومضت الأحداث الى ما قدر الله فقد مات معاوية وبويع لابنه يزيد بالخلافة وكتب يزيدالى عامله بالمدينة أن يأخذ البيعة قسرا ممن تخلف عنها من وجوه المسلمين وأبى الامام الحسين أن يبايع شارب الخمر المعلن بالفسق المجاهر بالفجور ـ كما كان رده على الوليد بن عتبة عندما عرض عليه البيعة • وهاجر الحسين بأهله الى بيت الله الحرام بمكة عصمة لدينه وعهده • ثم كان استنجاد الألوف من أهل العراق بالامام الشهيد وبيعتهم له وتلبيته لهم لايثنيه عن ذلك نصح الناصحين من قرابته قائلا (انى لم

أخرج أشرا ولا يطرأ ولا مفسدا ولاظالما ، وانما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة جدى أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) .

ومضت الأمور الى غايتها ونكث أهل العراق عن بيعتهم ، وتخلوا عن امامهم ليواجه وحده فى بضعة وسبعين من أهل بيته جيشا أمويا قوامه أربعة آلاف مقاتل ليكون قضاء الله وليروع العالم الاسلامى بمذبحة كربلاء وليرى المسلمون ، ولما يمض نصف قرن على لحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى نفرا من المسلمين أنفسهم يقتلون الحسين سبط الرسول وأبناء فاطمة الزهراء وأبناء الامام على وابنى عبد الله جعفر شهيد مؤته ويسبون النساء وفيهم زينب بنت الزهراء وبنات الحسن والحسين ولا يبقون من نسل أهل البيت الا صبيا عليل هو الأمام زين العابدين .

وتشهد السيدة سكينة أحداث المذبحة المروعة وترى رأس أبيها الحبيب يطاف بها فى أحياء الكوفة كما طيف بها ضمن موكب سيدات أهل البيت فى نفس الأحياء ثم فى أحياء دمشق مقر الخلافة وشهدت لقاء هذا الموكب عبيد الله بن زياد والخليفة يزيد بن معاوية وكانت نهاية المطاف مدينة جدها عليه الصلاة والسلام .

ثم عادت الى الترحال مرة أخرى فصحبت عمتها السيدة زينب فى خروجها الى مصر بعد أن أحس الأمويون خطر مقامها فى المدينة .

وعادت السيدة سكينة الى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب فأقامت فى كنف أخيها الامام على زين العابدين ، ثم تزوجت بمصعب بن الزبير والى العراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير ولكن الأيام لم تمهلها وجاء اليوم الذى وقفت فيه تودع زوجها مصعب وهو متأهب لقتال عن الملك بن مروان وقد خذله أهل العراق وتقدم يواجه مصيره مستبسلا ويقول لها (ماترك أبوك ياسكينة لابن حرة عذرا) .

وفجعت فى زوجها الماجد الكريم ، وترملت فترة ثم تزوجت بعبد الله بن عثمان الخزامى فأثمر زواجهما أولادها عثمان وحكيم وربيحة ولكن زوجها ما لبث أن أدركته منيته وعادت الى الترمل مرة أخرى ، وكانت زيجتها الأخيرة وقد جاوزت الأربعين من زيد بن عمر

العثمانى ولم يقدر لهذا الزواج أن يستمر طويلا لما رواه المؤرخون من حرص هذا الزوج على ماله .

ومضت سنوات طوالا كانت فيها السيدة سكينة وقد جاوزت الخمسين من عمرها تحتل مكانة أدبية ناقدة يحتكم اليها الشعراء فتفاضل بين أشعارهم وتشتد رقابتها الأدبية عليهم الى أن شارفت العقد الثامن من عمرها فانتقلت الى جوار ربها راضية مرضية .

وقد تعددت أقوال الرواة والمؤرخين بشأن السيدة سكينة ؛ فقد اختلفوا فى تاريخ مولدها وتاريخ وفاتها ، وفى قبرها فمن قائل أنها دفنت بالقاهرة وآخر يقول أنها دفنت بالبقيع ، واضطربت أقوالهم بشأن أزواجها فمنهم من يقصرهم على اثنين والبعض يقول ثلاثة وآخرون يذهبون الى أن عددهم سبعة ، ويخوضون فى مجالس الشعراء لديها ، فمن قائل أنهم كانوا يحتكمون اليها وراء حجاب ومن مجترىء الى القول بأنها كانت تجالسهم وتأذن للناس فيجالسونها فى مجالس الغناء والطرب ثم يشطح بهم الخيال الى القول بأن السيدة كانت مقبلة على الدنيا وعلى حياة البذخ والترف .

زيجاتها :

أما عن زواجها فالثابت والمتواتر من الرواة الثقات أن السيدة سكينة لم تتزوج الا زيجات ثلاث وكلهم من أعرق الأسر العربية ديانة وشرف محتد . فقد تزوجت من مصعب بن الزبير الذى مدحه عبيدالله بن قيس الرقيات قائلا .

انما مصعب شهاب من اللـ
ـه تجلت عن وجهه الظلماء

وتطلع خصمة عبد الملك بن مروان الى رأسة اذ حمل اليه بعد مصرعه فقال : متى تقدر قريش مثلك ؟

ولما قتل زوجها فى ساحة الحرب الحزامى وهو حفيد الزبير بن العوام وسليل آل خويلد بيت خديجة أم المؤمنين فأنجبت منه أولادها . فلما تزوجت من بعده عبد الله بن عثمان لحقته المنية تزوجت من بعده زيد بن عمر العثمانى حفيد عثمان بن عفان . ولما عرف عن هذا الزوج الأخير من الحرص ولعدم وفائه بشروط لها كان قد شرطها على نفسه تم طلاقها منه ولم تتزوج أحدا من بعده .

وتعدد الزيجات فى حد ذاته ليس محل غرابة أو انكار فى البيئة العربية اذ ذاك • بل كان هذا هو العرف المتبع كلما ترملت سيدة من أصل كريم أسرع اليها الخطاب حرصا على شرف المصاهرة وكل ما كان واجبا مراعاته هو الحرص على التكافؤ فى كل زواج تحقق بالنسبة للسيدة سكينة •

مجالس الشعراء :

أما ماقيل عن مجالس الشعر بدارها ، فيكفى لتبيان صورتها الحقيقية أن نسوق واقعة وردت فى كتاب الأغانى نقلا عن محمد بن سلام وعمر بن شبة أن جريرا والفرزدق وكثيرا وجميلا ونصيبا احتمعوا فى فى ضيافة السيدة سكينة فمكثوا أياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم وكان حديثها من خلال وصيفة لها تخرج اليهم لتسمعهم نقد سيدتها لأشعارهم ثم تحمل لكل عطاءه الذى أمرت به السيدة : فهى لم تجالس الشعراء وتحادثهم مباشرة كما يزعم المجترؤون بل كانت تسمع اليهم من وراء حجاب ويسمعون ردها من خلال امائها •

ولا يقبل عقلا ولا منطقا أن تكون الصورة غير هذه من حفيدة الرسول وفى ظل بيئة متمسكة بأهداف الدين الحنيف يعايشها فيها أخوها الامام على زين العابدين ووجوه بنى هاشم وهم الذين ذكر الرواة أنهم غضبوا لمجرد أن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف تقدم لخطبتها وهو ليس كفؤا لها ، فكيف يسكت أهل البيت عما زعمه بعض الرواة من أن بيت السيدة كان محلا لمجالس الغناء والطرب دون أن يمنعوا ذلك • بل كيف يقبل هذا الزعم والسيدة لم تأخذ دورها فى النقد الأدبى الا وهى تجتاز الحلقة الخامسة من عمرها فهل يقبل هذا السن الوقور أمثال هذه المجالس • وأخيرا كيف يعقل حدوث ذلك والمآسى تحيط بالبيت الكريم وبيئة أهل المدينة ، اذ ماكادت مأساة كربلاء تمضى بها السنون حتى كانت ثورة أهل المدينة على بنى أمية واستباحة قائد جيش يزيد لدماء أولاد المهاجرين والانصار ، ثم الصراع بين ابن الزبير وعبد الملك ابن مروان ، فهل كانت هذه الأحداث الجسام تترك لأهل المدينة وللسيدة الكريمة سبيلا لمجالس طرب وغناء ؟

ان لم يمنعه الاعتداء بكرم الأصل والشرف الرفيع .

ان السيدة سكينة بكرم محتدها ووقار سنها ودقة حسها وشعورها وتمكنها من أسرار العربية لغة كتاب الله الحكيم دان لها فطاحل الشعراء بامامة النقد فى عصرها ، وليس هذا بمنتقص من قدرها » بل ان لها فى هذا المجال فضلا يعرف فلا ينكر » وليس هذا بمستغرب على سليلة بنى هاشم فقد سارت على درب جدها الامام على الذى ملك البيان والبلاغة وأبيها الامام الحسين الذى قال معاوية بن أبى سفيان عندما طالع ردا له وجهه اليه : انه لسان بنى هشام الذى يفلق الحجر .

قلب ممزق :

ولكن لب الحديث عن السيدة سكينة ليس أمر زواجها من هذا أو ذاك من أماجد قريش ، وليس أمر نقد أدبى أو شعرى ، فكل هذه تصرفات ظاهرية لاتنفذ الى أغوار النفس العالية لتكشفان حقيقة شخصية حفيدة الرسول صوات الله وسلامة عليه . ولا سبيل الى ذلك الابالتريث أمام وقائع التاريخ الثابتة : واعمال حكم المنطق والعقل فيها .

لقد واجهت السيدة سكينة فى حياتها من المآسى والمحن ما ينوء القلب عن احتماله ؟ فقد شبت وبيت أبيها الحسين يلفه الحزن بفاجعة مقتل جدها الامام على ثم وفاة عمها الحسن ؟ ووقفت بجانب أبيها وهو يرفض مبايعة يزيد بن معاوية وصحبته الى معركة الشهادة فى كربلاء وشهدت بعينى رأسها وهى لاتزال فى ميعة الصبا مصارع أهل بيت النبوة ، شهدت استشهاد أبيها الامام الحسين واخواتها وسائر نسل جدتها فاطمة الزهراء وجدها الامام على ، رأتهم تحز رؤوسهم ويسلبون ويتركون متجردين بالعراء ، واقتيدت مع سيدات أهل البيت فى موكب الأسرى ليطاف بهم فى الكوفة ودمشق كما طيف برأس أبيها الحبيب ، وهكذا استقبلت شبابها بمشهد المذبحة المروعة ، مذبحة الأب والأخ وابن العم وابن العمة والتمثيل بهم ، فهل يعقل أن تغيب هذه الصورة عن عينها أو تندمل جراحها فى قلبها ؟

وتزوجت بمصعب بن الزبير ، زوج ماجد كريم أكنت له الحب»فاذا بها تفجع فيه ويأتى اليوم الذى تقف

فيه مودعة اياه الوداع الأخير وهو متأهب للقتال وقد تخلى عنه الجند والأعوان ليلقى مصرعه وتجرعها الأيام مرارة الترمل وهى بعد شابة بعد أن ذاقت من قبل مرارة اليتم •

وتزوجت بعبد الله بن عثمان الحزامى ورزقت منه أولادا ، ولكن الزمن لم يمهلها لتنعم بحياة عائلية مستقرة اذ توفى زوجها وعادت للترمل مرة أخرى •

هذا القلب الكبير الذى تجرع مرارة الفواجع ، وكان يخرج من محنة لتسلمه الأيام لمحنة أخرى هل يترك الحزن فيه محلا لفرح أو مرح وقد أثخنته الجراح •

فالقلب المكلوم لايتصور أن يجمع بين الحزن والفرح فى وقت واحد • والمآسى التى مرت لاتقبل النسيان • وقد حدثنا التاريخ عن سيدات هدتهن الفجيعة فاستسلمن للحزن والبكاء فالخنساء ظلت تبكى أخاها صخرا وترثيه بأشعارها السنوات الطوال ، بل والرباب أم السيدة سكينة ظلت على حزنها على زوجها الامام الحسين الى أن أدركتها المنية • وهو أمر يتمشى مع طبيعة الشخص العادى ، اذ أن الحزين اذا أطلق لدموعه العنان قد يجد فى ذلك تخفيفا وتفريجا عما يضيق به صدره •

ستار من المرح :

ولكن السيدة سكينة كانت من نسيج فريد ، فرغم هذه المآسى الجسام كانت لايفارقها مرحها واشراقها ، وكان والدها الامام الشهيد يجد فى ابتسامتها ووجهها مايخفف عنه مايعانيه من هموم كبار ، وقد عبر رضوان الله عليه عن هذا الأحساس فقال :

لعمرى اننى لأحب دارا
تضيفها سكينة والرباب
أحبها وأبذل كل مالى
وليس لعاتب عندى عتاب

وكانت خلال الخطوب التى مرت لاتفارقها رباطة جأشها ولامرحها ومحاولتها التسرية عن والدها وتبديد غيوم الهموم والأحزان التى كانت تخيم على أفراد القافلة الصغيرة الكريمة من أبناء بيت رسول الله فى كربلاء ، لم تتخل عن ذلك الا مرة واحدة فى لحظة يعجز فيها البشر عن الاحتمال عندما خاطبها والدها هى وعماتها موصيا ألا يشققن عليه

جيباولا يخمشن وجها ولا يقلن هجرا . عندئذ تمزقت أستار التجلد التى كانت تتمسك بها فانخرطت فى بكاء مرير قطعه قول الامام (سيطول بعدى عنك ياسكينة فهلا ادخرت البكاء لغد وما غد ببعيد .)

وتزوجت بعد استشهاد والدها ، فاذا بها تطوى أحزانها على عتبة الزوجية وتستعيد مرحها وبشرها . لاتفارقها هذه الروح الا فى لحظة فراق الزوج الحبيب فقد ذكرتها بلحظة فراق الأب الحبيب ، فتكشف عن مكنون قلبها وتهتف : واحزناه عليك يامصعب فيلتفت اليها وقد عرته الدهشة : أو كل هذا لى فى قلبك . فتجيبه : أى والله وماكنت أخفى أكثر .

وتمضى الأحداث بها وهى والمروح رفيقان لا يفترقان ، تشيع السرور والأنس حولها فما سمعت يوما شاكية ولا باكية .

فهل يقبل العقل والمنطق بكل المقاييس والموازين أن يكون هذا المرح صادرا حقيقة من أعماق هذا القلب الدامى . ان المرء ليس له الا قلب واحد فى جوفه ، وهذا القلب قد مزقته الأحزان ، فليس للمرح مكان فيه ، اذن فهذا المرح لا يمكن أن يكون تعبيرا عن القلب ، وانما هو ستار تسدله على مكنون نفسها ، لتحبس حزنها وتكتمه دفينا فى قلبها ثم تتكلف هذا المرح مشيعة البهجة فى كل من حولها،فأية ارادة قوية وجهد شاق بذلته السيدة الكريمة لتحمل نفسها فوقآلامها عبء التخفيف عمن حولها والتسرية عنهم ، ثغر ضاحك وقلب باك فأى ثقل مضاعف تحملته النفس الكبيرة انه لا يقوى عليه الا من أعانه الله .

حقيقة الاخلاص :

واذ انتهينا الى أن ما امتحنتها به الأيام لابد وأن يثقل قلبها بالهموم فلا يجعل مرحها الاستارا يخفى ماتحته من أحزان . فانا نضيف الى هذه النتيجة المنطقية واقعتين ثابتتين فى سجلات المؤرخين .. فقد تقدم الحسن المغنى الى عمه الامام الحسين خاطبا فاختار له ابنته السيدة فاطمة النبوية وأردف « وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل » واذ يقول الامام الحسين ذلك فانه أمر واجب التصديق والتسليم . والواقعة الثانية أن السيدة سكينة رؤيت وهى ترمى الجمار أثناء

الحج فسقطت الحصاة السابعة من يدها فلم تتردد فى خلع خاتم ثمين من أصبعها لترمى به بدل الحصاة .

ومن خلال هذه الوقائع تستبين حقيقة السيدة الكريمة .. فظاهرها سيدة مرحة مشرقة تزوجت وعاشت حياتها واشتغلت بالنقد الأدبى والشعرى .. أما الباطن فسيدة أحبت الرزق قليلا وأحبت العبادة كثيرا ، فهى منصرفة عن الدنيا مهينة للمال ترمى بخاتمها الثمين دون تردد لتستكمل شعائر دينها ؛ وتمضى فى تصرفاتها فى الدنيا تنفذ مايوجبه عليها دينها ، فتقبل على الزواج وقلبها متفطر بفاجعة كربلاء لتستكمل نصف دينها ، فاذا ما تزوجت أعطت لزوجها ما فرضه الشرع فلم تحمله آلام محنتها بل طوت أحزانها وكتمتها لتوفر لعلاقة الزوجية بشرها ومرحها ، وتتزوج مرة أخرى بعد أن ترملت وهى بعد شابة استكمالا لذات الواجب الدينى ، وترزق أولادا فتؤدى واجب الأمومة ورعاية الأسرة ، فكل ماتخيله الناس متعة دنيوية لها كانت تؤديه تحقيقا لما فرضه الدين الحنيف وأوجبه عليها ، لايمنعها عن ذلك ألم دفين وجرح عميق . ثم هى بعد ذلك مستغرقة فى الله ، لا تطلع أحدا على عبادتها اياه ؟ فلا يستبين انصرافها للعباده الا من خلال رد أبيها لأحد خطابها .

ولعل هذا يتضح منه التفسير الصحيح لمرحها الظاهر أنها تكتم آلامها فلا تشكوها لأحد من العباد ، وتجعلها مناجاة بينها وبين ربها مرددة ماذكره المولى عز وجل على لسان يعقوب عليه السلام « انما أشكو بثى وحزنى الى الله » ولقد قيل فى الاخلاص فى العبادة : أنه ما استتر عن الخلائق وصفا من العلائق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى » .

أليس خلق السيدة سكينة هو حقيقة الاخلاص ؟ ألم تستر عبادتها عن الخلائق فلم تظهر لهم الامرحها، فصفا اخلاصها من العلائق الدنيوية فسمت بروحها الى حقيقة الاخلاص ؟ ولا عجب فى ذلك فهى حفيدة رسول الله وبنت خير شباب أهل الجنة .

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

حسن البسبونى

تأملات فى العقيدة والفلسفة :

إمام المتكلمين

فى ضوء

(أ) التزامه البحث الحر ، (ب) رفضه لطريقة المتكلمين

للدكتور مصطفى عمران

من أعلام الاسلام وعلماء الحكماء أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى الامام عند علماء الكلام والأصول من الشافعية ، وصاحب التفسير الكبير الذى يقول فيه قاضى القضاه أبو الحسن السبكى : فيه مع التفسير كل شىء وصاحب اليد الطولى فى مختلف العلوم وألوان المعرفة ، فى مقدمتها علم الكلام ، والفلسفة ، وأصول الفقه ، وعلوم العربية .

وقد ولد أبو عبد الله فى منتصف القرن السادس الهجرى عام أربعة وأربعين وخمسمائة بمدينة « الرى » الواقعة بالقرب من « طهران » عاصمة « ايران » الحالية ، والرى حينذاك ـ كما يقول ياقوت فى معجمه ـ : مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق أعمر منها » . وعاش حياته الزاخرة كلها فى هذا الجانب الشرقى من الدولة الاسلامية فيما يعرف الآن بايران وأفغانستان ، وما كاد يطل على القرن السابع الا قليلا حتى وافته منيته فى ذى الحجة سنة ست وستمائة من الهجرة الموافقة لسنة عشر ومائتين وألف من الميلاد .

وأبرز ما كان يمتاز به رحمة الله صحة الذهن وافراط الذكاء واستقامة التفكير فكان بحق فريد عصره ونسيج وحده ومتكلم زمانه حتى قال فى مدحه شرف الدين بن عنين من قصيدة طويلة :

غلط امرؤ بأبى على قاسه
هيهات قصر عن مداه أبو على
لو أن رسطاليس يسمع لفظه
من لفظه لعرته هزة أفكل
ويحار بطليموس لولاقاه من
برهانه فى كل شكل مشكل
فلو أنهم جمعوا لديه تيقنوا
أن الفضيلة لم تكن للأول

ويقول الصفدى فى مستهل حديثه عن الامام ، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله وهى : سعة العبارة فى القدرة على الكلام ، وصحة الذهن ، والاطلاع الذى ما عليه مزيد ، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التى تعينه على ما يريده فى تقرير الأدلة والبراهين (١) .

وقد أثر عن الفخر رحمه الله قوله : «والله اننى أتأسف فى الفوات عن الاشتغال بالعلم فى وقت الأكل ؛ فان الوقت والزمان عزيز (٢) .

تلك اشارة عابرة ولمحة عاجلة تستبين فىضوئها صورة مجملة للامام الرازى تمهيدا لعرض بعض جوانبه الهامة التى اهتدينا اليها بعد دراسة مستأنية وتأمل طويل لما بين أيدينا من تراثه الكبير مما يشهد بما ألمعنا اليه من:

١ ـ التزامه رحمه الله فى بحوثه جميعا ما تهدى اليه الأدلة والبراهين وحرصه الشديد على المناقشة الموضوعية لما تطرحه العقيدة من قضايا وما يواجهه من مشكلات فلسفية دون ما تأثر بما قد يكون شائعا من آراء ومذاهب أيا كان مصدرها .

٢ ـ رفضه ـ فى أخريات أيامه ـ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية المستندة ـ على حد تعبيره ـ الى التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات .

وأوضح ما نعتمد عليه فيما ذهبنا اليه من الأمر الأول ما أعلنه الامام الرازى نفسه فى هذا الصدد ، فهو يقول فى مقدمة كتابه المباحث المشرقية؛ وبعد فان الذى صرفنا وكدنا وكدنا اليه تحصيل ما وجدناه فى كتب المتقدمين ، وقرأناه من زبر الأولين تحصيلا نختار اللباب من كل باب ويكون الترتيب على أن نفصل المطالب بعضها عن بعض ، ثم نرد فيها اما بالأحكام واما بالنقض ، ثم نذيلها بالشكوك المشكلة والاعتراضات المفصلة ، ثم نتبعها ان قدرنا بالحل الشافى والجواب الوافى ، وربما وقع فى أثناء ذلك ما يخالف المشهور وينقض كلام الجمهور ، ولكنك أيها الطالب خبير بأن العاقل لا يحيد عن

---

(١) الوافى : ٤ / ٢٤٨ طبع دمشق .

(٢) عيون الانبياء لابن ابى اصيبعة . ص ٤٦٢ طبع بيروت .

المألوف اذا وجد الى تقريره سبيلا ، ولا يرغب عن المعروف اذا وجد عليه دليلا جملة وتفضيلا .

ثم يقول : « وان الذين يجزمون بوجوب موافقة الأولين فى كل قليل وكثير ، ويحرمون مفارقتهم فى النقير والقطمير ، يعلمون أن أولئك المتقدمين كانوا فى بعض المواضع لمتقدميهم مخالفين وعلى كلامهم معترضين وعن مقالاتهم معرضين ، وبذلك مصرحين » :

ثم يقول معلنا عن منهجه : « ... اخترنا الوسط بين الأمرين والقول الأحسن من القولين ، وهو أن نجتهد فى تقرير ماوصل الينا من كلماتهم وحصلناه من مقالاتهم فان عجزنا عن تلخيصه وتحريره واظهار وجه تقريره أشرنا الى وجه الاشكال وذكرنا ما هو كالداء العضال ثم نجتهد فيه اما بتأويل مجملهم أو بتلخيص مفصلهم المذكور فى متفرقات صحفهم ، ثم نضم اليه أصولا وفقنا الله تعالى على تحريرها وتحصيلها وتقريرها وتفصيلها (١) .

وعلى الرغم من وضوح هذا المنهج الذى أعلنه الامام والتزمه فى درساته وحياته العلمية فان جمهور المؤرخين بل جميعهم . فيما أعلم ـ والمحققين الذين عرضوا له بالدراسة والنقد والتقييم يرون متابعة الامام الرازى للمذهب الأشعرى وارتباطه وتقيده به وتعصبه له .

فالمستوعب لما كتبه المؤرخون وأصحاب الطبقات يطالع أطباقهم على أن الامام الرازى أشعرى العقيدة

ويصرح الأستاذ الامام محمد عبده بأن الامام الرازى رجل أشعرى قد جرى فى جميع كتبه واعتقاداته على أصول الأشعرى(٢) .

ويجزم الشيخ عبد المتعال الصعيدى بأن فخر الدين الرازى كان أشعريا متعصبا (٣) .

---

(١) المباحث المشرقية : ١ / ٣ ، ٤ ، ٥ طبع الهند .

(٢) أنظر حاشية الامام محمد عبده على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضوية ص ٧٨ .

(٣) المجددون فى الاسلام ص ٢٢٧

غير أن منهج الامام الواضح فى ضوء ما أعلنه ثم تطبيق هذا المنهج فى دقة وأمانة على هدى ما نعرض له الآن من قضايا ومسائل العقيدة والفلسفة ليشهدان فى صدق بالغ بهذه الحقيقة أهتدينا اليها من أنه رحمه الله كان رجلا حر التفكير الزم نفسه مناقشة الأراء والمذاهب أيا كان مصدرها حتى يستبين الحق وينكشف له الصواب فيؤمن به ويتخذه مذهبه .

ومن أجل ذلك فنحن مطمئنون الى القول بأنه رحمه الله لم يكن متقيدا فى أصول الدين بالمذهب الأشعرى ولا بغيره وبالتالى لم يكن متعصبا لأى منها ، ولقد امتحن الامام آراء الأشاعرة وفحص أدلتهم فرضى عما اطمأن اليه قلبه ، ثم خالفهم فى بعضها وتوقف فى بعض آخر اتباعا للحجة واذعانا للحق حسبما تبين له .

١ ـ فهاجم دليل الأشاعرة العقلى على جواز رؤيته تعالى يقول فى كتابه الأربعين فى أصول الدين : « أعلم أن جمهور الأصحاب عولوا فى اثبات أنه تعالى لم يصح أن يرى على دليل الوجود وأما نحن فعاجزون عن تمشيه ، ونحن نذكر ذلك الدليل ثم نوجه عليه ماعندنا من الاعتراضات » (١) .

ويقول أيضا فى المطالب العالية : « وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا : الله تعالى موجود وكل موجود تصح رؤيته ، دليلهم في اثبات أن كل موجود تصح رؤيته فقد ذكرناه فى أحكام الموجودات ، وأوردنا عليه اعتراضات قوية لا يمكن دفعها البتة » (٢) .

وفى كتابه « المعالم » ساق دليل الوجود هذا ، وذكر أنه للجمهور من الأصحاب ثم عقب عليه بقوله : وهذا عندى ضعيف (٣) .

٢ ـ وخالف الأشعرى فى القول بأن حصول العلم عقيب النظر انما هو باجراء العادة وأعلن أن النظر الصحيح يلزمه حصول العلم

---

(١) ص ١٩١ طبع الهند .
(٢) المطالب العالية تحقيق كاتب هذه السطور جـ ٢ ص ٤٥٠
(٣) انظر هامش المحصل للامام الرازى ص ٦١ المطبعة الحسينية .

بالضرورة ، بل ان الرازى لا يأبه أن يكون مخالفا للجمهور والأشعرى جميعا مادامت الأدلة مؤيدة له فيقول فى كتابه (نهاية العقول) : « المسألة الثانية فى بيان أن النظر يفيد العلم ؟ اعلم أن من عرف حقيقة النظر الذى ندعى افضاءه الى العلم علم بالضرورة كونه كذلك » .

وبعد أن يبين حقيقة النظر ، وأن استلزامه للعلم انما هو بالضرورة يقول : « فان الأشعرى وان كان مذهبه أن حصول العلم عقيب النظر باجراء العادة الا أن جمهور أصحابه يقولون : النظر الصحيح يتضمن حصول العلم ، وفسروا المتضمن بملازمة العلم النظرى للنظر ، وفسروا النظر بالتردد فى أنحاء العلوم الضرورية ، فنحن نقول بهذه الملازمة ، وأيضا فأبوالحسين البصرى وهو الرجل فى المعتزلة ذهب الى أن هذه العلوم الضرورية توجب العلم النظرى ، فثبت أن الذى اخترناه ليس مذهبا على خلاف الجمهور .

ثم يقول : « وأيضا فهب أنه كذلك لكن الدليل لما ساقنا اليه وجب قبوله » (١) .

٣ – ويرى الامام رحمه الله أن العلم نسبة مخصوصة بين العالم والمعلوم وينكر أنه صفة حقيقية مخالفا فى ذلك مذهب الأشاعرة وجمهور المتكلمين فيقول فى كتابه (المعالم) : « المسألة الحادية عشرة فى اثبات أنه تعالى عالم وله علم ؟ أهم المهمات فى هذه المسألة تعيين محل البحث فنقول : انه من علم شيئا فانه يحصل بين العالم وبين المعلوم نسبة مخصوصة ، وتلك النسبة هى المسماة بالشعور والعلم والادراك ، فنحن ندعى أن هذه النسبة أمر زائد على الذات ، ومنهم من قال : ان العلم صفة حقيقية تقتضى هذه النسبة ؟ ومنهم من قال العلم صفة حقيقية توجب حالة أخرى وهى العالمية ، ثم ان هذه العالمية توجب تلك النسبة الخاصة والمتكلمون يسمون هذه النسبة (٢) بالتعلق ، وأما نحن فلا ندعى الا ثبوت هذه النسبة ويصرح بفساد

---

(١) نهاية العقول للرازى مخطوطة دار الكتب ١ / ٢٢ ب ، ٢٥ – ! رقم ٧٤٨ علم الكلام ، والمحصل ص ٢٨ ، ٢٩

(٢) انظر هامش المحصل ص ٤٧ ، ٤٨

مذهب الأشعرى القائل : ان لفـظ الموجـود الواقـع على الواجب لـذاته وعلى الممكن لـذاته لا يفيـد مفهوما واحدا مشتركا فيه بين القسمين بل هو بحسب الاشتراك اللفظى •

فيقـول فى المطلب العـالية : « أما القول الأول (وقـد عزاه قريبا الى طائفـة عظيمة من المتكلمين منهم أبـو الحسن الأشـعرى وأبو الحسـين البصرى) وهو أن لفظ الموجود واقع على الواجب لذاته وعلى الممكن لذاته لا بحسب مفهـوم واحـد بل بحسب الاشتراك اللفظى فقط فتقول أنا قد دللنا فى سائل الوجود على فساده ، ولا بأس باعادة بعض تلك الوجود ، ثم يذكر عشرة وجوه محتجا بها على فساد مذهب الأشعرى •

وفى مقال تال نستكمل بمشيئته تعالى حـديثا الموصـول عما ألمعنا اليه مما يتصـل بامـام المتكلمين فخر الـدين الرازى ؟

دكتور/ مصطفى عمران

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١٠ —

١٣١ – ويقولون : نأكل في اليوم والليلة ثلاث وجبات : هي الغذاء ، والكرزمة ، والعشاء فالغذاء طعام الغدوة ، تقول : تغدى اذا أكل أول النهار ، والكرزمة طعام نصف النهار ، والعشاء طعام العشى ، والفصيح أن يقال نأكل في اليوم والليلة ثلاث أكلات ، أو ثلاث مرات وذلك لأن الوجبات الثلاث لاتكون الا فى ثلاثة أيام ولياليهن ، فالعرب قالت ان الوجبة هي الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة ، ومثلها الوزمة وزنا ومعنى ، والعريجاء بضم العين ، تقول : فلان أكل الوجبة أو الوزمة ، أو العريجاء اذا أكل أكلة واحدة فى اليوم والليلة ، أو هى أكلة فى اليوم الى مثلها من الغد .

وتقول : وجب فلان نفسه توجيبا اذا عودها ذلك ، ووجب عياله وفرسه اذا عودهم الوجبة ووجب ناقته اذا لم يحلبها فى اليوم والليلة الا مرة واحدة ، وفلان يأكل الوجبة ، ويتبرز الوقعة ، أى أنه فى اليوم والليلة يأكل مرة ويتغوط مرة .

ومن معانى الوجبة السقطة مع الهدة ، قال تعالى «فاذا وجبت جنوبها » أى سقطت على الأرض ، ووجبة الحائط سقوطه .

١٣٢ – ويقولون : بنى فلان بأهله يعنون أنه تزوج ، والصواب أن يقال : بنى على أهله ، وأصله أن الرجل كان اذا تزوج بنى لزوجه خباء جديدا وعمره بما يحتاج اليه ، أو يبنى له تكريما ، ثم كثر حتى كنى به عن الجماع

قال ابن السكيت يقال بنى على أهله اذا زفت اليه ، وفى التهذيب : والعامة تقول : بنى بأهله وليس من

كلام العرب » وقالوا استبنى فلان ، وابتنى اذا أعرس ، قال

أرى كل ذى أهـل يقيم ويبتنى
مقيما وما استبنيت الا على ظهر

يريد أنه تزوج وهو مسافر على على راحلته

١٣٣ – ويزعمون أن كلمة المضاهاة معناها الموازنة بين شيئين ، وتبيين وجوه الشبه بينهما فيقولون : ضـاهى فلان بين كذا وكذا ، يعنون وازن بينهمـا ومن ذلك قولهم : فلان خبير لـدى المحـاكم فى مضـاهاة الخطـوط ، يريدون بذلك أن الخبير بعمد الى كتـابتين فيفحص عمـا بينهمـا من تشـابه وتضـاد ، ليحكم بعد ذلك : أهما لكاتب واحد أم لكاتبين مختلفين؟

وهذان التعبيران لايؤدى كل منهما المعنى الذى أنشىء من أجله لابطريق الحقيقـة ولا بطريـق المجـاز ففى الأساس : فلان لا يضاهى كرما ولا يضاهيه أحد ، أى لايشابه فى كرمة ولا يشبهه أحد ،

وفى النهاية : أشد الناس عذابا يوم يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله أراد المصـورين وصانعى التمـاثيل ، فالمضاهاة المشابهة والمماثلة ، وقد تهمز فيقال : مضاهأة ، وقد قرىء بالهمز قوله تعـالى « يضاهئون قول الـذين كفروا »

وفى لسـان العرب : المضـاهـاة مشاكلة الشىء بالشىء وقد تهمز

١٣٤ – ويقولون : عاد المسافرون الاك ، أوالاه ، فيوقعـون الضـمير المتصـل بعد الا ، كما يوقع بعد غير فى مثل قولك : عاد المسافرون غيرك ؛ فيخطئون فى ذلك كما أخطأ المتنبى فى قوله

ليس الاك ياعـــلى همـــام
سـيفه دون عرضـه مسلول

والصواب أنه لا يقع بعد الا سوى الضمير المنفصل ، كما فى قوله تعالى : « أمر ألاتعبدوا الا اياه » والفرق بين الا وغير أن الاسم الواقع بعـد غـير لا يقـع أبدا الا مجرورا بالاضافة ، والضمير المجرور لايكون الا متصلا، ولهذا يمتنع أن يفصل بينهما ، وليس كذلك الاسم الواقع بعد الا ، لأنـه يقع اما منصوبا واما مرفوعا ،وكلاهما يجوز أن يفصل بينه وبين العامل فيه ولهذا جعـل له ضـميران متصـــل ومنفصل ، الا أنه لمـا اعترضت الا فى الـكلام وفصـلت بـين العامـل

والمعمول أوقع بعدها الضمير المنصوب ، كما فى قوله تعالى « مثل من تدعون الا اياه »

وكذا الضمير المرفوع كما فى قول معد يكرب

قد علمت سلمى وجاراتها
ماقطر (١) الفارس الا أنا

فأما قول القائل :

فالا تبالى اذا ماكنت جارتنا
ألا يجاورنا الاك ديار

فهذا نادر ، والنادر لا يعتد به ولا يقاس عليه •

١٣٥ ـ ويقولون : امرأة عزبة ، قياسا على قولهم: رجل عزب بالتحريك ، والأفصح أن يقال لها عزب أيضا بدون هاء ، لأن كلمة عزب مصدر وصف به فلا يؤنث كما يقال رجل خصم وامرأة خصم ، قال

يا من يدل عزبا على عزب
على ابنة الحمارس (٢) الشيخ الأزب (٣) •

١٣٦ ـ ويقولون : أحاطه بعنايته ، ونحيطكم علما ، وكلا التعبيرين خطأ ، لأنهم جاءوا بالفعل متعديا للمفعول مع أنه لازم ، تقول : أحاط بهم العدو ، ويحيط بكم علما ، قال تعالى من الأول « احطت بما لم تحط به » وقال « وأحيط بثمرة » « ان ربى بما تعلمون محيط » وقال من الثانى « قد أحاط بكل شىء علما » وقال «اكذبتهم بآياتى ولم تحيطوا بها علما » وذلك لأن الفعل الرباعى معناه الاحداق بالشىء وهو لازم دائما ، قال فى شرح القاموس :

وأحاطت به الخيل واحتاطت أى أحدقت به

اما الثلاثى فمعناه الحفظ والصون وهو متعد غالبا ، تقول : حاطه الله بعنايته يحوطه حوطا وحياطة ، وحيطة بكسرهما ، وقد يأتى الثلاثى بمعى الاحداق فيكون لازما ففى المصباح : وحاطوا به من باب قال لغة فى الرباعى ، ومنه قيل

---

١ ـ قطر الفارس : القاه على أحد قطريه فصرعه .
٢ ـ الحمارس الشديد .
٣ ـ الأزب : الكريه .

للبناء حائط اسم فاعل من الثلاثي ، وفي اللسان : وحاطه وأحاط به

وملخص ماعرضنا أن الرباعي معناه الاحداق ولايكون الا لازما ، وأن الثلاثي قد يأتي بمعنى الاحداق قليلا ويكون لازما ، وبمعنى الحفظ كثيرا ولا يكون الا متعديا •

١٣٧ - وينكرون أن يقال : امرأة مفضالة بكسر الميم ، اعتمادا على القاعدة النحوية التي تمنع دخول الهاء الفارقة على مفعال ، وتقول : يستوى فيه المذكر والمؤنث ، قال ابن مالك

ولا تلي فارقة فعولا
أصلا ولا المفعال والمفعيلا

ولكن ذلك ورد في اللغة : ففي اللسان والقاموس : ورجل مفضال على قومه سمح ذو فضل ، وهي بهاء أما مجذامة (١) ومطرابه (٢) فهذه الهاء فيهما لزيادة المبالغة كما هي في علامه ونسابة ، لأنهم قالوا : مجذام ، ومطراب •

وفي مختار الصحاح : وامرأة مفضالة على قومها اذا كانت ذات فضل سمحة •

١٣٨ - ويزعمون أن الأرملة هي المرأة التي مات زوجها وان كانت غنية ، والحق أنها لاتسمى أرملة الااذا كانت فقيرة محتاجة ، فان كانت موسرة فليست بأرملة وان فقدت زوجها ، اذ يقال : أرمل فلان اذا افتقر وفني زاده ، فهو مرمل ، وجاء أرمل على غير قياس ، وهو من الرمل كأدقع من الدقعاء

قال ابن الأنباري : لا يقال لمن لم يكن له زوج أرمل الا على قلة ، لأن زاده لا يذهب بفقد امرأته اذ لم تكن قيمة عليه ، وقال ابن السكيت : الأرامل المساكين رجالا ونساء مما عرضنا استبان أن الفقر شرط في الأرمال •

١٣٩ - ويقولون : يبغي عليك أن تصدق ، وما ينبغي عليك أن تكذب ، وهذا خطأ ، لأن هذا الفعل لاتستعمل معه على ، وانما تستعمل معه اللام فيقال: ينبغي لك أن تصدق ، وما ينبغي لك

---

١ - المجذام والمجذامة : القاطع للأمور الفيصل .
٢ - المطراب والمطرابة : الطروب .

أن تكذب ، وعلى هذا جاء القرآن الكريم ، قال تعالى : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقال : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر » وقال وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا » وقال « «وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد»

ولك أن تستعمل الفعل بدون اللام فنقول : ينبغي أن تفعل كذا وما ينبغي أن تفعل كذا وهذا الفعل من أفعال المطاوعة ، ، يقال : بغيت الشيء أبغيه بغيا أى طلبته فانبغى ككسرته فانكسر .

١٤٠ ـ ويقولون أوشك المال على النفاد ، ويوشك المريض على الشفاء، والصواب أن يقال أوشك المال أن ينفذ ، ويوشك المريض أن يشفى ، وذلك لأن أوشك من أفعال المقاربة، وهى تعمل عمل كان ولابد أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مقرون بأن غالبا كما فى قول الشاعر

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا
اذا قيل هاتوا ـ أن يملوا ويمنعوا

وقد يتجرد منها على قلة كما فى قول أمية بن أبى الصلت

يوشك من فر من منيته
فى بعض غراته ـ يوافقها

فجملة يوافقها فى محل نصب خبر يوشك ، والغرات بالكسر الغفلات ، ويوافقها أى يصادفها .

وقد تأتى تامة اذا اسندت الى أن والفعل كما فى قولك : أوشك أن يفوز محمد ، فأن والفعل فاعل لأوشك .

١٤١ ـ ويقولون : هذا الشعر أو هذا الغناء أكثر فعالية من غيره فى النفوس ، بتخفيف الياء ، والصواب أن يقال « أكثر فعالية بتثقيل الياء ، على أنها مصدر صناعى أصله فعال وزان سحاب بمعنى الفعل الحسن ، أضيفت اليه ياء النسب وتاء الوحدة فصار المعنى : هذا الشعر أكثر حسنا من غيره .

ولك أن تؤدى هذا المعنى بقولك: هذا الشعر أو هذا الغناء أكثر أثرا ، أو أكثر تأثيرا أو أكثر فعلا ، أو

أكثر افتعالا فى نفوس السامعين ، قال ذو الرمة

وشعر قد أرقت له غريب
أجنبه المساند (١) والمحالا (٢)

فبت أقيمه وأقد (٣) منه
قوافى لا أعد لها مثالا

غرائب قد عرفن بكل أفق
من الآفاق تفتعل افتعالا

أى تبتدع ابتداعا غير مسبوق الى مثله .

أوبقولك : هذا الشعر أو هذا الغناء يفعل الأفاعيل فى النفوس ، كقولهم :

الرشا تفعل الأفاعيل ، وتنسى ابراهيم واسماعيل ، وقوله الشماخ :

اذا استهلا (٤) بشؤبوبيه (٥) فقد فعلت
بما أصابا من الأرض الأفاعيل

أى الأعاجيب

١٤٢ ــ وينكرون أن يقال : ارتدى الرجل الثوب أو ترداه ، تبعدى الفعلين الى المفعول به ، لأن المعاجم لم تصرح لهما بمفعول : ففى الأساس قال الزمخشرى : ارتدى بالثوب وتردى به ، وتردت المرأة ؟ وارتدت توشحت ، وفى القاموس قال الفيروزبادى : وتردت الجارية توشحت ولبست الرواء

والحق أنهما ينصبان المفعول به ، قال السموءل بن عادياء فى أول لاميته

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى

ليس الجمال بمئزر
فاعلم وان رديت بردا

وما دام ردى يتعدى الى مفعولين كما فى بيت عمرو فمطاوعه يتعدى الى مفعول واحد كما هى القاعدة ، فيقال : رديت الرجل ثوبا فترداه

١ ــ المساند : ما به سناد وهو عيب من عيوب الشعر .
٢ ــ المحال ما يستحيل وقوعه .
٣ ــ اقد : اقطع .
٤ ــ الاستهلال : صوت المطر والصبابه .
٥ ــ الشؤبوب : الدفعة من المطر .

قال الرضى : ويكثر اغناء افتعل عن انفعل فى مطاوعة مافيه علاج اذا كانت فاؤه لاما ، أوراء ، أونونا ، أوميما ، تقول : لحم الصائغ الذهب باللحام فالتحم ، ورمى الصياد السهم عن القوس فارتمى ، ونفضت المرأة الثوب فانتفض ، وملأت الوعاء عسلا فامتلأ ، ولا ريب أن فعلنا رائى الفاء فهو داخل تحت ضابطه .

عباس أبو السعود

صفحات من تاريخ القاهرة

٧ – الأزبكية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

ذكرنا فى مقال سابق أن النيل كان عند الفتح الاسلامى يجرى فى موقع واتجاه شارع عماد الدين تقريبا • ولما جدد عمرو بن العاصى حفر الخليج المصرى • كان مجرى هذا الخليج فى موقع واتجاه شارع بور سعيد الحالى •

وكان مابين المجرى القديم للنيل ومجرى الخليج قليل عرض • وكانت هناك ما بين النيل والخليج بساتين ومزارع وبرك • وأقدم ماعرف من البساتين غربى الخليج البساتين المعروفة بجنان الزهرى •

وجنان الزهرى كانت تصل جنوبا الى قرب موقع ميدان السيدة زينب وشمالا الى موقع العتبة الخضراء وميدان الأوبرا حاليا • وبذلك كانت تغطى مساحات كبيرة وأحياء موقعها بالنسبة لأسماء الوقت الحاضر حى الناصرية (وكان يعرف قديما ببركة السباعين) وشرقا منه حى الحنفى • وشمالا منهما حى عابدين • ومن ضمنه بركة كانت تعرف ببركة الشقاف • وعلى جانب بركة الشقاف الجامع المعروف بجامع الطباخ (أنشىء فى عهد الناصر محمد بن قلاوون فى القرن الثامن الهجرى = ١٤م • وهو موجود للآن بميدان باب اللوق) وكان موقعه يطل على النيل فى مجراه القديم • ومن ضمن جنان الزهرى شارع عبد العزيز والعتبه الخضراء وميدان الأوبرا •

والزهرى المنسوبة له هذه الجنان هو أبو العباس عبد الوهاب بن موسى ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف) وعبد الرحمن بن عوف هو الصحابى الشهير) وأم عبد الوهاب الزهرى ينتهى نسبها الى عبد الملك ابن مروان • وقد تولى الشرطة بمصر سنة ٢١١هـ •

ثم قسمت أرض جنان الزهرى . وحكرت مبانى . وبتداء هذا كان فى زمن الفاطميين فى أوائل القرن الخامس الهجرى (= ١١ م) . فقد بنى ابن التبان - وكان رئيسا للأسطول - غربى الخليج مقابل باب الخلق وحى الحبانية الحاليين .فعرف البر الغربى هناك ببر ابن التبان .

وتوالت الأحكار بعد ذلك . فقد ذكر المقريزى ما يقرب من الخمسة عشر حكرا نذكر منها حكر طقزدمر . وكان ثلاثين فدانا وأنشأ مقابله على الخليج قنطرة عرفت بقنطرة طقزدمر وغلب عليها اسم قنطرة درب الجماميز لوجود شجر جميز هناك كان يعرف بجماميز السعدية . وكان طقزدمر يلقب بالحلبى الكرمانى . وكان نائب السلطنة بمصر فى دولة بنى قلاوون فقد عاصر الناصر محمد بن قلاوون وأربعة من أولاده وتوفى سنة ٧٦٤هـ

ونذكر منها حكر الست حدق أو الست مسكة عند منظرة السكرة . ولايزال جامع الست مسكة باقيا للآن بحى الحنفى . كما أن بركة الشقاف حكرت أرضها بعد سنة ٦٠٠ هـ . وبركة السباعين (وسميت بهذا الاسم لوجود دار للسباع بجانبها) ظلت منها بقية الى زمن المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) ولم تحدث بجانبها العمارة والمبانى الا بعد سنة ٧٠٠ هـ .

وخلدت البلدية اسم جنان الزهرى بأن أطلقته على شارع صغير متفرع من شارع محمد عز العرب(المبتديان) ومواز لشارع نوبار .

وشمال جنان الزهرى كان هناك بستان عرف قديما باسم بستان المقس (١) .

بستان المقس :

وكان بستان المقس يغطى مساحة موقعها ما بين ميدان الأوبرا وميدان رمسيس .

وعند الفتح العربى كانت هناك قرية اسمها أم دنين موقعها كتلة المبانى الموجودة مابين شارعى كلوت

(١) كانت كلمة بستانى لا تطلق فقط على حدائق الفاكهة بل أيضا على الحقول المجاورة للمدينة لما بها من زراعات الفاكهة والزهور والخضروات اللازمة للمدينة .

بك وابراهيم باشا (الجمهورية) حتى باب البحر عند ميدان رمسيس. فكأنها كانت جزءا من مساحة هذا البستان . وقد لاقى العرب هناك عند الفتح بعض المقاومة .

وكان النيل يجرى غربى بستان المقس . والمقس كما قيل اشتق لفظه من المقسم . لأن العرب قسموا غنائم الحرب هناك . وقيل أنها فى المكس - أى الجمارك على البضائع الواردة لأنه كانت هناك الميناء النهرية للمدينة خلف جامع أولاد عنان بشارع الجمهورية .

والجامع المذكور أنشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى . ثم جدده الصاحب عبد الله المقسى سنة ٧٧٠ هـ . فنسب اليه . ثم سكنه الشيخ محمد عنان (توفى سنة ٩٢٢ هـ) وأخوه وأولاده فعرف بهم . وقد هدم هذا الجامع أخيرا ليقام مكانه مسجد جديد باسم مسجد الفتح .

وكان شمال الجامع المذكور منظرة للفاطميين عرفت بمنظرة المقسى يجلس فيها الخليفة عند توديع واستقبال الأسطول الحربى . وكان الأسطول يخرج للغزو من المقسى فى النيل الى دمياط ومنها للبحر الأبيض (١) .

الأسطول المصرى عند الفاطميين :

وقد اهتم الفاطميون بصناعة السفن الحربية حتى بلغت عدتها فى أيام المعز لدين الله ٦٠٠ قطعة .

وقبل الفاطميين كانت بمصر صناعة للسفن أنشأها عنبسة بن اسحق الوالى على مصر سنة ٢٣٨ هـ فى خلافة المتوكل على الله العباسى . ثم أنشأ أحمد ابن طولون دارا لصناعة السفن فى جزيرة الروضة سنة ٢٥٤هـ .

كما أنشأ محمد بن طج الأخشيد (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) دارا أخرى للصناعة فى الفسطاط . وتوسع فى هذه الدار المأمون البطائحى وزير الأمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ - ٥٢٥ هـ) . وأنشأ بها منظرة يستريح فيها الخليفة قبل انتقاله لتخليق المقياس بالروضة فى الاحتفال بوفاء النيل .

---

(١) كانت للفاطميين أيضا منظرة عند باب الفتوح يجلس فيها الخليفة لتحية الجيش فى خروجه للحروب أو العودة منها .

فكأنه كان فى زمن الفاطميين ثلاث دور للصناعة (١)، واحدة بالروضة، وواحدة بالمقس ، وثالثة بالفسطاط .

بستان الدكة وقنطرة الدكة :

وكان بالقرب من منظرة المقس منظرة أخرى للفاطميين تعرف بمنظرة الدكة فى بستان عرف ببستان الدكة .

وكان الخليفة الفاطمى فى عودته من حفلة وفاء النيل وجبر الخليج يسير فى البر الشرقى للنيل حتى يدخل هذا البستان بمفرده ليسقى فرسه . وقال المقريزى أنه لم يعلم سبب لهذا التصرف .

ونقول : لاغموض ولا الغاز . فلعله لحاجة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال .

وسنذكر تعليل اسم الدكة فيما بعد باذن الله .

ارض الطبالة :

ولا ستكمال الصورة نذكر أنه كان شمال بستان المقس الأرض التى عرفت بأرض الطبالة . وموقعها حى الفجالة والجزء الجنوبى من حى الظاهر والشرابية حاليا . وقصة هذه التسمية مشهورة محملها أن المستنصر بالله الفاطمى (حكم من ٤٢٧-٤٨٧ هـ) كانت نفسه تحدثه بالتغلب على العباسيين وتوحيد الخلافة فى مصر وخطب باسمه فعلا فى بغداد فى صلاة الجمعة أربعين أسبوعا . فغنت بين يديه احدى المغنيات ابياتا فى الشعر منها :

بنى العباس ردوا
ملك الأمر معد
ملككم ملك مستعار
والعوارى تسترد

والمستنصر بالله اسمه أبو تميم معد . فأقطعها هذه الأرض .

بركة بطن البقرة :

وكان بستان المقس يطل على النيل غربا وعلى الخليج شرقا ، ويقابله من

---

(١) حرفت دار الصناعة الى ترسانة . ونقل اللفظ الى أوربا ففى الانجليزية والفرنسية ارسنال Arsenal معناها مخزن للأسلحة الحربية .

الجانب الشرقى للخليج منظرة اللؤلؤة أشهر مناظر الفاطميين • وكانت بالسور الغربى للقاهرة الفاطمية خلف جامع الشعرانى بميدان باب الشعرية الحالى •

فأمر الظاهر لأعزاز دين الله الفاطمى ـ وهو ابن الحاكم بأمر الله • (حكم من ٤١١ ـ ٤٢٧ هـ) ، أن يعمل بستان المقسى بركة أمام منظرة اللؤلؤة •

وهذه البركة محل البستان عرفت فيما بعد ببركة بطن البقر •

ولا أعرف العلة في الاسم • ولكن نجد فى مقاطع الأحجار بالمقطم أجزاء يسميها النحاتون مقطع بطن البقرة • وكانوا يعتبرونها ممتازة فى عمل درج السلالم • لنعومة وجهها بعد النحت • فربما الاسم للبركة يدل على نعومة طينها وهدوء مياهها •

وكان بستان المقسى يغذيه بالماء خليج الذكر • فأصبح خليج الذكر يغذى بركة بطن البقرة بالماء •

وخليج الذكر كان يأخذ ماءه من خليج فم الخور الذى كان يأخذ مياهه من النيل هناك • والذكر أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس وكان له نصيب فى تجديد حفره • وكان على خليج الذكر قنطرة عليها دكة يجلس عليها المتفرجون • فعرفت بقنطرة الدكة • ولا يزال الاسم باقيا للآن فى هذه الجهة •

ثم هجرت البركة وأهمل شأنها • فبنيت أغلب مساحتها • وقال المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) : ولا تزال هناك بقية من تلك البركة يجتمع فيها الناس للنزهة •

ويجدر بنا أن نذكر أن كثيرا من البرك لم تكن تمتلىء بالماء طول السنة بل أثناء الفيضان فقط • ثم ينحسر الماء عن كلها أو بعضها فتزرع •

هذه البقية من بركة بطن البقرة هى التى عرفت فيما بعد ببركة

الأزبكية نسبة للأتابك (١) أزبك بن ططخ •

بركة الأزبكية :

قال ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) أن أزبك بن ططخ بدأ بعمارة الأزبكية • وكانت خرابا ذات كيمان وأرض سباخ• وكان خليج الذكر الذى يغذى البركة قد ارتدم •فحفر بعض الناس مجرى من الخليج الناصرى أوصله لأرض الأزبكية فصار يروى بعضها أيام زيادة النيل •

وكان الأتابك أزبك بن ططخ ساكنا بقرب هذه المنطقة • فخطر له أن يعمرها وينشىء مناخا لجماله وخيوله • فحرث الأرض • وجرف الكيمان وجدد حفر البركة وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر • وبنى رصيفا محيطا بالبركة • وبلغ ماصرفه على عمارتها مائتى ألف دينار •

ثم شرع الناس يبنون على حافة هذه البركة القصور الفاخرة والدور الجليلة • ومازالت العمارة تتزايد حتى سنة ٩٠١ هـ • وصارت مدينة على انفرادها وأنشأ الأتابك أزبك المذكور جامعا كبيرا • وأنشأ حول الجامع الربوع والحمامات والقياسر الربوع والحمامات والقياسر والطواحين وغير ذلك • وفى كل سنة فى موسم الفيضان كانت تنصب الخيام حول البركة• ويقع من اللهو والقصف مالا مزيد عليه •

والجامع المذكور الذى أنشأه أزبك بن ططخ كان مكانه بالقرب من مدخل شارع الأزهر • وأزيل ضمن ماأزيل فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على (القلعة) فى عهد أسرة محمد على •

الأتابك أزبك بن ططخ :

أصله من مماليك الأشرف برسباى • ثم اشتراه الظاهر

---

(١) ذكرنا فى مقال سابق أن أتابك مركبة فى كلمتين اتا بمعنى اب وبك بمعنى أمير . فيكون المعنى : أبو الأمراء . وهى رتبة لأكبر الأمراء المقدمين تقتصر على الرئاسة الشرفية فوق باقى الأمراء . وكانت هذه الرتبة احيانا تقتصر على الرئاسة الشرقية فوق باقى الأمراء . وأحيانا كان الأتابك يقود الجيوش ويدير شئون الحكم كرئيس الوزارة .

جقمق . وقربه ورقاه وصاهره فى ابنتيه مرتين . أى تزوج أزبك واحدة بعد الأخرى . وتولى عدة وظائف عالية حتى عين نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى . ثم أتابكيا فى دولة الأشرف قايتباى سنة ٨٧٣ هـ .

واستمر أتابكيا نحو ثلاثين سنة . وكان كفؤا للمهمات التى يكلف بها . وسافر فى عدة حملات عسكرية . وأظهر الشجاعة والعزم فى قتال بايزيد الثانى بن محمد الفاتح العثمانى . وقد حارب المذكور مصر فى عهد قايتباى مرتين . وهزم فى المرتين .

وتوفى أزبك فى ٢٠ رمضان سنة ٩٠٤ هـ . فى عهد الظاهر قانصوه بن قانصوه عن ٨٥ عاما . وترك ثروة طائلة . ودفن بتربة أستاذه الظاهر جقمق .

وتوفى فى نفس اليوم الذى توفى فيه أزبك بن ططخ . أمير آخر اسمه أزبك اليوسفى . كان أيضا من مماليك الظاهر جقمق . وتولى عدة مناصب كبيرة . وكان يعرف بأزبك الخازندار . وناظر الخاص . وهو صاحب الجامع الموجود بحى الصليبية بالقرب من مسجد ابن طولون . ومعروف باسم جامع أزبك اليوسفى. وتوفى وهو فوق الثمانين فى ٢٠ رمضان سنة ٩٠٤ هـ وصلى عليه السلطان بعدأن كان صلى علىأزبك بن ططخ . ودفن أزبك اليوسفى فى جامعه المذكور .

وقد خلط المرحوم على باشا مبارك بين الاثنين (الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ٦٦) . وتابعه فى الخطأ كتاب آخرون . فقد ذكرت الأستاذة سنية قراعة (مساجد وقصور ص ٢٩٣) أن فى حفل افتتاح مسجد الكخيا (على ناصية شارعى قصر النيل والجمهورية) الذى بناه عثمان كتخدا القازدوغلى والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العمائر المشهور لم يجد الأمير عثمان بك ذو الفقار له مكانا بالمسجد اذ حضر متأخرا . فذهب ليصلى فى مسجد أزبك اليوسفى القريب من مسجد الكخيا . ا هـ .

ومسجد أزبك اليوسفى بحى الصليبية وليس قريبا من جامع الكخيا . ولكن القريب منه كان مسجد أزبك بن ططخ الذى ذكرنا

أنه أزيل فى تنظيم العتبة الخضراء والرواية منقولة عن تاريخ الجبرتى : (حـ١ص١٦٨) ولكنه قال أنه رجع وصلى بجامع أزبك • ولم يزد • فلعل إضافة اليوسفى زلة قلم من صاحبة مساجد وقصور • كما أن عثمان كتخدا ليس والد عبد الرحمن كتخدا بل مملوك والده حسن جاويش •

ونضيف أن ميدان الخازندار الحالى لا يرجع اسمه الى أزبك اليوسفى الخازندار المذكور • وانما نسبة الى أحمد أغا الخازندار الشهير ببونابارته من أمراء دولة محمد على وكان قد عمر دارا عظيمة بجهة الرويعى وتوفى سنة ١٢٣١ هـ • (١٨١٦ م) كما ذكرا الجبرتى فى حوادث السنة المذكورة •

ودخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) •

وقد رأينا من قول ابن اياس (توفى سنة ٩٣٠ هـ تقريبا) أن الخيام كانت تضرب حول البركة فى موسم الفيضان مما يدل على أن العمارة حول البركة لم تكن قد تكاملت •

فبنى رضوان كتخدا الجلفى (أحد أمراء المماليك فى العهد العثمانى وكانت له ولزميله ابراهيم كتخدا القازدوغلى الرئاسة فى مصر سبع سنوات لغاية سنة ١١٦٨ هـ ١٧٥٥م) على الحافة البحرية الغربية للبركة دارا عظيمة • فوسع قطعة الخليج الناصرى بجوار قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة • وبنى داره المذكورة فأصبحت تطل على الخليج الناصرى من الجهة الغربية وعلى بركة الأزبكية من الجهة الشرقية • واتخذ له فيها مجالس لهو يجتمع فيها بالخلان والندماء والشعراء •

العتبة الخضراء أو الزرقاء

وبنى رضوان كتخدا أيضا على الحافة الشرقية من البركة دارا أخرى أصلها بيت الدادة الشرايبى • وكانت معروفة عند أولاد البلد باسم الثلاث ولية • وبالعتبة الزرقاء • ثم آلت الدار المذكورة الى طاهر باشا ناظر الجمارك فى عهد محمد على • ثم آلت الى عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على • فهدمها وأعاد بناءها وأطلق عليها العتبة الخضراء لأنه كان يتشاءم من اللون الأزرق •

ثم فى تنظيم القاهرة فى عهد اسماعيل أصبحت الدار فى وسط الميدان تقريبا . وأطلق على الميدان اسم العتبة الخضراء .

ثم أصبحت الدار المذكورة مقرا للمحكمة المختلطة عند انشاء القضاء المختلط بمصر.ثم لما احتيج لتوسعة الميدان هدمت الدار . وانتقلت المحكمة المختلطة الى مبنى أنشىء لها خصيصا فى شارع فواد (٢٦ يوليو) هو الآن مقر القضاء العالى .

ولما تزوج فاروق بالملكة السابقة فريدة (وكان اسمها صافيناز ذو الفقار فغيره الى فريدة ليبدأ بحرف الفاء مثل اسمه واسم أبيه وأسماء بناته وأخواته) أطلق اسمها على ميدان العتبة الخضراء كما أطلق على شارع عبد الخالق ثروت الآخذ من الميدان حتى شارع رمسيس الذى كان اسمه الملكة نازلى .

وبعد طلاق فاروق لفريدة أعيد لميدان العتبة الخضراء وشارع عبد الخالق ثروت اسماهما .

العلم المصرى :

ويظهر أن الميل للون الأخضر غريزى فى أسرة محمد على.فقد كان العلم المصرى لغاية سنة ١٩١٤ عبارة عن ثلاثة أهلة داخلها ثلاث نجوم بيضاء وأرضية العلم حمراء . تميزا له عن العلم التركى الذى كان هلالا واحدا داخله نجمة وبعد اعلان انجلترا للحماية على مصر سنة ١٩١٤ تغير رسم العلم المصرى الى هلال واحد وثلاثة نجوم بيضاء وأرضية العلم حمراء . فلما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فى انجلترا بالاعتراف بمصر مملكة مستقلة ذات سيادة . أمر الملك السابق أحمد فؤاد بتغيير لون أرضية العلم الى اللون الأخضر . فأصبح هلالا وثلاثة نجوم بيضاء فى أرضية خضراء . وظل هذا حتى قامت الثورة سنة ١٩٥٢

رحبة التبن ــ ساحة الحمير ــ شارع الساحة :

وبنى عثمان كتخدا جنوب غربى بركة الأزبكية جامعة السابق ذكره والمعروف بجامع الكخيا على ناصية شارعى الجمهورية وقصر النيل .

وكان موقع هـذا الجامع قـديما يعرف برحبة التبين • والاسم أقـدم من عمارة أزبك بن ططخ للأزبكية • فقـد ذكر المقريزى (الخطط جـ ٢ ص٥١ • والمقريزى توفى ٨٤٥ هـ وعمارة الأزبكية سنة ٨٨٠ هـ) رحبة التبن • وقال أنهـا الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق الى قنطرة الدكة • وقال : وكانت هذه الرحبة تقف بها الجمال بأحمال التبن لتباع هنـاك • ثم اختطت وعمرت • وصـارت بها سـويقة كبـيرة عامرة بأصناف المـأكولات • والخط يعرف برحبة التبن وقـد خـرب بعد سـنة ٨٠٦ هـ (اهـ) •

وقـد خلـدت بلدية القاهرة اسم رحبه التبن باطلاقه على شارع يبدأ من شارع الجمهورية جنوب جامع الكخيا المذكور ويتجـه غربا بجنـوب حتى شارع رشدى (الساحة سابقا) •

وكان موقع شارع الساحة (شارع رشدى باشا حاليا) ساحة للحمير • لم يذكرها المقريزى ولكن ذكرها على مبارك (الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١١٩) • ويفهم من كلام الأخير أنها كانت موجودة فى زمنه(أواخر القرن المـاضى) (١) فقال عنها أنهـا رحبة كبيرة ينصب فيها سوق كل يوم بعد صلاة العصر تباع فيه الحمير • وبه دلالون عليهم دلالة أميرية • اهـ • ولعله يعنى أنـه كان على الـدلالين ضريبة حكومية مما يحصـلون عليه من أجر الدلالة •

وخلدت البلدية اسم ساحة الحمير وان كانت اختصرته تأدبا ـ فأسـمت شارعا كبيرا باسم شارع الساحة (من أول شارع عبد العزيز الى أول شارع شريف) • ثم تغير اسم شارع الساحة الى شارع رشدى باشا حاليا •

حسين باشا رشدى طبوزاده (٢) :

رئيس الوزراة وقائمقام الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان خارج

---

(١) الخطط التوفيقية طبعت سنة ١٣٠٥ هـ . وعلى مبارك توفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م •

(٢) طبو تركية معناها نوع من السـلاح كالمضرب براسـه كرة من الحديد بهـا نتوءات مدببة بارزة • هـذا كما علمت من ابنة السفير السابق حسين رشدى •

مصر عند ما أعلنت انجلترا الحماية على مصر فى ١٩١٤/١٢/١٨ عقب قيام الحرب العالمية الأولى • وأعلنت فى اليوم التالى خلع عباس حلمى من خديوية مصر وقبول السلطان حسين كامل لهـا (وهو عم عباس حلمى) مع لقب سلطان • واختيار هذا اللقب لقطع كل صلة بين مصر وتركيا صاحبة السيادة الاسمية فى مصرحيث أن لقب حاكم مصر أصبح مثل لقب سلطان تركيا •

واحتفظ حسين رشدى وقتذاك بحق مصر • وأن اعلان الحماية ضرورة حربية • وبعد انهاء الحرب لمصر الحق فى طلب تعديل وضعها السياسى •

ولما رفضت دار الحماية البريطانية فى نوفمبر سنة ١٩١٨ التصريح للوفد المصرى - برئاسة سعد باشا زغلول - بالسفر لأوربا لعرض مطالب مصر فى مؤتمر الصلح بفرساى بباريس • كما رفضت التصريح لرئيس الوزارة بالسفر لانجلترا لتقديم طلبات للمسئولين • قدم استقالته فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٨

وأحرجت هذه الاستقالة الانجليز كل الحرج • فلم يجدوا فى مصر من يجرؤ على تشكيل الوزارة وظلت هذه الاستقالة معلقة - مع تمسكه بها • وقبلت انجلترا التصريح لرئيس الوزارة بالسفر للندن • ولكنها رفضت التصريح للوفد • فعلق رشدى سحب استقالته على التصريح للوفد بالسفر ولم تقبل انجلترا فتمسك باستقالته حتى قبلت فى ١٩١٩/٣/١ • حيث قبل محمد باشا سعيد تشكيل الوزارة التى عرفت بوزارة السبعة- نظرا لعدد أعضائها - وقوبلت هذه الوزارة بسخط شديد من الرأى العام الذى كان يرى أن تأليف أى وزارة قبل تحقيق مطالب البلاد يعتبر خيانة عظمى •

ثم عين حسين رشدى رئيسا للجنة الدستور سنة ١٩٢٢ بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ • ثم عين رئيسا لمجلس الشيوخ سنة ١٩٢٦ وتوفى سنة ١٩٢٨

شارع عبد الخالق ثروت (المناخ سابقا) :

ذكرنا أن شارع عبد الخالق ثروت تغير اسمه الى شارع الملكة فريدة ثم أعيد الاسم اليه •

ونضيف أن هذا الشارع كان اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المناخ • وقد رأينا أن أزبك بن ططخ كان مما يريده بتعمير الأزبكية أن ينشىء مناخا لجماله وخيوله • كما رأينا فى رحبة التبن أن كانت الجمال تقف فيها بأحمال التبن لتباع هناك •

وفى هذا ما يدل على التحول التجارى والعمرانى لمدينة القاهرة • فقد كانت ميناؤها النهرية أولا بالقرب من جامع أولاد عنان كما سبق ذكره• فلما تحول النيل غربا منذ القرن السادس الهجرى (١٤م) • أصبحت بولاق هى الميناء النهرية للقاهرة • وكان هناك طريق يصل من موقع بركة الأزبكية الى بولاق وقد مهد الفرنسيون أثناء وجودهم (١٧٩٨ – ١٨٠١م) هذا الطريق • وزرعوا على جانبيه الأشجار • ونجده واضحا فى الخريطة المعروفة بخريطة نابليون • يسير فى اتجاه شارع عدلى ثم ينحرف شمالا بغرب حتى يتصل بشارع ٢٦ يوليه عند أول شارع سليمان باشا • ثم يتجه الى بولاق •

وكان هذا الطريق يتقاطع هناك عند شارع سليمان باشا مع الخليج الناصرى ـ ويعبره فوق قنطرة اسما قنطرة المغربى •

شارع عدلى (المغربى سابقا) :

وكان شارع عدلى اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المغربى • نسبةالى القاضى صلاح الدين يوسف المغربى• من أعيان دولة الناصر محمد بن قلاوون • حيث أنشاء هناك جامعا وعمل فيه درسا وقراءا •وبنى بجانبه قبة دفن فيها • وكان الجامع عامرا بعمارة ما حوله • ثم تعطل لما خرب خط بركة قرموط (كما كانت تسمى الجهة هناك) • وقال المقريزى (الخطط جـ٢ ص٣٢٨) : وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره •

ولم يصح ظن المقريزى • فقد بقى الجامع للآن • وان كان قد تضاءل الى زاوية صغيرة أو ضريح فى مدخل عمارة كبيرة على يسار المتجه الى شارع سليمان باشا فى المسافة بينه وبين شارع شريف • ووجود الضريح لا يلفت النظر ولا يعرف الا اذا سألت عنه أحد البوابين •

وظل اسم المغربى للشارع حتى ١٩٣٣ • فأطلق على الشارع اسم

شارع عدلى تخليدا لذكرى عدلى باشا يكن الذى رأس الوزارة المصرية أكثر من مرة وأنشأ حزب الأحرار الدستوريين الذى لعب دورا هاما فى السياسة المصرية وفى مناوأة حزب الوفد المصرى سواء برئاسة سعد زغلول أو مصطفى النحاس .

وعدلى يكن هو منشىء القصر العظيم على النيل بجاردن سيتى الذى آل بعده لابنته الوحيدة المتزوجة لشريف صبرى خال الملك السابق فاروق (وقد توفى المرحوم شريف صبرى فى الشهر الماضى) . وقيل أن القصر بيع الى أحد البنوك الأمريكية ببضعة ملايين من الجنيهات .

بركة قرموط ـ منشأة الكتبة :

وبركة قرموط كانت بركة بين اللوق والمقس . وكانت من ضمن بستان ابن ثعلب . وقد ذكرنا الشريف بن ثعلب والمدرسة الشريفية فى مقال سابق . وأن اسمه أطلق على شارع صغير خلف البنك الأهلى بالقرب من شارع قصر النيل .

وعمرت هذه الجهة بمرور الخليج الناصرى (١) فبنى الناس على حافة البركة . وعلى شاطىء الخليج الناصرى . وأنشأ الأعيان والكبراء فيها الدور والقصور . وأحكموا البناء . وتنافسوا فى زخرفته من الداخل والخارج بالرخام والدهان بمختلف الألوان . وغرسوا فيها الأشجار . وأجروا لها المياه من الآبار .

وكان أكثر من يسكنها الكتاب . المسلمون منهم والنصارى .

وعاصر المقريزى فى شبابه فى مطلع القرن التاسع الهجرى ١٤ م . فقال (الخطط ج ٢ ص ١٦٤) :

وانى لأذكرها ومامررت بها قط الا وتبين لى من كل دار هناك آثار النعم . اما روايح تقالى المطابخ . أو عبير بخور الند والعود . أو نفحات الخمر . أو صوت غناء . أو دق هاون . ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهية عيشهم . وغضارة نعمهم .

---

(١) الخليج الناصرى حفره الناصر محمد بن قلاوون وكان يبدأ من النيل شمال موقع القصر العينى . ويسير فى اتجاه شارع القصر العينى وشارع سليمان باشا تقريبا حتى ميدان رمسيس ثم يتجه شرقا فى حى الفجالة حتى يلتقى مع الخليج المصرى قرب ميدان الظاهر .

ثم قال : ثم هى الآن موحشة خراب • قد هدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث • بعد سنة ٨٠٦ هـ فزالت الطرق • وجهلت الأزقة • وانكشفت البركة • وبقى حولها بساتين خراب •

وقال عن قرموط المنسوبة اليه هذه البركة أنه أمين الدولة قرموط مستوفى الخزانة السلطانية •

وقال فى مكان آخر أن مراكب المتنزهة كانت تمر بالخليج الناصرى حتى خليج فم الخور • وخرج الناس عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهى • الى ما بعد قتل الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧٧٨ هـ • وكان برقوق متسلطا على الحكم • فطلبت فتوى من شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى • فأفتى بوجوب المنع لكثرة ما ينتهك فى المراكب من المحرمات ويتجاهز به من الفواحش والمنكرات•فمنعت المراكب من المرور بالخليج الناصرى الا اذا كان بقصد التجارة • وظلت كذلك حتى زالت دولة الظاهر برقوق سنة ٨٠١ فأذن بدخولها • وقال المقريزى أنها مستمرة الى وقته(توفى سنة ٨٤٥ هـ)

والفتوى المذكورة كانت بناء على طلب من الشيخ محمد صائم الدهر وكان متزمتا فى تفكيره وتصرفاته وهو الذى أتلف وجوده السباع التى كانت على قناطر السباع بموقع ميدان السيدة زينب • وهى السباع التى عملها الظاهر بيبرس عند انشاء هذه القناطر على الخليج المصرى (وكان السبع كرنك أى شعار الظاهر بيبرس) • كما أنه شوه وجه أبى الهول • بحجة أنها من الأوثان وكما قال المقريزى أن هذا الفعل ظنا منه أنه من المقربات لله • وعلق على هذا التصرف بقوله : ولله در القائل :

وانما غاية كل من وصل

صيدبنى الدنيا بأنواع الحيل •

وقد خلدت البلدية اسم منشاة الكتاب الذين ذكرنا أنهم كانوا أغلب السكان حول البركة باطلاق اسم شارع منشاة الكتاب على شارع يصل ما بين شارعى قصر النيل وسليمان باشا وموازى لشارع الشواربى •

الفوالة :

وعند دخول الفرنسيين كانت هناك بركة كبيرة تسمى بركة الفوالة

تغطى جزاء كبيرا من المساحات التى ذكرناها • حدها الشمالى الى ما بعد شارع ٢٦ يوليه والشرقى موقع شارع عماد الدين والغربى تقريبا شارع سليمان باشا والجنوبى شارع رشدى (الساحة سابقا) •

وهذا جمعية من ضمن منطقة الاسماعيلية التىحصل تنظيمها فى عهد اسماعيل كما ذكرنا فى مقال سابق •

وكان ما بين بركة الأزبكية وبركة الفوالة عند دخول الفرنسيين مساكن وكان الجزء من هذه المساكن شمال جامع الكخيا سكنا للنصارى• كما كان الجزء شمالى بركة الأزبكية سكنا للأقباط • وتعبير النصارى يستعمله المؤرخون عادة للمسيحيين غير أقباط مصر •

وشارع الفوالة الآن شارع صغير يصل ما بين شارعى قصر النيل ورشدى امتدادا لشارع العوايد من شارع قصر النيل • ويلتقى بشارع رحبة التبن قبل شارع رشدى بقليل •

ويبدو أنه كانت هناك فى هذه المنطقة تجارة للفول • حيث يتفق هذا مع مناخ الجمال ورحبة التبن وساحة الحمير •

شارع عماد الدين :

وهو شارع طويل طوله ٢٥٠٠ مترا تقريبا من شارع رمسيس لغاية ما بعد شارع الناصرية بقليل • واذا نفذ امتداده لغاية ميدان السيدة زينب لكان طوله ثلاثة كيلو مترات تقريبا •

وقد قسمته البلدية من جهة التسمية قسمين : الجزء الشمالى وهو الربع تقريبا من شارع رمسيس لغاية تقاطعه مع شارع ٢٦يوليه احتفظت له بالاسم الأصلى • والجزء الجنوبى اسمته شارع محمد فريد تخليدا لذكرى البطل المجاهد•محمد بك فريد تخرج من مدرسةالحقوق سنة ١٨٨٧ وعين بالنيابة ، ثم استقال سنة ١٨٩٧ واشتغل بالمحاماه • وانضم للحزب الوطنى • وبعد وفاة زعيم الحزب مصطفى باشا كامل اختير لرئاسة الحزب • وهدد بالقبض عليه فسافر الىأوربا وظل يعمل هناك للدعاية لحقوق مصر ضد الانجليز ؟ وكان يمتلك أكثر من ٣٠٠ فدان أضاعها جميعا فى خدمة وطنه والدعاية له • وعاش فى آخر حياته فى فقر وفاته وتوفى فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ • ونقل جثمانه الى مصر • وقبره بجوار مدفن الخلفاء وكذلك السيدة حرمه •

والخلفاء هم الخلفاء العباسيون فى مصر بعد قضاء المغول على الخلافة فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ • وانتقالها لمصر سنة ٦٦٠ هـ • فى عهد الظاهر بيبرس وقبورهم بجوار مسجد ومقام السيدة نفيسة من الجهة الجنوبية الشرقية • وأطلق على الحى هناك حى الخليفة لسكناهم ومدافنهم به •

الشيخ عماد الدين :

أما عماد الدين المنسوب له هذا الشارع فهو الشيخ عماد الدين صاحب ضريح بالقرب من تقاطع شارعى محمد فريد والشيخ ريحان • وقد أخذ الشارع جانبا من الضريح وغير معروف تاريخ انشائه ولا ترجمته • ولكن به كتابه عليها تاريخ سنة ١٠٧٢ هـ (١٦٦١ م) •

وأصبح اطلاقاسم شارع عماد الدين على الجزء الشمالى من الشارع كما ذكرنا اطلاقا لا يربط الاسم بالمسمى فضريح عماد الدين فى الجزء الجنوبى من الشارع وهو المسمى محمد فريد•

الملاهى واسماء الفنانين :

وكان الجزء المسمى حاليا بشارع عماد الدين لغاية الثلاثينات من هذا القرن غاصا بأماكن اللهو والترفيه من المسارح ودور السينما والغناء والمراقص والملاهى المختلفة • حتى أنه لما أنشئت سينما رويال سنة ١٩٢٧ (محل مسرح الجمهورية بعابدين حاليا) توقع الكثيرين عدم الاقبال عليها لخروجها عن المكان التقليدى • ومع هذا فقد كانت من أكثر دور السينما ازدحاما وقصدا من الخاصة والعامة •

وتمشت بلدية القاهرة مع هذا الوضع • فأطلقت أسماء بعض الفنانين على بعض الشوارع حول شارع عماد الدين • فأطلقت اسم شارع زكريا أحمد بدلا من شارع جلال (وهو الذى به سينما كايرو الآن) وأطلقت اسم سيد درويش على حارة صغيرة خلف مسرح الريحانى الحالى كما أطلقت اسم شارع نجيب الريحانى بدلا من شارع وجه البركة وشارع وجه البركة كان الحد الشمالى لبركة الأزبكية قبل ردمها • وكان الأنسب الاحتفاظ بالاسم القديم لمعناه التاريخى • لولا أنه كان فى هذا الشارع مقر الدعارة الرسمية التى كانت تزاول بتصريح وترخيص من الحكومة • وهذا سبة فى جبين أى بلد اسلامى • فارتبط اسم شارع وجه البركة •

بهذا المعنى الغير أخلاقى • فأريد القضاء عليه •

خط مترو مصر الجديدة :

كذلك كان خط مترو مصر الجديدة ينتهى فى شارع عماد الدين عند تقاطعه مع شارع ٢٦ يوليه•ثم نقلت محطته النهائية الى شارع الجلاء بالقرب من جمعية الأسعاف • ثم بعد ثورة سنة ١٩٥٢ مد خط المترو الى محطته النهائية الحالية بشارع الجلاء بالقرب من كورنيش النيل •

شارع شريف (المدابغ سابقا) ـ محمد باشا شريف :

وشارع شريف من الشوارع الرئيسية هناك يصل من شارع ٢٦ يوليه لغاية وزارة الأوقاف • وكان اسمه قبلا شارع المدابغ •

وكانت المدابغ أصلا بجهة حوش الشرقاوى جنوبى باب الخلق • ثم نقلت فى عهد محمد على الى موقع شارع شريف • ثم نقلت فى عهد اسماعيل الى موقعها الحالى بجهة المذبح •

ومحمد باشا شريف أحد الأعلام فى تاريخ مصر الحديثة • ومن الذين عرفوا بحبهم واخلاصهم لمصر • وهو تركى الأصيل • وأبوه أحمد شريف كان شيخ الاسلام فى تركيا • فأرسل ابنه محمد شريف الى مصر ليتلقى العلوم الدينية بالأزهر • وكان أبوه أعنى شيخ الاسلام قد تلقى أيضا علومه بالأزهر •

ونزل محمد شريف برواق الأتراك فى الأزهر • ولما زار محمد على استامبول • أوصاه شيخ الاسلام أحمد شريف بابنه محمد • فلما عاد محمد على الى مصر استدعاه من الأزهر •

وضمه الى معيته • والمعية من (مع) وكان يقال المعية السنية أى من يعملون مع الأمير أو الحاكم •

وأقبل محمد شريف على العلوم الحديثة • اندمج فى البيئة المصرية واتقن اللغة الفرنسية • وأرسلته الحكومة الى استانبول عدة مرات • كما حضر مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠ مندوبا عن مصر • وتقلب فى الوظائف حتى وصل الى وظيفة باشمعاون الوالى فى عهد سعيد باشا • وهى وظيفة أقرب الى اختصاص رئيس الوزراء الحالى وهى التى حلت محل وظيفة الكتخدا التى ألغاها سعيد باشا بالأمر الصادر فى ٦ربيع الأول سنة١٢٧١هـ (١٨٥٤ م) •

وفى عهداسماعيل كان هناك مجلس يقرب من مجلس الوزراء مكون من خمسة عشر عضوا من الأعيان ويرأسه الخديوى بنفسه • وتولى محمد شريف وكالة هذا المجلس عدة مات • ثم لما اضطر اسماعيل الى انشاء حكومة دستورية ومجلس للنظار سنة ١٨٧٩ تشكلت نظارة برئاسة نوبار باشا لم تمكث غير بضعة شهور • ثم تلته ا نظارة برئاسة توفيق بن اسماعيل لم تمكث غير ١٩ يوما • ثم تألفت نضرة برئاسة شريف باشا سنة ١٨٧٩ • وكانت تسمى الوزارة الدستورية الأولى •

وكان اسماعيل قد اضطر للوعد بايجاد حياة نيابية صحيحة غير مجلس شورى النواب الموجود فاشتغل محمد شريف فى وضع الدستور •

وظلت نظارة شريف فى الحكم حتى عزل اسماعيل • وحل محله توفيق • وألف نظارة أخرى برئاسة الخديوى شخصيا • وكان توفيق يقصد من هذا حفظ المنصب لرياض باشا الذى كان غائبا فى أوربا حتى يعود فلما عاد رياض ترك له توفيق رئاسة المجلس •

وبدأت الحركة العرابية فأسقطت نظارة رياض باشا • وشكل شريف باشا نظارته الثانية فى سبتمبر سنة ١٨٨١ بناء على طلب الجيش • ثم عمل العرابيون على اسقاط نظارة شريف باشا فأحرجوه ببعض المطالب • فاستقال • وتشكلت نظارة برئاسة محمود سامى البارودى فى فبراير سنة ١٨٨٢ •

وسئم شريف باشا من الدسائس • فسافر الى أوروبا • وظل هناك حتى انتهت الثورة العرابية بكارثة الاحتلال الانجليزى • فاستدعى شريف ليرأس النظارة من جديد فى أغسطس سنة ١٨٨٢ • وقيل أنه لما حضر الى مصر ورأى آثار الاحتلال الانجليزى كان يبكى طول الطريق من الاسكندرية لمصر •وظل شريف فى نظارته الثالثة حتى استقال فى يناير سنة ١٨٨٤ •

وسبب استقالته أن الانجليز نصحوا بجلاء الجيش المصرى عن السودان بحجة العجز عن مقاومة ثورة المهدى وكان غرض الانجلترا أن يعيدوا فتح السودان مع مصر ليشاركوها فيه • فرفض شريف وقال جملته المشهورة

لو تركنا السودان فالسودان لن يتركنا وخلفه نوبار باشا فنفذ للانجليز طلبهم

وتوفى محمد باشا شريف بعدذلك بقليل في سنة ١٨٨٤ عن ٧٢ عاما • وقيل أنه مات كمدا وحسرة على حال مصر •

شارع سليمان باشا :

ومن الشوارع الرئيسية بهذه الجهة شارع سليمان باشا الذى تغير اسمه أخيرا الى شارع طلعت حرب ولكن الاسم القديم لايزال يجرى على السنة الناس وهو من ميدان التحرير لغاية شارع ٢٦ يوليه وطوله ١١٠٠ متر تقريبا •

وسليمان باشا كان عسكريا فرنسيا اسمه الكولونيل سيف • استعان به محمد على فى أنشاء وتكوين الجيش المصرى وتدريبه سنة ١٨١٩ واعتنق الاسلام واشترك مع ابراهيم باشا ابن محمد على فى حروبه فى الشام سنة ١٨٣٩ • ووصل الى رئاسة رجال الجهادية (وزير الحربية) •

وتوفى سليمان باشا فى ١٨٦٠/٣/١١ وقبره بجهة مصر القديمة •

وفى سنة ١٨٧٥ أمر اسماعيل بتقرير مبلغ ٢٥٠٠ قرشا معاشا شهريا لأرملته •

وشارعا شريف وسليمان باشا متوازيان تقريبا • وفى هذا التوازى معنى لصلة قامت بين الرجلين • فقد تزوج محمد شريف باشا ابنة سليمان باشا • ورزق منها بنتا •تزوجت عبد الرحيم باشا صبرى • فرزق منها بنتا هى نازلى التى تزوجها الملك أحمد فؤاد فى ١٩١٩/٥/٢٤ وعرفها التاريخ باسم الملكة نازلى • والدة فاروق • وكان فى تصرفها وسلوكها ما أساء الى سمعة البلاد فى الخارج • وآثار الشعب فى الداخل • ومن الأسباب التى عجلت قيام الثورة سنة ١٩٥٢ •

وكان شارع رمسيس اسمه شارع الملكة نازلى ، وأثر تصرفاتها ألغى فاروق اسمها من الشارع وجعله شارع الملكة • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ جعل اسمه شارع رمسيس نظرا لنقل تمثال رمسيس الأكبر بعد أن ظل ملقى بجهة البدرشين آلاف السنين وأقيم فى مكانه الحالى بميدان رمسيس عند محطة مصر للسكة الحديدية •

وقبل ذلك كان شارع الملكة نازلى اسمه شارع عباس نسبة للخديوى

عباس حلمى الثانى . فغيره الملك أحمد فؤاد الى اسم زوجته . وسبحان من يغير ولا يتغير وله الدوام .

شارع عبد العزيز :

وهو يصل من العتبة الخضراء الى قسم شرطة عابدين وطوله ٥٣٥ مترا تقريبا . وسمى بهذا الاسم تخليدا لزيارة السلطان عبد العزيز سلطان تركيا لمصر أثناء ولاية اسماعيل باشا الذى تولى حكم مصر فى ١٨/١/١٨٦٣

ففى أواخر مارس سنة ١٨٦٣ ــ أى بعد شهرين تقريبا من ولاية اسماعيل ــ زار السلطان عبد العزيز مصر ومكث بها عشرة أيام (من ١٧ ــ ٢٦ شوال سنة ١٢٧٩ هـ) . وكان اسماعيل باشا فى استقباله عند وصوله للاسكندرية . فقبل يده . ونزل السلطان بسراى رأس التين ومكث بالاسكندرية يومين زار فيها بعض معالم المدينة .

ثم سافر بالقطار الى القاهرة . وكانت هذه أول مرة يرى فيها السلطان القطار . فقد سبقت مصر تركيا فى ادخال السكة الحديدية . (اذ بدىء بانشاء خط مصر الاسكندرية فى عهد عباس الأول سنة ١٨٥٢ . وتم سنة ١٨٥٦ . وكان هذا أول خط سكة حديد بالشرق كله) .

وفى القاهرة نزل السلطان بقصر القلعة . وصلى الجمعة فى اليوم التالى لوصوله بجامع محمد على بالقلعة .

وصادف ٢١ شوال حفلة تشييع المحمل . فرأس السلطان الاحتفال . ومكث السلطان فى القاهرة لغاية ٢٦ شوال زار أثناء هذه المدة المتحف المصرى والأهرامات والقناطر الخيرية ومصانع القطن والحرير ببولاق . وشاهد آل البيت النبوى . ثم سافر للاسكندرية ومنها الى استانبول .

ونتيجة لتقرب اسماعيل للسلطان . ولاغراقه الهدايا على رجال الحكم فى استانبول صدر فرمان (أى مرسوم) في ٢٧/٥/١٨٦٦ بجعل وراثة الحكم فى مصر فى أكبر أولاد اسماعيل . بعد أن كانت فى أكبر أفراد أسرة محمد على . وفى سنة ١٨٦٧ حصل اسماعيل على لقب خديوى تمييزا له عن باقى الولاة فى الدولة العثمانية . وفى سنة ١٨٧٣ (ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ)

تقرر استقلال الخديوى بشئون مصر الداخلية استقلالا تاما • وله أن يعقد القروض والمعاهدات التجارية مادامت لا تتعارض مع مصلحة الدولة العلية (تركيا) ولا تناقض معاهداتها مع الدول الأجنبية وله الحق فى زيادة الجيش حسبما يشاء • وهذا فى نظير زيادة الجزية السنوية التى تدفعها مصر لتركيا الى مبلغ ٦٦٥٠٠٠ جنيه بعد أن كانت أصلا ٣٢٠٠٠٠ جنيها زيدت الى ٦٠٠٠٠٠ جنيها عند مرسوم سنة ١٨٦٧ • ثم زيدت للمبلغ المذكور سنة ١٨٧٣

وبدىء فى تنفيذ الشارع من العتبة الى عابدين فى أبريل سنة ١٨٧٠ ، وسمى بعد فتحه بشارع عبد العزيز لتخليد ذكرى السلطان وزيارته •

بعض الأسماء التاريخية فى الأزبكية :

ولو أردنا الكلام عن الأزبكية ومعالمها التاريخية التى تدل عليها أسماء شوارعها لضاق بنا المقام•ولكن نذكر باختصار والبعض منها علاوة على ما سبق ذكره •

محمد بك الألفى :

فقد كان فى الجانب الغربى لبركة الأزبكية سراى محمد بك الألفى • أحد زعماء المماليك عند دخول الفرنسيين•وكان موقعها حوالى شارع الألفى الحالى • ونزل فيها نابليون وجعلها مقرا لقيادته • وقتل فى حديقتها كليبر خليفة نابليون فى مصر • قتله سليمان الحلبى كما هو معروف •

واسم الألفى يرجع الى أنه جلب مملوكا سنة ١٧٧٥ (١١٨٩هـ) واشتراه أحمد جاويش الملقب بالمجنون • ثم باعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتيمورلنك • الذى أهداه الى مراد بك • ورد مراد بك الهدية بألف أردب من الغلال • ولذلك سمى بالألفى • ثم أعتقه وقلده كشوفية الشرقية • ثم قلدهالصنجقية (الأمارة) سنة ١٧٧٨ (١١٩٢هـ) • وتاريخ الألفى حافل بالبطولة والمغامرات فى مقاومة الفرنسيين • وبعدهم محمد على • وقال عندما حضرته الوفاة فى ١٨٠٧/١/٢٨ (قضى الأمر • وخلصت مصر لمحمد على فما ثم من ينازعه ويغالبه) • وهكذا كان •

سراى البكرى

وكان فى الجزء الجنوبى من بركة الأزبكية وغربى مصلحة البريد الحالية

فى المسافة بين شارعى البيدق وعبد الحق السنباطى الآخذ من ميدان الأوبرا ـ كانت سراى البكرى المطلة على البركة .

وكان شيخ السجادة البكرية وأيضا نقيب الأشراف . أثناء وجود الفرنسيين . السيد خليل البكرى . وكان الفرنسيون يشاركون فى الاحتفال فى داره المذكورة بالمولد النبوى الكريم . مداهنة لمشاعر الشعب . ولكنه لم يكن مرضيا عنه من الرأى العام . فبعد خروج الفرنسيين سحبت منه نقابة الأشراف وأعطيت لصاحبها الأصلى السيد عمر مكرم . كما عزل من مشيخة السجادة البكرية .

وفى التنظيم الحديث لمنطقة الأزبكية أخذت من البكرية هذه السراى . وأدخل بعضها ضمن التنظيم . وعوضوا عنها بسراى عباس حلمى الأول بالخرنفش .

عبد الحق السنباطى :

وهو اسم شارع يأخذ من ميدان الأوبرا بجوار كازينو أوبرا . والتسمية لوجود جامع هناك بهذا الاسم .

وغير معروف تاريخ انشاء الجامع ولكن ذكر على مبارك (ج ١٢ص٥٢) نقلا عن الضوء اللامع للسخاوى نبذة عن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطى . ووالده . يستدل منها أنهما كانا من علماء القرن التاسع الهجرى (ت ١٥ م) . وأن الوالد توفى سنة ٨٧٠ هـ . وأن الابن لم يعرف تاريخ وفاته . ولكنه ذكر أنه حج سنة ٨٨٢هـ ودرس بمكة والمدينة ثلاث سنوات . ثم عاد الى القاهرة . وتولى التدريس بالأزهر . وكان ثقة فى علمه وفتاواه . اهـ . ولعل عدم ذكر تاريخ وفاة الابن يرجع أنه عاش بعد السخاوى الذى توفى سنة ٩٠٢ هـ .

والسنباطى نسبة الى سنباط احدى القرى التابعة لمركز زفتى .

دار على بك الكبير :

وأنشأ على بك الكبير دارا على الحافة الجنوبية لبركة الأزبكية بدرب عبد الحق . وهى التى مات فيها . وآلت بعده الى محظيته الست نفيسة التى عرفت بالمرادية لأنها تزوجت بعده مراد بك . والست نفيسة كانت ذات مكانة كبيرة عند الفرنسيين وفى السنين الأولى من حكم محمد على (توفيت سنة ١٨١٦) .

دار المهدى :

وعند ملتقى شارع الرويعى بشارع يوسف بك نجيب الشهير بشارع البواكى يوجد شارع صغير يتجه شرقا اسمه شارع المهدى الخصوصى • لأنه هناك كانت دار للشيخ محمد المهدى الحفنى على الحافة الشرقية لبركة الأزبكية • وهو جد الشيخ محمد المهدى العباسى شيخ الأزهر فى عهد اسماعيل • والذى كان على يده أول اصلاح للأزهر سنة ١٨٧٢ بتحديد مدة الدراسة وترتيب الامتحانات وتقرير مرتبات ومزايا العلماء وغير ذلك •

والمهدى الكبير كان أصلا نصرانيا واسمه هبة الله بن ابيفانوس • وأسلم وهو صغير على يد الشيخ محمد الحفنى شيخ الجامع الأزهر (توفى سنة ١١٨١ هـ = ١٧٦٧ م) وانتمى اليه • ثم ألقى دروسا فى الأزهر • وتزوج من بنت الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية • ورزق منها بابنه محمد أمين والد الشيخ محمد المهدى العباسى المذكور •

وفى زواج الشيخ محمد المهدى الحنفى بابنة الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية فى وقته • وفى وصول حفيده الى مشيخة الجامع الأزهر مايدل على التسامح الطبيعى فى نفوس المسلمين • وسماحة القاعدة أن الاسلام يجب ما قبله • فلم تمنع سابقة النصرانية بالنسبة للأول من مصاهرة شخص ذى مركز دينى ممتاز • كما لم تعق الثانى عن الوصول الى أكبر المراكز الدينية •

ولعب المهدى دورا هاما قبل وأثناء وجود الفرنسيين • وكون ثروة طائلة • واتسع نفوذه • كما تداخل مع محمد على ومساعده على ابعاد ونفى السيد عمر مكرم • وكافأه محمد على بنظر أوقاف ضريح الامام الشافعى ووقف سنان باشا الخير فضلا عن مبلغ كبير من المال وذلك نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر مكرم • كتعبير الجبرتى •

وطمعت نفس المهدى لمشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ عبد الله الشرقاوى سنة ١٨١٢ • ولكن محمد على تخطاه وعين الشيخ محمد الشنوانى • وكان رجلا فقير الحال يلقى دروسه بالجامع الأفخر (الفاكهيين) بالعقادين • وبعد

الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل . حتى أنه كان يكنس المراحيض أيضا . وكان زاهدا فى وظيفة مشيخة الأزهر . وتغيب هربا منها . ولكن هكذا كان . ولم تغيره الوظيفة بل ظل ولائه للجامع الأفخر يباشر عمله السابق به .

وتوفى المهدى سنة ١٨١٥ بدار كانت له بالكحكيين . ونقل جثمانه الى داره الكبرى على شاطئ الخليج بالقرب من جامع البنات . ومن هناك شيعت جنازته .

تنظيم الأزبكية فى العصر الحديث :

قال على مبارك (جـ٣ ص ٦٧) أن مساحة البركة كانت ٦٠ فدانا . وأنها ظلت الى مدة نظارته على نظارة لأشغال فجرى تنظيمها . أما المناخ فقد أصبح مكانه اللوكندة الخديوية (فندق شبرد الذى احترق ضمن حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ وأنشئ بدله فندق شبرد الحالى بجاردن سيتى على النيل) . كما هدم جامع أزبك عند تنظيم ميدان العتبة وفتح شارع محمد على (القلعة) وكان موقع الجامع بالقرب من مدخل شارع الأزهر الحالى (تخطيط القاهرة المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب).

وفى سنة ١٨٦٤ ردمت بركة الأزبكية بعد ما يقرب من أربعة قرون منذ حفرها أزبك بن ططخ سنة ١٤٧٥ م .

وأنشئت حديقة الأزبكية . ووضعت فيها الجبلايات الصناعية . وزرعت فيها الأشجار النادرة وكان تنسيقها بمعرفة المهندس باريك بك . وهو الذى نظم بساتين الأورمان وسراى الجيزة .

وأنشئ فيها مسرح الكوميدى . وفى ١٨٦٩ أنشئت دار الأوبرا التى احترقت سنة ١٩٧٢ . وفى سنة ١٨٧٣ اقيم تمثال ابراهيم باشا . وتكلف عمل التمثال بمعرفة المثال كورديه ١٥٤٣٠ جنيها ، كما تكلفت قاعدته ٢٨٦٠ جنيها . وفى سنة ١٨٩٩ أنشئ فندق الكونتننتال .

وكان لجنينة الأزبكية سور ضخم من الحديد . وبكل جانب من السور باب . وسميت الشوارع المواجهة لهذه الأبواب باسمها . وبعض هذه الأسماء باق للآن . فشارع الباب

الشرقى يواجه موقف الأوتوبيس الحالى بنهاية شارع ٢٦ يوليو • وشارع الباب البحرى يصل الى شارع نجيب الريحانى (وجه البركة سابقا) وكان به دار التمثيل العربى أحد المسارح القديمة •

وكانت مساحة الحديقة ٢١ فدانا (٣٥٠ مترا × ٢٥٠ مترا) تقريبا • وكانت تذهب فرقة موسيقى الجيش الى الحديقة يومى الجمعة والأحد من كل أسبوع فتعزف أناشيد ومارشات ساعتين بعد العصر للترفيه عن الجمهور • وكان دخول الحديقة وقتذاك برسم معين أكثر قليلا من رسم الدخول فى الأيام الأخرى •

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ رفعت الأسوار وأبيحت الحديقة للجمهور بدون مقابل • وأقيمت فيها مقاهى كما أقيم فى جانب منها مسرح العرائس ومسرح ٢٦ يوليو • أما مسرح الأزبكية فقد كان موجودا من قبل وكانت تديره شركة مصر للتمثيل والسينما احدى شركات بنك مصر • وكان بجانب مبنى المسرح ساحة تستعمل لزحلقة القباقيب (باتيناج) شتاء • وتستعمل صيفا سينما فى الهواء الطلق •

وبعد حريق القاهرة امتد شارع ٢٦ يوليو فاخترق الحديقة وقسمها قسمين • وكان لى شرف تقديم هذا الاقتراح • ونشرته مجلة المصور وقتذاك • وكان من ضمنه أن يمتد شارع ٢٦ يوليو حتى يتصل بشارع الجيش (فاروق سابقا) • مع اقتراحات أخرى لا محل هنا لذكرها •

وبتنظيم الأزبكية أصبحت المنطقة هى صرة المدينة فيها كبرى المحلات التجارية والمصارف المهمة • كما تركزت فيها وسائل اللهو والترفيه • ولم تقل أهميتها مع تقدم العمران واتساع المدينة • فلا تزال قلبانابضا بالحركة والنشاط ؟

محمد كمال السيد محمد

محمد رسول الله

للأستاذ أحمد عثمان المراغي

صحا الكون لما سيد الخلق كبرا　　فأرهب بالتكبير كسرى وقيصرا
أطل على الدنيا فأشرق وجهها　　وأذن بالتوحيد فى عالم الورى
به عالم الأملاك دوى مرحبا　　وبيض وجها للبرية أغبرا
هو النور للدنيا فقد جاء ساطعا　　وأشرق فيها منذرا ومبشرا
لقد فكر الهادى فلم ير غاية　　لمن حسبوا الدنيا هوى وتندرا
تنحى عن السمار متخذا له　　(حراء) سميرا حيث يعكف أشهرا
يروح ويغدو فى التفكر خاشعا　　ويضحى ويمسى باحثا متدبرا
رأى عبرا ملموسة واقعية　　تدل على ذات بها الكون دبرا
رأى العالم الأدنى على الأرض ساجدا　　يرنم باسم الله • لله ذاكرا
وللريح والأمواه والسحب منة　　على الخلق والمتن من هو ياترى ؟
رأى كل شيء فى الوجود مؤكدا　　وجود اله لاشريك له يرى
رأى الحق كل الحق فى صيحة لها　　دوى من الأعماق بالله كبرا
رأى آية للنيرين كما نرى　　رأى لهما سيرا قويما مقدرا
رأى الشمس تجرى حيث لاينبغى لها　　بأن تدرك البدر الذى قد تكورا

ولم ير ليلا سابقا لنهاره نواميس كون شأنها لن يحيرا
وينزل وحى الله بالحق ملهما أن اقرأ باسم الله قولا ميسرا
ان اقرأ رسول الله ما أنت سامع أن اقرأ وأذن داعيا ومبكرا
فأنت امام الأنبياء ورائد لكل رسول من أولى العزم بشرا
وهذا الذى يوحى اليك مناهج سماوية آياتها لن تغيرا
فبلغ وبين واتل آيا مفصلا وجادل بحسن القول الذى افترى
رسالتك الاسلام دين ودولة وشرعك شبرع الحق وحيا مفسرا
ونصرك مكفول من الله دائما فقم وانشر الايمان حرربه الورى
وحطم قيود الذل وارفع الى العلا شعارا لعدل الله أنصف به القرى
وهذا هو الاسلام فى الكون ساطع يشع بنور اله من شامخ الذرى

احمد عثمان المراغى

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **المرأة فى التصور الاسلامى :**
للأستاذ عبد المتعال الجبرى

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة يقع فى زهاء مائة وتستعين صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة على جانب من الأهمية ، وبخاصة فى هذه الأيام التى تتقاذف المرأة المسلمة فيها تيارات ماأنزل الله بها من سلطان . فالمؤلف يؤكد فى مقدمته أن الجمهرة من المنتميات الى الاسلام ، لايتفق ظاهرهن والاسلام الذى ينتمين اليه. ومرجع هذا - فى نظره - الى عوامل تنتهى الى الجهالة بالصورة المتكاملة للاسلام ، وللمسلمة ، وللبيت المسلم وللمجتمع المسلم..ومن ثم كان لزاما على المفكرين الاسلاميين ، أن يقدموا الصورة المتكاملة للمرأة المسلمة ، فى التصور الاسلامى ؟ فى العقيدة والسلوك . فى التعليم والثقافة .. فى الحياة الزوجية .. فى الدعوة الى الاسلام .. بل فى مواجهة الأقلام المنحرفة عن الهدى الاسلامى .

المؤلف يجعل دراسته فى سبعة فصول : العقيدة .. وهو بحث شامل عن العقيدة من الاعتقاد بوجود الله ووجدانيته حتى البعث والنشور .. ثم السلوك .. ثم تعليم المرأة .. بحث عن علاقة الاسلام بتعليم المرأة، تعليمها فى العصرين الأموى والعباسى .. ماذا تتعلمه الفتاة .. ثم لله الزفاف .. ثم حقوق الزوج أو واجبات الزوجة .. ثم حقوق الزوجة أو واجبات الزوج . وهو بحث مقارن بين وضع المرأة فى الاسلام ، ووضعها فى الحضارة الاغريقية ، والصينية ، والبوذية ، والهندوسية ، واليهودية والمسيحية ؟ ثم الفصل السابع والأخير : صورة البيت المسلم .. عرض فيه المؤلف للثقافة والقوامة والهدوء ، وتوقى

الحرام والشبهات ، وعفة القلب والجوارح ومضار التبرج ، وحسن التدبير المنزلى ثم اختيار الزوج أو الزوجة على أساس التدين •

وبعد •• فالذى لاريب فيه أن المؤلف أمتعنا بدراسة قيمة عن المرأة فى التصور الاسلامى ، كتبها بأفق واسع ، وعمق بالغ ؛ لكن القارىء كان يتوقع من مؤلف وكاتب اسلامى له وزنه ، أن تكون دراسته عن المرأة فى التصور الاسلامى دراسة مواجهة تهتم بجانب المقارنة » كما رأينا فى الفصل السادس : حقوق الزوجة أو واجبات الزوج ، ولم نره فى بقية الفصول ••فالاسلام اليوم – فى مجال المرأة – يواجه تحديات كثيرة • فى شكل شبهات تثيرها أقلام أجنبية التفكير ، وان كان حملتها من المنتسبين الى الاسلام بحكم شهادات الميلاد ليس الا كذلك قد يرى القارىء فى الفصل الأول « العقيدة » دراسة قيمة طيبة . لكنه يرى فى نفس الوقت أنه أقحم اقحافا على موضوع الدراسة ، اذ ليس ، فيه مايتصل بالمرأة سوى مسألة العورة » وهى مسألة كان من الممكن ضمها الى الفصل الثانى « السلوك » •

انها مجرد ملاحظات عابرة لاتقلل من أهمية الدراسة القيمة التى هى جديرة بكل تقدير •

* * *

● القضاء فى الاسلام
للأستاذ ابراهيم نجيب محمد عوض

هذا الكتاب الذى نشره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف، يقع فى زهاء ٢٩٠ صفحة من القطع الكبير » وهو دراسة شاملة عن القضاء مع الاسلام « تاريخه ونظامه جاء الكتاب فى بابين كبيرين الأول عن تاريخ القضاء فى الاسلام وهو فى سبعة فصول معنى القضاء » القضاء عند العرب فى الجاهلية •• فى عهد الرسول والخلفاء •• فى الدولة الأموية فى العصر العباسى الأول والثانى ودولة الأندلس •• فى مصر حتى الحكم العثمانى •• ثم منذ الحكم العثمانى حتى الغاء المحاكم الشرعية•

أمـا البـاب الثـانى فعن النظـام القضائى فى الاسلام . وهو فى خمسة فصول : النظـام القضـائى فى عهـد الرسول والخلفاء .. توليه القضـاة وعزلهـم .. اختيـار وواجبـاتهـم ووسـائل الاثبات .. حكم القـاضى وعلاقته بالتنفيذ .. ثم القضاء بمعنى الحكم ..

وبعد ـ فلا شك فى أن المؤلف قدم لنـا دراسـة شاملة وموجزة فى نفس الوقت عن القضاء فى الاسلام تاريخـه ونظـامه .. وهـو جهـد مشكور ، اذ استطاع المؤلف أن يلم شـتات الموضوع فى دقة وأمانة من بطون التراث الاسـلامى ، كـذلك امتازت الدراسة بمنهجينها السليمة ، واذا كان المؤلف قد التزم فى دراسته بالعنوان الذى اختاره للموضوع الذى عرض له .. فقد يرى القارىء فى الدراسـة أنهـا دراسـة عادية ، ان متطلبات العصر الذى نعيشه .. هـو أن نعنى بالدراسـات المقارنة ، حتى نبرز قيمة الاسلام فى قضائه ، واذا كان الباب الأول من الكتاب الخاص بتاريخ القضاء فى الاسلام لا يتسع كثيرا للدراسة المقارنة ، فان فى الباب الثانى من الكتاب الخاص بنظام القضاء متسعا لمثل هذه الدراسة .

● الطريق الى الله
للدكتور عبد الرحمن عميرة

هــذا الكتـاب الذى نشرته دار الاعتصام بالقـاهرة للمؤلف المدرس بكلية أصـول الدين بأسـيوط .. خطرات سريعة تقع فى ٤٨ ص من القطع المتوسط » لكنها خطرات قيمة فى أسلوب حوارى جيد مقنع يحتاج اليها اليوم شبابنا المسلم الذى تتناوشه الأفكار المستوردة من كل مكان .

عرض المؤلف فى هذه الخطرات للهجرة الى الله .. انهـا هجرة عن طريق المجـاهدة والعبادة الخالصـة ، والعمل المتواصـل .. كمـا عرض لشـبابنا المسـلم فى أفكار المستوردة يرى فى شـبابنا أقساما ثلاثة : قسما يرفض العقيـدة ، وقسـما يقبلهـا باخلاص ، وقسما هو مسلم بالتبعية ، يضاف الى جملة المسلمين عن طريق الاحصـاء العام . ثم عـرض لمجتمع الصـلاة .. أنه مجتمـع لا يعـرف الغربة .. فالصلاة أقرب السبل الى التعارف .

الحق أنها نفثات قلم مؤمن ... وفكر متأصل .. وروح وثابة .. موجهة الى شبابنا المسلم الذى لا يزال حائرا..لعله يهتدى الى الطريق .. الطريق الى الله .

● اذا بليتم فاستتروا .. !

انه خبر صغير قرأته فى جريدة الأخبار القاهرية يقول :

مصر والكويت ستتبادلان سهرة رمضانية تشمل الغناء والرقص الاستعراضى والمنولوج والابتهالات فى كل منهما .. السهرة التى تقدمها مصر والكويت تتضمن أغنيات لأم كلثوم ، وعبد الحليم حافظ ، ومحرم فؤاد وعفاف راضى ولبلبة وصباح وفرقة رضا .. هذه السهرة ساعة ونصف ساعة . وتخرجها عائشة مدكور وتقدمها منى جبر . . هذا ما تقدمه مصر الاسلامية .. بلد الأزهر الشريف فى رمضان .. الا يحق لنا أن نخجل ؟ والا حق علينا قول الرسول صلوات الله عليه : « اذا لم تستح فاصنع ماشئت ..!!

● قراءات :

ان اليهودية العالمية حين عجزت عن سلب الأموال من الجيوب .. اخترعت الشيوعية الحاقدة لتصب الأموال فى خزائن الدول .. ثم تستولى عليها عن طريق القروض والمشروعات الفاشلة .. ومن ثم تكرس الدول ميزانيتها لسداد ربا الديون .. وتبقى الديون كما هى قيدا جديدا فى رقاب الأمم .. ان اليهود هم أصحاب الأموال فى الدول الرأسمالية .. وهم الشيوعيون فى الدول الشيوعية .

مجلة الاعتصام

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى[١]

تقديم الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

وتجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

السؤال :

مقدم من المواطن صادق سيد أحمد غنيم من بلدة ميت موسى محافظة المنوفية الى مكتب الفتوى بالأزهر الشريف .

السؤال رجل قال لأمه بعد وفاة زوجها أنا أنفق عليك بشرط أن تعطيني ما تملكيه أولا فأعطته ما طلب وأنفق عليها بعد ذلك هل له جزاء بر الوالدين ؟

نرجو التكرم بالقاء الضوء على هذه الفتوى وكان الشرط سابقا للعطاء هل جزاء الوالدين الافادة بحكم الشرع فى ذلك .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد : فنفيد بأن نفقة الأم الفقيرة واجبة على أولادها المرسرين بدون مقابل ويفهم من السؤال أن الابن أخذ من أمه مبلغا كبيرا من المال قد يكفيها زمنا طويلا فيجب على هذا الابن أن يعطيها ماأخذه منها لتنفق منه على نفسها فاذا نفد وجبت عليه نفقتها واذا ماتت وبقى منه شىء كان له وللورثة جميعا « ما فضل من تكاليف الوفاة حسب العرف الشرعى والله أعلم .

السؤال :

السؤال من رضا حافظ الكردى يسأل عن مايأتى :

توفيت امرأة وتركت منزلا ولها ورثة هم :

ولدان أحياء ؟ وأنثى ؟ ولها ولدان توفيا قبلها وكذلك لها بنت توفيت بعد وفاة أمها ولهذه البنت زوج .

فهل للأولاد المتوفى أبوهما قبل وفاة أمهما نصيب فى الميراث وأحد

الأولاد المتوفين له أولاد اناث فقط وله اخوة أشقاء فهل للاخوة الأشقاء نصيب فى الميراث مع الأولاد البنات وما نصيب كل فى الميراث ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بأن فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة بمقدار الثلث فتقسم التركة ثلاثة أجزاء جزء منها وصية واجبة لأولاد الابنين المتوفين لكل أولاد ابن النصف فتعطى بنت الابن المتوفى السدس ويقسم السدس الآخر على ولدى الابن الثانى المتوفى وليس من حق الأشقاء أن يأخذوا شيئا من نصيب أولاد الابنين المتوفين ثم يقسم الثلثان على الأحياء من الورثة للذكرين والأنثيين تعصيبا للذكر ضعف الأنثى ثم يقسم نصيب البنت التى توفيت نصيب أمها على ورثتها وهم زوجها والاخوة الأشقاء الموجودين بعد وفاتها للزوج النصف والباقى للاخوة الأشقاء تعصيبا والله أعلم .

السؤال :

من السيد / محمود نعمان حسن الشامى :

أريد الزواج من فتاة ولكن لى ابن رضع من أم الفتاة التى أريد الزواج من ابنتها فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرضاع المحرم في مذهب الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .

وحيث أن هذا الرجل لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الرجل فيجوز لهما الزواج ولا عبرة بأن ابنه رضع من أم الفتاة هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال :

من السيد / محمد عرفه محمد :

بكر بالغ وكلت رجلا فى تزويجها من شخص آخر معين بمقتضى توكيل محرر وموقع منها عليه ثم أنه بمقتضى هذا التوكيل ذهب الوكيل الى المأذون مع الزوج وقد أجرى العقد على يد المأذون فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذا الزواج بمقتضى توكيلها وهى من أهل التوكيل وقد أجرى الوكيل العقد بمقتضى هذه الوكالة أمام شاهدين مسلمين فيكون العقد صحيحا شرعا ولا شىء فيه والله تعالى أعلم .

السؤال :

من أحمد رأفت يسأل عن :

شاب تقدم لخطبة ابنة عمه وبعد الرضا والقبول قدم لها شبكة ذهبية ثمينة واستمرت الخطبة ثلاث سنوات حتى تتم دراستها الجامعية ثم قدم لها فى هذه المدة عديدا من المشغولات الذهبية والملابس وغيرها كما قدم لوالدها مقدم الصداق المتفق عليه ثم حدث سوء تفاهم قام على أثره والد الخطيبة بفض الخطبة .

والمطلوب الآن معرفة رأى الشرع فيما يلى :

١ – استحقاق الخاطب لمقدم الصداق من عدمه والرفض من جانب والد الخطيبة وبموافقتها .

٢ – من يستحق ما قدم للخطبة من الشبكة والأدوات المنزلية ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب :

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فنفيد بأن الشبكة تعتبر جزءا من المهر وحيث لم يتفقا على العقد فتكون الشبكة من حق الزوج وكذلك مقدم المهر وكذلك ما قدمه من أدوات لمنزل الزوجة والله أعلم .

عبد الفتاح الزيات

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

● **احتفال الأزهـر باحيـاء ذكرى العاشر من رمضان :**

أقامت مشيخة الأزهر احتفالا باحياء ذكرى العاشر من رمضان والانتصار فى معركة العبور .. وشهد الاحتفال الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية، والفـريق محمـــد على فهمى رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، وقادة الأسلحة الرئيسية ، وعدد من الضباط والجنود ، وعـدد من طلبة الكليـات العسكرية .

وألقى فضـيلة الدكتـور محمـد عبدالرحمن بيصار وكيل الأزهر كلمة حيا فيها انتصـار الجيش الباسل فى حرب العاشر من رمضـان ، وهاجم بشدة المشككين فى اتفاق فصل القوات الثانى على جبهة سيناء ، كما هاجم أيضا محترفى البيانات المضللة .

ثم ألقى فضيـلة الدكتور محـمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر كلمة وجـه فيها التحية من الأزهـر الشريف لرجـال القـوات المسـلحة ، وحيا انتصار الجيش فى حرب العـاشر من رمضـان بقيـادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات، وأشـاد بالدور الذى قام به الرئيس السادات لرفع رأس الأمة العربية .

● **زيارة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر لدبى والسعودية :**

قام فضيلة الامام الأكبر الدكتـور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر خلال شهر رمضان بزيارة لدبى حضر خلالها افتتاح البنك الاسلامى الذى سيجرى التعـامل فيه طبقـا لأحكام الشريعة الاسلامية ، والقى فضيلته سلسلة من المحاضرات هناك ، ثم قـام من دبى بزيـارة للمملكة العربية السـعودية

حضر خلالها مؤتمر المسجد الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

● مؤتمر المسجد بمكة المكرمة :

عقد بمكة المكرمة مؤتمر رسالة المسجد الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى هناك ، وذلك فى يوم ١٥ من رمضان ١٣٩٥ هـ ٢٠ من سبتمبر ١٩٧٥ م وافتتحه الأمير فواز بن عبد العزيز أمير مكة نائبا عن جلالة الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية ، وحضر المؤتمر وفود من علماء المسلمين ومفكريهم لتمثيل الدول الاسلامية المختلفة .

ومثل مصر فى المؤتمر وفد يضم فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وفضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر العربية ، وعدد من المفكرين وأساتذة الأزهر .

وناقش المؤتمر دور المسجد ورسالته والعودة به الى سيرته الأولى فى الاسلام .

● احتجاج رابطة العالم الاسلامى بمكة على رسم خيالى لأبى بكر الصديق :

احتجت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة على ماقامت به مجلة (وورلد اوف وندر) اللندنية من رسم خيالى على احدى صفحاتها يمثل الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وأهابت الرابطة بجميع المسلمين فىالعالم لتقديم الاحتجاج .

ونص الاستنكار الذى نشرته الرابطة فى مجلتها فى العدد السابع يوليو وأغسطس ١٩٧٥م هو :

(استنكرت الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة بشدة العمل الشنيع الذى أقدمت عليه مجلة (وورلد أوف وندر) اللندنية ، حيث رسمت على احدى صفحاتها خيالا يمثل الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

وأهابت الرابطة بجميع المسلمين فى العـالم لتقديم الاحتياجات الصـارخة لمدير هـذه المجلة لقيامه بمثل هذا العمل الشائن الذى يعتبر اساءة كبيرة لشـخصية الصـديق خليفة المسلمين الأول ، كمـا يعتبر اسـاءة للتـاريخ الاسلامى كله) •

● **من توصـيات الملتقى التاسـع للفكر الاسلامى بتلمسان بالجزائر :**

أصـدر الملتقى التاسـع للفكـر الاسـلامى الذى عقـد بتلمسـات بجمهـورية الجـزائر الديمقراطيـة الشـعبية فى يوليو المـاضى عددا من التوصيات ومن أهمها :

١ ـ دعوة البلاد الاسلامية لانشاء مصرف اسلامى فى كل منها تقـوم معاملاته على غير النظرية الربوية •

٢ ـ دعوة البـلاد الاسـلامية الى انشاء مؤسسـات للزكاة فى كل منها تتـولى جمـع الزكاة وانفاقهـا وفق الأحكام الشرعية •

٣ ـ حث الدول الاسلامية الغنية على منـح الدول الاسـلامية النـامية قروضـا بلا فوائد لتنفيذ مشـاريعها الانمائية والعمرانية •

٤ ـ تعليم اللغـة العربية ونشرها فى العالم الاسـلامى باعتبـارها لغة القرآن الكريم والسنة •

٥ ـ ان يتجـه الفن والأدب الى شحذ العزائم وتعزيز الاخلاق وصقل الذوق الجمالى وتأييد القضايا العادلة فى العالم الاسـلامى عموما وقضـية فلسطين خاصة •

● **شروط الالتحاق بقسم الصحافة والاعلام الاسلامى بجامعة الأزهر :**

وافق مجلس كلية اللغة العـربية جامعة الأزهر على شروط الالتحاق بقسم الصـحافة والاعلام الاسـلامى الذى تم اعتماد انشائه بالكلية ، وذلك بان يقبـل بالقسم الحاصـلون على الثـانوية الأزهرية بقسـميها بشرط الحصـول على ٦٥٪ فى مادة اللغـة العربية مع النجاح فى اللغة الأجنبية ، وكذلك حملـة الثانوية العـامة بعد النجـاح فى السـنة التأهيلية بنفس شروط الالتحاق بالثانوية الأزهرية ،

كما وافق مجلس الكلية أيضا على تشكيل لجان وضع المنهج للقسم وهيئة التدريس ومواد الدراسة وستعرض موافقات مجلس الكلية هذه على مجلس الجامعة للمناقشة والموافقة على ما يستقر عليه الرأى •

صرح بذلك الدكتور ابراهيم نجيب مراقب عام شئون الطلاب بجامعة الأزهر •

● افتتاح مسجد بمطار أورلى بفرنسا :

تم افتتاح مسجد بمطار أورلى بفرنسا ، وقامت رابطة العالم الاسلامى بارسال هدية الى مكتبة هذا المسجد مكونة من عدد من نسخ القرآن الكريم ومجموعة من ترجمة معانية باللغتين الفرنسية والانجليزية ومجموعة من الكتب الاسلامية •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٢١٧١ س ١٩٧٥-٩٠٠٢

the conditions of the Caliphate should be fulfilled by whoever would claim it so that his claim may be sound and be established.

This situation will arise where the difference is over claims for the Caliphate. Should the difference stem from local prejudices consequent upon the expansion of the Muslim state's territory, this should not impede all the lands being regarded as one state. It does not behave the Muslims to render such differences conducive to strife or wrongful regional bias among them.

(to be Continued)

bring all the subjects under one legal system unles spec al status is granted to certain communities in some dealings including marriage and divorce. This grant, however, should be liable to be withdrawn at such time as the state authorities so desire. It used to be accorded by the Islamic State as religious freedom, but if such a privilege develops into fetters upon the state sovereignty, it must be abolished.

European states would not allow such privileges in so far as concerns civil status of family affairs in these countries which are deemed to constitute part of the public order. If a woman gets married in Britain according to the Muslim Code, the marriage contract will not be deemed to be valid nor would the state recognise it. The same applies to many other countries where marriage on terms other than those of the Christian faith is not respected. Marriage under the Muslim code is also not respected even though both parties be Muslim.

We would not, however, recommend the Muslim contries to follow the same practice. We should rather maintain religious freedom under Islam as established by our Muslim predecessors.

The sovereignty of the Muslim state is established in its territories if Islam has one state through which the Islamic unity is achieved. Two points should, however, be observed in this regard ; First that in legislation the power of the Muslim State is not absolute ; it is rather restricted by the stipulations of the Quran and the Prophet's traditions, and no legislation to the contrary of these stipulations, should be enacted. This, however, does not at all clash with sovereignty, for the fact that a ruler is bound by an inviolable constitution which would not reflect on his sovereignty ; second will sovereignty disputed now that the Muslims have been divided into various countries with each having its own king or head of state ?

In reply to this we would say that Muslims had been used to have a Caliph whose authority reigned supreme no matter whether he was strong or poor. If the difference over sovereignty arises from each state claiming to be the seat of the Caliph, we state that a majority of scholars had given the view that there could be only one Caliph and as such, some, if not all, of those who have claimed the Caliphate have a false cause.

According to Zayed ibn Aly Zein Al-Abedin, saliphs could be numerous if this be deemed to be in the interests of Muslims, but the view of the majority should have the upper hand, however, to ensure that the Caliphate shall bring all the Muslims together. However,

culded a peace treaty with the people of Nubia whereby he pledged to ensure their safety, to protect their independence and to exchange trade with them. He levied no money for these privileges. The same was done by Moawieh with his contry folk ; he concluded a peace treaty with them that established their internal sovereignty.

It goes without saying that countries which enjoyed this type of covenants cannot be considered lands of war ; the question is whether they should be deemed lands of Islam or merely land of appeasement. Some scholars held the view that they are lands of Islam for the Muslims are the people of the Sunna. Al-Shafei and Muhammad ibn Al-Hassan would call it a third land, the land of covenant, and make it a land of Islam in certain circumstances and not in others. In his book 'Al-Seyar Al-Kabeer' — Muhammad ibn Al-Hassan said, "The criterion determining the nature of a certain land is the sovereignty and power of the rule (meaninig the Islamic Rule). Should the rule be one of appeasants, Should the rule be that of a sovereign power in another land, none among the first land's people shall be treated according to the rules of appeasement".

It follows that Muhammad ibn AlHassan puts forward the supposition that the people of the covenant or the appeasement could be subjected in their government to another state that does not come under the category of covenanted countries. He then lays the rule that in the event of sovereignty and power being held by the people of the land that appeased, such land should be deemed a land of covenant ; if on the other hand, the power and the sovereignty be for another state, neither of them should be deemed a covenanted country unless it is covered by a covenant.

We may now safely say that a covenanted state cannot be a land of war but is not deemed as alien to a land of Islam and is governed by some of the latter's rules though it has an independent entity of its own.

Sovereignty

This is a technical term commonly used in International law Books. It denotes a situation where the power of a state is original and not derived from another state, and that such power should cover all parts of the state — however numerous the elements and the religions in it, and however extensive its area may be.

The sovereignty of the state has thus two aspects : one external which consists in the regulation of international relations on a basis of independence that is not shared by any other state, and the other the spread of the power of the state within its territory so as to

panions, we come across two categories of land which do not come under the definition of either the land of Islam or the land of war. These are :

a) The lands where no Muslim sovereighty is established, or aggrestion feared to be launched. Such category of land should be deemed as non-belligerent as it comes under those who kept aloof and desisted from attacking the Muslims as the Quranic text goes.

b) The second category is that of non-contiguous land. This also should be regarded in the same light as the first category unless there be aggression, or support for the enemies of Islam.

We have already stressed the point that contiguity was not essential for aggresion to be launched, for aggression could still take place without contiguity. Remote lands on the other hand would prevent Muslims to send preachers who would guide their peoples and call for Islam. If there be aggression by them they should be deemed as aggressors, their fight will be justified and their land deemed a land of war on the strength of actual act and not by imagination.

Land of Covenant :

This category of land is a fact rendered necessary by the exigencies of academic research and established in practice. For there existed tribes and states having respectable covenants and sovereignty in their lands, which did not fully come under the influence of Muslims, and Muslims had no power in managing their affairs except in so far as concerns the redressing of wrongs and injustices.

These countries had concluded covenants with the Muslims either before any decision to conquer them or at the outest of fighting. They had been offered the choice between Islam, a covenant or war, and chosen a covenant upon conditions that varied in power according to such terms as more agreed upon by the two parties in the light of the strength or otherwise of such lands, and the extent of their need for Muslim support.

A covenant may be pledge of protection against certain payment as was the case with the Prophet's covenant with the Christians of Najran, and that between Leader Abu Obayda Amer ibn Al-Jarrah with the people of Hims (Emesa). The latter covenant embodied a pledge of protection for the people against the payment of a tribute (Jizyah). It happened, however, that the Islamic army, having been weakened by pestilence, was unable to check the Roman invasion whereupon the faithful commander whom the Prophet called the Honest one, returned the money back.

Under Uthman's rule, Egypt's Wali, — Ibn Abi Al-Sarh — con-

be deemed lands of war nor should the territory beyond them be regarded as such even though the Muslim ruler has no sovereignty or power over them. The same rule applies to seas surrounding Muslim land ; neither these seas nor the terrtories beyond them should be treated as land of war.

c) That neither Muslims nor the people of the Book who are considered Muslim subjects, sohuld remain in the land under the protection of the first Muslim assurance which had enabled the Muslims to live in it. Applying this condition we find that a land which the Muslims had conquered, pledged safety to its people, but had to withdraw from it under the pressure of war or other factors cannot be deemed a land of war if the non-Muslims who had dominated it, left the subjects of the Muslim State to reside in it under the pledge of safety, and preserved their liberties. This condition, however, could of course be fulfilled only where the new State has turned peaceful towards the Muslims. If it violates the peace pledge, however, and fight the Muslims, such country should be regarded a land of war.

It is noteworthy that the land of belligerants by a consensus of viewpoints, is considered a land of war.

It is the second view which accords fully with the fundamental rule that peace forms the basis of relations between Muslims and other peoples. This is because it considers a country a land of war only where actual aggression by it disturbs the peace of the Muslims, or an attack is to be expected through adjacency. The absence of a covenant or a non-aggression pact between two lands having common borders would render war possible at any time. This view conforms even in letter with the Quranic text, unlike the first which would appear contradictory with the terms of the Holy Book, for the basis of the relation here is one of war.

Although the second view is closer to the texts, we consider it no longer tenable to make adjacency a condition for its fulfillment. Man on earth has now been able to control the atmosphere and the space above, and aggression no longer requires neighbourhood to be launched, for the destructive bombs would travel between the remotest points on earth. We would thus deem the condition has outlined its purpose. Had Abu Hanifa been alive he would have abandoned it and now that we disregard it, we will in fact be following his logic. The only difference between us is one of time and place and not argument and proof.

Even if we adhere closely to the logic of Abu Hanifa and his com-

THE LANDS OF ISLAM, OF WAR AND OF COVENANT

By

(Late) Sheikh Muhammad Abu Zahra

The land of Islam is the State that governs the Muslims, in which the means of power are held by them. It is the bounden duty of Muslims to defend this land and repel agression to it. This defence is incumbent on those who can afford it in case The enemy has not entered the land, otherwise it shall be compulsory as regards every individual Muslim. Every Country Where Muslims form a majority is deemed a Muslim land even though it may be dominated by anon-Muslim ruler.

The lands of war and of covenant need more amplification.

Land Of War :

Scholars have differed over the definition of the land of war ; two divergent opinion have been held in this context :

First : The land of War is where no sovereignty or power are held by a Muslim ruler, and where no covenant exists which regulates such country's relation with the Muslims, safeguards them against agression.

The sovereignty and the power of the ruler constitute the criterion in the view of the authors of this school. They hold that so long as a land is not under Muslim sovereignty or bound by covenant. It should be deemed a land of war from which agression is to be expected at all times. God, the Almighty, they further maintain, has ordered the Faithfull to be on the alert and always ready to fight and repel the aggressors.

This is the view of numerous scholars including Abu Yussef, a leader of the Hanafi School of Thought.

The second view advocated by Abu Hanifa, the Zaydieh and other scholars, holds that the mere fact that sovereignty and power are held by non-Muslims, would not render the country a land of war, for three conditions should first be fulfilled :

a) That sovereignty and power be denied the Muslim ruler to such and extent that he is rendered unable to carry out Islamic rules.

b) That the region concerned happens to be bordering Muslim lands that aggression may be expected from it . It follows from this cond tion that deserts adjacent to Muslim countries cannot

Who knew the Muslims must soon become a great nation, and therefore they would need all those instructions of which a well — developed civilized society stands in need.

34— The verse 283 points out to transactions executed upon a journey and there is no scribe, and the creditor does not trust the debotr ; in this case, security may take place of a document. It commands the believers not to conceal testimony, lest their hearts should be sinful.

35— The verse 284 says that Allah will call the believers to account according to their thoughts if they carry them out. Some commentators shate that wicked impressions and evil houghts are punishable. When the believers read this verse they relinquish obedience justifying their action by giving various pretexts.

The holy Prophet told them not to say we hear and rebe like the people of the other books but say we hear and obey, grant us your forgiveness, Our Cherisher : and to ou is the end of all journeys (verse 285).

36— The verse 286 teaches a prayer for divine help as follows : Allah does not impose upon any soul a duty but to the extent of its ability.

It shall have the good which it gains, and it shall suffer the evil which it gains.

O Cherisher, do not condemn us if we forget, or fall into error. Out Cherisher ! Do not lay on us a burden of difficult obligations like that which you have laid on those who have been before us.

Out Cherisher : Do not impose on us that which we have not the strength to bear. Pardon us and grant us forgiveness.

Have Mercy on us. You are our Protector. Help us against those unbelieving people, and give us victory over them.

while they would not receive it themselves except with disgust (11/267).

30— The verses from 265 to 269 warn people of usurious dealings which breed an inordinate love for wealth. They state that Allah does not bless usury but blots it out or annihilate it, while He causes charitable deeds to prosper.

31— The verse 281 indicates that if the debtor is in straitened circumstances, then payement must be postponed until the debtor is at ease to pay.

32— The verse 282 which is the longest one in this chapter tells the believers to safe guard their property rights by the employment of writing in their dealings and securing eviolence.

This verse states that the debtor or his guardian should write down the document with care and fairness.

It tells that evidence should be based on the testimony of two men witnesses.

If there are not two men, then one man and two women because the home is the proper sphere of the woman as owing to her domestic responsibilities, she appears less in public, she should not be much dragged into courts of justice. She is also more likely to lose her mental balance under the severe test of cross-examination than a man hence, the deficiency in her evidence is required to be made up by the evidence of another woman, (so that if one of them errs, the other can remined her).

33— The verse 282 deals with transactions involving future payment or future delivery and transactions in which payment and delivery are made on the spot.

Great commentators give examples of the former :

If goods are brought now and payment is promised at a fixed time and place in the future, or if cash is paid now and delivery is contracted for at a fixed time and place in the future, in such cases a written document is recommended. Examples of the latter kind — cash payment and delivery on the spot — require no evidence in writing, but appearently oral witnesses in such transactions are recommended.

Other commentators say, this injunction was given at a time when Muslim society was itself in danger of being spent away. This shows that the Holy Quran was no the word of the Prophet Mohammad (may peace, mercy and the blessings of Allah be upon him), but of the Almighty Allah.

25— The ordinances relating to divorce, the re-establishment of conjugal relations between man and his wife, mothers being divorced and their attitude when they have children to suckle. The widow should await four mnoths and ten days before looking out for a husband (verses 228 to 234).

26— The verse 240 states that widows are not allowed to marry after their husband's death but after four months and ten days.

27— The verses from 246 to 251 state the story of the Jews who refuse fighting when it was ordained for them. They rejected Saul to be a king over them though they had begged their prophet to ask Allah to raise up for them any king that they might fight in the way of Allah.

Afterwards David held kingship over them and slew Gohath. People are told that they have to fight to restore order, establish peace, and destroy the unjust people. Allah's plan is universal. He loves and protects all His creatures, and His grace is for all people. To protect one He may have to check another, but we must never lose faith.

28— The verse 255 says what means :

"There is no god save Allah, the Everliving, the Self-Subsisting, the Eternal, neither slumber, nor sleep can seize Him. To Allah belongs whatsoever is in the heavens and on earth. Non can intercede with Him except as He permits. He knows that which is past and that which is coming to His creatures. While they encompass nothing of His knowledge save what He wills. His throne (knowledge power and authority) extends over the heavens and the earth. He is never weary of preserving them".

29— The verses from 261 267 state that every dirhem spent in the cause of truth yields seven hundredfold and even much more fruit (2/261). They warn people of spending their property with reproach or injury (2/262).

They tell that kind words and forgiveness are better than charity followed by injury 2/261. They relate that charity is cancelled by reminders of generosity and mischief like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in Allah nor believe the Day of Resurrection.

They are in parable like a smooth rock with dust upon it, then a heavy rain falls upon it, so it leaves it bare. (11/264). They command the believers to give of the good things which they have legitimately earned, and bid them not even aim at what is bad that they may spend in alms of it,

unity of design in the widest diversity of nature : the glory of the heavens and the earth, the alternation of day and night, and the changing of the winds and the clouds made subservient between the sky and the earth (verse 164).

12— The verse 121 tells that the Book should be followed and studied as it ought to be.

13— The verse 172 bids the believers to eat of the good food and give thanks to Allah by feeding the poor.

14— The verse 173 forbeds the believers to eat animal that dies of itself, blood, the flesh of swine, and that over which any other name than that of Allah has been invoked except whoever is driven to necessity.

15— The verse 178 refers to retaliation explained by the law of mercy where it can be obtained by consent with reasonable compensation.

16— The verse 179 declares that life cannot be safe unless the guilty are sentenced to severe punishment equal to their guilt.

17— The verses 183-187 bid the believers to observe fasting from dawn to sunset not only from food but from every kind of evil for the month of Ramadan except who is ill or on a journey then they shall fast a like number of other days, but those who can fast the prescribed days with hardship such as aged men or women in pregnancy or nursing babies may effect a redumption by feeding the poor.

18— The verse 186 states that Allah answers the prayer of the suppliant when he calls Him, on condition that he strives hard in following Allah's guidance.

19— The verse 188 commands the believers not to eat up other people's substance unjustly.

20—The verses from 196 to 203 show ordinances relating to pigrimage and did to land Allah and celebrate His praises.

21— The verse 219 states that intoxicants and gambling are of greater sin than of their profit for people. The verses 90-91 Surah the Table Spread no. VII prohibit them.

22— The verse 221 forbids the marriage of idolators until they believe in Allah.

23— The verse 222 warns the believers of touching women during their monthly menstrual discharge.

24— The verses 224 and 225 warn the believers of making Allah's name the object of their oaths. Allah will not punish them for thoughtlessness in their oaths but He will call them to account.

any distinction between one and another of Allah's Apostle. Moslems should honour them equally, though they know that Allah in His Wisdom sent them with different kinds of mission and gave them different degrees of rank. The believers are those whose Faith and conduct are sincere. Those who are humble in their prayers, those who shun vain discourse, guard their modesty and faithfully observe their covenants.

(b) The infidels who reject faith shall receive the great penalty.

(c) The hypocrites whose hearts are diseased shal have a painful chastisement.

4— This Surah opens with a brief statement of the creation of man and points to his place in cration and his vast capabilities for knowledge.

It tells the story of Adam and the dialogue between Allah and His Angels concerning Adam who was tempted by devil. Repentance brings him back to Allah. The verses 38 and 39 refer to the fact that people who follow truth shall be in peace, but those who waste their opportunity shall have a painful chastisement.

5— The verse 102 refers to the devils who teach men magic, and it speaks of what was revealed to Harut and Marut at Babel.

6— Verses from 125 to 128 state that the Ka'ba is a resort for people and a place of security. They refer to Abraham's prayer and the raising of the foundations of the Holy House by Abraham and his son Ismail.

7— The verse 129 refers to Abraham's prayer that Allah raises up in Ismails' offspring an Apostle from among them who shall recite to them Allah's signs and teaches them the Book and the Wisdom (Prophet's Sayings).

8— The verse 144 reminds us of the real impression of the turning of Muslims' faces to the Ka'ba instead of Jerusalem in prayer. The Ka'ba has been the centre of universal worship and the symbol of Islamic Unity.

9— The verse 154 tells that those who sacrifice their lives in the cause of truth shall gain eternal life.

10— The verse 155 refers to Allah's test of man with somewhat of fear, hunger, loss of property, lives and fruits. Those who persevere patiently, Allah bestows His Blessings and Mercy on them. They are the followers of the right course. They shall receive guidance and shall have glad tidings.

11— This passage involves some wondrous signs that refer to the

THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH "AL-BAQARAH"

By

Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal
Prof. at University of Al-Azhar

1— This Surah is the longest one in the Holy Quran. It is Medinite except the verse 281 which was revealed at Mina. The number of its verses is 286. It is the first chapter revealed at Medina. Its name is quoted from the story narrated in verses 67-71 regarding the slaughter of a cow. This Surah begins with Alif-Lam-Mim. These initials are called the abbreviated letters. They stand for words. Ibn Abbas says that these abbreviated letters are symbols to oaths. Ibn Mas'oud says that they are some of Allah's Glorious names or Sublime Attributes. Ibn Abbas and others interpret Alif=I, Lam=Allah, Mim =Best Knower. I am Allah the best Knower. These letters may refer to the fact that the Glorious Quran though it is formed out of letters of the alphabet, yet it challenges the most eloquent men in Arabia-which was at this time stocked with thousands whose sole study and ambition it was to excel in elegance of style and composition the Quran. They are challenged to produce a Surah that might be compared with it. They stood powerless. They failed even to produce even a verse like it.

This confirms that the Quran is not the work of the Prophet Mohammad, but it is revealed from the Almighty Allah. Other interpreters say that these are letters of Alarm to attract the listeners attention to something very important.

1— Verses 51 and 54 point to the story of making of the calf and the addiction of the Jews to the calf-worship.

2— It refers to the fact that there is no doubt in the holy Quran which is a guide to the righteous who believe in the existence of Allah, the Hereafter; keep up prayer, give charity out of what Allah has given them, and believe in all prophets and all the scriptures revealed to them.

3— The verses from 1-29 deal with three categories of people.

(a) The believers who are on true guidance and who will prosper. They believe in the Unseen. They are steadfast in worship. They believe in the sacred Revelation sent to them (the Quran) and that which was revealed before them and are certain of the Hereafter. They do not make

backing of the powerful Roman empire on the north and of Abyssinia in the south and west, as well as the movement of the indigenous Arabs, known as "Hanifism" ; all those attempts could not regenerate the Arabia, and thus the fate of each previous attempt was only a symbol of despair for any fresh reform movement.

Under these circumstances, amid all this despair on every side, Quran announced prophecies in the surest and most certain terms to the effect that the great forces of opposition should be failed, and that Islamic Call should be established soon in the whle of Arabia, but Islam should spread to the farthest corners of the earth. All this has been said in the Holy Quran in plain words and at a time when was not the least prospect of Islam gaining any ground. But all this was brought to fulfilment, against all expectations, in life time of the Prophet Muhammad (peace be on him). No one who has the slightest acquaintance with the Holy Quran or the History of the Islamic movement can have any doubt on this fact. Let us now take a few Quranic verses bearing on this point :

It means : "Allah has promised to those of you who believed and do good deeds that He will surely make them to succeed in the earth as He made those who were before them to succeed ; and that He will surely establish for them their religion which He has Chosen for them ; and that He will give them in exchange safety after their fear." (24 : 55).

After mentioning the stories of past tyrannous peoples ; like Pharaos and others, The Quran said :

It means : "Are the unblievers of yours better than these or is there an exemption for your in the scriptures. Or do they say, we are a host Victorious. The host will be routed and they will turn and flee" (54 : 43-45).

It means : "And if ye are in doubt concerning that which We reveal unto Our servant (Muhammad), then produce a surah of the like thereof, and call your witnsses beside Allah if ye are truthful. And if ye do it not-and ye can never do it then guard yourselves against the fire prepared for disbelievers, whose fuel is of men and stones" (2 : 23, 24).

Thus, the challenge is so great, and it produced an effect, greater than that of any other miracle recorded of any prophet; hence its claim to be a living miracle of Islam is incontestable and unapproachable.

Another importante significance of this living miracle is that the Holy Quran has adopted the means of appeal to the heart and the reasoning faculty of man to convince him that the Divine message is meant for his own uplifting and happiness in the two worlds. It does not adopt the way of overawing the mind by the miraculous. Thus the Holy Quran makes frequent appeals to human nature, and repeatedly refers to the histories of previous peoples to draw lessons from the history showing how the acceptance of truth has always benefited man, and its rejection has caused his loss. The mentioning of miracles in the Quran is very rare.

In the case of miracles also Quran gives the first place to prophecy, because prophecy does enjoy a distinction beyond that attached to other miracles. The prophecies mentioned in the Holy Quran, and those uttered by the Prophet cover so vast a ground and relate to a future so distant that. The Holy Quran gives prominance to the great prophecy of the triumph of Islamic mission. The earlier chapters of the Quran are full of such prophecies uttered in various forms. These chapters were revealed, and those prophecies announced at a time when the Prophet was quite alone, and beset by enemies on all sides plotting to put an end not only to his mission but to his very life. The few supporters to his cause had been forced to leave their very homeland, because of the cruel persecution of the strong, powerful and the great majority enemies.

In that circumstances there was not the least prospect of Islamic Call ever making any headway against the mighty forces ranged against it. It must also be recalled that all previous attempts at the reformation of the forces of polytheism and idolatory, the mass of superstitions and evil of every kind spread in Arabia had all proved utter failures. The Jewish priests who had settled down in various parts of Arabia, and the Christian missionaries who had the

distinction beyond that attaching to other miracles. Miracles generally are manifestations of the powers of God, and prophecy gives prominence to God's Infinite Knowledge which comprehence the future as well as the past and present.

There is one important point to be noted in respect of the miracles which are merely manifestations of God's power because certain people may have witnessed performance of such a miracle, and their evidence may satisfy their contemporaries, but, with the laps of time their testimony loses much of its value. It is difficult to secure reliable evidence for them under all circustances. Therefore a miracle stands in need of being proved before it may be used as evidence of a Prophet's claim. In most cases it is very hard to adduce any proof that the miracle ever actually took place. But the case is not so in respect to the Holy Quran, for Quran itself claims to be a miracle and has challenged the world to produce its like. This challenge is standing and general. The Holy Quran makes this challenge clear in the following verses :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

(الاسراء ٨٨)

It means : "Say : Verily, though mankind and the Jinn should assemble to produce the like of this Quran, they could not produce the like thereof though they were helpers one of another" (17 : 88).

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ... » .

(هود ١٣ — ١٤)

It means : "Or they say : He hath invented it. Say : Then bring ten Surahs, the like thereof, invented, and call on everyone ye can beside Allah, if ye are truthful : And if they answer not you, then know that it is reaveled only in knowledge of Allah; and that there is no God save Him. Will ye then be (of) those who surrender ? (11 : 13, 14).

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » .

(يونس ٣٨)

It means : "Or do they say : He has invented it. Say ; Then bring a 'Surah' like unto it, and call (for help) on all you can besides Allah, if you are truthful" (10 : 38).

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

(البقرة ٢٣ — ٢٤)

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FUDA

SHAWWAL 1395	ENGLISH SECTION	OCTOBER 1975

THE HOLY QURAN IS THE GREATEST STANDING MIRACLE OF ISLAM

By

Dr. A.M. Mohiaddin Alwaye

The Holy Quran is indeed the greatest miracle ever granted to a prophet because it stands in need of no other evidence whatever, but is itself a living proof of its own truth for all times. The word employed in the Holy Quran for miracle is "*Ayah*", it means an "*apparent sign*" or "*mark*" by which a thing is known. The adoption of the same word (Ayah) to a verse of the Holy Quran is noteworthy. It shows that the message of the Quran itself is the proof of its own truth, and hence the Holy Quran has always been looked upon by Muslims as the greatest miracle of the Prophet Muhammad (peace be on him).

The real object for which prophets are raised up, is the bringing about of a transformation. The object is attained by several means, each of which, therefore, has but a secondary value. The conception of the miracle occupies not the highest place among the evidences of the truth of the Prophet. But the supreme object before the Prophet is to effect a moral and spiritual transformation; the means adopted are an appeal to the reasoning faculty, an appeal to the heart of man to convince him that the Divine message is ment for his own uplifting.

The miracle has its own place in the Divine scheme to show that the source of the message of the Prophet is super natural and Divine. The Quran is itself a greatest standing miracle because it brought about the greatest transformation that the world has ever witnessed. Another important miracle, the Holy Quran contains, is prophecy. In fact prophecy does, in some respects, enjoy a

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة السابعة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٥ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسوة الحسنة

للأستاذ عبد الرحيم فودة

معنى الأسوة القدوة • وما يتعزى به • والمثل الذى يحاكيه الانسان ويحاول أن يكونه أو قريبا منه

وأصل القدوة • والقدو (بكسر القاف) الأصل الذى تتشعب منه فروع وهو قريب من معنى الأسوة ، لأن المثل الذى يحتذى ويقتدى به أصل يقاس عليه غيره وتتفرع عنه الأشباه والنظائر

ولاشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرفع نموذج بشرى • وأعظم انسان تتمثل فيه الفضائل الانسانية ثم هو — كما شاء الله — المثل الأعلى في كل ما عرف الناس من مكارم الأخلاق • بل هو أفضل الخلق على الاطلاق ، ولهذا أمرنا الله أن نتأسى به فى أقواله وأعماله حيث قال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر

وذكر الله كثيرا » فان معناه أو بعض ما يفهم من معناه أنه ـ وهو رسول الله الى الناس جميعا ـ قد جعل الله حياته • بحيث يجد فيها كل ناظر اليها أمثل منهج • وأقوم طريق • وأكرم خلق وأعظم مثال ، فمن كان يرجو عون الله ونصره وخيره ورضاه فى الدنيا • ومغفرته ونعيمه فى الآخرة فالطريق الى ذلك هو أن يقتدى به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتبعه فى كل ما شرعه لقوله وفعله وتقريره • فان هذا هو السبيل الى حب الله وما ينشأ عن حبه ـ جل شأنه ـ من خير وفلاح ونجاح ، كما يفهم من قوله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » ـ فقد بين ـ سبحانه أن اتباعه هو الوسيلة الى حبه ومغفرته ورحمته ، والرحمة فى جانب الله تفسر بما ينشأ عنها من النعم ، كما قرن طاعته بطاعته لأن طاعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يقول الله : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ثم ذكر أن الاعراض عن طاعته واتباعه كفر كما يشير الى ذلك قوله : « فان تولوا فان الله لايحب الكافرين » ، ومن ثم نلمح مكانته عليه السلام فنجدها كما يقول البوصيرى رحمه الله •

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وكما يفهم من قول الله جل شأنه: « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » • فان ذلك يدل على أن الأنبياء قبله آمنوا به قبل أن يشرف الوجود بمولده ، وأوصوا أممهم بالايمان به « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » •

وقد جمع الله فيه ما تفرق من الفضائل فى الأنبياء قبله • وأكمل فيه هذه الفضائل • فكان وكانوا بالنسبة اليه كما قيل •

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم

هذا الى أن حياته ـ عليه السلام ـ اتسعت لكل ألوان النشاط فى الحياة بحيث يجد فيها الأسوة الحسنة

المؤمنون المجاهدون . والدعاة الهداة والقادة العسكريون والتجار الأمناء الخ .

وقد عمل صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى حفر الخندق وبناء المسجد . وكان بينهم يكره أن يتميز عليهم وان كان أفضل من أقلته هذه الأرض وأظلته هذه السماء ، فالأسوة الحسنة فيه تطل على كل مؤمن يعمل لدنياه وآخرته فى كل مجال من مجالات العمل . وفى كل لون من ألوان النشاط المشروع ، لأن الله شاء أن يكون صورة حية ناطقة بكل ما بعثه به الى الناس من قيم فاضلة وأخلاق عليا . ومثل كريمة ، وهذا ما أشارت اليه عائشة رضى الله عنها حين قالت : « كان خلقه القرآن » ، فالقرآن بتوجيه الله فيه : يهدى للتى هى أقوم . والنبى بسيرته وقوله وعمله كما يقول الله فيه : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » . وقد اجتمع الأمران فيما يفهم من قول الله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وقد سمى الله القرآن روحا ونورا وقرر هديه صلى الله عليه وسلم بهدى القرآن حيث قال تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

مثل عليا في السلوك الإداري

للأستاذ مصطفى الطير

قال تعالى « اعدلوا هو أقرب للتقوى »
وقال سبحانه « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

(أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق) عمر بن الخطاب

البيان

كان للسلوك الادارى فى العهد الأول للحكم الاسلامى ، أثر عظيم فى اقامة الدولة على أساس متين يشد بعضه بعضا .

وأهم ما كان يتميز به ، السهر على مصالح الشعب ، واقامة شرعة العدل والانصاف ، مطبقة على الحاكم والمحكوم ، وسرعة البت فى الأمور ، حتى لا يستعصى علاجها بتواليها من غير حسم ، والتجرد من الأثرة وحب الذات ، وكان ذلك تطبيقا أمينا للقواعد الاسلامية التى شرعها الله لعباده فى كتابه وسنة رسوله ، ففى القرآن يقول الله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ويقول : « أعدلوا هو أقرب للتقوى » ويقول : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » الى غير ذلك من النصوص التى توجب العدل والمساواة بين أصحاب الحقوق فى القضاء والعطاء ، وصدق الكلمة ، والوفاء بالعهد .

وترى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يوزع المسئوليات على ذويها ، ويحذرهم من التفريط فيها اذ يقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وتراه يسوى بين الحاكم والمحكوم فى تنفيذ حدود الله ، اذ يقول « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

وتراه يرفع من شأن الحاكم العادل عند الله ، ويهبط بالسلطان الجائر ، وذلك بقوله « أحب النـاس الى الله وأقربهم السلطان العادل » وأبغضهم الى الله وأبعدهم السلطان الجائر » .

عمر يصور مسئولية الحاكم

قال عمر بن الخطـاب رضى الله عنه مصورا مسئولية الحاكم فى أمته : « انما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبع قائده ، فلينظر قائده أين يقوده ؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملـنكم على الطريق » .

والجمل الآنف هو الذى يأنف من الزجر والضرب ، فلهـذا يتجنبهما باعطاء ما عنده من السير عفوا سهلا ، ويكون ذلولا لقائده .

وهكذا كان العرب فى عهده أمة مطواعة ، اذا أمرت ائتمـرت ، واذا نهيت انتهت ، بما تعلمتـه من الآداب الاسلامية ، والأخلاق النبوية ، وبما تركتـه عمليـة الردع والزجر من أبى بكر للمرتدين ومانعى الزكاة ، بعـد الهزة الكبرى التى أصابت المسلمين ، بفراق رسول الله صـلى الله عليه وسلم والمقصـود من كلام الفاروق ـ رضى الله عنه ـ أن قائد الأمة المطيعة ، مسئول أعظم المسئولية عن سلامة أمته ورخائها ، وطمأنينتها على مستقبلها ، فعـليه أن لا يهمـل شأنها ، وأن يقودها فى سبيل الأمن والعـزة والـكرامة والطمأنينـة على مصالحها ، بما يعد لهـا من أسـباب القـوة والمنعـة التى ترهب العـدو وتروعه ، وتضمن لها السـلامة من كيـد الكائدين ومكر المـاكرين ، وبمن يختـارهم لهـا من الحكام القـادرين الصـابرين المتيقظين الحريصين على مصالحها ، الباطشين بمن يعبث بها .

ولم يكتف أمير المؤمنين بذلك ، بل أقسم على أن يحمل الأمة العربية على الطريق الأقوم ، الذى لا عوج فيه ولا عثرات يصعب التغلب عليها ، وقد بر بقسمه ، اذ قاد الأمة العربية قيادة حكيمة أمينة ، فأطاعته وأخلصت له ، ووسـعت جيوشها فى عهـده ، رقعة البـلاد الاسـلامية ، وأمنت تخومها ، ونشر دعاتهـا الدين فى المشـارق والمغـارب ، وكذلك تفعل الأمة ذات القيادة الحكيمة ، والحكام الصابرين المخلصين المتجـردين من استغلال حكمهم لمنفعتهم الذاتية .

وان مما نشكر الله عليـه ، أنه تعالى قد منحنا رئيس جمهـورية له

دين وخلق ، وله أفق واسع فى الحكم النظيف الحكيم والاعداد للنصر على أعدائنا الصهيونيين ، حتى أحرزه مؤزرا مدويا فى العالمين ، وذلك فى حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ، ولا يزال يتتابع انتصاره بالحكمة والسلام ، بعد انتصاره بأحدث أساليب الحرب ، وأدق وسائل القتال ، بمعونة الصفوة الممتازة من عباقرة القواد ، وبفضل جيوشنا الباسلة ، ووحدة الأمة العربية ومؤازرتها لنا ماديا وأدبيا ، وموقفها النبيل فى استغلال سلاح البترول سياسيا لصالحنا ، ومع أن الرئيس يولى عنايته تطهير باقى الأرض العربية من الاحتلال الصهيونى ، فانه يهتم أبلغ اهتمام بالبناء الداخلى ، وتخليص الأمة من آثار الحرب ، وتهيئة الأسباب لسرعة عودة الرخاء اليها ، بعد أن حرمته منذ سنين طويلة ، وتحسين مرافقها وابلاغها الغاية المنشودة لها وأسأل الله العلى القدير ، أن يعين أولئك الصفوة من الوزراء الذين اختارهم لمعاونته ، على تحقيق الأمل المنشود لرخاء هذه الأمة ، وتحقيق آمالها والقضاء على أسباب الفساد فيها ، حتى نرجع بأمتنا الى عزها وسؤددها ، ونرى فيها المثل العليا من الأخلاق الفاضلة ، والصور الممتازة من الايمان والعمل الصالح للدين والدنيا ، وما ذلك على الله بعزيز .

طريقة عمر فى الحكم

لم يكن لعمر بن الخطاب وزراء من البشر ، وانما كان وزيره ضميره واخلاصه لربه ، ولذا كان قليل الراحة ، جم اليقظة فى رقابة مصالح أمته ، وتعرف أخبار الولاة المشرفين على تلك المصالح ، حتى قيل ان علمه بمن نأى من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات على مهاده ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا فى مصر من الأمصار ، وال ولا عامل الا وله عين لا تفارقه ، فكانت أخبار الجهات كلها تأتيه بأمانة تباعا ، صباحا ومساء حتى أن العامل كان يتوهم فى أقرب الناس اليه وأخصهم به أنه عين عليه، فلذا كان يتحرى الصواب والأمانة فى عمله ، ويرعى حق الله فيمن ولى أمرهم من المسلمين وأهل الذمة .

فالعدل فى منهاج عمر لا يعرف سوى شريعة الله ، فلا محسوبية ولا منفعة للأقارب والأصهار بغير حق ، وقد كان يطوف فى كثير من

الليالى بسكك المدينة ودروبها ، ليقف على قضايا الرعايا ، خوفا من حدوث حالة لا تصل اليه ، فيؤاخذه بها الله تعالى .

لطيفة من يقظته فى مصلحة الرعية

قال أنس بن مالك : خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - فى ليلة يطوف فى الظلام ، متفقدا احوال المسلمين ، فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن رآه بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعدا ، فسأل : ممن الرجل ؟ فقال : من أهل البادية ، جئت لأصيب من عطاء أمير المؤمنين ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأتى تتمخض : قد أخذها الطلق وليس عندها أحد ، فرجع الى منزله وقال لامرأته أم كلثوم بنت على رضى الله عنهما : هل لك فى أجر ساقه الله اليك : أمرأة تتمخض وليس عندها أحد ، قالت : ان شئت ، قال : خذى ما يصلح المرأة من الخرق والدهن ، وأتينى بقدر وشحم وحب ، ففعلت ، فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت ، فقال : أدخلى الى المرأة ، وطلب من الرجل أن يأتيه بنار ففعل فجعل عمر ينفخ النارتحت القدرحتى أنضج ما فيها من الحب ، ووضعت المرأة ، فقالتأم كلثوم : يا أمير المؤمنين : بشر صاحبك بغلام ، فلما سمع الرجل يا أمير المؤمنين ، كأنه ارتاع لذلك وقال : يا أمير المؤمنين واخجلتاه منك ، أهكذا تصنع بنفسك ؟ فقال : يا أخا العرب : من ولى شيئا من أمور المسلمين ، ينبغى أن يتعرف صغير أمرهم وكبيره ، ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والآخرة، ثم قام عمر وأخذ القدر ، وحملها الى باب البيت، فأخذتها أم كلثوم واطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر للرجل : قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة ، وأتنا غدا ، فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه : انتهى وقد رويناه بالمعنى .

ولا شك أن عناية الرئيس بمصالح شعب مصر ، وتوجيهه الدائم لوزرائه أن يحلوا مشكلاته ، ويسعوا الى رخائه ، ويقضوا على المستغلين المعوقين لآماله المفسدين لمصالحه ، وأن يهتموا الى جانب ذلك بأخلاقه ، لاشك أن ذلك كله اتجاه عمرى نرجوا أن تتحقق آثاره ، وأن تكون ترجمته العملية ، ازدهار هذا البلد ، وعودة

المثل العليا اليه ، بتوفيق الله رب العالمين .

مصادرة عمر للكسب غير المشروع

كان عمر رضى الله عنه ، يحاسب الولاة وغيرهم ، ويسألهم عما فى أيديهم : من أين جاءهم ؟ فان علم أن مصدره غير مشروع صادره .

ومن ذلك أن امرأة أبى عبيدة ابن الجراح ، أهدت الى خاتون ملكة الروم خلوقا ـ وهو نوع من الطيب ـ فكافأتها بجوهر ، فأخذه عمر بن الخطاب ـ بعد أن علم به ـ وباعه ، وأعطاها ثمن خلوقها ، ورد باقى الثمن الى بيت المال .

وانما صنع ذلك لأنه رأى أن الهدية للموظف ، انما هى هدية للوظيفة ، ولولاها لما أهدى له ، فتكون من حق الدولة .

وحجته فى ذلك ما جاء فى حديث صحيح رواه أبو حميد الساعدى وقد جاء فيه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد ، فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال صلى الله عليه وسلم « ألا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا » ثم قال : « ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لى هدية ؟ ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه ، الا أتى الله يحمله ، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ » .

هذا هو منهاج الحق والعدل الذى سارت عليه الدولة الاسلامية فى فجر نشأتها ، فعز بذلك شأنها ، وانتظم كل شىء فيها ، فهل نرى فى ظل قانون (من أين لك هذا) أن أولئك الذين أثروا على حساب الأمة بطريق غير مشروع ، صودرت أموالهم ، وأعيدت الى الشعب المعتدى عليه من أولئك الظالمين الذين لا دين لهم ولا ضمير يراجعهم ويردعهم ، لابد للناس من وازع ، وان الله ليزع بالسلطان ما لا يفعله الضمير الحزبه والدين الأجوف ، الذى لا يتأثر صاحبه بالقرآن ، ولا تؤثر فيه المواعظ ، قال صلى الله عليه وسلم

« ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

ان لنا أملا عريضا فى حكومتنا الرشيدة ، أن تقضى على أولئك **المتلاعبين بأقوات الشعب المخربين** لمصالحه الناهبين لأمواله ، الذين لا يهمهم خربت الدولة أم عمرت ، شقى الشعب أم سعد ، جاع الشعب أم شبع ، **انهم منتشرون فى كل** مرفق عام وخاص ، **حكومى وغير** حكومى ؛ **فهم كالوباء العام ، يجب** القضاء عليه حتى **لا يفتك بالأمة ،** ويسبب **لها الكوارث** .

مصطفى محمد الطير

من هدى السنة :

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٣ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عله وسلم قال :

(ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشرو ، واستعينو بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة) .
رواه البخارى

تمهيد :

ذكرنا فى المقالين الماضين تفسيرا للكلمات اللغوية فى الحديث ، وبينا بعض مقاصده، وقلنا : ان الناظر فى تعاليم الاسلام بعين فاحصة يجد أنه قام على مبدأ رفع الحرج ، ورعاية حال المكلفين ، والتيسير عليهم ، وعرضنا لنموذج يمثل هذا فى حكم طهارة الأرض ، وفى هذا المقال نحاول أن نذكر بعضا آخر من النماذج ، فنقول :

٢ — من مظاهر التيسير أيضا فى الطهارة أن البئر اذا وقعت فيها نجاسة — تكون الوسيلة الى تطهيرها نزح مائها ، واذا لم يمكن اخراج جميع الماء ، بأن كانت البئر قوية النبع نزح منها مقدار مائتى دلو الى ثلاث مائة عند بعض الفقهاء ، ويرى بعض آخر أنه قبل النزح يقدر الماء الذى بها بواسطة نظر رجلين من أهل الرأى والخبرة ، فاذا رأيا أن ما بها من الماء يبلغ مائتين وثلاثين دلوا مثلا نزح هذا المقدار فقط .

وعلى كل حال اذا تم نزح جميع مائها — أو تم نزح المقدار المذكور — على الخلاف فى تحديده — عند تعذر نزح الجميع — فان ماء البئر يعتبر بعد هذا طاهرا ، ويطهر أيضا جدارها ، ودلوها ، ويد المستسقى منها ، والحبل الذى يشد به الدلو ، والبكرة التى يتحرك عليها الحبل .

وكان مقتضى الظاهر ألا تطهر البئر بهذا النزح ، لأن النجاسة لما وقعت بها سرت فى الماء ، وانتشرت فى الأوحال والجدران ، فلا تطهر بهذا النزح ، لكن الشارع الرحيم اعتبره طهارة رفعا للحرج ، وتيسيرا على العباد ، جاء فى كتاب الاختيار لتعليل المختار ما نصه :

(اذا وقعت فى البئر نجاسة فأخرجت ثم نزحت ، طهرت) والقياس أنلا تطهر ، لأنه اذا تنجس الماء تنجس الطين ، فاذا نزح الماء بقى الطين نجسا ، فكلما نبع الماء نجسه ، لكننا خالفنا القياس باجماع السلف ، وما روى عنهم من الآثار غير معقول المعنى ، فالظاهر أنهم قالوه سماعا (١) .

ثم قال : (واذا لم يمكن اخراج جميع الماء نزح منها مائتا دلوالى ثلاث مائة) لأن غالب ماء الآبار لا يزيد على ذلك ، وهذا أيسر على الناس ، وهو المروى عن محمد .

وقال أبو حنيفه : ينزح حتى يغلبهم الماء ، ولم يقدر فيه شيئا ، فيعمل بغلبة الظن ، فيرجع الى قول رجلين لهما معرفة بذلك ، واذا نزح ما وجب نزحه ، وحكم بطهارة البئر طهر الدلو والرشاء (٢) والبكرة (٣) ويد المستسقى ، مروى ذلك عن أبى يوسف رحمه الله ا هـ .

٣ ــ من مظاهر التيسير أيضا أن الشارع الحكيم جعل الطهارة من الحدث شرطا لصحة الصلاة ، وكان مقتضى هذا أن المرأة التى يستمر نزول الدم عليها ــ لا تعتبر طاهرة ولا تصح صلاتها أبدا .

ولكنه ــ سبحانه عظم فضله ــ رحم ضعفها ، وقدر عذرها ، فحكم بطهارتها اذا توضأت لوقت الصلاة ، واعتبرها حينئذ طاهرة فى الوقت ، تصح صلاتها فيه ، وتصلى ما شاءت ، ولا يضرها نزول الدم ، اذا كان دم الاستحاضة لا الحيض فاذا خرج الوقت حكم بانتقاض وضوئها ، فاذا

---

(١) أى سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم ، فتكون هذه الآثار المروية عن السلف التى تفيد طهارة البئر بالنزح ــ لها حكم المرفوع الى النبى عليه الصلاة والسلام .

٢) الرشاء بكسر الراء الحبل .

٣) .بكرة البئر ما يستقى عليها .

أرادات أن تعود اليها الطهارة عليها أن تتوضأ لوقت صلاة أخرى .

روى البخارى ، والنسائى ، وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : قالت فاطمة بنت أبى حبيش لرسول الله صلى عليه وسلم : انى امرأة أستحاض ، فلا أطهر ، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما ذلك عرق ، وليس بالحيضة ، فاذا أقبلت الحيضة فاتركى الصلاة ، فاذا ذهب قدرها فاغسلى عنك الدم ، وصلى) .

زاد الترمزى فى رواية : وقال : (توضئى لكل صلاة حتى يجىء ذلك الوقت) .

(أبى حبيش) بضم الحاء وفتح الباء وسكون الياء ، اسمه قيس بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيى .

(أستحاض ، فلا أطهر) تريد لا ينقطع عنها الدم .

(ذلك) بكسر الكاف حرف خطاب للمرأة السائلة .

(عرق) بكسر العين وسكون الراء ، أى أن دم الاستحاضة يخرج من عرق فى الفرج ، فلا تترك الصلاة من أجله ، وانما تتركها من دم الحيض الذى يخرج من الرحم .

(وليس بالحيضة) أى ليس هو دم الحيض .

(فاذا ذهب قدرها) يحتمل أن يريد قدر الحيضة على ما قدره الشرع باعتبار ما ثبت ـ أن أكثر مدة الحيض عشرة أيام .

ويحتمل أن يريد قدرها على ما تراه المرأة باجتهادها .

ويحتمل أن يريد قدرها على ما عرفت المرأة من عادتها فى حيضها السابق .

وروى ابن ماجه عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت :

جاءت فاطمة بنت أبى حبيش الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : انى امرأة أستحاض فلا أطهر ، أفأدع الصلاة ؟ قال : (لا ، انما ذلك عرق ، وليس

بالحيضة ؛ اجتنبى الصلاة أيام محيضك ، ثم اغتسلى ، وتوضئى لكل صلاة ؛ وان قطر الدم على الحصير).

وما كان لنا أن يمر بنا هذا القول النبوى الرشيد : (توضئى لكل صلاة وان قطر الدم على الحصير) دون أن نتلقاه بمزيد الفطنة والاعتبار .

يجب أن نستقبله بفكر ثاقب ، وبصيرة نافذة لندرك أنه أقوى برهان على بالغ التقدير لحال المعذور ، وعظيم التيسير عليه ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى وصف نبيه الكريم . « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١) .

هذا وينبغى أن يعلم أن حكم المستحاضة فى الطهارة يثبت أيضا لكل صاحب عذر ، كمن به سلس بول ، أو انطلاق بطن ، أو انفلات ريح أو رعاف دائم ، أو جرح لايسكن .قال صاحب كتاب الاختيار لتعليل المختار ما لفظه :

(المستحاضة ، ومن به سلس البول ، وانطلاق البطن ، وانفلات الريح ، والرعاف الدائم ، والجرح الذين لا يرقأ ، يتوضئون لوقت كل صلاة ، ويصلون به ما شاءوا) .

لرواية ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تتوضأ المستحاضة لوقت كل صلاة) ، وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة بنت أبى حبيش - حين قالت له - : انى أستحاض فلا أطهر - : (توضئى لوقت كل صلاة) وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام : (المستحاضة تتوضأ لكل صلاة) لأنه يراد بالصلاة الوقت .

قال عليه الصلاة والسلام : (أينما أدركتنى الصلاة تيممت وصليت) (٢)

ويقال : آتيك لصلاة الظهر أى لوقتها .

ثم قال : (فاذا خرج الوقت بطل وضوؤهم ، فيتوضئون لصلاة أخرى) لما روينا ١ . هـ . يتبع .

منشاوى عثمان عبود

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٣٨ - ومعنى قوله : « عزيز عليه ماعنتم » شاق عليه - لكونه واحدا منكم - وقوعكم فى الحرج والمشقة ، ولقاؤكم المكروه .
(٢) المراد ادركنى وقتها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام بعد هذا : (تيممت وصليت) .

شعائر إسلامية موقوفة

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن هشام بن اسحق بن عبد الله ابن كنانة عن أبيه قال :

أرسلنى الوليد بن عتبة – وهو أمير المدينة – الى ابن عباس يسأله عن استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى فوق المنبر فلم يخطب خطبكم هذه ولكن لم يزل فى الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلى فى العيد . أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما .

وأخرج النسائى بسنده قال : قحط المطر عاما فقام بعض المسلمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم جمعة فقال : يا رسول الله قحط المطر وأجدبت الأرض وهلك المال ، قال : فرفع يديه وما نرى فى السماء سحابة فمد يديه حتى رأيت بياض ابطيه يستسقى الله عز وجل قال : فما صلينا الجمعة حتى أهم الشاب القريب الدار الرجوع الى أهله فدامت جمعة ، فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبس الركبان قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرعة ملالة ابن آدم قال : وقال بيديه : اللهم حوالينا ولا علينا فتكشطت من المدينة .

قحط المطر : احتبس . المراد به هنا المواشى من الابل والخيل والضأن الاستسقاء : طلب السقيا ، وهو المطر .

للاسلام شعائر مفروضة وشعائر مسنونة كلها عزيزة على المسلم اذا أقامها عرف اسلامه واذا أهملها تهاونا بها : فان كان تهاونه عن عمد وانكار كان غير مسلم وان كان عن تكاسل وتقصير كان ضعيف الاسلام ، وكان عاصيا يؤخذ بعصيانه كما قضى

الله، ومن الشعائر ماهو دورى يتكرر كل يوم أوكل أسبوع أوكل عام كالصلوات الخمس والأذان والاقامة وصلاة الجمعة والعيدين ونحوها ؛ ومنه ما له أوقات خاصة ومناسبات خاصة كصلاة الكسوف والخسوف وصلاة الاستسقاء ، ولندرة وقوع هذا النوع الأخير من الشعائر قلت معرفة كثير من المسلمين اياه ، فصلاة الاستسقاء مثلا لا تكون الا حين يحتبس المطر وتجدب الأرض فحينئذ يفزع المجدبون الى ربهم ضارعين متذللين يلتمسون منه العفو بالغيث ليزيل كربهم وينزل عليهم المطر رحمة بهم وبأنعامهم ، ولأن أكثر الأقطار الاسلامية فى مناطق جغرافية معتدلة المناخ لا تتعرض كثيرا للجدب واحتباس المطر فقلما تقام فيها صلاة الاستسقاء وقلما يعرف شيء عنها ، وجزيرة العرب تتعرض كثيرا لظاهرة الجدب ، وقد حصلت هذه الظاهرة فى حياة الرسول وبعده ، فاحتبس المطر وأجدبت الأرض وجف الزرع فلم يجدوا لهم ولا لأنعامهم ما يقوتهم ويقوت أنعامهم واشتد الكرب عليهم ففزعوا الى رسول الله يستنجدونه ليسأل ربه أن يفرج كربهم . وقالوا له : يارسول الله قحط المطر واحمرت الشجر وهلكت البهائم وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فدعا لهم وصلى بهم ، وحين دعا ربه لم يكن فى السماء قزعة أى سحابة ؛ فما وضعهما حتى ثار السحاب أمثال الجبال فمطروا من جمعة الى جمعة حتى تهدم البناء وغرق المال وانقطعت السبل من كثرة المطر ففزعوا اليه مرة أخرى أن يدعو ربه ليمسك المطر الذى تهددهم فتبسم رسول الله من تحول حال الناس من شكوى الجدب الى شكوى الغرق وكثرة الماء ومن ملالة ابن آدم حيث لا يرضى عن حال ورفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فتكشفت السحب عن المدينة وانجابت وسكن المطر وطلعت الشمس وخرجوا يمشون فى طرقهم الى شئونهم .

وصلاة الاستسقاء سنة أو مندوبة على اختلاف بين الأئمة ، وهى ركعتان كصلاة العيد يؤديان فى أى وقت عند الجدب بلا آذان ولا اقامة ولا خطبة ؛ ويستحب الاستعداد لهما بما يدل على الحاجة والشدة والضيق

فيخرج الناس اليهما متذللين متخشعين فى ثيات خلقه نظيفه مظهرين الندم على ذنوبهم ، واستحب بعض الأئمة خروج الشيوخ والنساء والأطفال واخراج الدواب ليتم مظهر الضعف والحاجة . وقبل أن يصلى الامام بهم يدعوا سرا وجهرا رافعا يديه فى الدعاء مستغيثا مستسقيا مستقبلى القبلة والناس قعود مستقبلين القبلة .

يؤمنون على دعائه ، فاذا اتم دعاءه صلى بهم ركعتين كما أشرنا ، ومما أثر من ذلك الدعاء : اللهم أسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا سحا مجللا طبعا دائما .

هذه صورة مجملة لصلاة الاستسقاء عند جمهور الأئمة ممن قال بهما ، جمهور الأئمة على سنيتهما للأحاديث الواردة فيهما ؟ وقال بعضهم : ليس الاستسقاء الا الاستغفار والدعاء لقوله تعالى : «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا» . والأحاديث الواردة فيها أكثرها يفيد مشرعية الدعاء ، أما ما يفيد سنية الصلاة منها فلا تقوم به حجة فى منهجهم الحديثى ولكن لو فعلها الناس جازت واذا لاحظنا أن الذين قالوا بسنية الصلاة قالوا بسنية الدعاء أيضا واذا لاحظنا ان الصلاة مع الدعاء مفتاح الرحمة فهما اتجاه الى الله وتضرع اليه ومظهر من مظاهر الخضوع والعبودية وذلك أمثل مقام يتقرب فيه العبد الى ربه وأقرب منازل الاثابة والاجابة ، كان الأقرب الى روح الاسلام وأصوله رأى الجمهور ، فأقرب أحوال العبد فى الرجوع الى الله والتذلل اليه يكشف الكرب والغم الصلاة لأنها صلة بين العبد وربه وهى عماد الدين وأفضل أعمال العبد ، ولذلك شرعت عند حدوث الظواهر الطبيعية المخيفة كالظلمة الشديدة نهارا والريح الشديدة والصواعق والزلازل والضوء الهائل ليلا والأمطار الدائمة وانتشار الأوبئة والخوف من الأعداء ومن كل شدة تهدد المسلمين كما وردت الآثار بذلك ، وما الشدائد الا نذر من الله لعباده ان يفيئوا اليه

ويذكروه ، وبذكره يرتفع البلاء وتنكشف الكروب وتطمئن القلوب ان صلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف وصلاة الفزع شعائر اسلامية موقوفة قل من المسلمين من يعرفها ويتنبه اليها ، وانها لجديرة ان يعرفوا بها ليلوذوا بها ويفزعوا اليها جماعات وفرادى كلما اشتدت أزماتهم واستحكمت شدائدهم فان الله قد وعد أن يكون مع الصابرين المصلين بعونه وتيسيره حيث قال : «يايها الذين آمنوا استعينو بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » .

أبو الوفا المراغى

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٩ —

وبتعبير نازل وأدب هابط ولغة نبهنا كثيرا على سخفها وابتذالها وبعدها عن لغة صبيان الكتاتيب فضلا عن لغة من يتعرضون للتصنيف والتصدى والهدم والنقض والتخريب ، وكأنه آل على نفسه أن يبدأ الهدم من نقطة البدء — أعنى من ذاته وكيانه — وسواء كان يهدم نفسه أو كان هو مهدوما بطبعه فقد جاء أنقاضا فى تفكيره لا ينتظم خذفها فى بناء أو شبه بناء ، حتى ذلك الخبيث الذى تولى كتابة المقدمة وتنميقها لميقو على الظهور أو البواح بخبيئة نفسه ؛ فكان « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك » لامن خوف من سطوة حاكم ؛ أو وجل من صولة أمير ؛ وانما هو الفرق الذى يغشى أهل الباطل لشعورهم بعقدة الذنب ، وانما هو العار الذى يجلل رءوسهم المنتكسة ، ونفوسهم المرتكسة • نعم قال بتعبير يسف اسفافا : (فى الشيطان يسرق التمر ويقدم رشوة قرآنيه لأبى هريرة فيتركه وهو سارق) ثم يستدل صاحبنا هذا على مزاعمه كقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) قائلا : (ومعنى ذلك أن الشيطان يرى الناس والناس لايرونه) ثم يقول : (كيف يعلم النبى ص الغيب الذى حدث بين الشيطان وبين أبى هريرة) وأن كلمة جن تدل على الاستتار ،وأيهما نصدق حديث أن طعام الجن العظم والروث أم هذا الحديث الذى يقول ان الشيطان كان يسرق التمر ، ثم يردف قائلا : ان كلا الحديثين اسرائيلى مصطنع والنبى برىء منهما !!!! ثم كيف يوافق النبى على اهمال أبى هريرة فى أمر الحراسة ولا يعاقبه ، وكيف يقبل الصحابى الجليل — طبعا فى لهجة تهكمية — نصيحة دينية من

شيطان لا يؤمن بما يقول بصفة رشوة ، ثم يقال : سادسا اذا كان الشيطان على صدق فى حماية آية الكرسى لقارئها من مس الشيطان فلماذا نقرؤها جميعا ثم نحس بمسه لافكارنا ووسوسته لنا ؟؟ واذا كانت هذه الفائدة مما جعله الله حقا فى قراءتها فلماذا لم يرد ذلك فى القرآن الذى يقول : (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) ولم يقل فاقرأ آية الكرسى ؟ ولماذا تأخر النبى فى الدعوة لفائدة آية الكرسى حتى سبقه الشيطان الى اعلانها بعد كتمانه اياها عن الناس . سابعا : اذا عرف الناس أن آية الكرسى تحمى قارئها من وسوسة الشيطان فى حديث مثل هذا ثم جربوها فوجدوها غير حقيقية فى حمايتهم منه فأى شىء تكون النتيجة ؟؟ هل يصدقون الواقع ويكذبون نسبة هذا الحديث للنبى ؟ أم أنهم يصدقون الحديث ويكذبون الواقع ثم يمضى فى اللجاج والمهاترة فيعود الى ضلالته الأولى فينعى على حديث الرهن لدرعه صلى الله عليه وسلم من اليهودى بتمر الصدقة «المكدس شونا وأكواما» هكذا وردت عبارته بنصها وقبل أن نخوض فى دفع هذه الشبهات الشيطانية والاجابة عليها نسوق الحديث أولا كما جاء فى مواطنه بما يحتف به من فقه وأحكام وحكم قال الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه : (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز » وان أقرضه الى أجل مسمى جاز) (وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة قال : فخليت عنه فأصبحت فقال النبى صلى الله عليه وسم : يا أبا هريرة مافعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت : يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما انه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت والله لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعنى فانى محتاج وعلى عيال لاأعود فرحمته

فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة مافعل أسيرك ؟ قلت يارسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنت تزعم أنك لا تعود ثم تعود قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هو ؟ قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى : الله لااله الا هو الحق القيوم – حتى تختم الآية – فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان) •

وقبل أن نأتى على أقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين فى الجن نذكر ما يتعلق بالخبر من أحكام •

أولا : ذكر البخارى ترجمة للحديث توضح ما غمض على المهوشين ممن لا يتمتعون برصانة طلاب العلم وزكانة أهل الفضل وكياسة الأذكياء الذين لا يتسرعون فى الأخذ بالأحكام السطحية الرعناء فقال رضى الله عنه (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز) •

فان المتأمل فى هذه الترجمة يرى أن أبا هريرة كان وكيلا للنبى صلى الله عليه وسلم على هذا المال الذى هو زكاة الفطر فاذا قلت : ان توكيله لم يكن من أجل الاعطاء والاطعام وانما كان من أجل الحفظ الظاهر من قوله (وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان) ولما كانت زكاة الفطر موقوتة ببذلها الى المساكين قبل الصلاة وكان أحق الناس بها ذوو العيال ، وأنها اذا مضى العيد ولم تعط لمستحقيها فقد ضاعت الفرصة وفقدت صفة كونها زكاة فطر ، وهو مقصد المزكين ، وتفويت مقصدهم انما يكون اهدارا لواجب وتضييعا لحق المساكين ، فالاعطاء للمستحق جزء من وظيفة الوكيل وهو من وجه نوع من الحفظ ، لأن بذل زكاة الفطر فى وجهها الصحيح وفى وقتها من قبل العيد تحقيق لمقاصد الشرع وهو نعم الحفظ ، فاذا

كان الفقير ذو العيال وعد برد ما سيأخذه فكأنه يريد قرضا ولما كان المال مال زكاة فهو بين أمرين اما أن يتمكن المقترض من رد ما اقترض فيكون بذلك قد أتاح لغيره ممن هم أشد احتياجا الى أخذ الزكاة ، واما ألا يتمكن من الوفاء فيكون قد أخذ صدقة يمكن اعتبارها كذلك حين يعجز عن ردها وارجع الى الترجمة تجد هذا صريحا اذ يقول البخارى رضى الله عنه (وان أقرضه الى أجل مسمى جاز) •

أرأيت كيف يعمى الغرض السيء ، والجهل الفاضح صاحبهما عن الحق؟ فيظن أن الحاثى من الزكاة محض ناهب أو سارق !!

ان الحاثى فى المرة الأولى عندما قبض عليه سوغ أخذه منه بالحاجة الملحة الطارئة وأنه بسبيل أن يعيد ما أخذه بعد أن يكون قد سد حاجته الآن ، وقد أقر النبى صلى الله عليه وسلم تصرف أبى هريرة فى الاعطاء مع اعلامه بكذبه فيما زعمه من حاجته وحاجة عياله ثم أنبأه بأنه سيعود مرة أخرى ، ولكن أبا هريرة رضى الله عنه وأرضاه وهو أحد هؤلاء الحواريين الذين يبتغون الخير وينشدون فتح أبوابه ؟ وكان شعار الرجل ما قاله عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (من خدعنا بالله انخدعنا له) فهم يفعلون الخير فى مستحقه ثم يؤلفون قلوب غير مستحقه بعدم مفاصلتهم أو بث اليأس فى نفوسهم أخذنا هذا المعنى من قوله ـ أعنى أبا هريرة رضى الله عنه وأرضاه نفسه ـ (وكانوا أحرص شىء على الخير) وكان الأصل أن يقول : وكنا ، لكنه على طريق الالتفات • وقيل : هو مدرج من أحد الرواة ، ويمكن أن تكون العبارة مسوقة للاعتذار عن اخلاء سبيله فى المرة الثالثة حرصا على تعلم ما ينفع • فالحديث وان كان مسوقا فى كتاب الوكالة تعليقا لقوله : وقال عثمان بن الهيثم الى آخره وعثمان بن الهيثم ليس شيخا للبخارى الا أن النسائى والاسماعيلى وأبا نعيم قد وصلوه ، والقاعدة أن البخارى اذا أتى بالتعليق بصيغة التوكيد دل ذلك على صحة اسناده وتوتر شروطه فيمن حذفهم من أول الاسناد وبذلك يكون الاسناد قد اجتاز القنطرة ؟ فقول البخارى : وقال عثمان يسميها أصحابنا صيغة توكيد ويقابلها صيغة التمريض ، كقوله : ويقال وقيل وحكى ويذكر ويحكى

ويروى وروى كل أولئك بصيغة البناء للمجهول من صيغ التمريض ؛ فاذا سبق التعليم به دل على ضعفه عنده .

واذا عرفت أن الذى أخذه الحاثى كان ملء كف عرفت أن الأمر قريب ويسير ففى رواية أبى المتوكل ـ أفاد ذلك القسطلانى ج ٥ ص ٢٢٩ (الميمنية الأثنى عشرية (١)) ـ أنه كان على تمر الصدقة فوجد أثر كف كأنه قد أخذ منه ، ولابن الضريسى من هذا الوجه فاذا التمر قد أخذ منه ملء كف أهـ ولما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : قد صدقك . وكان هذا الصدق فى ذكر نفع آية الكرسى ، لأن نفعها مذكور فى أحاديث أخرى ،ولم يكن أبو هريرة مطلعا عليها ،وقد يكون هذا الجنى سمعها من النبى صلى الله عليه وسلم فعرفها قبل أن يعرفها أبو هريرة ، فأراد أن يعلمها لأبى هريرة ـ لاعلى سبيل الرشوة ـ وان كانت التسمية هنا برشوة ضرب من الفكاهة الثقيلة الدم والصادرة عن صاحب دم ثقيل وسماجة وفجاجة ولجاجة . وليس فى الحديث أن هذا التمر قد أكله حتى يعارض الحديث الآخر الذى يقول فى الروث والعظام انها طعام الجن ، وليس فى حديث الروث والعظام ما يفيد حصر طعام الجن فيهما ، فلا تنافى بينهما ، وكونه ينال من الحديثين بطريقة همجية زاعما أنهما من الاسرائيليات فان هذا الزعم هو الاسرائيليات بعينها ، اذ التشكيك فى فائدة التوسل الى الله تعالى بكلامه كآية الكرسى في أن يوكل الله تعالى بصاحبها حافظا هو الاسرائيليات ذاتها أقول:ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم (قد صدقك) بتخفيف الدال فى نفع آية الكرسى مثبتا له الصدق ، أو هم المدح فاستدركه بصيغة تفيد المبالغةفى الذم بقوله (وهو كذوب) وفى حديث معاذ عند الطبرانى (صدق الخبيث وهو كذوب) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ذاك شيطان من الشياطين قال فى شرح المشكاة : ونكر لفظ الشيطان بعد سبق ذكره منكرا فى قوله : لايقربك

---

(١) كتاب ارشاد السارى شرح صحيح البخارى طبعته الميمنية وهى مطابع أسرتى الحلبى مصطفى وعيسى فى عشرة أجزاء على هامشها صحيح مسلم بشرح النووى وطبعته فى اثنى عشرة جزءا بزيادة تحفة البارى لشيخ الاسلام أبى زكريا الأنصارى فتأمل ما قلناه .

شيطان ليؤذن بأن الثانى غير الأول ، وأن الأول مطلق شائع فى جنسه والثانى فرد من أفراد ذلك الجنس فلو عرف لأوهم خلاف المقصود لأنه اما أن يشار الى السابق أو الى المعروف ، والمشهور بين الناس وكلاهما غير مراد ؛ وكان من الظاهر أن شيطانا بالنصب لأن السؤال فى قوله من تخاطب عن المفعول فعدل الى الجملة الاسمية وشخصه باسم الاشارة لمزيد التعيين ودوام الاحتراز عن كيده ومكره .

فان قلت : قد سبق فى الصلاة أنه صلى الله عليه وسلم قال : ان شيطانا تفلت على البارحة الحديث . وفيه : « ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية » .

وفى حديث أبى هريرة الذى هو محل تحامل أولى الفلاكة أن أبا هريرة أمسك الشيطان الذى رآه أجيب باحتمال أن الذى هم به النبى صلى الله عليه وسلم أن يوثقه رأس الشياطين الذى يلزم من التمكن منه التمكن من الشياطين فيضاهى حينئذ سليمان فى تسخيرهم ، والمراد بالشيطان فى حديث أبى هريرة هذا شيطانه بخصوصه أو غيره فى الجملة فلا يلزم من تمكنه منه استتباع غيره من الشياطين فى ذلك التمكن أو الشيطان الذى هم به النبى صلى الله عليه وسلم تبدى له فى صفته التى خلق عليها وكذلك كانوا فى خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام على هيئتهم ، والذى تبدى لأبى هريرة فى هذا الحديث كان على هيئة الآدميين فلم يكن فى امساكه مضاهاة لملك سليمان ، وقد وقع لأبى بن كعب عند النسائى وأبى أيوب الأنصارى عند الترمذى وأبى أسيد الأنصارى عند الطبرانى وزيد بن ثابت عند ابن أبى الدنيا قصص فى ذلك الا أنه ليس فيها ما يشبه قصة أبى هريرة الا قصة معاذ وهو محمول على التعدد .

وموضع الترجمة قوله : فخليت سبيله لأن أبا هريرة ترك الرجل الذى حثا الطعام لما شكا الحاجة فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجازه .

وقد اعترض بعض أهل الحديث كالزركشى وغيره بقوله : وفيه نظر لأن أبا هريرة لم يكن وكيلا بالعطاء بل بالحفظ خاصة وقد رد صاحب المصابيح بقوله : النظر ساقط ، لأن

المقصود انطباق الترجمة على الحديث وهى كذلك ، لأن أبا هريرة وان لم يكن وكيلا فى الاعطاء فهو وكيل فى الجملة ضرورة أنه وكيل بحفظ الزكاة وقد ترك مما وكل بحفظه شيئا وأجاز عليه الصلاة والسلام فعله فقد طابقته الترجمة قطعا نعم فى أخذ اقراض الوكيل الى أجل مسمى من هذا الحديث نظر ، وقد قرر بعضهم وجه الأخذ بأن أبا هريرة لما ترك الحاثى من الطعام كان ذلك لأجل . وان ظن بعضهم تكلفا فى هذا التأويل لجمع أطراف ما تضمنته الترجمة مع نص الخبر ؛ وملحظ ما يتم عنه فحوى الترجمة وما يزجيه الى الخبر من مفهوم يؤخذ من منطوق الترجمة وهذا بحث جدير بالتأمل ان شاء الله .

(يتبع) محمد نجيب المطيعى

التفسير الوسيط

وملاحظات على نقاط فيه

للأستاذ كمال أحمد عون

طالما انتظر المسلمون التفسير الوسيط ، يصدر عن الأزهر خدمة لكتاب الله تعالى ، يكون عونا للمثقفين غير المتخصصين ؛ ولعامة المسلمين ؛ يعولون عليه ؛ ويستندون اليه ؛ ويغنيهم عن كثير مما يشق عليهم ، ويصون الفهم فى كتاب الله مما يحمل عليه ، وليس هو اليه ..

وسعدنا وسعد كثيرون ببدء ظهوره .. ومع ما بذل فيه من جهد مشكورا الى الله ثوابه ؛ ومع ما يتجلى من دقة وعناية فى تفسير بعض « الأحزاب » التى ظهرت . فقد بدأ فى كتابة بعضها سرعة فى التحرير ، وسرعة فى المراجعة ، ترتب عليهما قصور فى التحرير وفى التنسيق ، حتى بدا التضارب فى تقرير المعنى الواحد من صفحة الى صفحة ؛ كذلك وضح التقصير فى اختيار المعنى الأنسب من بين المعانى الكثيرة المحتملة ، والمدونة فى الموجزات أو المطولات ، كما وقعت بعض الأخطاء الظاهرة ، وكان يسيرا تدارك هذا كله بالمراجعة الدقيقة .

وقد راجعت كبار المسئولين فى الأزهر ، ووجدت منهم ـ والحمد لله ـ ما عهدناه فيهم من روح كريمة ومشرقة .

وهذه ملاحظات يسيرة على بعض ما وجدته عند المطالعة ؛ وعسى أن يكون منها ومن أمثالها حافزا على مزيد العناية بالتفسير الوسيط ، حتى يخرج على نحو ما ينبغى لكتاب الله تعالى من تقدير واجلال واخلاص ، خدمة صادقة ، محققة ما يناط بهذا التفسير من أهداف . وحتى يكون كذلك فى المستوى اللائق بمكانة الأزهر وعلمائه وسيكون ما نثبته بأرقام صفحات الطبعة الأولى

على ترتيب ماظهر من التفسير ، ليسهل الرجوع الى مواضعه لمن شاء وبالله التوفيق .

الحزب (١) :

١ - فى ص ١٦ - ١٧ فى تفسير « بسم الله » قال :

« المراد باسم هنا المسمى وهو ذات الله تعالى .. الى أن قال التسبيح انما يتوجه الى الذات .. أقول : كما يتوجه التسبيح الى الذات المقدسة « يتوجه كذلك الى اسم الله جل جلاله ، وتسبيح الاسم وتنزيهه تسبيح وتنزيه للمسمى بالأولى ، فشرف الاسم بشرف مسماه «ولله الأسماء الحسنى» واذا كان من المتعارف أن يقال : باسم الشعب أو باسم السلطان ، فشأن المسلم أن يمضى فى كل أمره باسم الله ؛ لا باسمه هو ، أو اسم أحد من العباد .

وقد أشير فى طبعة ثانية لهذا الحزب الى أن الاسم قد يكون بمعناه المشهور بتقدير أبتدىء .

باسم الله .

٢ - وفى نفس الصفحة (١٧) قال :

« الحمد لله : الحمد هو الثناء على الجميل الذى يصدر عن المحمود باختياره من نعمة أو غيرها أقول : الاقتصار فى معنى الحمد بأنه الثناء على الجميل الصادر بالاختيار .. قصور فى التحقيق يشهد به من قوله ما فى ص ١٨ ونصه : « ولفظ الجلالة يشعر بسبب استحقاقه تعالى وحده للحمد ؛ قوله : « رب العالمين » أى أنه تعالى مستحق للحمد لألوهيته ؛ ولأنه رب العالمين » فهو سبحانه مستحق للحمد : لذاته (وكمالاته) ؛ ولانعامه وفضله ، فمعنى الحمد على هذا أعم مما عرفه به أولا ، ويشمل كما قيل الفضائل والفواضل (أى النعم) .

٣ - (ص ٣١) هم المفلحون » الفائزون ؛ وأصل الفلح الشق فى الأرض وهو عمل الفلاح والمؤمنون قد شقوا طريقهم الى الله فوصلوا وفازوا .

أقول : المعنى صحيح ، ولكن البيان اتجه لمادة الثلاثى ، فلح بمعنى شق ، على حين أن المادة رباعية ، وهى أبلغ فى المراد بها من الثلاثى وأفلح بمعنى فاز بعد جد وكد واجتهاد .

الحزب (٣) :

٤ ـ (ص ٢١٣) ســـؤال : ما الحكمــة فى تحـويل القبلــة الى الكعبة ؟ أجاب عن السؤال بأن ذكر ثلاث حـكم : (تميز الصــادق من غيره ـ ولأنها قبلة ابراهيم ـ ولتأليف قريش) وفى ص ٢١٥ حصرها فى واحدة فقط حيث قال : فالحكمة فى تحـويل القبلـة تمييز الصـادق فى الايمان من غيره .

٥ ـ ص (٢٦١) « فمن اضطر غير باغ .. » فى المفردات فسر غير باغ بقوله : غير ظالم..وفى الشرح فسرها بقول السدى : غير طالب لأكلها شهوة وتلذذا » واقتصر عليه ، وكان المناسب أن يسوق المعنيين فى الشرح أن شاء ، أو يقتصر على المعنى الذى ساقه أولا ، ولعله الأنسب .

٦ ـ ص (٢٧٣) « فمن اعتدى بعد بعد ذلك فله عذاب أليم » .

جاء فى الشرح مانصه : « أى فمن قتل (القاتل) بعد قبوله الدية ، أو بعد العفو ، أو قتل غير القاتل ـ والى هنـا وهذا الجزء مسـلم ـ ثم تابع قائلا : أو قتل القـاتل اذا لم يقبـل العفو عنه الى الدية » فله عذاب أليم فى الآخرة ، ولم يبين هل يدخل فى هذا الوعيد الشديد أولياء الدم اذا لم يقبلوا العفو الى الدية ، وانتصفوا من القاتل . والله تعالى يقول : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » .

٧ ـ ص (٢٩٩) « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » .

أورد المفسر رواية البراء قال : كانوا اذا أحرموا فى الجاهليـة أتوا البيت من ظهـره ـ وقـال : وكمـا يحدث هـذا منهم فى البيت الحرام كان يحدث منهم فى بيوتهم .

ومع أن الرواية هكذا« أتوا البيت من ظهره » فى عدة مراجع « الا أن مقـارنة الروايات تبين أن المقصـود بيوتهم لا البيت الحرام ، ونص الآية الكريمة صريح فى البيوت « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. وأتوا البيوت من أبوابهـا » أما البيت الحرام فانه يطاف حوله .

الحـزب (٤) :

٨ ـ (ص ٢٦٠) قال : ومن العلماء من منع الزواج منهن ـ أى الكتابيات ـ قال : وحجته فى ذلك : انها تكر

معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وتضيفها الى غيره تعالى ـ وهذا هو الشرك .

أقول : نسبة الرأى الى بعض العلماء صحيح ، وهو معروف عن بعض الصحابة كابن عمر رضى الله عنهما ، غير أن سوق الحجة بأنها تنكر معجزة النبى غير واضح فى المراد ، ولعل غير هذا من تأليه عيسى على ما أشار اليه بعد ـ ومن التثليث أوضح فى وصف الشرك .

٩ ـ (ص ٣٦٩) سبب النزول فى قوله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم .. » .

قال : .. نزلت فى الصديق لما حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته حين وقع فى افك عائشة رضى الله عنها . أقول : التعبير باضافة الافك الى عائشة غير كريم ، وهو افك من جاءوا به ـ كما هو معلوم ـ لاافكها رضى الله عنها « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم .. الآية

١٠ ـ (ص ٢٧٥) « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا » يقول المفسر :

ليس المراد من قوله تعالى : « ان أرادوا اصلاحا » اشترط جواز الرجعة بارادة الاصلاح .. للاجماع على جوازها مطلقا .. وفى ص ٢٨٦ يقرر ما يخالف دعوى الاجماع هذه اذ يقول : (سطر ١٤) فلا يحل له أن يراجع الا اذا كان اعتزم العدل وأراده ... فلا يسوغ له أن يستأنفها معاندة للزوجة وعداوته عداوة لها ، فان ذلك اعتداء وظلم .

١١ ـ فى بيان مدة الرضاع قال المفسر : .. اذا نقصنا تسعة أشهر من الثلاثين شهرا كان الباقى ثمانية عشر شهرا ، أى سنة ونصفا وأقول : سها الكاتب فى عملية حسابية يسيرة حول مدة الحمل والرضاع ـ ولو كانت هناك مراجعة حقيقية لأمكن تدارك هذا السهو الظاهر .

١٢ ـ (فى ص ٣٩٣) « لاتضار والدة بولدها .. » حمل المفسر الفعل المضارع « تضار » على أنه مبنى للفاعل ، ووجه المعنى على ذلك ، ولم يلتفت الى احتمال أن يكون الفعل

مبنيا للمفعول ، على حين أنه أقرب . وقد وجه الفعل بالوجهين فى قوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » وزاد الوجه الثانى تأييدا .

١٣ - (فى ص ٣٩٦) عند تفسير قوله تعالى : « فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف » قال فى زينة المتوفى عنها بعد بلوغ الأجل : فلا جناح عليكم أيها الأولياء المسلمون فيما فعلن فى أنفسهن من زينة وغيرها ... فى حدود الشرع .. فان خرجن عنه فالاثم عليكم أيها الأولياء ؛ وعلل ذلك بقوله : لأن مراقبتهن واجبة عليكم أ هـ .

أقول القاعدة الشرعية هى ما فى هذه الآية الكريمة : « كل نفس بما كسبت رهينة» وقوله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاثم الخروج عن حدود الشرع على الخارجات . اما الأولياء فعليهن ان فرطوا فى مراقبتهن اثم التفريط .

١٤ - فى تفسير قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم » أورد الكاتب فى (ص ٤١٣) ان الشيخ محمد عبده يرى أن هذا مثل لا قصة واقعية - وقد جاء فى تفسير المنار ، وهو للشيخ محمد عبده بقلم تلميذه السيد محمد رشيد رضا : أن الشيخ محمد عبده نقل عن ابن كثير عن عطاء أن هذا مثل لاقصة واقعية ثم أفاض الشيخ محمد عبده فى توضيحه وبيانه بيانا حكيما - وهذا أدق فى نسبة الآراء الى أصحابها .

١٥ - فى (ص ٤١٧) عند تفسير قوله تعالى : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل ... » جاء قوله : كان العبرانيون جيرانا لبنى اسرائيل - والصواب كان الفلسطينيون » أما العبرانيون وبنو اسرائيل فاسمان لمسمى واحد .

وفى (ص ٤٢٥) وقتل داود جالوت زعيم العبرانيين - والصواب زعيم الفلسطينيين .

(يتبع) كمال احمد عون

دين الله واحد وشرائع الأنبياء مختلفة

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

استعملت كلمة « دين » فى لغة العرب لأكثر من معنى .. بعضها أصلى وبعضها مولد من هذا الأصلى أو مستعار عنه .. فلها معنيان أصليان : الطاعة أو الجزاء ، ويتولد من المعنى الأول معنى «الملة» ويستعار منه أيضا معنى الشريعة (١) .

أما فى القرآن الكريم فقد استعملت كلمة « دين » استعمالين مختلفين : أحدهما للتعبير عن أى معنى يعتقده صاحبه مقدسا وان كان فى الواقع على خلاف ذلك ومن ذلك قوله تعالى فى سورة « الكافرون » :

« قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين»

فقد استعمل الدين المضاف الى الكافرين للتعبير عما كانوا يدينون به من أباطيل القول ، وأفانين العمل ..

الا أن هذا الاستعمال محدود ، ولم يستفض به الأسلوب القرآنى كما استفاض بالاستعمال الآخر .. حين عبر به عن العقيدة الحقة ، والحقائق الالهية الثابتة . وقد كان الكافرون أنواعا شتى كما حكى القرآن : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين » وفى آية أخرى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد » والخطاب فى سورة الكافرين وان كان خاصا بمشركى مكة الا أنه يتناول الأنواع الأخرى بدليل مقابلة الرسول وحده لهم؛ قال

---

(١) عن كتاب « المفردات فى غريب القرآن » للراغب الأصفهانى .

الزمخشرى فى تفسير سورة الكافرين (١) : « المخاطبون فيها هم كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لايؤمنون فقد روى : أن رهطا من قريش قالوا : يا محمد .. هلم فاتبع ديننا ، ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد الهك سنة ، فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره ، فقالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك .. فنزلت السورة كلها فى مكة .. فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم ، فأيسوا » .

ومن هذا التعبير القرآنى فى سورة الكافرين نرى أن كلمة دين المضافة الى الكافرين المخاطبين بالسورة .. قد احتوت كل ما تشعبت به نزعاتهم العقائدية من الملل والنحل التى لم ينزل بها عليهم سلطان ، ولم ينساقوا فيها الا لمتاهات الظنون ، وتخرصات الأوهام .

أما الاستعمال الثانى لكلمة «دين» فى القرآن الكريم فهو أخص من الاستعمال الأول لأنه يحدد المنهاج القويم ؛ والعقيدة الحقة التى ارتضاها الله تعالى لعباده المؤمنين عبر التاريخ كله .. ومنذ أن كان هناك دين ، وكان على الأرض متدينون .. فأراد بها العقائد الثابتة من الايمان بالله الواحد الأحد ـ. الفرد الصمد .. الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، مع التصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ؛ وما يتعلق بذلك مما استفاضت به الرسالات فى سالف العصر ، وغابر الأزمان ، واجتمعت عليه كلمة الأنبياء والمرسلين بلا استثناء .. والى جانب ذلك أريد بكلمة « دين » بمعناها الأخص الاقرار بأصول الشرائع وأسس المناهج العملية التى ساس بها الرسل أممهم ، وسنوا بها للناس طرقهم وطرائقهم وكذلك أمهات الأخلاق ، ورءوس الفضائل الشخصية ، والاجتماعية التى لاتختلف من زمان الى زمان ، ولا تتبدل مهما تبدل الملوان ، وتعاقب الجديدان .

أما ما عدا ذلك من الشرائع التفصيلية ، والأعمال الفرعية ، التى

---

(١) الكشاف جـ ٢ : ٥٦٤

تخضع لأحكام خاصة ، واعتبارات ملائمة لطبيعة الزمان والمكان والأقران ، فان ذلك كان عرضة للتغيير والتبديل ، والتقويم ، والتعديل وتلبية مطالب الجماهير فى اطار المتغيرات الكونية ، والمتطلبات الراهنة .

وفى ذلك يقول الله تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بماكنتم فيه تختلفون » (١) .

قال الطبرى فى تفسير هذه الآية « ثم أخبر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وذكره أنه أنزل اليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، وأمره بالعمل بما فيه ، والحكم بما أنزل فيه دون ما فى سائر الكتب غيره ، وأعلمه بأنه قد جعل له ولأمته شريعة غير شريعة الأنبياء والأمم قبله ، الذين قص عليه قصصهم ، وان كان دينه ودينهم فى توحيد الله والاقرار بما جاءهم به من عنده والانتهاء الى أمره ونهيه واحدا .. فهم مختلفون فى الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأمته فيما أحل لهم وحرم عليهم »

وروى الطبرى عن قتادة فى معنى قوله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » أى :«سبيلا وسنة » والسنن مختلفة : للتوراة شريعة ، وللانجيل شريعة ، وللقرآن شريعة..يحل الله فيها مايشاء ويحرم مايشاء بلاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، ولكن الدين الواحد الذى لايقبل غيره هوالتوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به الرسل»

وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بألا يخرج فى دعوته عن اطار من تقدمه من الأنبياء والمرسلين وذلك فى قوله تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٢) فلكى يتفق هذا التوجيه القرآنى الهادف الى وحدة الأديان كلها فى دين الله الواحد الذى لايتعداه باعتباره حقا أزليا أبديا لاتبديل له ؛ ولا اعوجاج فيه ؛ والحق الواحد لايقبل التجزئة

---

(١) سورة المائدة : ٤٨

(٢) سورة الأنعام ٨٣ ــ ٩٠

ولا التنوع مع ماسبق فى سورة المائدة من تعدد الشرائع ؛ وتنوع المناهج الشرعية فى مجال الأعمال والسلوك الخاضع للتنوع والتطور .. لابد أن يكون هناك دين واحد وشرائع متعددة وهذا هو الذى كان .. فقد أمر الله نبيه باتباع من سبقه من اخوانه الرسل والقدوة بهم ؛ والنسج على منوالهم وذلك فى الدين بمعنى العقائد وأصول الشرائع ومكارم الأخلاق كما .. أمره بالحكم بما أنزل عليه خاصة فى كل ما اختص الله به شريعته من تخطيط جديد ملائم لوضعه الخاتم لشرائع الله ؛ المتناسب مع عالمية الرسالة وشمولها للحاضر والمستقبل على المدى الطويل ؛ وفى سائر الآفاق المفتوحة.

وفى ذلك يقول الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : «فبهداهم اقتده» أى : « اختص هداهم باقتدائك ولاتقتد الا بهم فى طريقتهم وهى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهى هدى مالم ينسخ ؛ فان نسخت لم تبق هديا .. بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا .... »

وقد بين الله تعالى هذا الأصل الأصيل المتأصل فى عموم الرسالات السماوية فى قوله جل شأنه :«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » (١) قال البيضاوى «أى : شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء عليهم السلام من أرباب الشرع وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله : « أن أقيموا الدين » وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله « ولا تتفرقوا فيه » أى لاتختلفوا فى هذا الأصل ؛ أما فروع الشريعة فتختلف كما بينه فى آيات أخر منها «قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألانعبدوا الاالله ولانشرك به شئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »(٢)

(١) سورة الشورى : ١٣

(٢) سورة آل عمران : ٦٤

وقال الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى:«فما يكذبك(١)بعد بالدين» الدين هنا هو خلوص السريرة للحق وقيام النفس بصالح العمل وهو ماكان يدعو اليه صلى الله عليه وسلم وسائر اخوانه الأنبياء » .

وقال مجاهد فى معنى آية :« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .. » أى : « أوصيناك يا محمد واياهم دينا واحدا » وقال الرازى : « شرع لكم من الدين دينا تطابقت الأنبياء على صحته » ويدل لذلك قوله تعالى : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » يعنى : ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى العقائد وأصول الشرائع. أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة .

والدين بهذا المفهوم هو الاسلام بمعناه الأشمل الذى انطوى تحت لوائه رسل الله وأنبياؤه جميعا كما جاء فى قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام فى وصيته لبنيه : « يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » وهو ما يشير له قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » بعد قوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الاهو والملائكه واولوا العلم قائما بالقسط .. » فهو يفيد أن الاسلام الذى اعتنقه الأنبياء والمرسلون هو التوحيد الذى تضمنه قوله : « لا اله الا هو » والعدل المطلق الذى احتواه قوله : « قائما بالقسط » أى : مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ، وفيما يثيب ويعاقب ، وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض ، والعمل على السوية فيما بينهم كما ذكر صاحب الكشاف (٢) فدين الله العام : هو التوحيد والعدل .

اذن فالدين والاسلام بالنسبة لجميع الرسالات السماوية معنيان مترادفان على معنى محدد : هو التوحيد والعدل وهما يستلزمان اسلام التوجه لله .

واذا نظرنا الى الاسلام فى اطار الرسالة المحمدية وحدها ، وجدناه

(١) سورة التين : ٧
(٢) جزء (١) : ص ١٣٧

قد تطور استعماله تطورا مناسبا .
فصار يعنى مجموعة العقائد والفروع العملية الخاصة به وتطور تبعا لذلك لفظ الدين أيضا فأصبح تعريفه عند المسلمين من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هو وضع الهى يسوق ذوى العقول من أمته باختيارهم الى ما فيه صلاحهم فى المعاش وفى المعاد وهذا يشمل العقائد والأعمال(١) ومع ذلك فقد بقى أثر العرف الاصطلاحى للاسلام والايمان فى حال اجتماعهما حيث جعل لكل منهما مفهوما يخالف الآخر ..

ونستطيع بعد هذا العرض انكشف لمعنى الدين أن ننتهى الى الحقائق التالية :

١ ـ الدين فى لغة العرب معناه الأصلى : الطاعة أو الجزاء فهو من قبيل المشترك اللفظى وان كان المعنيان متعانقان ومعناه المولد هو الملة ، ومعناه المستعار هو الشريعة .

٢ ـ استعمل القرآن كلمة دين استعمالا محدودا للتعبير عن أى عقيدة ولو كانت زائفة كما فى سورة الكافرين ـ كما استعملها فى المعنى الشامل الأهم للتعبير عن أصول العقائد الصحيحة ، وأسس الأحكام الفرعية ورءوس الفضائل الكريمة والشيم العالية .

٣ ـ دين الله واحد لا يتعدد وهو الذى دان به جميع الأنبياء والمرسلين منذ اتخذ الله تعالى منهم واسطته الأمينة الى خلقه وهو التوحيد والعدل واسلام الوجه لله واخلاص السريرة له وطاعته فى أمره ونهيه .. وهذا قدر مشترك بين الأولين والآخرين لأنه الحق الذى ليس وراءه الا الضلال ومن هنا كانوا جميعا مسلمين

٤ ـ شرائع الأنبياء وأحكامهم العملية الفرعية مختلفة تبعا لاختلاف

---

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى .

الظروف والبيئات والمناسبات التى عاشها كل منهم واستدعت انزال حكمها بما يلائم كل هذا ولا يخرج عن دائرة الحكمة والمصلحة الراهنة

٥ ـ الاسلام فى معناه الأعم المشترك بين الأنبياء والمرسلين مرادف لكلمة الدين •

٦ـ الاسلام فى معناه الأخص المتطور خاص بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عقائد وشريعة وأخلاق وعادات وصفات خلقية وخلقية تحمل معنى الكمال المطلق وهو يعنى الدين أيضا اذ لا اعتراف بغير ذلك بعد بعثته •

دكتور محمد محمد الشرقاوى

الحديث عن النسيان فى القرآن

للدكتور السيد رزق الطويل

مقـدمة :

النسيان ظاهـرة بشرية ، وسمة أصلية فى مسلك الانسـان ، وقـد اختلف اللغويون فى اشتقاق الانسان فمنهم من راى أن أصل الكلمة هو « الأنس » وآخرون منهم رأوا أصلها النسيان وقديما قال أحد الشعراء :

وما سمى الانسان الا لنسيه
ولا القلب الا أنه يتقلب

وهذا يؤكد أصالة هذه الصفة فى سلوك البشر .

ويرى علماء النفس أن النسيان ضرورة بشرية ، لأن الذاكرة لهـا درجة تشبع ، ومن رحمة الله بالانسان أن منحه النسيان ليستطيع أن يهمل ما لا يهمه ويختزنه فى عقله الباطن وقد يحتفظ فى منطقة الشعور بـكل ما يهمه من شئون حياته .

والنسيان بهـذه الصفة يخرج عن دائرة التكليف ، ويتجـاوز حـدود المسئولية ، ويعفى الانسان عما يحدث منه ، وهو واقع تحت سلطانه خاضع بغير قصد لتأثيره .

أما النسيان المقصـود ، وهو تعبير قد نجد فى ظاهره لونا من التناقض ، لكنه فى حقيقة الأمر لا تناقض فيه ؟ اذ فيه نسيان ، وفيه قصد ، ونعنى به الغفلة عن الواجب ، واهمـال ما لا ينبـغى أن يهمـل من حقـوق ومسئوليات .

تناول القرآن الكريم لهذه الظاهرة الانسانية .

ولنتجه الآن الى القرآن الـكريم لنرى كيف تناول هذه الظاهرة ؟ !

وباحصاء دقيق للفظ النسـيان فى القرآن الكريم فى صوره الاشتقاقية المختلفة نجد أنه فى خمسة وأربعين موضعا من الكتاب العزيز .

وبدراسة المواضيع التى ورد فيها هذا اللفظ بمشتقاته نرى أن القرآن الكريم قد استخدمه بمعنييه جميعا •

النسيان الحقيقى الذى يلم بالانسان فى غير قصد أو ارادة •

والنسيان المقصود الذى نعنى به الغفلة عن الواجب واهمال المسئوليات

النسيان الحقيقى • كيف تناوله القرآن ؟

عندما يكون النسيان قسرا وجبرا، وعندما يلم بالانسان بلا قصد منه أو ارادة يكون هوالنسيان الحقيقىالذى أعطيناه صفة الظاهرة البشرية أو السمة الانسانية ، اذ أن أى اسان مهما كان لا يستطيع أن يتجرد منه •

وحديث القرآن الكريم عن هذا النوع حديث اخبارى بحت ، يعرض فيه بعض صوره ، أو ينفيه فى بعض المواضع التى ينبغى أن ينفى فيها ، لأنه تجاوز اطار الظاهرة البشرية ، أو يتناوله فى أسلوب دعاء على لسان المؤمنين ، يضرعون فيه الى ربهم ألا يؤاخذهم بما وقع منهم تحت سلطانه

وهذا أقصى ما ينبغى أن يتحدث به القرآن عن ظاهرة بشرية جبرية كهذه فهو اذن لا يحتاج الى تحليل أو تقويم ، أو اصدار أحكام كما سنرى فى النوع الثانى •

وتناول القرآن الكريم لهذا النوع من النسيان بصوره الثلاث والنفى والدعاء والاخبار) جاء فى أحد عشر موضوعا •

١ – فى صورة النفى :

(أ) نفاه القرآن الكريم نفيا قاطعا عن رب العالمين ، الذى ربى الوجود كله بنعمه ، ورعاه بعمله وحكمته وخبرته ، وحفظه بقدرته ، اذ يقول تعالى : «وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » (١) •

ونفى النسيان عن طريق نفى كينونته أروع وأوضح ، اذ هو بالنسبة لله لا وجود له ، لأنه موجود ثم نفى ، وحاشا للحكم العدل اللطيف الخبير أن تلم به ظاهرة ، هو ركبها فى الانسان ، لتنسجم له أسباب الحياة

---

(١) مريم : ٦٤

(ب) وفى موضع أخر يطمئن رب العالمين نبيه بأنه سيكون بمنجاة من هذه الظاهرة البشرية فى مجال الوحى وتبليغ الشريعة فيقول له • (سنقرئك فلا تنسى) (١) •

ففى هذه الآية ينفى القرآن النسيان عن النبى عليه الصلاة والسلام فى كل ما يتصل بالوحى وتبليغ آيات الله •

(ج) وفى موضع ثالث ينفيه عن أم الكتاب او اللوح المحفوظ الذى سجل فيه أقدار الخلق ، وأعمالهم ، ومصايرهم ووحى الله ؟ وأمره اليهم قال تعالى : (قال : علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)(٢)

واذا تصورنا نفى الضلال ، والنسيان منسوبا لله فى هذه الآية فاننا بهذا الاعتبار ندخلها فى الموضع الأول •

٢ ـ فى صورة الدعاء أو الالتماس :

من دعاء المؤمن لربه الذى علمه اياه ، ضراعة خاشعة ، عادلة قويمة ؟ يرجو ألا يؤاخذه بماسلف منه تحت سلطان النسيان ، المبسوط على بنى الانسان ، فيقول تعالى (٣) : ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا) •

وفى موضع أخر يلتمس موسى من فتاه ألا يؤاخذه اذ نسى الشرط الذى اشترط عليه بألا يعترض على تصرف يصدر عنه ، فيقول تعالى على لسان موسى : (قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا (٤) •

٣ ـ أخبار قرآنية تتصل بالنسيان

(أ) مريم عليها السلام وقد اختارها موضعا لآيته ، ونفخ فيها من روحه ، وأحست بحكم نوازعها البشرية بكثير من الأسى ، وتصورت الأمر محنة لها ، اذ كيف يعلم الناس بحقيقة موقفها ، وبراءة ساحتها ؟ لذا تمنت أمنية تعبر عن مدى الألم فماذا تمنت ؟ تمنت أن قد كانت فى عالم الموتى ، ومحيت من ذاكرة الناس قبل أن تعيش هذه المأساة (كما تراها) يقول تعالى على لسانها : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (٥) •

---

(١) الأعلى : ٦
(٢) طه : ٥٢
(٣) البقرة : ٢٨٦
(٤) الكهف : ٧٣
(٥) مريم : ٢٣ .

(ب) وفي حديث القرآن الكريم عن عجل السامرى الذى فتن به بنو اسرائيل ، على أساس انه رمز للاله ارتضاه لهم موسى ، لكنه ذهب الى الموعد ، ونسيه مع السامرى ، هكذا فهموا ؟ أو هكذا خدعهم المحتال الأثيم (فأخرج لهم عجلا جسداله خوار فقال : هذا الهكم واله موسى فنسى) (١) .

(ج) وفي موضع ثالث يحدثنا القرآن عن نسيان موسى ، وفتاه للحوت الذى يعد نسيانه أمارةأوميقاتا للالتقاء بالعبد الصالح ، ولا يذكر أنه نسى الا عندما يحل وقت الغداء ، ويفتقد فتاه الحوت فلا يجده ، ويتصور أن نسيانه من عمل الشيطان ولكن موسى يكشف الحقيقة لفتاه ، وإن ماحدث هو بغيتهما ، وارتدا على آثارهما قصصا ، فوجدا العبد الصالح الذى وعد موسى بلقياه ، يقول تعالى : (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال : أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا) (٢) .

بهذه الصور الثلاث المتقدمة كان تناول القرآن الكريم للنسيان الذى هو ظاهرة انسانية لها صفة العموم والانتشار ، ولها صفة القهر والالزام ومن هنا رفع الشارع الحكيم مسئولية البشرعما يحدث فى ظلال هذا النوع من النسيان .

والنوع الثانى : النسيان المقصود :

نسيان الغفلة عن الواجب ، واهمال المسئوليات .

وهو أكثر النوعين ورودا فى القرآن الكريم .

تناول أنواعه ، وحلل أسبابه ، وحذر من مغبته ؟ وبين عقوبته .

وتناول القرآن الكريم له بهذه الكثرة ، لأنه ظاهرة بشرية منحرفة تحتاج الى تحليل وعلاج .

وللشارع الحكيم منها موقف يحتاج الى بيان وتفصيل .

---

(١) طه : ٨٤

(٢) الكهف : ٦١ — ٦٣

وعلى هذا أولاها الكتاب العزيز اهتماما بالغا ، لما لها من خطورة بالغة تهدد الدين السماوى ، وتنحرف بالبشرية عن هديه وهداه ٠

ومن هنا ورد الحديث عن هذا النوع فى أربعة وثلاثين موضعا من كتاب الله وكل ماورد فى هذه المواضع من نسيان يحمل طابع الغفلة عن واجب أو التنصل من تبعة ، أو الاهمال لمسئولية لا ينبغى أن تهمل بحكم قضية الايمان التى يرغبها الانسان ٠

ويمكن أن يصنف هذا النوع من النسيان تصنيفا يجعل من الآيات التى وردت فيه موضوعا متكاملا ٠

١ ـ مظاهر النسيان المنحرف ، واتجاهاته ٠

٢ ـ تحليل أسبابه ٠

٣ ـ العلاج الذى وضعه القرآن له

٤ ـ عقوبته ٠

١ ـ مظاهر النسيان المنحرف واتجاهاته ٠

يتخذ هذا اللون من النسيان عدة مظاهر تؤكد انحرافه عن سنن النسيان البشرى الذى رفعت المسئولية عن صاحبه ذلك لأن هذه الظواهر تؤكد أن للانسان قصدا وارادة على نحو من الأنحاء ، وأن ما يتورط فيه الانسان من أعمال نتيجة له انما هو شىء مراد ٠

وهذه هى الظواهر ٠

(أ) نسيان الذنوب والخطايا :

اذا وقع الانسان فى الذنب ، أو هوى الى الخطيئة لأول مرة ، فله عذره ، والخطأ من حقه ، لأن وراءه نوازع بشرية عميقة التأثير فى توجيه السلوك ، ولذا فانه اذا تاب قبل الله توبته ، وفرح بأوبته على أن يظل هذا الذى اقترفه درسا يضيفه الى تجاربه التى تحدد فى الحياة فاعليته ومسلكه ٠

أما اذا نسى تجربة الذنب فستنتكس حياته ، ويتعثر سلوكه ، ويظل يهوى مع هواه حتى يكون من الغاوين ٠

وهذه هى صفته كما عرضها القرآن الكريم ٠

يقول الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى

ما قدمت يداه ؟) فأسلوب الآية هنا يشير الى أن أشد الناس ظلما ذاك الباغية المنحرف الذى يذكر بآيات الله فى كتابه ، وفى الحياة ، فيعرض عن الذكرى ، وينسى ماتورط فيه من ذنوب وآثام ، ومن هنا استحق ما وصف به فى آخر الآية ؟ اذ يقول تعالى : (انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن أبدا) (١)

واذا كان فى طبع الآثم نسيان ذنبه ، فهذا النسيان دعامة انحرافه ، ومن هنا يكشف القرآن الكريم هذه الظاهرة فى سلوك طائفة أخرى من الآثمين الذين هووا فى وادى الشرك السحيق ، ان ذكروا ربهم فى الضراء ونسوا أنهم أشركوا به فى السراء ، فيقول تعالى : (قل : أرأيتكم آن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) (٢)٠

فالفطرة السليمة التى شوهها الانسان لانحرافه فى السراء ، تعود نقية صافية تشد الانسان المنحرف الى ربه فى الضراء ٠ ولهذا تحتكم الآية اليها لتؤكد للانسان آن نداء الفطرة السليمة أهدى وأقوم ٠

على أن الحقيقة التى ينبغى أن يذكرها الاثم أنه ان نسى فاستمرأ بالنسيان اثمه فان وراءه الرقيب الذى يحصى عليه ما قد نسيه ، يقول تعالى: يوم يبعثهم الله جميعا « فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد » (٣)

(ب) نسيان يوم القيامة :

يوم القيامة الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين حيث يجد كل انسان طائره فى عنقه،ويقرأ بنفسه صحائف أعماله ، ويرى بعينه مصيره ٠ وهو اليوم الحق حيث يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون ، وينتهى أمر الباطل الى جحيم ، وينعم المتقون فى دار النعيم ٠

---

(١) الكهف : ٥٧
(٢) الأنعام : ٤٠ ، ٤١
(٣) المجادلة : ٦

وقــد عنى القرآن الكريم بعرض مشاهد شتى من ذلك اليوم ٠

وطالما كان المؤمن على ذكر لذلك اليوم ســيتخذ منه حافزا يدفعه الى الخير وينأى به عن الضلال ، ويثبته على طريق الهداية ٠

ولذا نجــد فى أكثر من آية من كتاب الله دعوة الى اتقاء ذلك اليوم ، وما فيه من أهوال وبلاء ٠

واذا نسى الانسان ذلك اليوم ، فلم يعمل له حسابه فنســيانه بادرة الى الانحراف الذى ينتهى بالانســان الى ضلال ٠

وها هو الناس ليوم القيامة يعرضه القرآن فى عدة صور ٠

يقول تعالى عن الكــافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وغرهم ما فى دنياهم من زخرف ومتاع (فاليوم ننساهم كما نسوا لقــاء يومهم هــذا وما كانوا بآياتنا يجحــدون) (١) فجزاؤهم عند الله اذن اهمال ووبال، لأنهم نسوا يوم القيامة ، فلم يقدموا فى دنياهم عملا ينفعهم فيه ٠

والهوى يهوى بصاحبه ، ويضله، فينســيه يوم الجزاء أن يذكره بما يقدم له من شواغل صارفة ، فيقول تعالى فى نصح نبيه داود عليه السلام: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضـلون عن سبيل الله لهم عذاب شـديد بمـا ســوا يوم الحساب) (٢) ٠

فالضــالون عن ســبيل الله ، سر ضلالهم نسيانهم يوم الجزاء ،وحسبك آفة وكأن نسيان يوم القيامة سر آفة الانسان وضلاله ، ولذا عندمـا يقف المجرمون ناكسى رؤسهم عند ربهم ، وقد رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ما نسوه من حقائق ذكروا بهـا فى دنياهم ، فلم يتذكروا عند ذاك يدعون الى العذاب الذى عرفوا يومئذ سـبب وقوعهم فيه : (فذوقوا بما نســيتم لقاء يومكم هذا انا نسـيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) (٣)

وفى آيــة أخرى يقــال لهؤلاء الذين نسوا ما لاينبغى أن ينسى : لقد

---

(١) الأعراف : ٥١
(٢) ص : ٢٦
(٣) السجدة : ١٤

نسيتم يوم الجزاء ، فكان أعدل جزاء لكم ما تلقونه فى هذا اليوم من اهمال وازدراء (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) (١) .

(ج) نسيانهم لله :

هذان النوعان السابقان من النسيان : نسيان الذنوب ، أو نسيان يوم المصير آفتهما أن أولهما يحمل معنى عدم الاستفادة من التجربة، وثانيهما: يحمل معنى عدم الاعتداد بالدافع أما هذا النوع الثالث ، وهو الذى يتعلق بالله ، فهو الشر بذاته ، لأنه يعنى تقلص ظل الايمان من نفوس البشر ؟ اذ لا يمكن أبدا أن يصح ايمان أو يستقيم على أساس سلوك ما لم يكن القلب مشغولا بذكر الله ، منصرفا الى ما يهيىء له مراقبة دقيقة لخالقه ومولاه .

وهذا النسيان قد يتعلق بأمر الله أو عهده .

وقد يكون تعلقه بذات الله .

وقد يكون النسيان لذكر الله الذى يجب أن يكون سلاحا للمؤمن يشهره فى وجه الشيطان اذا أراد أن يهوى به فى مزالق الخسران .

أما الأول منها فقد عهد الله لآدم ألا يأكل من شجرة بعينها ، وحذره من وسوسة الشيطان واغراءاته ، ونسى آدم عهده مع ربه ، وذهب عنه العزم الذى يثبت اليقين فى أحلك الظروف ، يقول الله تعالى ، يعرض لنا هذا الموقف : (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما (١) ثم نجد الآيات التالية تسجل أن هذا النسيان كان لونا من الانحراف (وعصى آدم ربه فغوى) وأن الله تاب على آدم وغفر له .

(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) (٢) .

وأما الثانى فقد أشار اليه القرآن الكريم ، وهو بصدد الحديث عن المنافقين ؛ اذ وصفهم بأنهم نسوا الله ؛ فيقول : (نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) (٣) .

ووقوع ظاهرة النسيان منهم على الله دلالة بليغة على خفوت حرارة

---

(١) سورة الجاثية : ٣٤

(٢) طه /١١٥ — ١١٧

(٣) التوبة : ٦٧

العقيدة ، وتبلد عاطفة الايمان ، وصيرورتها مجرد دعوى بلا واقع ؛ اذ أن كل مافى الانسان من جارحة ؛ وما حوله فى السموات والأرض من آيات تذكره بالله ؛ فكيف ينساه ؟

انه شأن المنافقين ؛ ظاهرهم الذكر وباطنهم الغفلة ، ومن طبعهم الكذب

كما أشار القرآن الكريم الى ذلك اللون من النسيان فى موضع آخر يحذر فيه المسلمين من سلوك المنافقين ؛ اذ يقول الله تعالى لهم : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (١) .

وكأن هذا النسيان من شأن المنافقين وحدهم ، اذ أن سلوكهم يقوم على نسيان بارئهم ، والحرص على شهواتهم ؛ وتضليل الناس من حولهم .

وثالث الأنواع من هذا النسيان الذى يتصل بالله : نسيان ذكر الله .

ومعنى هذا النسيان افتقاد سلاح لا يستقيم أمر المؤمن فى الحياة بدونه، اذ يقيه من الاغواء ، ويثبته فى مواقف الاغراء ويحفظه من همزات الشياطين .

ولذا جعل القرآن الكريم ذكر الله صفة للمتقين الذين تتجه هممهم الى خشية الله ومراقبته ؛ اذ يقول تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) كما يقول تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) .

ومن هنا كان نسيان الذكر مباءة للفساد ، ويزيد من فرص الانحراف فى أمور الدنيا ، وعن أوامر الدين .

وهذا هو شأن من نسوا ذكر الله ؛ توضحه عدة آيات ؛ وفى كل آية منها اشارة الى باعث لهذا النسيان ، وهو اما استهواء الشيطان أو استعلاء الانسان ، أو غرور لا يسمح له بفهم واقعه البشرى فيذكر ماديته ، وينسى ذكر ربه .

ولكون الآيات التى تتناول نسيان الذكر تعنى بتحليل أسباب هذه

---

(١) الحشر : ١٩

الظاهرة ، لذا سأتناول هذه الآيات عند تناولى لأسباب هذه الظاهرة بعد قليل .

واقتران نسيان الذكر بتحليل بواعثه وأسباب دلالته على خطورة هذا النوع الذى يصرف الفكر عن ربه ، ويدفع الانسان الى مهاوى الضلال .

بواعث النسيان :

عندما يكون النسيان مجرد ظاهرة بشرية ؛ فبواعثه حينذاك نفسية بحتة تنبع من داخله ؛ وتتمشى مع الفطرة الانسانية فى استواء ؛ ليس فيه شذوذ أو نشاز أو التواء .

وهذه البواعث خارجة عن دائرة هذا البحث ؛ ومجال دراستها بحوث علماء النفس .

ولايعنى القرآن الكريم فى هذه الناحية الانسانية الا بتسجيل ظواطرها اما تحليل الأسباب فرب العالمين خلق الأنسان ، ويعلم ماتوسوس به نفسه ويفرض عليه من السلوك ماينسجم مع بشريته ؛ وتعليل الظواهرالبشرية الثابتة لايفيد الانسان فى تدينه أى علاقته بمولاه وخالقه .

أما النسيان المنحرف ، فهو الذى تعرضت الآيات لما وراءه من بواعث وأسباب ، لأنها تنبع من خارج الانسان ؛ أو من داخله الذى خالف عن نداء الفطرة القويم ؛ وذكر البواعث حينذاك علامات هادية للانسان على الطريق .

وهذه هى الأسباب :

فى مقدمتها : الشيطان : وقد نسب له القرآن الكريم شغل الانسان عن ربه ، وصرفه عن ذكره ، وذلك فى عدة مواطن :

فيوسف فى سجنه ؛ وقد طال به الأمد ؛ وفى نفسه شعور صارخ بالظلم وسجنه هو البديل الوحيد للرذيلة التى تطارده ؛ طلب الى أحد رفيقيه ـ وقد يسر له الخروج ـ أن يذكره عند الملك ! ! ونسى يوسف رب الملك ، اذ لانجاة له الا بتقديره ولكن الشيطان قد ينال من الانسان فى ضراوة الامتحان . قال تعالى: (وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين) (١)

---

(١) يوسف : ٤٢

وكان مكثه فى السجن لمسة عقاب على غفوة يسيرة تولى أمرها الشيطان

وفى حـديث القرآن الكريم عن المنحرفين عن سنن الاسلام اما بفساد في العقيدة أو انحراف فى السلوك نجد تعليلا لذلك بتسلط الشيـطان عليهم وبسـيطرته على نفوسـهم ، فأنساهم خالقهم ؛ وبـذلك تم لهم الانغماس فى ضلالهم يقول تعالى : (استحوذ عليهـم الشـيطان فأنساهم ذكـر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) (١) •

والشيطان وهو يؤدى رسالة الشر فى البشرية لايقـصر جهـده عـلى الاشرار فهم جنوده ؛ وقد فرغ منهم ولكنه يبحث عن ضالته فى السائرين على طريق الرشاد يحاول جذبهم اليه وقـد تبلـغ ؛ الوقاحة مبلغا كبيرا ؛ فيطمـع فى أن ينال فرصة من رواد البشرية ؛ وانى له ذلك ؟

ولذا يقول الله تعالى لنبيه محمـد عليه الصـلاة والسـلام ؛ مـذكرا ومحذرا :يذكره بمحاولات الشيطان جـذبه لمجالس هـؤلاء الضالـين ؛ ويحـــذره من الجلوس معهم أكثر من فترة التذكير والتوجيه : (واذا رأيت الذين يخوضـون فى آياتنـا فـأعرض عنهم حتى يخوضـوا فى حديث غيره واما ينسـينك الشـيطان فلا تقعـد بعـد الذكرى مع القـوم الظالمين) (٢)

والغرور هو ثانى الأسباب :

وهو أن يسيء الانسان منهم نفسه بأن ينسى الأصل الذى منه نشأ ؛ أو ينسى أن الأيام تدول ؛ وأن النعـم تزول ؛ وأن المتعة قد تصير شـقاء ؛ والجاه قد يتحول الى بلاء •

وسوء الفهم الذى يخلق الغرور هو الذى ينسى الانسان هـذه الحقـائق الثابتة من سنن الله فى الحياة •

فأبى بن خلف عندما وقف موقف التحدى من النبى صلى الله عليه وسلم منكرا فى تهكم عقيدة البعث ؛ ويأتى بعظام بالية ؛ ويفتتها بيديه ؛ ويقول: أترى يامحمد أن الله يحى هذه العظام بعدما رمت ؟ ! !

(١) المجادلة : ١٩
(٢) الأنعام : ٦٨

من غير شك أن أبيا فى موقفه الذى تبدو فيه حماقة البغى وشراسة الجحود لم يدر بخلده الماء المهين الذى خلق هو منه !! ولو تذكره لراجع نفسه مرات قبل أن يقول ما قال .

وهذه هى الحقيقة التى سجلها القرآن (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليهم) (١) .

فالغرور أنسى أمية احدى بديهيات الموجود ، حتى تورط فيما تورط فيه من كفران وجحود .

والنعمة تأتى للانسان بما وراءها من بهجة ومتاع، فيعيش عيشة الرغد ويرفل فى أفخر الثياب ، وينعم فى سلطان المال والجاه ، وينسى أمس بشقائه وبلائه ، وفقره وبأسائه .

انه الانسان المغرور يفزع الى ربه فى الضراء ، وينسى ضراعته فى السراء (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) (٢) .

فغرور الانسان أنساه صاحب الحق ، فضل السبيل اليه وأشرك .

وكم يؤدى غرور الانعام بالانسان الى مهاوى الكفران عندما ينسى ماكان فيه من عسر ، وما صار اليه من يسر

ويوم القيامة سيبرأ المعبودون من من العبيد أمام رب الأرض والسماء، معللين انحراف من عبدوهم بأن متاع النعمة أنساهم فضل المعبود الواحد ، يقول تعالى:(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا) (٣) .

ومن عجب أن تكون نعمته سببا لجحود فضله ، والغفلة عن ذكره ، ثم ضلالهم طريق الوصول اليه .

---

(١) يس/ ٧٨ ، ٧٩
(٢) الزمر/ ٨
(٣) الفرقان / ١٧ ، ١٨

وثالث الأسباب الاستيلاء على الناس

قد يجد المغرور من يستخذى لكبريائه ، وينصاع لغلوائه ، ويستذل لبغيه فيغريه ذلك بمزيد من الطغيان.

ويسمع كلمات الثناء ، وعبارات التمجيد من أفواه العبيد ، فيتصور أنه كبير ، وينسى أن فوقه الكبير المتعال .

وعندما وجد فرعون من يستذلهم أنساه ذل العبيد أنه عبد مثلهم ، وصدق رب العالمين ؟ اذ يقول (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) .

تتجلى حقيقة هذا السبب فى قوله تعالى : (انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون) (١) .

فكما يحاول الفاتن أن يصرف مفتونه عن دينه ، ويبعده عن ربه ترى المفتون من ناحية أخرى ينسى فاتنه ذكرى ربه عندما يظن سكوته عنه انصياعا له وذلة ، فيغريه ذلك بمزيد من التجاوز والشطط .

عقوبة النسيان نسيان :

هؤلاء الذين وقعوا مطية للنسيان المنحرف الذى حللنا أسبابه . كيف قوم القرآن موقفهم ؟ وماذا قال فى عقوبتهم ؟

ان سنة الله فى عباده ، وقانونه فى خلقه : الجزاء من جنس العمل فمن نسى ربه ينسى .

ونسيان الله لعبده يعنى أنه فى موقف الطرد من رحمته ، والبعد عن مغفرته ، وأنه موكول الى نفسه ؟ ولذا فشقاء الحياة ينتظره ، وبؤسها سيلاقيه .

وهذه هى الآيات التى تشير الى عاقبة النسيان الخاطىء ، يقول تعالى :

(فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون) (٢) .

(نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) (٣) .

(قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (٤) .

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (٥) .

---

(١) المؤمنون / ١٠٩ ، ١١٠ (٢) الأعراف / ٥١ (٣) التوبة / ٦٧
(٤) طه/١٢٦ (٥) الحشر / ١٩

وفى هذه الآية الأخيرة لون آخر من العقوبة . وهو أن من نسى ربه يوكل الله به ظاهرة النسيان البشرى بصورة غير طبيعية تجعل حياته لاتحتمل ويقضى أيامه فى الحياة بغير ذاكرة .

(وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) (١) .

وفى هذه الآية كانت عقوبة النسيان من أجل نسيانهم يوم اللقاء .

ونسيان يوم اللقاء يعنى نسيان الملك الحق الذى جعل هذا اليوم فيصلا بين العباد .

هكذا تؤكد الآيات السابقة كلها بأوضح عبارة ، وأجلى بيان أن عقوبة النسيان نسيان .

والنسيان الذى هو عقوبة ليس كالنسيان الذى هو خطيئة لكنها المشاكلة فى التعبير ، وهى من خصائص بلاغة القرآن ، جاءت لتؤكد حتمية القانون الالهى ، واستمراريته ، وهو أن جزاء العامل من جنس عمله .

وعلاج النسيان الخاطىء بالذكر :

اذا ذكرت ربك بصدق طهرت القلب من شواغله ، وأخلصته لبارئه ، وأنقذته من أدوائه ، وحرسته من بواعث النسيان الضال التى أسلفناها وكنت على ذكر دائم لربك ، تنقشع أمامه بواعث الغفلة مهما كثرت .

وقد قدم لك القرآن العلاج من هذه الآفة القاتلة ، المدمرة للعقيدة والسلوك فى آية واحدة ، هى قوله تعالى : (واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا) (٢) .

أجل هذا هو الطريق الذى يقربك من الرشاد ، ويثبتك على نهج السداد ، ويهديك الى الحق والى صراط مستقيم ؟

دكتور السيد رزق الطويل

---

(١) الجاثية / ٣٤

(٢) الكهف / ٢٤

بقيــة أســرة

للأستاذ السيد حسن قرون

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنـه لا يلهيه النصر عن السؤال والاستفسار عن جنـوده وأحوال رعيته ، وجلس يوما فى دار الامارة وحوله سادة الصحابة ، وجاءت الأنباء السارة من جبهات القتال ، فتذكر قريشا وكان من شأنه أن يتفقد أمور النـاس ويستقصى أخبار كل فرد ، وجاء ذكر سعيد بن العاص بن سعيد ابن العاصى بن أمية ، فسأل عنه ، فقيل له هو فى دمشق ، عهد العاهد به وهو مأموم بالموت ، فخفق قلب عمر بالشفقة عليه ، وسرعان ما أرسل الى معاوية والى دمشق أن ابعث الى سعيـد بن العاص فى مقفل ... وترجع شفقة الخليفة على سعيد الى ما تذهب اليـه قريش فى العنـاية بأبنائها ولاسيما اليتامى منهم، والى قلبه الرحب الرحيم، والى ما شاهده من عطف الرســول صلى الله عليه وسلم على سعيد فقـد كساه حلة ، وحنا عليه ، وقـد توفى الرسول وسعيد فى التاسعة من عمره، ولم يكن حينئذ يتيم يستحق العطف والرعاية مثله انه (١) بقية العاص بن أمية » لأن سعيدا صاحبنا فقد رجال أسرته جميعا فى حروب بعضهـا فى الجاهلية وبعضها فى الاسـلام كان له عم اسمه (أحيحة) قتل فى حرب الفجار التى كان جده سعيد بن العاص من رؤسائها ، ولمـا جاء الاسلام أسلم من أعمامه ثلاثة استشهدوا فى سبيل الله وهم خالد وعمرو وأبان ، أما أبوه العاص وعمه عبيدة فقد قتلا كافرين فى غــزوة بدر ، ولم يبق من تلك الأسرة الا سـعيد بن العـاص الطفل اليتيم ، فنشأ يتيما فى حجر عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولمـا أيفع اتجه الى الشـام حيث اتجه اليــه أعمامه فاستشهدوا ، فعاش فى كنف معاوية ابن أبى سفيان ، ويبدو من الحوادث

---

(١) الطبرى أحداث ٣٠ هـ .

أن معاوية أهمله ، فجاء ذكره فى مجلس الخليفة أنه « مأموم بالموت » وحين بعث الى المدينة حسب الاستدعاء كان دنفا ، فما بلغها حتى أفاق ، فاستقبله الخليفة حانيا عليه ، حريصا على رعايته ، والنهوض به الى معالى الأمور . وقال لعثمان : يا أبا عمرو ، ما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته ؟ قال : قد عرضت عليه فأبى. ولم يلبث عمر أن قام من مقامه يصحبه نفر من قريش فسار بهم فى البرية حتى انتهى الى ماء عليه أربع نسوة ، فقمن له ، فقال : مالكن ؟ من أنتن ؟ قلن : بنات سفيان بن عويف ، ومع البنات أمهن . فقالت : هلك رجالنا ، واذا هلك الرجال ضاع النساء ، فضعهن فى أكفائهن، فاستجاب لها ، فزوج سعيدا احداهن ، وعبد الرحمن بن عوف الأخرى ، والوليد بن عقبة الثالثة . وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلى فقلن : هلك رجالنا وبقى الصبيان ، فضعنا فى أكفائنا ، فزوج سعيدا احداهن، وجبير ابن مطعم الأخرى ، فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء . ومارس سعيد حياته فى ظل الخليفة ، ويروى الرواة (١) أن سعيد بن العاص اتى عمر يستزيده فى داره التى بالبلاط وخطط اعمامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوارث الوحيد) فقال عمر : صل الغداة وغبش ثم اذكرنى حاجتك ، وقد نفذ له ما أراد . وكان عمر مرهف الحس نحوه ، فذات يوم ظن به اعراضا عنه . فقال له : ياسعيد ، مالى أراك معرضا كأنك ترى أنى قتلت أباك ؟ ما أنا قتلته ، ولكنه قتله على بن أبى طالب ، ولو قتلته ما اعتذرت عن قتل مشرك ، ولكننى قتلت خالى العاص بن هاشم المخزومى . قال سعيد : يا أمير المؤمنين ، لو قتلته كنت على حق ، وكان على باطل ، فسر منه . وهكذا كانت الحياة بينهما ، فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال عصره .

زايل سعيد سقمه، وقر به قراره، وأصبحت له دار وزوجات ، ثم طمحت نفسه للغزو والجهاد فى سبيل الله ؟ ان جيوش المسلمين تتدفق على ميادين القتال شرقا وغربا وشمالا ، وهو فتى لاتنقصه الشجاعة ، ولا تعوزه الحيلة ،

---

(١) الطبقات : سعيد بن العاص .

وقـد شهد المعارك من صـغره ، وله ذكريات أعمـامه (١) ، فقـد كانـوا للاسلام جنداً،وكان في سباق وتنافس مع فتى مثله له قرابة بالخليفة عثمان هو عبد الله بن عامر (أحد بني عبد شمس) كلاهما يبغي الجهاد والفوز بالنصر أو الاستشهاد ، وكانا عنـد حسن ظن الخليفـة عثمـان كفـاية حربية ، وطاعة اسـلامية ، ونجـدة مضرية ، ففي سنة ثلاثين من الهجرة غزا سعيد خراسان من الكوفة وكان تحت لوائه شباب الاسلام : الحسن والحسين ، وعبـد الله بن عبـاس ، وعبـد الله بن عمرو بن العـاص ، وعبد الله بن عمر ، والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيداً ونزل (أبر شهر) وبلغ نزوله سعيداً ، فنزل سعيدا (تونس) وهي صلح تم على يد حذيفة بن اليمـان ، ثم أتى جرجان فصـالحوه على مائتي ألف ، ثم أتى (طميسة) وهي كلها من (طبرستان) متاخمة (جرجان) فقـاتله أهلهـا قتالا عنيفـا حتى سأل حـذيفة : كيف صـلى الله عليـه وسلم صـلاة الخوف فأخبره ، فأداها والحرب دائرة والدماء تسيل،وضرب سعيد يومئذ رجلا من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم حصارا شـديدا ينذر بالموت عاجلا أو آجلا ، فسألوه الأمان ، فأعطاهم « على ألا يقتل منهم رجلا واحـدا » ففتحوا الحصـن ، فقتلهم جميعا الا رجلا واحداً،وحوى ما كان في الحصن ، وهلك معه محمد ابن الحكم بن عقيل الثقفي جـد (يوسف بن عمر) وفتح صحـارى تسمى (نامية) وثبت الأمن في أطراف الدولة شرقا .

ولما رجع من غزواته الى الكوفة استقبله (كعب بن جعيـل) مادحا بقصيدة منها :

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه
وإذ هبطوا من دستبى ثم أبهرا

تعلم سعيـد الخيـر أن مطيتي
اذا هبطت أشفقت من أن تعقرا

كأنك يوم الشعب ليث خفيـة
تحـرد من ليث العرين وأصـحرا

تسوس الذي ماساس قبلك واحد
ثمانين ألفـا دارعين وحسرا

---

(١) منهم شهيد مرج الصفر مجلة الأزهر ١٩٧٣ م .

وهكذا أثبت سعيد أنه بطل حربى، ومجاهد قرشى يملأ الايمان قلبه يتحرى فى الدين وينصح للمسلمين، قائد موفق وشجاع باسل، وذو بديهة حاضرة، وعقل أريب فما الذى قصر به به حين ولى الكوفة ؟ أيكون قائدا خيرا منه واليا ؟ ولايغنى الاعجاب به من الحكم له أو عليه، ان أمورا تعترى القوى الحصيف فتعوقه عن سلكه، وتحجب عنه الرؤية الصحيحة فهل كان سعيد من هذا النوع ؟ ان مجموع تصرفاته فى الكوفة كانت عليه لا له : عزل عثمان (الوليد بن عقبة) لاتهامه بشرب الخمر، وولاه مكانه، فماذا فعل حين وصل ؟ يقول ابن سعد فى طبقاته : قدم الكوفة شابا مترفا ليست له سابقة، فقال : لا أصعد المنبر حتى يطهر، فأمر به فغسل، ثم صعد المنبر فخطب أهل الكوفة، فنسبهم الى الشقاق ثم قال : «انما هذا السواد بستان لأغيلمة قريش» بداية غير موفقة، أهان سلفه وهو ابن عمه، وأخو الخليفة لأمه، وأضعف منزلة الولاة، وشجع الحاقدين على قريش، وقد بدأت الألسنة تقول صدقا أو كذبا، وأول ما كان يقال : ان عثمان يولى الأحداث من أقاربه، ويترك الجلة من الصحابة، مع أن كل واحد من الذين اعترض الثوار عليهم من المقدرة الحربية والادارية بمنزلة عظيمة، لكنه الحسد والطمع ووسوسة المال . كان الوليد بن عقبة رجلا نبيلا سخيا لا باب لداره، يغشاه الناس ليلا ونهارا وينام وهم قعود . أبعد هذا سماحة وديمقراطية كما نقول اليوم ؟ ولكنه تعرض للتهمة والعزل واقامة الحد، وحل محله سعيد، ففعل فعلة المنبر، فهل أرضى أهل الكوفة ؟ جاء ما فعله عكس المراد، فأشاعوا عنه الشح وهو السخى، والشدة وهو اللين، فكانت الولائد وعليهن الحداد يقلن :

يا ويلتا عزل الوليد
وجاءنا مجوعا سعيد
ينقص فى الصاع ولايزيد
فجوع الاماء والعبيد

ولم يكن هو كما وصفن . بل كان أحد أجداد الاسلام، وسيأتى ذلك فى مكانه، وكانت العيون مصوبة عليه، تحصى عليه حركاته وكلماته، والحاكم كالمدرس فى فصله يؤدى عمله ما رأى الحب والاصغاء فحين يحرمهما يضطرب، وقد يخطىء فى العلاج .

أهل الـكوفة من القبائل الحاسدة لا يرضيهم فعله ، والقرشيون أنفسهم لا ترضيهـم معـاملته ؛ كان النـاس ينتظرون هلال شوال . فقـال : من رأى الهـلال منكم ؟ فقـال القوم : ما رأيناه . فقال هاشم بن عتبة بن أبى وقاص : أنا رأيته . فقـال له سعيد : بعينك هـذه السوداء رأيتـه من بين القـوم ؟ وكانت عينـه أصيبت يوم اليرموك ، ثم أصبح هاشـم فى داره مفطرا وغدى الناس عنـده فبلغ ذلك سـعيدا ، فأرسـل اليـه فضربه ، وأحرق داره،ومقبول منه أن يؤدب، وليس مقبولا أن يشعل النار فى الدور، وكان صدى ذلك أن غضبت (زهرة) واحتـج سـعد بن أبى وقاص عنـد عثمان . فقـال عثمان : سـعيد لـكم بهاشم ، اضربوه بضربه ، ودار سعيد بدار هاشم فأحرقوها ، وانتهز عمر ابن سعد الفرصة فأشعل النار فى دار سعيد بالمدينـة ، وغضبت أم المؤمنين عائشة فخرجت ، وصاحت بسعد بن أبى وقاص أن يكف ، فأطاع .

وقدم سـعيد الى المـدينة وافدا على الخليفة ، فبعث الى وجوه المهاجرين والانصار بصـلات وكسـا ؛وبعث الى على بن أبى طالب أيضا ، فقبلت هداياه وقال على : ان بنى أميـة ليفوقـونى تراث محمد عليه السلام تفوقا ؛ والله لئـن بقيـت لهم لأنفضنهم مـن ذلك نفض القصـاب التراب الوذمة) فلم يرض عليا ولا من قبلوا هـداياه .

وزاد أهل الكوفة فى الشائعات؛ وهى أقـوال كـانت مقصـودة لاحـراج الخليفة ، وبعث الفتنـة من مرقدهما فاشـتد عليهم ، فالجـأوا الى عثمـان شاكين ؛ فلم يقبل شكواهم ، ورده اليهم ، ولكنهم خالفوا وتحدوا أمر الخليفـة ، فرصـدوه فى الطريق ، وهـددوه بالقتل فرجـع . وأعلن (الأشتر) أنه ولى أبا موسى الأشعرى على الكوفة ، وقبل أبو موسى بشرط أن يبايعوا لعثمان من جديد ، فجددوا البيعة ، وبلغ عثمان مافعلوا ، فأعجب به وأقـره ، وكان هـذا أول وهن أصاب الخلافة وجرأ دعاة الفتنة .

وجاءت الأحداث الكبرى ، وقتل الخليفة ، وابتلى سعيد بن العاص بها ، ودافع عن عثمان دفاع المستميت حتى جرح وحمـل فلمـا خرج طلحـة والزبير وعائشـة من مكـة يريدون البصرة للأخذ بثأر عثمان خرج معهم سعيد وكثير من بنى أمية ، فلما نزلوا مر الظهران قام سعيد خطيبا . فقال :

أما بعد فان عثمان عاش فى الدنيا حميدا ، وخرج منها فقيدا ، وتوفى سعيدا شهيدا ، فضاعف الله حسناته ، وحط سيئاته ، ورفع درجاته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وقد زعمتم أيها الناس أنكم انما تخرجون تطلبون بدم عثمان ، فان كنتم ذلك تريدون فان قتلة عثمان على صدور هذه المطى وأعجازها ، فميلوا عليهم بأسيافكم ، والا فانصرفوا الى منازلكم ؛ ولا تقتلوا فى رضا المخلوقين أنفسكم ، ولا يغنى الناس عنكم يوم القيامة شيئا . فقال مروان ابن الحكم . لا ، بل نضرب بعضهم ببعض ، فمن قتل كان الظفر فيه ، ويبقى الباقى فنطلبه وهو واهن ضعيف . وقام المغيرة بن شعبة فأيد سعيدا ، ورجع بهوازن حتى نزل الطائف ، ورجع سعيد بمن اتبعه حتى نزل مكة ، ومكث فيها ، فلم يشترك فى الوقائع لا فى معركة الجمل ولا فى معركة صفين .

أكان مقتل عثمان ايقاظا له من أحلام كان يحلم بها أم أن الحوادث كشفت عن عينه الغطاء ، فأعادته الى فطرته كما كان أيام عمر ؟ وأنا أميل الى أن الرجل لم يكن من طلاب الخلافة وحصرها فى بنى أمية ، ولم يكن ممن يغلب مطامع الدنيا على منازل الآخرة ، وخطبته تدل على مسلكه ، أما مروان فكان يحلم بجعل الخلافة أموية وكان يهتف بها وعثمان محاصر ، وأثناء زحفه مع طلحة والزبير قال : يجب أن يولى الخلافة أحد أبناء عثمان وحين هزم فى موقعة الجمل بايع عليا ثم نكص على عقبه ، فكان مع معاوية على على ومعروف أنه ، أقرب الناس رحما الى عثمان فهو ابن عمه دنيا ، أما سعيد فهو فى درجة معاوية يجتمع مع عثمان فى أمية ولئن فاته أن يكون الأمر لأبناء عثمان فلا بأس بمعاوية . أما سعيد فقد اعتزل الحرب الدائرة ، وبقى بمكة الى حين .

وانتهى الصراع بتنازل الحسن بن على لمعاوية ، ورأى معاوية أن يستعين بسعيد فى أمر من أموره فأسند اليه حكم المدينة ، وكان معاوية يخشى بنى أمية كما كان يخشى غيرهم من قريش ؛ ولاسيما بنو هاشم وآل الزبير ، وبعض الشخصيات المحبوبة مثل ابن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وخشيته من بنى أمية أكبر فحال بين سعيد ومروان وحكم

العراق ، وجعلهما للمدينة يولى هذا ثم يعزله ، ثم يولى الآخر ؛ ويضع زميله مكانه ، على طريقة (فرق تسد) وسعيد ومروان خير من غيرهما على كل حال رضي سعيد بما صار اليه وخدمة الدولة واجب لايتخلى عنه ؛ ولكن معاوية لا يتركه ليستقر فهو وراءه بالتولية والعزل والايقاع بينه وبين مروان ضمانا لمستقبل يزيد ، من ذلك أن معاوية كتب اليه وهو والى المدينة أن يهدم دار مروان فلم يهدمها ، فأعاد عليه الأمر بكتاب آخر فلم يفعل ، فعزله وولى مروان ، واحتفظ سعيد بالكتابين عند جارية له،فأرسل معاوية الىمروان يأمر بقبض أموال سعيد بالحجاز ،فما كان من مروان الا أن أشخص ابنه عبد الملك لتنفيذ أوامر معاوية فلما تقابل الرجلان . قال سعيد لو كان الأمر شيئا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت ، ودعا بالكتابين اللذين كتبهما معاوية اليه في أموال مروان وهدم داره ، فأخذهما عبد الملك ، وذهب بهما الى أبيه . فقال مروان : لقد كان أوصل لنا مناله .

كان سعيد يتحلى بشمائل عرفت عنه ، وترجمت في أعمال ، ومن شمائله النبل وقد تجلى ذلك في موقفه من مروان فلم يهدم داره ، ولم يقابله بالجفاء حين اراد قبض ماله ، بل رده بكشف أمر الخليفة . ومن شمائله الذكاء وقد رأيناه في تصرفه مع أهل طبرستان وكان شجاعا باسلا ، ورجوعه حين صد عن دخول الكوفة لا يدل على جبن منه ، فهو لا يسفك الدماء الا بأمر الخليفة ، والخليفة لايرضى أن تسفك الدماء ، لقد كان رأيه أن يقتل القائمين باذاعة القالة السيئة في أمر الخليفة فأبى عثمان قائلا: «ان رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها » .

أما السخاء فكان طبيعة فيه ، يصدر عنه كما تصدر أشعة الشمس عنها ، فهو أحد الأجواد الثلاثة الذين ظهروا في الحجاز بعد ظهور الاسلام عبيد الله بن عباس ، وعبد اللهبن جعفر وسعيد بن العاص ، وفي الكتبالأدبية حديث طويل عن عطائه وسخائه ؛ وأنا أختار لك منها نادرة واحدة تدل على منهجه في الكرم.قال الأصمعي: كان سعيد بن العاص يسمر معهسماره الى أن ينقضي حين منالليل ، فانصرف عنه النوم ليلة ورجل قاعد لم يقم ؛ فأمر سعيد باطفاء الشمعة ؛ وقال : ماحاجتك يا فتى ، فذكر أن عليه دينا أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ؛

وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه ولاعجب فى ذلك فهو القائل فى احدى خطبه : قبح الله المعروف ان لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فما المعروف عوض من مسألة ، الرجل اذا بذل وجهه . . . اللهم ؟ فان كانت الدنيا لها عندى حظ فلاتجعل لى حظا فى الآخرة . وكان يقول : لجليسى على ثلاث : اذا دنا رحبت به ، واذا جلس وسعت له ، واذا حدث أقبلت عليه ، يقول : ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم ؟ولا يمنع هذا أن يترفع اذا اقتضى الأمر الترفع . كتب اليه (١) زياد وقد الحق بأبى سفيان يخطب اليه ابنته ، وبعث اليه بمال كثير وهدايا فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بتسليم المال والهدايا وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : انها أكبر من ظنك . قال: أنا أكثر منها . ثم وقع الى زياد فى أسفل كتابه : «كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى »ومع ذلك فقد كان سهلا طلق الوجه ، جميل الخطاب ؟ محببا الى الناس ، وأنا أنقل لك تلك النادرة التى رواها بن عبد ربه فى عقده . قال : كان فى المدينة فى الصدر الأول مغن يقال له (قند) وهو مولى سعد بن أبى وقاص ، وكانت أم المؤمنين عائشة تعطف عليه وتمنع سعدا من الغلطة فى معاملته،وكان معاوية يعقب بين مروان وسعيد على المدينة يستعمل هذا سنة وهذا سنة ،وكان فى مروان شدة وغلظة ، وفى سعيد لين عريكة ، فلقى مروان قندا المغنى وهو معزول عن المدينة ، وبيده عكازه ، فلما رآه قال :

قل (لقند) يشيع الأظعانا
ربما سر عيننا وكفانا

فقال قند:لا اله الا الله ، ماأسمجك واليا ومعزولا .

وفى عهد سعيد سنة خمسين من الهجرة توفى الحسن بن على رضى الله عنه فصلى عليه سعيد .

هذا ويجتمع سعيد بن العاص من حيث النسب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف . وقد توفى سنة٥٩ هـ بعد أن ترك أعمالا مذكورة أقلها الولاية ، وقد عبر الشعراء عنه وعن شمائله فى كثير من القصائد .

لقد كان بقية أسرة ، ولكنه بقية نافعة .

السيد حسن قرون

---

(١) العقد الفريد ج ٧ تحقيق سيد العريان .

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

شوقي كانت تهزه معاني البطولة ، ويطرب للعبقريات ، ويعجبه الكمال الانساني كله ، ويرى في هذه الأشياء جوانب من فضل الله على الناس لا يراه سواه ، ولا يدركه غيره ؛ وهو حينما يغني لتلك الفضائل ، ويتحدث عنها ، ويصور لها ، ويطوف بكعبتها ؛ ويصلي عندها ، تشتد فتنته بها ؛ واكباره لها ، لأمرين اثنين ، كلاهما له عنده قداسته واحترامه ، وتقديره البالغ نهاية التقدير ، الأول أن بصيرته النافذة ، وادراكه الدقيق ، وشفافيته المرهفة ، كانت عونه على هذا الادراك الذي ارتفع به الى مستوى الالهام الذي يشبه الوحي ، والثاني أنها كانت معينا لا ينضب لشاعريته التي جعلته يحلق في سماء الموهوبين من الفلاسفة والمفكرين ، ويرى بعد ذلك كله أن هذا الجو الذي أصبح يطير فيه هو دنيا السعادة التي ينشدها البشر فلا يجدونها الا في الأحلام أو الأوهام ، وهو حينما يظفر بصورة من هذه الصور التي يرسمها له فنه ، ويتخيلها ذهنه ، ويمتلىء بها حسه ، يطيب خاطره ، ويطمئن قلبه ؛ ولا يسعه هذا الكون مع رحبه واتساع رقعته ، وربما رأيته يطرب لصورة حيوان أو نبات أو جماد ؛ كما تراه يتحدث عن انسان يخالف دينه ومذهبه ، والعناوين التي ورد ذكرها في كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » كلها كانت تهزه ويطرب لها ، وفي ثنايا شعره الموزع على أجزاء الشوقيات قضايا اسلامية كثيرة ، يقف منها موقف المدافع عنها ، أو الداعي اليها ، أو المبين لحكمة التشريع فيها ، وقد تقتضيه الحال أن يكرر ذلك في مناسبات تعرض له ، الا أن هذا التكرار لا يخلع عليها من الابتذال ، ما يجعلها ثقيلة على القارىء ، أو بغيضة اليه ؛ أو نازلة عن المستوى البلاغي الذي تعوده من الشاعر ؛ وألف أن يراه في ثنايا قصائده ... ونحن اذا كنا نستقصي حديثه عن شخصة

الرسول صلى الله عليه وسلم فى ديوانه الضخم لا نجد دائما أبدا الا جديدا من الروعة ؟طريفا من البيان بديعا من الحسن ؟ فريدامن البلاغة غريبا من صور الالاقة والجمال يجمعها على شعره ، فلا ندرى عند مرورنا بها ؟ ووقوفنا على أطلالها أيهما كان أكثر ابداعا ؟ واروع تصويرا ، وأخصب حسنا وجمالا وربما رأيته يتناول الميلاد أو الهجرة على عادة الناس فى المناسبات الخاصة — مثل قصيدته التى كانت بعنوان «ذكرى المولد» أو مطولتيه الهمزية والميمية التى عارض بها البوصيرى ، فلا تكاد تزعم لنفسك أو لاحد من الناس أنه يكرر المعنى الواحد ، أو أن ديباجته هنا تشبه ديباجته هنالك ... والحديث عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم كتاريخ اشتمل على أحداث ، وتضمن خطوات من الزمن ، تنوعت فيها الحياة ، واختلفت الأيام ، وجرى فيها دولاب الحظوظ ، باليمن والخير ، والبؤس والنعيم ، يشبه الى حد بعيد القضايا المتضاربة ، أو الأمور المتناسقة ، أو الخطوط المتساوية الأطوال والأبعاد ، لأن مهمة الكاتب فيها لاتتجاوز السرد أو التسجيل دون أن يزيد فى الحقيقة سطرا واحدا ، وماكنا نظن وهذا الرجل يتناول ذلك الموضوع أنه يخرج عن هذا الخط ، أو يتجوز ذلك النطاق ، وبخاصة اذا لاحظنا أن المؤرخ ليس من حقه الا أن يكون جهاز تسجيل فقط لا أكثر ولا أقل ، وأنه حينما يخرج عن هذا المبدأ أو يتجاوز ذلك النطاق ، يحيط نفسه بالريبة ، ويمكن خصومه من طرح الثقة به ، والاطمئنان اليه ووصفه بالتقول والاختلاق ، ولاسيما ونحن نضيف الى ذلك كله أنه يقيد نفسه بقيد الوزن والقافية ، ويرتبط بالبحر العروضى الخاص .. ولهذا فاننا أمام سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التى جاءت فى كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » نقف موقف الاعجاب والاكبار ، لأن التاريخ الذى كنا نحفظه ، والأحداث التى كنا نعرفها ، والمواقف التى كنا نعى أخبارها ، أصبحت أمام ذلك كله شيئا آخر ، فلا فيها ملامح ما نحفظ ، ولا آثار ما نعى ، كأن الحقيقة هنا غيرها هنالك وهكذا ... فميلاده الذى أحاط به اليتم ، ونشأته التى اكتنف بها الفقر ، ودعوته التى قابلوها بالصد والاعراض ، وايذاء قريش له ، وصنيع اليهود معه ، واضطراره أمام

ذلك كله الى الحرب كشر لابد منه؟
هذه أمور لاينكرها مؤرخ ولاينكرها
صيرورة هذه كلها قضايا اشبه بالقضايا
ـ كذلك ـ صديق ولا عدو ، لكن
صيرورة هذه كلها قضايا أشبه بالقضايا
التى يقول عنها علماء القانون انها ذات
مبادىء يأخذ الناس منها دستوراً ،
ويمدون منها خيوطا ، ويجعلون منها
مصدرا من مصادر التشريع ، هو
ما يلفت النظر ، ويدعو الى التأمل ،
ويحمل على التفكير والدراسة ، واذا
كان الشعر يخلق من الحبة قبة ـ أوجبه ـ
فان ميزة هذا الشعر الذى يسجل فيه
شوقى تاريخ النبوة الطاهرة ، لايدعك
فى صحراء موحشة ، ولا فى قفر
بل تنتقل فيه من حزن الى سهل ،
أو تصعد الى جبل ثم تنزل الى سفح ،
من غير ترويح لنفسك ، وامتاع
لخاطرك ، يعرض عليك نشأة الطفولة
فى كنف الفقر واليتم ، وكفالة جده
له ، ثم عمه من بعده ، وأن ذلك كله
لم يتناول اباءه وعزة نفسه ، شأن
أمثاله الذين يشبون على هذا الدين ،
ويعقب عليه بقوله :

فشب حلوا سمته ودله
ليس له من اليتيم ذله
مرتسما فى أدب الاسلام
من اجتناب الخمر والأزلام
منحرفا عن الدمى صبيا
وهكذا من يجتبى نبيا
مبرأ من نزق وطيش
وخيلاء فى بنى قريش
ملقبا فى البلد الأمين
دون بنى الأعيان بالأمين
فات قريشا بمكارم الخلق
مثل ابن عبد الله للسبق خلق
قد حاز من مواهب السعادة
ما لا يحوز بشر فى العادة
أكرم من صوب الحبا نصابا
وأجود الناس بما أصابا
وقائد الخيل فتى وكهلا
وكان فى المهد لذاك أهلا
كان قبيل البعث رب مال
وتاجرا ميسر الأعمال
يضرب فى حزن الفلا وسهله
بمال عمه ومال أهله
مبارك الرحلة والاقامة
مستصحب الجد والاستقامة

وهو فى هذه الأبيات يطوى صفحات
من التاريخ ، ويمر بفترة من الزمن
ويملأ سمعيك بحقائق أنت لاتنكرها ،
لأنك مررت بها طويلا ، ودارت بها
رحى المناسبات أكثر من مرة ، ووعيتها
وعيا يجعلها منك بمنزلة اليقين الذى

لا تنكره ، والحق الذى لا تشك فيه ، والبديهى الذى لا تطلب عليه الدليل ، وهى - مع هذا - لا تتفاوت فيها أقلام الكاتبين ، وبخاصة حينما يريدون بها - أو منها - أن تكون تسجيلا أو سردا ، الا أن الشاعر وهو يخاطب الناس بذوق السادة ، وأدب الخاصة ، وادراك العلية ، وشعور الموهوبين ، والهام الفلاسفة ، يرتفع بهم عن هذا التراب القاتم ، والجو الملبد ، والأفق الذى تعيش فيه الهوام والحشرات ، وهنالك ترى صورا أخرى ، وحقائق لا عهد لك بها من قبل ، وحينئذ لا تشك فى أن هذا الطفل الذى كان يدرج بينهم ، ويعيش معهم ، وكانت العناية الالهية تحرسه وترعاه ، وتحفظه وتصونه ، وتأخذ بيده فى كل أحواله وأعماله ، وقصده واتجاهه ، لتكون صفحات حياته أبيض من الصبح ، وأنقى من النجوم ، وأطهر من ماء المزن ، وأكرم على الله وعلى الناس من كل شىء بعد ذلك ، ولهذا فقد كان له من هذا الماضى رصيد ضخم من الفخر الذى لم يتطاول كبرياء أحد من أهل مكة الذين كانت لهم السيادة على العرب ، والعزة فيهم ، وكان هذا الرصيد عونه الأول على كفايته عليهم ، وتقدمه فيهم ، واستحقاقه دونهم جميعا ، أن يكون هو الرجل الذى يكون له السبق ، وتكون له الصدارة ، حينما يفتقدون انسانا لنزاع قائم ، أو خلاف طارىء ، أو خصومة عارضة ، أوحق يتجاذبون أطرافه ، وفى كتب السيرة أكثر من شاهد واحد على أنه فى سن مبكرة كان يحكم فى الأمور ، ويؤخذ برأيه فى النزاع ، وينزل الناس على توجيهاته فيما يشتبه عليهم من الأشياء ، وكأن ذلك كله كان هو الارهاص الذى يسبق المعجزة . وقد عهدت البشرية فى الأبطال أو العظماء ألا تجرى نشأتهم منذ الطفولة على النسق العادى ، أو الأسلوب المألوف ، وانما يكون لهم سمت خاص ، وسلوك فريد ، واستقامة على الجادة ، قد يكون لهم فى بعض الأحايين أن ينسبوها الى البيئة أو الوراثة أو ما شئت من أسباب وعلل ، أما أن تكون ولا شىء من ذلك كله يرتبط بها ، أو يمكن أن يجعل علة لها ، فذلك هو الذى يحتاج الى نظر واعتبار يذكرنا به ماقيل فى أسباب نزول سورة «الضحى» من أنه صلى الله عليه وسلم فى مبدأ أمره فتر عنه الوحى مدة طويلة ساعدت على افتراءات قريش أن محمدا تخلى عنه ربه فلم يعد يصله بجبريل ،

ولا ينزل عليه القرآن . ولا يشرفه بأن يكون همزة الوصل بينه وبين الناس ، وفى هذه الآونة كان لابد أن يقول له « والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلا وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى...الخ السورة » وفيها الدليل على اجتبائه له ، واهتمامه به ، وأنه كان يصنعه على عينه ، لا يتخلى عنه ، ولا يتركه وشأنه أبدا ، وليس بعجيب بعد ذلك أن يكون فى طباعه وسمته ، وأدبه وسلوكه ، وحركته وسكونه ، واقباله وادباره ، وقوله وفعله ، نموذجا للكمال ، وصورة من صور الفضيلة ، ومعنى من معانى الانسانية الصحيحة التى لا تمويه فيها ولا زيف ، ولا تشبويه فيها ولا مسخ ، لأنه عنوان تحدى الله به كل العناوين،وجعله فى قمة المصطفين الأخيار من عباده...ولعل من المواقف الرائعة الدالة على أنه سبحانه وتعالى كان دائم الرعاية له ، والاهتمام به، والدفاع عنه ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، هذا الموقف كان فى هجرته صلى الله عليه وسلم على الرغم من اجماع رأيهم على قتله ، ووقوفهم بباب داره لكى يحولوا بينه وبين الهرب منهم ، ولكن ذلك كما تقول الآية القرآنية « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » فانه كان على مرأى أبصارهم ولم يروه ، ورمى بالتراب فى وجوههم وهو يقول شاهت الوجوه ، وكأن الله قد غطى على أعينهم .. ولهذه الصورة حقيقتها كما يتخيلها الانسان ، أوكما يتوهمها المتوهم ، لأنها على ما هى عليه فى كتابة المؤرخين وأرباب السير تتسع للاضافات والزيادات الا أن الشاعر الكبير وهو يبدع نسجها ، ويحكم تأليفها ، يجيء بها على شكل آخر يجعل لها قبولا واذعانا ، ورضا واطمئنانا .

فخرج الله من البيت به
لم يره الجمع ولم ينتبه ..
وسار فى ركابه الصديق
وفى البلاء يعرف الصديق
فانتشرت خيل قريش تطلبه
من ينصر الرحمان من ذا يغلبه
مروا على الغار مضللينا
وأخذوا السبل مسائلينا

ولا يزال يمشى على هذا النهج ، ويأتى من غروه بهذا النسج ، فلا يذكر تاريخا ولكنه ينظم دررا ، لا فى الصياغة والبلاغة ، وانما فى

التحليل والتعليل ، وبتلك اللمسات الخفيفة اللطيفة التى يعلق بها ، أو يعلن فيها رأيه ، وبخاصة حينما يدرك انه امام آراء تتصارع ، أو خلافات يناقض بعضها البعض ، وهكذا كان سننه فى كل المواقف الاسلامية التى تصدى لخوض فيها ، أو الحديث عنها ، له شخصية الأستاذ الكبير ، والقاضى الذى يعتمد الى جانب علمه بالقانون،وفقهه للموضوع على اجتهاده وذوقه ، ومقارنته وتوجيحه ، والاستعانة بالظروف والملابسات التى يمكن أن يكون لها اعتبار فى القضية أو الحادثة ، وعلى الرغم من أن الشعر لا يصح أن يدخل فيه التعليل والتحليل لأن ذلك يخرج به عن أن يكون شعورا الا أننا تعودنا منه أن يكون كذلك ،وان كانت لباقة تصويره،وحسن عرضه ، وجمال أدائه ، تنأى به عن أن يفقد شعره تلك الخاصية ؛ خاصية الشعور الذى يكون من أثره اهتزاز القلب ، وطرب النفس ، وارتياح الخاطر واطمئنان الفؤاد .. وقد يكون السبب فى هذا...كل السبب أنه شذ عن القواعد ، وخرج عن المعايير ، ولأصحاب المواهب والعبقريات مقاييس أخرى غير مقاييس الناس ،

وسنرى ان شاء الله ونحن نتابع حديثه عن الخلفاء الراشدين ، ولكل واحد منهم سمات وملامح كانت مثار جدل ، ومحل خلاف عند كثير من الكتاب أو المؤرخين ، الى أى مدى كان هو صاحب شخصية استقلالية ، يعرض الرأى،أو يفصل فى القضية ، فيدلك بذلك كله على أنه كان اليافعة الذى كانت تترقبه الجماهير،أوالحكم الذى طوى الناس بعده الأوراق ، وهذه احدى مزاياه التى فاق بها غيره، وتقدم بها على سواه ، أنه مع الشاعرية الكبيرة ، وبراعة التصوير ، وجمال النسج ، كان يملك ناصية المنطق ، ويجيد استخدام الحجة ، ويتمتع بقسط وافر من مهارة الاستدلال التى تقرن جولاته دائما أبدا بالفلج والبلج ، ومن حقك أن تشاركه هنا التشفى بهؤلاء الذين بغوا وطغوا ، واستبدوا واشتدوا ، فدارت عليهم الدوائر ، وصاروا عبرة للناس ، وهنالك تحمد للشعر تلك الموسيقى ، وتكبر فيه ذلك الرنين . وتشكر له هذه النبرات .

روما التى راع النساق ملكها
وهت يواقيت القرى من سلكها

أمست هوت من عرشها المعظم
وأصبح التاج كأن لم ينظم ..

لم تتق الله ولا الأياما
فى أمم سبتهمو أيامى

بنو الزمان فوقهم بنوها
تكبرا وسنة سنوها

ومن هذا الطراز ، وذلك اللون ، كان أمير الشعراء ، يخيل اليك ـ كما جاء فى مقدمة الكتاب ـ أنه يقطع الوقت ، ويروح عن النفس ، وينظم نظما يردده الأطفال ، ويعرفون به شيئا عن أمجاد أمتهم ، وأخبار أسلافهم ، لا أكثر ولا أقل ، وهو فى الوقت نفسه يضيف الى أمجاد أمته أمجادا ، والى أخبار أسلافه أخبارا ، سوف يتناقلها جيل عن جيل ، ليعلم بحق أن الرجل كان جيلا وحده ، وأمة بمفرده ، وفخرا لوادى النيل وللعروبة التى كان درة فى جبينها ؟

دكتور / ابراهيم على أبوالخشب

حقوق الإنسان في الإسلام والنظم الدولية المعاصرة

للأستاذ توفيق على وهبه

خلق الله الانسان حرا ، فقدر له رزقه ، وقرر له حقوقه ؛ فأمر سبحانه بالعدل والاخاء والمساواة بين الناس .. لا فرق بين غنى وفقير ، ولا حاكم ومحكوم ؛ فالكل سواء ؛ يرفع الانسان عمله الصالح ؛ ومحافظته على حقوق غيره فلا يعتدى حتى لا يعتدى عليه ولا يسلب الناس حقوقهم ، فيسلب حقه .

ففى العصور الأولى كان الأفراد يعيشون فى المجتمع محتفظين بكافة حقوقهم ، لا يمكن لانسان أن يعتدى على حق آخر ، والا لجأ هذا الأخير الى استعادة حقه المهضوم بالقوة فالقوة وحدها هى الوسيلة الى المحافظة على الحق ، بل هى رمز وجود الحق نفسه .

وتطور المجتمع ، وظهر نظام الأسرة والقبيلة ، وأصبح لرب الأسرة ورئيس القبيلة بعض الحقوق على هؤلاء الافراد ؛ وبمعنى آخر أن هؤلاء الأفراد تنازلوا عن بعض حقوقهم لرب الأسرة ولرئيس القبيلة مقابل مايتمتعون به من أمان واستقرار فى ظل الأسرة أو القبيلة .

وبدأت سلطة رب الأسرة تكبر شيئا فشيئا ؛ حتى سلب الخاضعين لسلطته كافة حقوقهم ولم يبق لهم الا الولاء والطاعة لرب الأسرة الذى يستطيع أن يبيعهم أو يتنازل عنهم أو يخرجهم من الأسرة أو يقتلهم دون ما رقيب عليه .

واستمرت سلطة رب الأسرة هذه الى أن ظهر نظام الدولة بالمعنى المعروف ، وتنازل أرباب الأسرة ورؤساء القبائل عن بعض سلطاتهم شيئا فشيئا . وحدث نفس الشيىء الذى حدث للأفراد اذ بعد أن قوى الحاكم سلب أرباب الأسرة ورؤساء القبائل جميع سلطاتهم وأصبحوا كالأفراد العاديين ، سواء بسواء .. وأصبح الحاكم ـ الملك أو

أو الامبراطور – يجمع فى يده كل السلطات .. فكان الملك هو الدولة يملك الأرض والمال والأفراد، لا ينازعه فى ذلك منازع ، وقد كانت سلطة الملوك مبنية على أساس دينى فى بعض المجتمعات – كما كان فى مصر – وعلى أساس التفويض الالهى فى بعضها الآخر – كما كان فى اليونان .

ورغم هذا الظلم وهذا الاستبداد فقد عرفت المجتمعات القديمة بعض حقوق الانسان ، ودعت الى المحافظة عليها ، فاعترفت له بحريته ؛ وبانسانيته وكرامته .. فقد ظهر فى دول الشرق القديم ما يدل على أنهم قد احترموا حقوق الأفراد ؛ فى مصر القديمة وسومر والهند والصين وظهر المصلحون أمثال حمورابى ، وبوذا وزرادشت وكونفو شيوس وغيرهم ، ثم ظهرت تلك الحقوق فى بلاد الغرب عند الأغريق والرومان .

وعندما عرف نظام المدن السياسية عند الاغريق انقسم المجتمع الى ثلاث طبقات رئيسية تختلف كل منها عن الأخرى (١) .

١ – طبقة الأرقاء وكانوا يمثلون ثلث سكان أثينا ، ولم يكن لهم أى حقوق مدنية أو سياسة معترف بها .

٢ – طبقة الأجانب وكانوا من الأجانب الذين يقومون بالتجارة، وان اعترف لهم ببعض الحقوق الا أنهم يحرمون من الحقوق السياسية .

٣ – طبقة الأحرار ويعترف لهم بالحقوق السياسية وغيرها ، ولهم حق تولى الوظائف العامة ولم تقتصر الدعوة الى حقوق الانسان على هؤلاء فى الشرق وأولئك فى الغرب ، ولكن ظهرت أيضا فى الاديان السماوية جميعا .. قديمها وحديثها ، فكانت دعوة اليهودية الى احترام الانسان وعدم ظلمه أو اهانته واضحة فى التوراة .

وظل الحال على ذلك الى أن جاءت المسيحية ، فدعت الى الاخاء والمساواة. دعت الى العدل ونهت عن الظلم ... هكذا كانت المسيحية السمحة التى تميزت فى أول ظهورها بالفصل

(١) تاريخ القانون للدكتور صوفى أبو طالب .

المطلق بين الكنيسة والدولة (دع مالله لله وما لقيصر لقيصر) ولكن هذا النظام لم يكن الا الى حين ، فما أن قويت المسيحية وكثر أنصارها حتى بدأ النزاع يدب بين الكنيسة والدولة . وضاعت حقوق الشعب بين رجلين البابا والامبراطور .

وظل هـذا الصراع قائمـا حتى انتصرت السلطة الزمنية على الكنيسة فى القرن الخامس عشر .

وابان فترة الضعف والانحلال التى انقسمت فيها أوربا على نفسها ، واشتد فيها العداء بين الكنيسة والامبراطور ، كل يريد أن يقبض على زمام الأمور ، كان الاسلام قد انتشروظهرت دعوته الحقة الى مزج الدين بالدولة ؛ ولذلك كانت الخلافة عند المسلمين رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا .. وأخذ الاسلام بمبادىء العدالة والمساواة . وأقام الحريات المدنية والدينية والسياسة .. وغير ذلك من نظم الحريات المعروفة فى العصر الحديث .

واعترف كذلك للانسان بحقوقه الطبيعية التى لم تصل اليها حتى الآن معظم التشريعات والدساتير الحديثة .

ثم كان عصر النهضة فى أوربا بعد انتصار الدولة على الكنيسة ، وفى هذه الفترة ظل نظام الطبقات ، ولم يعترف للانسان الا بحقوق طفيفة وذلك طبقا للتطور الذى أدت اليه النهضة الحديثة وبعد أن ظهر كثير من الكتاب والمفكرين الذين نادوا بحقوق الفرد ، ووقفوا ضد نظام الحكم الفاسد الذى كان يقوم على أساس التفويض الالهى. ولا يعترف للأفراد بأية حقوق ـ اللهم الا القليل من الاشراف الذى كانوا يساعدون الامبراطور ـ بينما يلاقى عامة الشعب ـ الذى لاحق لهم قبل الدولة ـ ما يلاقونه من الاضطهاد والتعذيب .

وما أن قامت الثورة الامريكية والثورة الفرنسية حتى ظهرت فى الأفق ما يعرف بحقوق الانسان فأصدرت الثورة الامريكية وثيقة الحقوق » وأصدرت الثورة الفرنسية وثيقة حقوق الانسان ، التى تعترف لكل شخص بحقوقه الطبيعية ، وتدعو الى محاربة الظلم وعدم اهانة الانسان واهدار كرامته .. نادت بالحرية والمساواة بين المواطنين » وقررت حرية التملك لعامة الشعب الذى كان

وقفا على الاشراف ، كما قررت حرية العمل وحرية الصناعة والتجارة،ودعت الى اقامة العدالة بين الأفراد ، دون التدخل فى نشاطهم الاقتصادى ، وأكد اعلان حقوق الانسان فى فرنسا أن للانسان حقوقا طبيعية وثابتة ، وأن الدولة لا تخلق هذه الحقوق ؛ لانها حقوق طبيعية ولاصقة بالفرد ، وقامت الدولة لحماية هذه الحقوق لا لتقريرها .

كماتضمنت وثيقة الحقوق الامريكية نصوصا تؤكد أن للافراد حقوقا ثابتة وسابقة على نشأة الجماعة وأنه يجب على الدولة أن تحمى هذه الحقوق .

ولكن الذين نادوا بهذه الحقوق ، هم الذين انتهكوها ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تفرق قوانينها بين البيض والسود وتقتل جيوشها المطالبين بحرياتهم فى فيتنام والدمينيكان وغيرهما . وكذا فرنسا التى نادت بحقوق الانسان ارتكبت فى عهد جمهورياتها السابقة أبشع الجرائم فى المستعمرات التى استولت عليها ، فقتلت الأبرياء وعذبت المجاهدين ، ونكلت بالأحرار .

ان مافعلته فرنسا فى الجزائر لايمكن للضمير الانسانى أن ينساه ، ولا يمكن لانسان حر أن يقبله .

وما يقال عن فرنسا ؛ يقال بالنسبة لبريطانيا ؛ التىارتكبت من الجرائم فى حقوق الانسانية مايندى له جبين كل حر ،ان سياسة الاستعمار واحدة فى كل زمان ومكان ، سياسة لاتعترف بحقوق البشر ؛ بل تتنافى مع أبسط القيم والمبادىء الانسانية . . .

وفى العصر الحاضر عندما وجدت الأمم المتحدة أن حقوق الانسان مهدرة . . وأن حرياته مصادرة أصدرت الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨الذى ينادى بحق كل انسان الطبيعى فى الحرية والعدالةوالمساواة

ولكن بعض الدول لم تنفذ هذا الاعلان ، وتعتدى عليه اعتداء صارخا بل ان بعضها الآخر امتنع عن التصويت عندما عرض الاعلان على الجمعية العامة للامم المتحدة ــ كما أن الحكومة الامريكية باقرارها لسياسة التفرقة العنصرية ، انما تعتدى على أهم حق من حقوق الانسان وهو المساواة بين المواطنين ، وكذا حكومة جنوب افريقيا التى تقرر التفرقة

العنصرية ؛ وتعمل على هضم حقوق الملونين ـ أصحاب البلاد الشرعيين وعدم الاعتراف بآدميتهم ، واستباحة حرياتهم .

ان حكومة اتحاد جنوب افريقيا لاتعترف الا بحقوق البيض ،وتفرق قوانينها بين مواطنيها وفى هذا تعد صريح على الحقوق الطبيعية للانسان وعلى ميثاق الامم المتحدة ..

والأمم المتحدة التى أصدرت الاعلان العالمى لحقوق الانسان هى نفسها التى أضاعت حقوق شعب فلسطين باعترافها بقيام اسرائيل ولم ولن تستطيع أن تعيد اليهم حقوقهم ولكن يقع على العرب أنفسهم استعادة هذه الحقوق بأيديهم .

ان الاسلام بما قرره من حقوق للانسان ـ لايمكن الاعتداء عليها أو المساس بها انما قد سبق جميع الدول فى اقرارها . ان الدساتير الحديثة التى تنص على حقوق الأفراد ، انما تقرر حقوقا طبيعية لايجوز الاعتداء عليها .. ولكن تلك القوانين تلقى الاهمال وعدم الاكتراث من بعض الدول ، وليس لها من القوة الملزمة الا رونق الصياغة ..

ولكن الاسلام دأب على المحافظة على الحقوق ، وأقام الحريات ، ونهى عن الاعتداء على حقوق الآخرين ، وأعطى لولى الامر الحق فى التدخل لمنع الأفراد من الاعتداء على حقوق بعضهم البعض ، أو الحد من استعمالهم لبعض حقوقهم اذا أضروا بغيرهم لأن من القواعد الأصولية لهذا الدين ألا ضرر ولا ضرار ... ولم تكن دعوة الاسلام نظرية ولكن التطبيق العملى لازمها كروح لها .

ان الاسلام هو دين الفطرة الخالد الذى يحمى الانسان ، ويقرر حرياته، ويحافظ على حقوقه،ويرفع من شأنه، ويكرم انسانيته ، ويصون كرامته ..

توفيق على وهبه

قيمة الرأى العام فى الإسلام

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

ما قيمة رضا الناس أو عدم رضاهم عن عمل الخير الذى يقوم به فرد من الأفراد ؟

وبعبارة أوضح : هل يجوز للواحد منا أن يصرف النظر تماما عن رضا الناس عنه اذا كان ما يؤديه من عمل الخير خالصا لوجه الله الكريم ، فلا يبالى بعد ذلك أرضى الناس أم سخطوا . ؟ أم أنه ينبغى عليه مع اخلاصه فى العمل لوجه الله ، أن يعطى لكلام الناس عنه شيئا من الاعتبار .. ؟

وبعبارة عصرية :

ما قيمة الرأى العام فى الاسلام ؟

ذلكم هو السؤال الذى سأله الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : « أرأيت الرجل الذى يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه » .. ؟

ولقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم : بقوله « تلك عاجل بشرى المؤمنين » .

يعنى : أن حمد الناس له ، علامة رضا الله عنه ، فتلك بشرى عجلت له فى حياته الدنيا ، تدل على منزلة كريمة ادخرت له عند الله فى الآخرة يقول صلى الله عليه وسلم (ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل . ثم ينادى فى السماء فيقول: ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض) « من الصحاح : المصباح للبغوتى » .

معنى هذا أن للرأى العام قيمة فى الاسلام ، وأنه ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار وأن ينال الاهتمام المناسب له. لكن ...

هل قيمة الرأى العام فى الاسلام، مطلقة بلا حدود ؟ كما هو الحال فى

المجتمعات الحديثة التى لا صلة لها بالاسلام ٠؟

هل يصبح للرأى العام فى الاسلام أن يفرض ارادته ، أو يصنع قيمه الخاصة ، مهما تكن مخالفة للشريعة أو بعيدة عن روح الاسلام ؟

الجواب على ذلك : كلا بالتأكيد ٠

فانه لابد أولا : ألا يكون هذا الرأى العام معاديا للشريعة الاسلامية، وعاملا على هدمها ٠

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان،ومن يتولهم منكم، فأولئك هم الظالمون » (التوبة/٢٣)٠

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم ٠٠ » (٥٨ المجادلة) ٠

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ٠٠ » ٠

وانه ثانيا : لابد أن يلتزم الرأى العام الاسلامى بنصوص الشريعة ، وبأهدافها ، وتعاليمها » ٠

انه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ٠

فطاعة الله هى الأساس ٠

وطاعة رسوله أساس آخر يرتكز على هذا الأساس الأول :

«من يطع الرسول فقد أطاع الله»

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فيأنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ٠

وانه لابد ثالثا من أن يكون هذا الرأى العام نابعا فى مجتمع ملتزم بالشريعة الاسلامية سلوكا وتطبيقا ، ـ على وجه الاجمال وبقدر الطاقة البشرية العادية ـ فوق التزامه بها عقيدة ، وفكرا وعلما ٠

١ ـ واذن : فلا قيمة للرأى العام الذى يدين بعقيدة غيرعقيدة الاسلام٠

٢ ـ ولا قيمة للرأى العام الذى يريد أن يسقط الشريعة الاسلامية ويرى أنها غير مناسبة للعصر الحديث ٠

٣ ـ ولا قيمة للرأى العـام الذى يرى البطولة فى مصارع للثيران ، ولا يراها فى فدائى يدافع عن دينه ووطنه .

٤ ـ ولا قيمة للرأى العـام الذى تستهويه أعمال الشر لبراعتها وحنكتها وعلو صوتها ، ويغفل عن أعمال الخير لضعف أصحابهـا ، وقلة حيلتهـم ، وانكسار حالتهم .

٥ ـ ولا قيمة للرأى العـام الذى يغلب على أصحـابه الاسـتهتار بالقيم الخلقية ، والتهاون فى فرائض الدين وواجباته الأساسية .

معنى ذلك أن الرأى العـام الذى له اعتباره فى الاسـلام ، له ضـوابط وقيود ، هو الرأى العـام الذى ينبع فى مجتمع اسلامى حقيقى .

يقول رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :

« ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » .

فالنـاس الذين يعتبر رضاهـم أو سخطهم ، هـم المسـلمون الملتزمون بدينهم : فكرا ، وعقيـدة ، وسلوكا بقدر الطاقة البشرية العادية .

هذا هو الشرط الأول لقيمة الرأى العام فى الاسلام . وهو شرط يطلب من قبل المجتمع .

أما الشرط الثانى فيطلب من قبل الفرد الذى ينبغى عليـــه أن يعطى للرأى العام الاسلامى قيمته واعتباره.

ذلك هـو ألا يجعـل من رضـا الناس عنه هدفا فى حد ذاته يخرجه من دائرة الاخـلاص لله وايثاره على من سواه ، فيهبط بذلك من مستوى العبـودية لله الى مســتوى العبودية للنـاس . ويقع من ثم فى حضيض الشرك أو الرياء .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« فويل للمصلين . الذبن هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون المـاعون »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء . يقول الله عز وجل يوم القيـامة اذا جازى العبـاد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيـا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء » .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه .

وقال صلى الله عليه وسلم : لايقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء .

فاذا عرفنا هذين الشرطين من جانب المجتمع الذى ينبغى أن يكون مستقيما على شريعة الله ، ومن جانب الفرد الذى ينبغى عليه ألا يطلب رضا الرأى العام عنه لثواب يتلقاه منه ، وانما ليطمئن الى أنه يسلك الطريق المستقيم .

بقى أن نعرف أن حمد الناس لفرد من الأفراد أو طلب الفرد لرضا الرأى العام له حد يجب أن يقف عنده .

ذلك أن لا يغالى فيه حتى يصاب الفرد المحمود بالغرور والكبر .

يقول تعالى فى ذم الغرور :

« ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ... » .

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

وروي أن رجلا ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

ويحك قطعت عنق صاحبك (يقوله مرارا) ان كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا ؛ وكذا ان كان يرى أنه كذلك وحسبه الله ، ولا يزكى على الله أحدا » .
(البخارى)

والسؤال الآن هو :

ما فائدة الاهتمام بالرأى العام اذا كان المرجع أولا وأخيرا هو محاسبة النفس على أساس العبودية لله والاخلاص له، والتوجه اليه وحده؟.

والجواب على ذلك أن هذه الفائدة تتبين من أمرين :

١ ــ ان رضا الرأى العام الاسلامى المستقيم على شريعة الله يطمئن الفرد الى أنه يسلك طريق الله دون انحراف أو عوج ، فهو علامة على الاستقامة .

٢ ـ ان رضا الرأى العام الاسلامى المستقيم على شريعـــة الله يدل طريق الله فيما لم يأت فيه نص من الكتـاب أو السنة أو يدل عليه قياس .

والخلاصة اذن :

أن للرأى العام قيمته فى الاسلام ولكن بالشروط التى ذكرناها : بأن يكون مستقيما على الشريعة الاسلامية .

وأن لا يكون مستندا الى الرياء .

وأن لا يؤدى الى كبر أو غرور .

فاذا لم يكن كذلك كان لا قيمـة له فى الاسلام ، أو بمعنى آخر كان بحيث ينبغى الحذر منه ؟ وتقويمه .

أما اذا توفـرت له تلك الشروط فان فائدته تتبين فى كونه علامة يطمئن بها الفرد الى أنه انما يسلك الطريق القويم الذى يؤدى الى رضا الله عنه ، فرضا الله هو الغاية وهو الهدف ...

يحى هاشم حسن فرغل

من أعلام الصحابة

سعيد بن زيد

"أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه"

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

هو الصحابى الجليل ، الطيب ابن الطيب ... سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل القرشى العدوى .

ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى كعب بن لؤى بن غالب .

وأمه فاطمة بنت بعجة من خزاعة .

واذا ذكر الحنفاء الذين فروا الى الله ، واجتنبوا الرجس من الأوثان قبل بعثة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجدنا زيد بن عمرو أبا سعيد فى مقدمة هؤلاء الحنفاء .

فقد بحث زيد بن عمرو بفطرته عن الحق طويلا ؛ حتى هداه الله اليه وكان يتعبد على دين الخليل ابراهيم عليه السلام .

تقول السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول : « يامعشر قريش ! والله ما فيكم أحد على دين ابراهيم غيرى » .

وكان اذا رأى أحدا من الجاهليين يؤذى ابنته أو يحاول وأدها منعه من ذلك ويقول له « اكفف عن هذا الفعل القبيح ، وأنا أكفيك مؤونتها لو شئت » .

عن عامر بن ربيعة قال :

كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين ، وكره عبادة الأوثان والحجارة فقال لى : « انى خالفت قومى واتبعت ملة إبراهيم ، وأنا أنتظر نبيا من ولد

اسماعيل يبعث ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي ، فان طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام • قال عامر: « فلما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا » •

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال :

« يبعث يوم القيامة أمة وحده » •

وكان زيد بن عمرو ينشد هذه الأبيات :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا

اذا سقيت بلدة من بلاد
سيقت اليها فسحت سجالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها
سواء وأرسى عليها الجبالا

وعاش زيد عابدا موحدا ، نموذجا وحده في الخلق الرفيع والسجايا الحميدة •

ومن هذا العنصر الطيب الصالح انحدر الصحابي الجليل سعيد بن زيد رضي الله عنه •

اسلامه

قال ابن سعد في طبقاته :

« أسلم سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها » •

وبهذا كان سعيد بن زيد من السابقين للاسلام ؛ وأسلمت معه زوجته فاطمة بنت الخطاب ؛ وتحول بيتهما الى دار القرآن الكريم ؛ ومنطلقا للدعوة الاسلامية •

وفي هذا البيت رفرفت ظلال الهداية حول عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بعد أن قرأ فيه آيات من سورة طه أو الحديد •

صفته وهجرته

قال الواقدي : كان سعيد بن زيد رجلا آدم (أي أسمر) طويلا ؛ أشعر (أي ذا شعر كثير) •

وقد هاجر هو وزوجته فاطمة الى المدينة المنورة ــ العاصمة الجديدة للدولة الاسلامية ــ ونزلا هناك على رفاعة بن المنذر أخى أبى لبابة .

وبدأ الصحابى الجليل حياته الاسلامية الجديدة مع أخوانه المؤمنين المتراحمين المتعاونين ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

اشتراكه فى بناء المجتمع الجديد

كان الصحابى الجليل سعيد بن زيد لبنة هامة من لبنات المجتمع الاسلامى الصاعد فى المدينة المنورة، وكان حركة مستمرة ، لا يهدأ ، ولا تعرف الراحة اليه سبيلا ... فكنت تراه كسوبا اذا غدا ، باسم الثغر اذا بدا .. يجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستمع منه ، ويعى عنه ، ويروى الحديث بعد الحديث .

ومن الأحاديث التى رواها لنا هذا الصحابى الجليل ، هذا الحديث الذى ينهى الناس عن الظلم وعواقبه الوخيمة .

عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ظلم من الأرض شبرا طوقه (١) من سبع أرضين ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد » .

وله ثمانية وأربعون حديثا اتفق البخارى ومسلم على حديثين ، وانفرد البخارى بحديث له .

وكان سعيد بن زيد رضوان الله عليه يحرص على الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلتزم بأخلاق الاسلام فى جميع تصرفاته وأحواله .

وكان نموذجا رفيعا للمسلم فى بيعه وشرائه ، وسماحته وصفائه ، وأخذه وعطائه .

وكان رضى الله عنه يشترك اشتراكا فعليا فى كل عمل تعاونى بناء .

---

(١) أى طوقه الله وأحاط به بسبب ظلمه .

جهاده فى سبيل الله

انطلق الصحابى الجليل سعيد بن زيد فى حياة الجهاد ، والكفاح ، مشمرا عن ساعد الجد ، وباذلا النفس والنفيس فى سبيل الله .

فالمجتمع الاسلامى فى صدر الاسلام كان بحق مجتمع جهاد واستشهاد ونضال وقتال لتكون كلمة الله هى العليا ؛ وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

وكانت أول مهمة قام بها سعيد بن زيد رضى الله عنه مع طلحة بن عبيد الله بتكليف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فعندما بلغه أن عير قريش قادمة من الشام وهى محملة بأنواع التجارة أرسل طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسبان خبر العير ؛ فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير ، فرجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبراه الخبر .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بلغه خبر العير، فأسرع بأصحابه يريد لقاءها ، وتحول الأمر الى القتال فى غزوة بدر الكبرى ، التى انتصر فيها المسلمون ، وانهزم فيها المشركون .

وعندما رجع الصحابيان الجليلان — طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد — الى المدينة سمعا بتحرك المسلمين الى القتال ، فلم يستريحا من عناء السفر، ولم يفرا من الجهاد بل واصلا السير، وكانت أمنيتهما أن تجلجل سيوفهما فى رقاب الكفار وأن يشهدا ساحة الوغى .

فلما وصلا الى مكان المعركة وجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتهى من قتال المشركين ، فأسفا على حرمانهما من القتال أسفا شديدا .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم صدق نيتهما فأعلن أن لهما أسهما كأسهم المقاتلين وأجرا كأجر المجاهدين .

وقد كان للصحابى الجليل مهمات أخر ، وبطولات نضالية فى غزوة أحد ، وغزوة الخندق ، وغزوة خيبر ، وفتح مكة ، وغزوة حنين .

فقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن سعد فى طبقاته . ولا شك أنه

كان للصحابى الجليل دور عظيم فى فى حروب الردة وفى المواقع الاسلامية التاريخية المشهورة ذلك لأنه كان يرى الجهاد هو المقياس الذى يقاس به المؤمن والميزان الذى يوزن به المسلم فى هذه الحياة .

تفضيله الجهاد على الولاية :

كثير من الناس يتسابقون الى كراسى الحكم ، وطلب الجاه . وغاب عن هؤلاء الكثيرين أن الحكم مسئولية دقيقة أمام الله عز وجل ، وأن الحاكم أو الوالى اذا لم يعدل فى حكمه أو ولايته تعرض لعقاب الله وسخطه .

وفى هذا المقام تبرز بطولة أخرى من جوانب البطولة النادرة فى الصحابى الجليل حين يكبح جماح نفسه فيبتعد عن الحكم وملحقاته، ويزهد فى الولاية واغراءاتها بعد أن يصبح واليا بالفعل .

ولا يترك الولاية ليؤثر السلامة ، والحياة الهانئة الوادعة .. بل يتركها طلبا للجهاد وركضا وراء الاستشهاد. وهذا هوالذى يجعلنا ننظر الى الصحابى الجليل بما هوأهل له من حب واعجاب وتقدير .

فقد كان رضى الله عنه مشتركا مع الجيوش الاسلامية الجرارة فى فتح الشام .. وبعد أن تم الفتح ولاه أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ولاية دمشق وكان سعيد بن زيد أهلا لهذه الولاية لأمانته وصدقه وورعه وزهده ، ولكنه جلس مع نفسه ورأى أنه قد حرم من الجهاد بسبب الولاية فكره الولاية وقلاها . وكتب الى أبى عبيدة هذا المكتوب الخالد .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من سعيد بن زيد الى أبى عبيدة ابن الجراح .. سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو .. أما بعد .. فانى ماكنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى وعلى مايدنينى (١) من مرضاة ربى فاذا أتاك كتابى هذا فابعث الى عملك من هو أرغب اليه منى فانى قادم عليك وشيكا ان شاء الله تعالى . والسلام عليك .. فلما بلغ الكتاب أبا عبيدة دعا يزيد

---

(١) يقربنى .

ابن أبى سفيان فقال : اكفنى دمشق والتحق الصحابى الجليل جنديا فى الجيش الاسلامى الفاتح •

وكان خط الزهد خطا عاما ومستقيما فى حياة الصحابى الجليل سعيد بن زيد رضى الله عنه •

فلم ينغمس فى الدنيا الواسعة ، ولم يؤثر عنه فى حياته ترف عريض •

وقد يزهد بعض الناس من قلة ، فاذا ملكوا اتسعت مطامعهم ، ورق دينهم •

أما الصحابى الجليل فانه زهد فى الولاية بعد أن وصل اليها ، وزهد فى الدنيا بعد أن جاءه نصيبه الوافر من أرض السواد ، وهو نصيب يجعل المسلم فى عداد الأغنياء الأثرياء •

وجاء تسجيل زهد سعيد فى تقرير عام شامل ، طلبه الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب من أمين الأمة أبى عبيدة ابن الجراح رضى الله عنهما •

فقد روى أن عمر أرسل الى أبى عبيده يقول له :

« أخبرنى عن حال الناس ، واخبرنى عن حال خالد بن الوليد أى رجل هو ، وأخبرنى عن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص كيف هما ونصيحتهما للمسلمين ، وعن أخويك سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل كيف حالهما • والسلام » •

فكتب أبو عبيدة الى عمر بعد الديباجة يقول :

« أما بعد •• فخالد خير رجل وأنصحه للمسلمين ، وأشده على عدوهم ، وعمرو ويزيد نصحهما وجدهما كما تحب ••• وأما عن سعيد ومعاذ فكما عهدت الا أن السواد زادهما فى الدنيا زهدا ، وفى الآخرة رغبة » •

شهادة النبى صلى الله عليه وسلم له بالجنة

ولقد كان للصحابى الجليل سعيد ابن زيد منزلة سامقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترجم لهذه المنزلة هذا الحديث •

★ عن عبد الرحمن بن عوف قال •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » .

(أخرجه أحمد والترمذى والبغوى فى المصابيح الحسان) .

الشخصية الممتدة

اتسعت جوانب الخير فى شخصية الصحابى الجليل سعيد بن زيد رضى الله عنه فكان موضع تقدير كبار الصحابة ، لما يرونه من عظيم فضله ، وانتشار بره ، وصادق عهده .

واذا لم يرد اسم سعيد بن زيد فى أصحاب الشورى الذين اختارهم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب بعد طعنه فليس معنى هذا لتهمة علقت به ، ولا لأنه أقلهم شأنا ، ولكن ذلك يرجع الى المقاييس العمرية الدقيقة .. فقد رأى رضوان الله عليه أن يبعد عن الخلافة ولده عبد الله بن عمر ، وأن يبعد عن الخلافة والاستشارة ختنه وابن عمه سعيد بن زيد ، كى لا يقدم أحدا من أقاربه لهذه المسئولية الخطيرة ، مسئولية الخلافة والحكم بين الناس .

وكان سعيد رضى الله عنه مجاب الدعوة ، لأنه كان يحرص على المطعم الحلال ، والرزق الطيب الصالح ، والخوف من الله وخشيته فى كل حال .

واشتهر صلاح سعيد بن زيد ، كما زاد الرجاء فى قبول دعائه حتى أوصته احدى أمهات المؤمنين أن يصلى على جنازتها .. وانها لمنزلة عالية لا يصل اليها الا القليل القليل .

وعاش الصحابى الجليل حياة حافلة بالخير ، ذاخرة بالحركة ، ممتدة بالتقوى والعمل الصالح والمائدة الممدودة والانفتاح على سبل الصلاح والفلاح .

وفاته

وانطوت صفحة من صفحات التاريخ المسطرة بأحداث الجهاد والكفاح ، فمات الصحابى الجليل سعيد بن زيد بالعقيق ثم حمل الى

المدينة ودفن بها . وكان ذلك سنة خمسين أو احدى وخمسين هجرية عن بضع وسبعين سنة (١) .

وكانت وفاته يوم جمعة ، وأشرف على تجهيزه الصحابيان الجليلان سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

رحمك الله ياسعيد بن زيد .

كان أبوك أمة وحده ، وكنت أنت من بعده أمة وحدك ، فرضى الله عنك وأرضاك ، وأنزلك المنزل الكريم وأحسن مثواك . آمين .

أحمد عبد الجواد الدومى

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨٠ وراجع سيرة الصحابى الجليل فى كتاب الرياض النضرة للمحب الطبرى والاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .

تعقيبات على ما يكتب وما يذاع
لا «مشبعات» ولا «مغذيات»

للأستاذ على حسن البولاقى

— ٢ —

(فى بعض كتب الفقه الحنفى) مامعناه « قليل الرضاع وكثيره يوجب تحريم النكاح عندنا » وقال الشافعى لا يوجب التحريم الا خمس رضعات مشبعات » •

(وفى بعض كتب الفقه المالكى) مثل ذلك ، الا أنه قال « مغـذيات » بدل « مشبعات » •

(أقول) ان «مشبعات» و«مغذيات» اللتـان نسـبهما الكـاتبان الى امامنـا الشافعى ـ لا تصح نسبتهما اليه ولا الى أحـد من أصـحابه بل لا تصح نسـبتهما الى أحـد الأئمة الأربعـة وأتباعهم ، فالامام أبو حنيفة وأصحابه والامام مالك وأصحابه يقولون ان قليل الرضـاع يفيـد التحريم ولـو كان الواصل الى معدة الطفل قطرة واحدة ، وبهذا قال أحمـد فى احدى روايات ثلاث عنـه ، وقال فى الرواية الثـانية لا تحريم الا بثـلاث رضـعات ، وفى الرواية الثالثة لا تحريم الى بخمس رضعات وهذه هى الرواية التى رجحها أصحابه ، وقال الشافعى لا تحريم الا بخمس رضعات ، ولم يقيد بالاشباع ولا بالتغـذى ، وهـذه كتب الشافعية مخطوطها ومطبوعها تملأ الرحب من دور الكتب فى مصر وفى سائر بلاد العالم ، ولم نجد فى أمهاتها ما ينسب الى الشـافعى أو الى غـيره اشـتراط الاشـباع أو التغـذى فى التحريم بالارضـاع ، بل أفادت نصـوصها أن الرضـعة يضبطها العرف وقد يكـون الواصـل منها الى معدة الطفل قطرة واحدة •

وقد ضربوا للعرف الذى تضبط به الرضعة أمثلة فقالوا :

لو قطع الرضيع الرضاع اعراضا عن الثدى ثم عاد اليه ولو من فوره

فالرضاع السابق على الاعراض يعتبر رضعة كاملة ويكون احدى الخمس ، والذى يليه يعتبر رضعة أخرى ٠

ولو قطعته عليه المرضعة اعراضا عنه بغير اختياره فانه يعتبر رضعة كاملة حتى لو أعادته الى الثدى أو عاد هو اليه ولو فى الحال لم يلحق بما قبله بل يكون رضعة ثانية ٠

وليس للمقدار الذى اعتبر رضعة حد ، فالقليل والكثير منه سواء ، حتى القطرة الواحدة كما ذكرنا ٠

ولو طارت قطرة فدخلت فم الطفل بغير اختياره فوصلت الى معدته فانها تعتبر رضعة اذ لا يشترط أن يتناول الطفل الثدى ولا أن يمص منه اللبن ولا أن يشرب اللبن باختياره ولا أن يكون متيقظا كما لا يشترط أن يكون لبن المرضعة بحالة فلو نزع الزبد منه بعد حلبه فشرب اللبن من غير زبد أو أكل الزبد وحده أو السمن أو الجبن المصنوع منه فكل ذلك يعتبر رضاعا موجبا للتحريم ٠

ولو لم يكن قطع الرضاع للاعراض عنه بل كان للتنفس أو اللهو أو ازدراد اللبن المتجمع فى الفم أو النوم الخفيف أو نحو ذلك ، فان عاد الى الرضاع فى الحال كان ما بعد العود تابعا لما قبله فيكونان رضعة واحدة ، وان لم يعد فى الحال كان ماقبل القطع رضعة وما بعد العود رضعة أخرى وذلك لطول الفصل بينهما ٠

ولو قطعته المرضعة لشغل خفيف ولم تقصد الاعراض عن الرضاع فان عاد فى الحال فما بعد العود وما قبله يعتبران رضعة واحدة ، وان لم يعد فى الحال فما قبل القطع يحسب رضعة وما بعد العود المتراخى فى الزمان يحسب رضعة أخرى ٠

ولو حولته المرضعة من ثدى الى ثدى فما قبل التحويل ومابعده يكونان رضعة واحدة ، بخلاف ما لو تحول هو بنفسه أو حوله عن الثدى انسان آخر غير المرضعة ففى هاتين الحالتين يعتبر ما بعد التحويل رضعة مستقلة ٠

ولو نام الطفل طويلا أو سكت عن الرضاع طويلا فان عاد للرضاع والثدى لا يزال فى فمه كان ما قبل العود وما بعده رضعة واحدة ، فان لم يستمر الثدى فى فمه قبل النوم والسكوت يعتبر رضعة كاملة وما بعد العود يعتبر رضعة أخرى ٠

(فان قال قائل) كيف تعتبر القطرة رضعة فى العرف ؟ ولو سألنا الناس هل تعتبر رضعة ؟ لأنكروا ذلك .

(قلنا) ان الشافعى وأصحابه الأولين رحمهم الله كان عصرهم قريبا من عصر النبوة ولم يكن اللسان العربى والعرف العربى غريبين كما فى زماننا هذا ، وقد ضربوا لنا الأمثلة التى اقتبسوها من عرف عصرهم ، وهى أمثلة مستوفية جامعة لجميع الفروض والاحتمالات ، ونصوا فيما نصوا على أن الاعراض والتحول يجعلان ماقبلهما رضعة وان لم يصل الى معدة الطفل قبل الاعراض والتحول سوى قطرة واحدة ، وهذه تعتبر رضعة حتى فى عرف زماننا ، فليس من المستبعد أن تحسب القطرة رضعة حتى لو طارت الى فم الطفل قهرا عنه فوصلت الى معدته .

(وان قال قائل) كيف تعتبر القطرة رضعة مع أن ذلك مخالف لما يؤخذ من الأحاديث الصحيحة المعتبرة .

فقد روى أبو داود من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا رضاع الا ما أنشر العظم وأنبت اللحم » ومعنى « أنشر » أحيا ، وهو يفيد أن الرضاع الموجب للتحريم هو الذى يحيى العظم وينبت اللحم ، والقطرة بل القطرات الخمس المتفرقة لا تحيى عظما ولا تنبت لحما .

وروى الترمذى من حديث أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء فى الثدى وكان قبل الفطام » ومعناه لايكون الرضاع موجبا للتحريم الا ما وصل الأمعاء فشقها فغذاها ، وقوله « فى الثدى » معناه : فى زمان الارتضاع من الثدى » وهو ما قبل بلوغ الطفل حولين ، ولاشك أن القطرة بل القطرات الخمس المتفرقة لا تشق الأمعاء ولا توسعها بل الذى يشقها ويوسعها مقدار كثير ولو لم يكن مشبعا .

وروى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى رجل قاعد ، فاشتد ذلك عليه ، ورأيت الغضب فى وجهه فقلت « يارسول الله انه أخى فى

الرضاعة » فقال صلى الله عليه وسلم « انظرن من اخوانكن من الرضاعة، فانما الرضاعة من المجاعة » يعنى أن الرضاع الذى تثبت به الحرمة وتحل به الخلوة بين الرضيعة وابن المرضعة أو بين الرضيع وابنة المرضعة انما هو حيث يكون الرضيع أو الرضيعة يسد اللبن جوعتهما ومعلوم أن القطرة والقطرات الخمس المتفرقات لا تسد جوع الطفل ولا تغنيه عن طلب غيرها .

(قلت) ان الأحاديث الثلاثة وما بمعناها لا تتنافى مع حسبان القطرة الواحدة رضعة كاملة حيث لم يتصل بها قطرات قبلها أو بعدها ، اذ ما من شك فى أنه لو كانت ملايين القطرات يحيى مجموعها العظم وينبت اللحم ويفتق الأمعاء ويسد من المجاعة ـ فكل قطرة من هذه القطرات لها دخل فى الاحياء والانبات والفتق وسد الجوع ، فليس المقصود من الأحاديث أن يكون للرضاع مقدار كثير يغذى أو يشبع الطفل وانما المقصود أن يكون الرضاع فى زمن الصغر فان لبن المرضعة من شأنه فى هذا الزمن أن يحيى العظم وينبت اللحم ويفتق الأمعاء ويسد المجاعة بخلاف حال الكبر فان اللبن لايكفى فيها وانما يكفى الطعام المنوع منخبز وبقول وخضر ولحم وغير ذلك فالأحاديث ترشد الى اشتراط الصغر كما ترشد الى اشتراط وصول اللبن الى المعدة فلاتحريم بما يجمعه الطفل فى فمه من اللبن ثم يمجه ولا بما يتقيؤه قبل وصوله الى المعدة كما لا عبرة بتقطير اللبن فى أذنه أو ادخاله بالحقنة فى قبله أو دبره أو دهن جسده به فكل ذلك لا يعتبر رضاعا موجبا لتحريم النكاح .

ثم ان الذين نسبوا الى الشافعى اشتراط الرضعات المشبعات أو المغذيات لا ينفعهم التمسك بهذه الأحاديث وانما الذى ينفعهم أن يبينوا أن ما نسبوه الى الشافعى منصوص عليه فى كتبه أو كتب أصحابه القدامى أو المحدثين ، وهذا دون خرط القتاد ، فان أمهات الكتب صرحت بخلافه فى مباحث الرضاع، وأذكر منهاكتاب الأم للامام الشافعى، والحاوى الكبير للماوردى ، والشرح الكبير للرافعى ، والروضة للنووى وشروح البهجة والروضة والمنهاج والمنهج وحواشيها ، فليرجع اليها من شاء ، فانه سيجد فيها النص على أن

الرضعة ليس لها حد وأنه لو لم يحصل منها فى معدة الطفل سوى قطرة واحدة فهى اجدى الخمس .

وبعد فان كلمة « مغذيات » لم تشتهر نسبتها الى الشافعى وانما اشتهر فى عصرنا هذا نسبة كلمة « مشبعات » اليه لأن السادة الحنفيين الذين قرءوها فى بعض كتبهم حسبوها صحيحة وقد ارتقى كثير منهم الى مناصب القضاء والفتيا والتدريس فأشاعوها وتناقلتها عنهم أجهزة الاعلام المختلفة وتكررت فى الاذاعة بنوعيها حتى حفظها العوام فضلا عن الخواص وأفتى بها بعضهم بعضا وهذا ضلال مبين ، وما أصدق قول القائل :

ان الكبير اذا غوى وأطاعه
قوم غووا معه فضاع وضيعا

مثل السفينة ان هوت فى لجة
تغرق ويغرق كل من فيها معا

وانى كتبت خطابات كثيرة منذ عشر سنين وخمس سنين وسنتين وفى هذه السنة الى القائمين على الاذاعة فأغمضوا أعينهم ووضعوا أصابعهم فى آذانهم ، وهأنذا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

على حسن البولاقى

كلمات شاع خطا استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ١١ —

١٤٣ ـ ويقولون كما قال أبو عبيد: فاض الرجل من بابى باع وجلس فيضا وفيوضا اذا مات أما الأصمعى فيرى أنه لا يقال فى هذا المعنى : فاض الرجل ، ولا فاضت نفسه ، وانما يفيض الدمع والماء والدم ، ولهذا لم يتعرض الأساس لهذا التعبير بموافقة أو منع ، والأفصح ـ خروجا من هذا الخلاف ـ أن يقال كما فى المصباح : فاظ الرجل بالظاء من غير ذكر النفس يفيظ فيظا من باب باع ، ومنهم من لم يجز غيره .

وقال الزمخشرى : من قاظ (١) بتهامة فقد فاظ ، أى مات من شدة حرها صيفا وفى القاموس : فاظ فوظا ، وفواظا مات ، كفاظ فيظا ، وفيظوظة ، وفيظانا ، وفيوظا بالضم ، وأفاظه الله تعالى أماته ، وفاظ فلان نفسه قاءها ، وحان فيظه وفوظه أى موته .

١٤٤ ـ ويسمون بعض أبنائهم باسم عبد العاطى ، زاعمين أن العاطى من أسماء الله الحسنى ، وليس الأمر كذلك ، والفصيح أن يكون الاسم عبد المعطى اسم فاعل من أعطى .

أما العاطى فهو الظبى ، تقول : عطا الظبى يعطو عطوا من باب عدا اذا تطاول الى الشجر ليتناول من ثمرة ، فهو عاط ، وعطو وزان عدو ، فالعطو هو التناول ورفع الرأس واليدين ، قال الشاعر يصف ظبية .

تحك بقرنيها برير (٢) أراكة
وتعطو بظلفيها اذا الغصن طالها

ولهذا قالوا : هذا الشىء طويل لا تعطوه الأيدى ، أى لا تتناوله ، قال امرؤ القيس .

تعطو برخص غير شثن (٣) كأنه
أساريع(٤) ظبى أومساويك اسحل(٥)

---

(١) قاظ بتهامة : أقام بها صيفا .
(٢) البرير : الأول من ثمر الأراك . (٣) الشثن : الخشن .
(٤) الأساريع : جمع أسروع بالضم وهو عصبة تستبطن الرجل واليد .
(٥) الاسحل : شجر يستاك به .

أما أبو المعاطى فهو اسم صحيح ، لأن المعاطى جمع معطاء بمعنى كثير العطاء ، صفة للرجل والمرأة •

١٤٥ — ويقولون: بلغ فلانا أن أباه عائد من السفر بالطائرة، وعلى الرغم من أنه سار عدة مشاوير الى المطار لم يجده ، فهم يطلقون — خطأ — كلمة المشوار على المسافة بين المنزل والمطار ، والعرب تقول : ان المشوار هو المكان الذى تعرض فيه الدواب للبيع : تقول : شرت الدابة وشورتها اذا عرضتها للبيع ، وشور دابتك تنظر كيف مشوارها ، أى اختبرها تعرف كيف سيرها ، وتقول : هذا فرس حسن المشوار أى حسن العرض ، وأعرضه فى المشوار ، أى فى مكان العرض ، قال جرير :

طاح(١) الفرزدق فى الغبار وغمه
غمر البديهة صادق المشوار

ويقال : اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار ، أى صعبة العرض ، والمشوار أيضا ما أبقت الدابة من علفها (معرب) ، وكذلك هو وتر المندف •

١٤٦ — ويقولون: اجتمعنا فى نادى التجديف ، يعنون النادى المعروف بهذا الاسم ، وهذه التسمية خطأ ، لأن للتجديف معنى لا صلة له بالمعنى الذى يريدونه ، ففى اللسان وسائر أمهات اللغة : والتجديف هو الكفر بالنعم ، يقال منه جدف يجدف تجديفا اذا كفر بنعمة الله ولم يقنع بها ، وفى الحديث « لاتجدفوا بنعمة الله » أى لا تكفروها ، وتستقلوها، وقيل : هو أن يسأل القوم وهم بخير : كيف أنتم ؟ فيقولون : نحن بشر ، « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل شر ؟ قال : التجديف ، قالوا وما التجديف ، قال : أن تقولوا ليس لنا وليس عندنا » فأنت قد رأيت كيف أخطأوا فى هذه التسمية وحاكوا العامة فى تعبيرهم ، والفصيح أن يسمى بنادى الجدف وزان العدل ، تقول : جدف الطائر جدوفا اذا طار وهو مقصوص كأنه يرد جناحيه الى خلفه ، وجناحاه مجدفاه ، ومنه مجداف السفنة ويجوز أن يقال له : محذاف بالذال كما فى (معيار اللغة) للشيرازى •

---

(١) طاح : هلك .

قال ابن سيده : مجداف السفينة خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به مشتق من جدف الطائر وفى الأساس: جدف الملاح السفينة اذا دفعها بالمجداف ، قال أعشى همدان

لمن الظعائن (١) سيرهن تزحف
عوم السفين اذا تقاعس(٢) تجدف

١٤٧ — ويقولون فى تحية الضيف: على الرحب والسعة بفتح الراء ، والصواب ضمها ، وذلك لأن مضموم الراء هو المصدر ، تقول: رحب المكان رحبا كحسن حسنا أى اتسع، ومثله رحب رحابة كفصح فصاحة ، ففى الأساس : ضاقت على الأرض برحبها أو بما رحبت ، وانزل فى الرحب والسعة بضم الراء فى التعبيرين ، وفى القاموس : ورحب به ترحيبا دعاه الى الرحب ، وفى المصباح : رحب المكان رحبا من باب قرب فهو رحيب ورحب بفتحهما ، وفى الصحاح : الرحب بالضم هو السعة ، والرحب بالفتح هو الواسع ومثله الرحيب ، ومنه قولهم : فلان رحيب الصدر مما عرضنا من أقوال أصحاب المعاجم اللغوية استبان أن مضموم الراء مصدر ومعناه الاتساع وهو المناسب للسعة ، أما مفتوحها فهو اسم فاعل تقول : رحب فهو رحب كضخم فهو ضخم .

وهذا الفعل يتعدى بالحرف فيقال : رحب بك المكان ثم كثر حتى تعدى بنفسه فقالوا : رحبتكم الدار ورحبكم الدخول فى طاعة الأمير ؛ أى وسعكم ، وهذا شاذ فى القياس .

ويقال فى هذا المعنى : مرحبا وأهلا أى أتيت سعة وأهلا فاستأنس ولا تستوحش ومرحبا وسهلا أى صادفت سعة ومكانا سهلا، ومرحبك ومسهلك ، ومرحبا بك الله ومسهلا، قال الجعدى :

ومستأذن يبتغى نائلا
أذنت له ثم لم يحجب
فآب بصالح ما يبتغى
وقلت له ادخل ففى المرحب

١٤٨ — واذا أراد أحدهم أن يشكر لصديقه قال : أنا ممنون ، أو ممنون منك ، والصواب أن يقال : أنا

---

(١) الظعائن : جمع ظعينة وهى المرأة المرتحلة ما دامت فى الهودج .
(٢) تقاعس: أصله تتقاعس اى تبطىء وتتأخر.

شاكر لك ، أو حامد صنيعك ، أو مثن عليك بما أنت له أهل ، أو نحو ذلك .

وذلك لأن المن هو الانعام ،تقول من الله على عباده ، ومن الأمير على على قومه اذا أنعم عليهم . واصطنع عندهم صنيعة .

وفى امكانه أن يصلح عبارته السابقة اذا قال : أنا ممنون على منك لأن الفعل من لايتعدى الى المفعول الأول الا بعلى فى هذا المعنى كما فى قوله تعالى « يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » .

والمن من الانسان على غيره هو تعديد صنائعه ، وقد نهى الشارع عنه بقوله « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » .

ومن معانيه أيضا القطع ، تقول : من فلان الحبل اذا قطعه ، ومن هذا قوله سبحانه: «فلهم أجر غير ممنون» وقوله « وان لك لأجرا غير ممنون» أى غير مقطوع ولا محسوب ، ومن ذلك قالوا : المن أخو المن أى عد النعم والصنائع أخو القطع والهدم.

١٤٩ — ويقولون : ايراد فلان الشهرى خمسون دينارا ، أما أخوه فليس له ايراد ثابت ، والصواب أن يقال : دخله الشهرى كذا ، والدخل بفتح فسكون هو ما يدخل على الانسان من عقاره أو تجارته ،أو عمله، تقول : دخل فلان أكثر من خرجه .

أما الايراد فليس لمعناه صلة بمعنى الدخل ، لأنه خلاف الاصدار ، تقول أوردته الماء ايرادا اذا أوصلته اليه ، والأصل : ورد فلان الماء يرده ورودا اذا ذهب اليه ليستقى فهو وارد ، وهم واردة ، ووراد ، وورد تسمية بالمصدر ، ويقال أيضا : أورد فلان الشىء ايرادا اذا أحضره ، وأورد الرجل أخاه اذا أحضره المورد كاستورده ، وتقول لمن أنهى اليك خبرا مؤلما : لقد أوردت على ما غمنى .

١٥٠ ـ ويسمون البلدة التى بناها المعتصم بالله (سامرا أو سامراء) والصواب أن يقال لها : (سر من رأى) على ما نطق به فى الأصل ، لأن المسمى بالجملة يحكى على صيغته الأصلية ، كما يقال : صلى تأبط شرا ، وصام جاد الله ؛ وسبب تسميتها بهذا الاسم أن المعتصم حين شرع فى انشائها ثقل ذلك على عسكره ، فلما أقيمت وانتقلوا اليها سر كل منهم برؤيتها فسميت سر من رأى ، ولزمها هذا الاسم ، قال دعبل الخزاعى فى ذمها :

بغداد دار الملوك كانت
حتى دهاها الذى دهاها

ما سر من را بسر من را
بل هى بؤسى لمن رآها

عباس ابوالسعود

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٨ —

الشارع الأعظم

عندما أنشأ جوهر القائد القاهرة المعزية ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) جعل فى السور الشمالى بابين متباعدين هما باب النصر وباب الفتوح . وفى السور الجنوبى بابين متجاوين هما بابا زويلة .

وجعل شارعا رئيسيا من باب الفتوح الى بابى زويلة عرفه المؤرخون باسم الشارع الأعظم . ونعرفه الآن باسم شارع المعز لدين الله .

وضاقت القاهرة بسكانها بعد ١٢٠ سنة من انشائها . فأراد أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى توسعتها . فنقل فى المدة من سنة ٤٨٠ـ سنة ٤٨٤ هـ أسوراها البحرية والشرقية والقبلية .

فنقل بابى الفتوح والنصر شمالا من موقعهما السابق الى موقعهما الحاضر بحوالى ١٥٠ مترا . كما نقل بابى زويلة جنوبا الى الموقع الحالى بحوالى ١٥٠ مترا . وجعلهما بابا واحدا بدلا من بابين متجاورين . وبالسور الشرقى نقل باب التوفيق (الذى ظهر أخيرا سنة ١٩٥٧) . وباب القراطين (المعروف بالباب المحروق) شرقا من موقعهما السابق بحوالى ٣٧ر٥ مترا تقريبا . أما السور الغربى فظل على حاله كما أنشأه القائد جوهر . وكان يبعد عن الخليج المصرى بحوالى ٣٠ مترا .

والأسوار التى أنشأها بدر الجمالى كانت من لبن وواجهات الأبواب من حجر . وكان عرض السور عشرة أذرع هاشمية (١٦ر٦) ولا تزال الأبواب التى أنشأها بدر الجمالى : باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة وباب التوفيق باقية للآن شاهدة على عظمة هذه المدينة وما كان لها من عز ومنعة ورفعة شأن .

والمسافة من باب الفتوح شمالا الى باب زويلة جنوبا الحاليين ١٥٠٠ مترا تقـريبا • وهو طول القـاهرة الفاطمية • أما عرضها من الشرق الى الغرب فكان ١١٠٠ مترا تقريبـا • وبهذه التوسعة أصبحت مسـاحة القاهرة الفاطمية ٤٠٠ فدانا تقريبا •

وأسـماء أبواب النصر والفتوح والتـوفيق من أسـماء التفـاؤل • وبـاب القـراطين لعـل اسمـه نسـبة الى القـرط أى البرسـيم وهو العشـب الأخضر الذى ترعاه المـاشية • ولعله كان يدخل المدينة من هذا الباب • وعرف باب القراطين فيما بعد بالباب المحروق لأنه بعدأن قتل المعز أيبك التركمانى الفـارس اقطاى (والمعـز هو أول سـلاطين المماليك البحرية اذا استبعدنا شجرة الدر) أراد أن يقضى على باقى المماليك البحرية•فأمر باغلاق أبواب المدينة• وعندما اتجهت البحرية وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون (وهمااللذان توليا السلطة فيما بعد باسم الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون) الى باب القراطين • وجدوه مغلقا • فأحرقوه وهربوا منه الى الشام • وعرف هذا البـاب بالباب المحروق من هـذا التاريخ •

بوابة المتولى :

واسم باب زويلة نسبة الى قبيلة زويلة أحدى فرق العسكر الفاطمى• والعامة تسـمى هذا البـاب بوابة المتولى • ويرجع البعض هذه التسمية الى أن والى القـاهرة كان يجلس عندها • ولا نجد فى كتب التاريخ ما يؤيد هذا الرأى • ولكننى أعتقد أن التسـمية ترجـع الى مراتب الوصول عند الصوفية •

فقد قالوا أن النقبـاء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة ، والعمد أو الأقطاب أربعة ، والغوث واحد •

وقالوا سكن النقباء بلاد المغرب • وسـكن النجبـاء مصر • وسـكن الأبـدال الشـام • والأخيـار سياحون فى الأرض • والعمـد أو الأقطاب الأربعة فى زوايا الارض • والغوث بمكة • واذا عجـز من فى مرتبة عن نفاذ أمر لجـأ الى من فى المرتبـة الأعلى • فهـى دولة لهـا حكامها ووزراؤها وقضاتهاوأحكامها وتعدد درجات التقاضى فيها •

وقد ذكرنا فى مقال سابق (المقال رقم ٤ عن جاردن سيتى) عند الكلام عن زاوية الشيخ الأربعين خلف فندق سمير اميس أن الشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن العمد أو الأقطاب الأربعة هم : ١- السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ - ٥٧٠ هـ) مدفون بأم عبيد بالعراق ، ٢- السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) مدفون ببغداد ، ٣- السيد أحمد البدوى (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ) مدفون بطنطا ، ٤- السيد ابراهيم الدسوقى (٦٣٣ - ٦٧٦ هـ) مدفون بدسوق .

والأقطاب الأربعة مقامهم بزوايا الأرض يتولى كل منهم شؤون جهته . فكان الاعتقاد أن القطب المتولى شؤون مصر يتردد على باب زويلة . ولذلك كانت العامة تعلق خرقة من ملبوس صاحب الحاجة وتدقها بمسمار على باب زويلة . ليقضى القطب اذا حضر حاجة صاحب (الأثر) وسميت البوابة بوابة القطب المتولى . ثم اختصر الاسم الى بوابة المتولى .

القصران الشرقى والغربى :

وأنشأ القائد جوهر على الجانب الشرقى من الشارع المذكور قصرا للخليفة المعز لدين الله عرف فيما بعد باسم القصر الشرقى الكبير . وهذا لأن العزيز بن المعز أنشأ مقابل هذا القصر فى الجانب الغربى من الشارع قصرا صغيرا آخر عرف باسم القصر الغربى الصغير . وعرف الشارع الأعظم فى هذا الجزء باسم بين القصرين . ولا تزال هذه التسمية باقية للآن .

وكان ما بين القصرين ميدانا فسيحا يتسع لعشرة آلاف فارس . ولا تنظر لعرض الشارع الحالى .

فقد كان باب الذهب - أحد أبواب القصر الشرقى - موقعه محل محراب مدرسة الظاهر بيبرس التى اخترقها شارع بيت القاضى ولا تزال منها للآن بقية . وكان موقع هذا المحراب يبعد عن الشارع الحالى بحوالى سبعين مترا . كما يقدر على مبارك أن المنصور قلاوون عند انشائه المارستان (المستشفى) المنصورى فى مقابل مدرسة الظاهر المذكورة دخل فى الشارع بحوالى ١٥ مترا . فاذا أضفنا الى هاتين المسافتين عرض الشارع الحالى . لكان ما بين القصرين مائة متر تقريبا .

وكانت مساحة القصر الشرقى ٧٠ فدانا تقريبا . وذكر له المؤرخون

تسعة أبواب . وقد أمكن تحديد مواقع هذه الأبواب . ومن ذلك عرفت مساحته . فقد كان بالريح العربى للقصر على الشارع الأعظم باب الذهب . ثم باب البحر . وبالريح الشمالى باب الريح . ثم باب الزمرد . ثم باب العيد . ومنه كان يخرج الخليفة لصلاة العيدين لمصلى العيد خارج باب النصر . وبالريح الشرقى باب قصر الشوق . ثم باب الديلم . وكان يتوصل منه للمشهد الحسينى والجامع الأزهر . وبالريح الجنوبى باب تربة الزعفران وكان يتوصل منه الى مقابر القصر محل خان الخليلى حاليا . ثم باب الزهومة حيث كانت المطابخ وكان موقعه بحارة الصالحية الحالية عند مسجد ومدرسة الصالح نجم الدين أيوب التى لا تزال منها للآن بقية بجهة خان الخليلى .

ولم تكن هذه الأبواب جميعهامن انشاء القائد جوهر . بل زيدت فى القصر زيادات متعددة على أيدى الخلفاء الفاطميين طوال حكمهم . وهو فى الحقيقة لم يكن قصرا واحدا بل عدة قصور أطلق عليها القصور الزاهرة .

أما القصر الغربى الصغير فقد كان موضعه على وجه التقريب ما بين شارع الخرنفش الحالى شمالا وبين شارع المقاصيص بالصاغة جنوبا . وحده الشرقى الشارع الأعظم .ومن ضمن مساحته جزء من البستان الكافورى يصل به غربا الى السور الغربى على الخليج .

وقال على باشا مبارك (ج٣ص١٥) أن طول القصر الغربى من الشارع الأعظم الى السور الغربى للقاهرة هو ٤٢٥ مترا . وعرضه من شارع الخرنفش الى شارع المقاصيص ٢٧٥ مترا .

واستنتج ـ رحمه الله ـ من هذه الأطوال أن مساحة القصر الغربى أكثر من ثلثمائة فدان . وهى غلطة حسابية فهذه الأطوال تنتج ٢٧فدانا وكسورا فقط . وقد سبق أن ذكرنا أن مساحة القصر الشرقى الكبيركانت ٧٠ فدانا .

البستان الكافورى ومنظرة اللؤلؤة

والبستان الكافورى كان بستانا على الخليج أنشأه كافور الأخشيدى وكان بجوار ميدان أنشأه محمد بن طغج الأخشيد للرماية والفروسية

وألعاب الأكره وغيرها • فلما أنشأ جوهر القاهرة أدخل البستان والميدان ضمنها •

وكان البستان الكافورى متنزها للخلفاء الفاطميين • وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون اليها من القصر الشرقى الكبير ويسيرون فيها بالدواب الى البستان ومنظرة اللؤلؤة بحيث لا تراهم الأعين •

ومنظرة اللؤلؤة أو قصر اللؤلؤة أشهر مناظر الفاطميين • وكان قصرا من أحسن القصور وأجملها زخرفة • وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة فقد كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج المصرى • ولم يكن غربى الخليج غير البساتين • منها بستان المقسى وبستان الدكة وبركة بطن البقرة التى عرف جزء منها فيما بعد ببركة الأزبكية • ووراء ذلك كله النيل • وكان موقعها خلف ضريح الشعرانى بباب الشعرية •

وورث الأيوبيون الدولة الفاطمية • وأنزل صلاح الدين الايوبى أباه نجم الدين أيوب بقصر اللؤلؤة حتى مات سنة ٥٦٧هـ • وبانتقال مركز الحكم الى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥ هـ) تضاءل شأن منظرة اللؤلؤة وشأن الجهة • ثم أزيل البستان الكافورى سنة ٦٥١ ولعل المنظرة مما أزيل أيضا • ثم حكرت الأرض مبانى •

وقال المقريزى : ومازال البستان عامرا حتى زالت الدولة (يعنى دولة الفاطميين) وبنى فيه • سنة ٦٥١هـ أما الأقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض • وهى باقية الى يومنا هذا (يعنى وقته) تصب فى الخليج • والمقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ

الحشيش والقهوة والدخان :

وسبب ازالة البستان انه انتشرت فيه زراعة الحشيش واستفحل أمره بين بعض فقراء الصوفية وتعداهم الى عامة الناس •

وينسب اكتشاف أثر هذا العقار الى أن شيخ الشيوخ حيدر من بلدة تسترنجراسان كان كثير الرياضة الروحية والمجاهدة فى العبادة قليل الاستعمال للغذاء • وقد فاق فى زهده وتعبده • وكان قد اتخذ له زاوية فى جبل • وبصحبته جماعة

من الفقراء (١) . وانقطع بالزاوية أكثر من عشر سنين لايدخل عليه أحد الا انسان مكلف بخدمته . فخرج ذات يوم شديد الحرارة الى الصحراء منفردا وعاد متهلل الوجه منشرحا . وتبسط مع أتباعه ومريديه فى الكلام بعد هذا الصمت الطويل . فسألوه فقال انه وجد نباتا قطف منه أوراقا وأكلها فحدث عنده ارتياح وانتعاش وأراهم النبات . فعرفوا أنه نبات القنب . فأمرهم باستعماله وأوصاهم ألا يطلعوا عليه أحد من عامة الناس وألا يخفوه عن الفقراء أمثالهم . واستمر وأتباعه يستعملونه حتى مات الشيخ حيدر سنة ٦١٨ هـ وأوصاهم قبل موته أن يزرعوا منه فوق ضريحه وشاع أمره فى خراسان وباقى بلاد ايران وعرف باسم حشيشة الفقراء. ثم انتقلت الى العراق فى أيام المستنصر العباسى سنة ٦٢٨ هـ . ثم انتقلت الى الشام ومصر .

واستعملوه بطرق مختلفة . وأعجب به الكثيرون حتى مدحوه . وغالطوا بأنه لم يرد فيه نص بالتحريم مثل الخمر . ومما قيل فيه :

هى البكر لم تنكح بماء سحابة
ولا عصرت يوما برجل ولا يد
ولا عيث الخسيس يوما بكأسها
ولا قربوامن دنها كل مقعد
ولا نص فى تحريمها عند مالك
ولا حد عند الشافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها
فخذها بحد المشرفى المهند
وكف أكف الهم بالكف واسترح
ولا تطرح يوم السرور الى غد

والأكف جمع كف أى اليد . والكف من أسماء الحشيش عندهم والنعمان هو الامام أبو حنيفة النعمان وأحمد هو الامام أحمد بن حنبل . أى ذكر أئمة المذاهب الأربعة. وكان من أسماء الحشيش أيضا الشهدانج وكان الحشاشون فى القرن العاشر الهجرى يعرفون بأهل الكنبة . وهى محرفة عن القنب الهندى . والحشيش باللاتينية اسمه Conabis Irdica

ونسبة اكتشاف أثر الحشيش الى حيدر المذكور مشكوك فيه . فالعقار قديم ذكره بقراط وجالينوس من حكماء اليونان . كما عرفه الهنود .

(١) الفقراء : تعبير يقصد به اتباع احدى الطرق الصوفية . ويقال أيضا المريدون لاتباع شيخ بعينه .

ومن الهند انتقل الى ايران ثم الى باقى الدول الاسلامية . وربما استعمله بعض فقراء الصوفية لما اعتقدوا انهم يجدون فيه اعانة على التأمل واضعاف الشهوة وكثرة العبادة . وان كان فى الحقيقة معينا على البلادة .

وحارب استعماله الصالحون من علماء ومفكرين وحاكمين . وأسموه الشجرة الملعونة . وكان التذبذب بين الشدة فى منع زراعته واستعماله وبين التهاون فيهما على ممر العصور حتى أنه فى أوائل القرن الحاضر لغاية سنة ١٩٢٨ كانت العقوبة على زراعته هى مجرد تخليع الزراعة وغرامة عشرة جنيهات عن كل فدان ثم رؤيت خطورته على الطبقات الكادحة من آثار صحية وأخلاقية . وأن أعداء الوطن يسهلون تهريبه باعتباره وسيلة لتحطيم معنويات الشعب بما يبعثه فى المتعاطين من جبن وخمول فتشدد القانون فى محاربته . فرفع عقوبة الاتجار فيه الى حد الاعدام . وعقوبة احرازه الى الأشغال الشاقة .

واذا كان استعمال الحشيش قد عرف فى مصر فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى فللاستطراد نذكر أن استعمال البن (القهوة) قد عرف فى مصر سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٥ م) . واستعمال الدخان فى سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) .

ونعود الى موضوعنا الأصلى :

باب الذهب :

وكان باب الذهب أهم أبواب القصر الشرقى الكبير . وقيل فى تسميته أن المعز لدين الله الفاطمى عند ما قدم القاهرة سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م) حمل معه الذهب مسبوكا على شكل أرحية . أى أقراصا كبيرة كرحى الطواحين . وكانت على خمسمائة جمل على كل جمل ثلاث أرحية . وأنه عمل عضادتى الباب من تلك الأرحية واحدة فوق الاخرى فسمى باب الذهب .

ومن باب الذهب كانت العساكر ورجال الدولة يدخلون قاعة الذهب أو قصر الذهب . يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وكان بها سرير الملك حيث يجلس الخليفة فى اليومين المذكورين . وكان يعمل بها سماط شهر رمضان طوال الشهر وسماط العيدين .

وكان بجوار أبواب القصر الشرقى على الشارع الأعظم ثلاث مناظر أسماؤها الزاهرة والفاخرة والناضرة يجلس الخليفة فى احداها عند استعراض العسكر .

وقد ذكرنا فى مقال سابق منظرة المقسى بالقرب من ميدان رمسيس يجلس فيها الخليفة لتوديع الأسطول أو استقباله عند الميناء النهرى للقاهرة وقتذاك خلف جامع أولاد عنان بشارع الجمهورية . كما ذكرنا منظرة باب الفتوح يجلس فيها الخليفة لتحية الجيش فى ذهابه للحرب أو عودته .

الشارع الأعظم :

ولم يكتسب الشارع الأعظم هذا اللقب لاعتباره الشارع الرئيسى داخل القاهرة الفاطمية فحسب . ولكن ما أن مضى ثلاثون عاما على انشاء القاهرة حتى اتصلت بباقى أجزاء المدينة من القطائع والعسكر والفسطاط . وامتد الشارع جنوبا خارج باب زويلة حتى مقام السيدة نفيسة ومنها الى الفسطاط . كما امتد شمالا خارج باب الفتوح بحى الحسينية والبيومى والظاهر حتى أقصى عمران المدينة وقتذاك . وكان الناس يسيرون من القاهرة الفاطمية الى الفسطاط فى شارع متصل البنيان والعمران .

هذا هو الشارع الأعظم . وقد عبر عنه المقريزى بأنه قصبة القاهرة وقال انه كان عامرا بالمتاجر والأسواق حتى بلغ عدد الحوانيت من الحسينية خارج باب الفتوح حتى السيدة نفيسه ١٢٠٠٠ حانوت .

هذا الشارع طوله من ميدان الجيش بأول العباسية حتى موقع السيدة نفيسة ٤٨٠٠ مترا تقريبا . منها ٩٠٠ مترا تقريبا خارج باب الفتوح + ١٥٠٠ مترا تقريبا داخل القاهرة الفاطمية من باب الفتوح الى باب ذويلة + ٨٠٠ متر تقريبا من باب زويلة حتى تقاطعه مع شارع القلعة (محمد على سابقا) + ١٦٠٠ مترا تقريبا من هذا التقاطع حتى السيدة نفيسة .

ومن هذه الأطوال نعلم أن عدد الحوانيت التى ذكرها المقريزى على الشارع الأعظم فيه بعض المبالغة .

وعرف الشارع باسماء مختلفة تبعا للأحياء والأسواق التى يمر بها .

فقد ذكرنا أسماء البيومى والحسينية خارج باب الفتوح • ونذكر من باب الفتوح الى باب زويلة داخل القاهرة الأسماء الآتية على التوالى : باب الفتوح ـ الكليبانى ـ الأمشاطية ـ بين القصرين ـ النحاسين ـ الصاغة ـ الغورية ـ العقادين ـ المناخلية ـ السكرية • ونذكر خارج باب زويلة حتى تقاطع شارع القلعة أسماء : قصبة رضوان ـ الموازين ـ الخيامية المغربلين ـ السروجية ونذكر بعد ذلك اسماء : الحلمية ـ السيوفية ـ الركبية ـ الخليفة ـ الاشرف حتى مقام السيدة نفيسة •

ثم أطلق شارع المعز لدين الله على الجزء من الشارع الأعظم داخل القاهرة الفاطمية من باب الفتوح الى باب زويلة • وهو موضوع هذا المقال •

عادات وتقاليد :

ظل هذا الجزء من الشارع الأعظم ما بين باب الفتوح شمالا وباب زويلة جنوبا ـ محترما له مكانته سواء فى عهد الفاطميين أو الأيوبيين أو السلاطين المماليك • وكانت له تقاليد تراعى : منها ألا يمر به حمل تبن أو حمل حطب • ولا يسوق أحد به فرسا • ولا يمر به سقاء الا وراويته مغطاة • وعلى أصحاب الحوانيت أن يعلق كل منهم على حانوته قنديلا موقدا طول الليل • وأن يعد كل منهم زيرا مملوءا بالماء مخافة الحريق فى أى مكان فيطفأ بسرعة •

وكان هناك أشخاص معينون للكنس والرش ورفع ما يرمى من الأوساخ فى الطرقات حتى لا يعلو الشارع • وآخرون خفراء بالليل يطوفون بالحوانيت والدور ليلا لحراستها • وهذا منذ أيام العزيز ابن المعز لدين الله •

وأمر الحاكم بأمر الله بن العزيز ألا يدخل الشارع أحد راكبا • ومنع المكارين (أى الحمارة) من المرور فيه بحميرهم • كما أمر ألا يمشى أحد ملاصقا للقصر •

واذا قضيت صلاة العشاء بالقصر، وقف على باب الذهب أحد الأمراء المعينين للحراسة • فيأمر بضرب النوابات من الطبل والبوق وتوابعهما من الآلات الموسيقية فى عدة وافرة بطريقة مستحسنة ونغمات مستحبة ويظل عزف الموسيقى حتى يخرج من القصر أحد الأستاذين المكلفين

بالخدمة . فيقــول : أمير المؤمنين يرد عليكم السـلام . فيأمر بوقف الموسيقى . وغلق الأبواب . ويضع أمامها الحرس . وترمى السلسة فى المضـيق بين القصرين فيمتنع المرور فى الشارع حتى فجر اليوم التالى . وكان هذا المضيق فيما بين حارتى الصالحية والصاغة الحاليين تقريبا .

وكان من التقاليد أيضا فى زمن الفاطميين ـ وهـو ما نعبر عنه الآن بالبروتوكول ـ أنه اذا قـدم رسـول من ملـوك الأفرنج ينزل عنـد باب الفتوح . ويقبل الأرض وهو ماشى الى أن يصل الى القصر . كذلك من يغضب عليه الخليفة يحرج الى باب الفتوح ويكشف رأسه . ويستغيث بعفـو الخليفـة . حتى يؤذن له بالوصول الى القصر .

وأمر الحاكم بأمر الله أن يمتـد وقود الشارع الى جميع المدينة شاملة القــاهرة والفسـطاط . وكان ينزل ليلا بمفرده . آمرا حراسه بالابتعاد عنه . ليمر بالمدينة . فتبارى أصحاب الحوانيت والمتاجر والدور والقياسر فى الوقود والزينة . وصـار الناس طول الليل فى بيع وشراء . وأوقدوا الشموع الضخمة . وأنفقوا الأموال الجمة . وتبسطوا فى المآكل والمشارب وسـماع الأغانى وخرج الناس من دورهم ليلا للفرجة . وغلبت النساء الرجـال فى الخروج ليـلا . وعظم الازدحام فى الشوارع والطرقات . وأظهر النـاس اللهو والغناء وشرب المسكرات فى الحوانيت والشوارع . واستمر هذا خمسة أيام فقط فى سنة ٣٩١هـ .. فلما تزايد الأمر أمر الحاكم بأمر الله بمنـع النساء من الخروج ليلا بعد العشاء . ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت . وفى سـنة ٣٩٥ هـ . منع الناس رجالا ونساء من الخـروج بعـد العشاء . وهو ما نسميه الآن بحظر التجول ليلا .

---

(١) القياس : جمع قيســارية . تعنى المحلات التجارية تعلوها مساكن أيضا للتجارة أو للسـكن . وبينهـا شوارع خصوصية مثل الممر التجارى وممر الكونتننتال وغيرهما مما هو معروف الآن. وغالبا تكون من شارعين متعامدين . على شكل صليب . ومن هنا جاءت التسـمية التى أصـلها قيصرية ـ مثـل العملية الجراحيـة المعروفة بالقيصرية (للوضع فى حالة تعسر الولادة) والاصل فى هذا هو التخطيط الرومانى للمدن .

ومن بعد الفاطميين كان من يلى الحكم من سلاطين بنى أيوب يدخل من باب الفتوح بملابس السلطنة — وهى خلعة الخليفة العباسى — راكبا فرسه . والوزير بين يديه على فرس آخر . ويحمل الوزير فوق رأسه عهد الحكم الصادر للسلطان من الخليفة . وجميع الأمراء والعساكر مشاة بين يديه . حتى يخرج الموكب من باب زويلة . فيركب الجميع الى القلعة .

وقال المقريزى أن أول من ركب بخلع الخليفة فى القاهرة هو صلاح الدين الأيوبى . والخلعة جبة سوداء (١) وطوق من ذهب .

واستمر هذا طوال عهد السلاطين المماليك . ولو أن بعضهم كانوا يكتفون بعقد مجلس فى القلعة يحضره الخليفة والقضاة الأربعة . وتتم فيه مراسيم العهد بالحكم .

وعندما دخل سليم الأول العثمانى مصر . استقر بمعسكره أولا بصحراء العباسية . ثم أراد أن ينتقل الى ساحل النيل — (فيما بين بولاق وجاردن سيتى) — فدخل بموكبه فى باب النصر ثم عرج الى الشارع الأعظم حتى باب زويلة . ثم انعطف فى شارع تحت الربع (أحمد ماهر حاليا) وتوجه الى بولاق من هناك .

وكان الولاة المعينون فى استانبول يحضر أغلبهم عن طريق النيل الى ساحل بولاق . فيستقبل الأمراء المماليك الوالى الجديد . ويركب فى موكب وعليه خلع السلطنة العثمانية . فيدخل من باب البحر (بالقرب من نهاية شارع كلوت بك عند ميدان رمسيس) . ويسير الى أن يدخل القاهرة الفاطمية من باب القنطرة (بالقرب من ميدان باب الشعرية) فيشق سوق مرجوش (شارع أمير الجيوش) حتى يصل الى الشارع الأعظم . فيسير فيه حتى يخرج من باب زويلة . ثم ينعطف يسارا فى شارع الدرب الأحمر الى طريق التبانة وباب الوزير والمحجر حتى يصل الى القلعة .

(١) السواد : كان شعار العباسيين . كما كان البياض شعار العلويين . ولذلك يقال المسودة والمبيضة .

وعندما انتصر ابراهيم باشا بن محمد على على الوهابيين بالحجاز سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٨م) • أرسل زعيمهم عبدالله بن سعود أسيرا • فدخل من باب النصر راكبا على هجين • وأمامه طائفة من الدلاة(١)• وخلفه بعض أتباعه • وضربوا عند دخوله المدافع من القلعة وبولاق • وذهبوا به الى قصر اسماعيل باشا ابن محمد على بالجزيرة • واستقبله محمد على فى اليوم التالى بقصر شبرا • وعاتبه على العصيان • ثم أرسله الى استانبول فطافوا به المدينة • ثم قتلوه فى مكان يعرف بباب همايون • وقتلوا أتباعه فى نواحى متفرقة من المدينة • فذهبوا مع الشهداء •

وعاد ابراهيم باشا من الحجاز فى أوائل سنة ١٢٣٥ هـ • عن طريق القصير • فنودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها • وبات ابراهيم باشا بقصره بجزيرة الروضة • وزينوا له موكبا فى اليوم التالى دخل به من باب النصر • وعلى رأسه شعار الوزارة • وشق الموكب المدينة بالشارع الأعظم • وحضر والده الى الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه • ووصل الموكب القلعة • وطلع اليها • ثم صار الى جهة مصر القديمة حيث عبر النيل الى قصره بالروضة على جسر عملوه من المراكب •ربطت ببعضها من البر الى البر • وردموا فوق المراكب الأتربة ليتمكن الموكب من السير عليها •

الشارع الأعظم وقاهرة المقريزى واسواقها :

ذكر المقريزى ما كان عليه الشارع الأعظم فى عهده من النشاط التجارى وما كان فى أسواقه من التخصص • وتحسر على أن ما فى وقته ليس الا جزءا يسيرا مما كان قبلا •واذا رجعنا بالخيال الى عهد المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) لوجدنا فى الشارع الأعظم من باب الفتوح الى باب زويلة على التوالى الأسواق الآتية : سوق باب الفتوح • وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحوم والخضر والبقول وغيرها •

---

(١) الدلاة : فرقة من الجيش الغير نظامى . وهى غالبا من اكراد سوريا واشتهروا بالشجاعة . واللفظ معناه اصلا مجنون .

وتليها سوق المرحلين . وكانت متخصصة فيما يلزم للراحلين من عدد الجمال وغيرها . ويشتدنشاط هذه السوق فى موسم الحج . وتليها سوق الرواسين . عند رأس شارع أمير الجيوش . وكانت متخصصة فى بيع رؤوس الأغنام والبقر بعد تجهيزها وتليها سوق حارة برجوان . وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحم البقرى والضانى وبها عدد كبير من الزياتين والجبانين (تجار الزيت والجبنة) والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية (بائعى المرطبات) بل بلغ التخصص ببعض الحوانيت أنها لا تبيع الا حوائج المائدة من بقل وكرات ونعناع وغيرها .

وتليها سوق الشماعين . عند الجامع الأقمر . وكانت متخصصة فى بيع الشموع بأنواعها وأحجامها المختلفة . وهناك كانت تجلس بعض البغايا لتحريض المارة على الفسق . ويشتد الرواج فى هذه السوق فى شهر رمضان . وذكر المقريزى أن بعض الشموع كانت تزن أكثر من قنطار . وتحمل على عجل . فضلا عن الشموع الصغيرة التى يحملها الصبيان فى مواكب رمضان وصلاة التراويح . ولا يزال أولادنايحتفلون فى رمضان بحمل الفوانيس . وان كان بعضها يضاء ببطاريات الكهرباء.

وتليها سوق الدجاجين . وتصل الى رأس شارع الخرنفش . وكانت فيه فضلا عن تجارة الدواجن التى تؤكل مثل الدجاج والأوز . تجارة الطيور المسموعة من الببغاوات والحمام القمارى والهزارى والسمان . وكان الناس يقبلون على شرائها ويدفعون فيها الأثمانالغالية. وكان هناك محل لبيع العصافير للصبيان ليقتنوها . اذ يفهم صاحب الحانوت الصبى أن هذا العصفور يسبح الله . فمن أعتقه دخل الجنة . فيشتريه الصبى بفلس ثم يطلقه ليدخل الجنة .

وتليها سوق بين القصرين وكانت أكبر هذه الأسواق وكانت عامرة بجميع أصناف المأكولات نيئة ومطبوخة . وكان الناس يذهبون لقضاء مصالحهم أو للفرجة والنزهة فيزدحم المكان كأنه مهرجان .

وتليها سوق الســلاح • وكانت لبيــع القسى والنشــاب والزرديات وأدوات السلاح • وكان يجلس بها الصيارف أيضا لغاية العصر • وبعد العصر يجلس بائعو المــأكولات •

وبعد زمن المقريزى جدت سوق أخرى للسلاح خلف شــارع محمد على الحالى بالقرب من القلعة ذكرها الجبرتى ولا يزال هناك شارع يحمل اسم شارع سوق السلاح •

وتليها سوق القفيصات (بصيغة التصـغير والجمـع) وهى أقفاص صـغيرة ترص فوقهـا الطرائف من فصوص وحلقان وخواتم وأساور وخلاخيل النســاء • وكان مكانها بجوار المارستان المنصورى • وكان أصـحاب الأقفاص يدفعون للدولة أجرا للمكان • ومكانها حاليا سوق النحاسين •

وتليها سوق باب الزهومة عنـد باب مطابخ القصر الشرقى •

ويقابلها سوق السيوفيين •لتجارة وصناعة السيوف • ونسبت لهـذه السوق المدرسـة السـيوفية التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى هناك وهى أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر • وبالمدرسة السـيوفية تلقى دروسه العــارف بالله شمس الدين عمــر بن على الفارض (توفى سـنة ٦٣٢ هـ) ودفن بسفح المقطم • وقبره يزار • وديوانه مشهور بين الصوفية برقيق معانيــه ورقيــق مراميه فى التغزل ومحبــة الذات الالهيــة • وانبرى لشرحه الكثيرون •

فاذا تركنا تقاطع الشارع الأعظم مع شارعى القائد جوهر والأزهرـ وكانت فى هذه المسافة سوق الوراقين لتجارة الكتب وسوق الصــنادقية لصناعة الصناديق والصناديق كانت تسـتعمل بـدل الدواليب لحفظ الملابس والأمتعة • نجد بعـد ذلك الأسواق الآتية :

سوق المهامزيين وتتلوها ســوق اللجميين • الأولى نسبة الى المهماز • وهو حديدة توضع بخلف الحـذاء على شكل عجلة لها أسـنان مدببة لغمز الجواد • وحثه على الركض • والثانية نسبة الى اللجم جمع لجـام وهو ما يقاد به الجواد •

وكانت المهاميز واللجم تعمل من الذهب أو الفضة الخالصين ولايترك هذا الا عن ورع وتدين . فيعمل من حديد مطلى بالذهب والفضة . وكانت تعمل بالسوق بدلات (جمع بدلة) الخيل من الفضة الخالصة . وتصنع بالسوق السروج العربية وما بها من لجام وركاب ومهماز وخلاف ذلك . وكان القربوس ـ وهو القائم بالسرج أمام وخلف الراكب ـ به عدة أطواق من الفضة المذهبة . ولا يتورع عن ذلك الا القضاة ورجال الدين . كماكانت تصنع بها الدوى (جمع دواه) والطرف التى بها الذهب والفضة مثل سكاكين الأقلام وغيرها .

وتتلوها سوق الجوخيين : نسبة الى الجوخ وهو نوع من الصوف مستورد من بلاد الأفرنج .

وتتلوها سوق الشرابشيين . وقد استجدت بعد الدولة الفاطمية . وتباع فيه الخلع التى يلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . والشربوش هو من الخلعة التى يلبسها السلطان . وهو يشبه التاج مثلث الشكل . ويلبس على الرأس بدون عمامة . وقد بطل الشربوش فى دولة المماليك البرجية . ولم تكن تجارة هذه السوق قاصرة على الشرابيش بل كانت أيضا لبيع وشراء التشاريف (١) التى يخلعها السلطان والأمراء .

وتتلوها سوق الحوائصيين . نسبة الى الحوائص (جمع حياصة) وهى أصلا حزام يشد به السرج على بطن الفرس . ثم أطلقت على المنطقة أو الحزام فى وسط الرجل . وكانوا يتغالون فى صنعها . ويتباهون بها . حتى عملت من الذهب الخالص المرصع بالجواهر . ويفرق السلطان كل سنة على مماليكه من حوائص الذهب والفضة الشىء الكثير .

وتتلوها سوق الحلاويين لصناعة الحلاوة وما يصنع منها . وكانت

---

(١) التشاريف : جمع تشريفة وبدلة التشريفة هى ما يلبس فى الحفلات الرسمية . ولكل رتبة زى خاص . وفى مصر فى عهد عباس حلمى الاول صدر أمران سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م) الأول لدوان الجهادية والثانى لكتخدا مصر بضرورة لبس الكسوة الرسمية للتشريفة فى الايام الرسمية . والا يرفض قبولهم فى تشريفات العيدين وغيرهما من الأعياد الرسمية .

صناعة متقدمة . وكانوا يشكلون الحلوى على شكل الخيول والسباع والقطط وعلى هيئة العرائس والفرسان والقصور والحصون وغير ذلك . وكانت تسمى العلاليق . لأنها كانت تشترى وتعلق فى أغلب البيوت وكان موسم صناعتها رجب ورمضان ولايزال أثر هذه الصناعة للآن مما نجده فى حلويات المولد النبوى الشريف .

وتتلوها سوق الشوايين أى صناعة الشواء (مثل الحاتى) .

وبعدها سوق الخلعيين أى تجارة الملابس الخليعة أى القديمة . وكان موقعها أمام جامع المؤيد عند باب زويلة كما ذكر المقريزى أنه كان يجلس هناك باعة الجبن المجلوب من الشام . وكانت تعمل هناك المناخل والغرابيل للدقيق والغلال .

وكانت هناك حوانيت يجلس فيها ناس لعلاج من يتصدع أو يكسر له عظم أو يصيبه جرح ويسمون المجبرين وتغيرت أوضاع هذه الأسواق وتنوعت أنواع التجارة فى كل مكان . وتضاءل شأن الشارع الأعظم باتساع المدينة . ونشأة شوارع أعظم منه طولا وعرضا بالتخطيط الجديد للمدينة وضواحيها وانتقال مركز الحكم للقلعة ثم لعابدين والقبة .

محمد كمال السيد

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

علم أصول الفقه
للشيخ عبد الوهاب خلاف

هذا الكتاب الذى نشرته دار العلم بالكويت يقع فى مائتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، ولا أظن أن المؤلف رحمه الله رحمة واسعة الا غنيا كل الغنى عن التعريف ،فقد كان من العلماء القلائل المتفوقين علما وخلقا ومرونة وسعة أفق ، لم يكن مجرد أستاذ للشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق ، كان أستاذ جيل بأسره ، قدم للمكتبة الاسلامية زادا طيبا أصيلا من الفكر الاسلامى الخصب •

والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة التاسعة للكتاب ، والدراسة التى بين دفتى الكتاب من الدراسات الأصيلة فى الفكر الاسلامى ، وهى من نتاج فكر المجتهدبن من أئمة المسلمين ، الذين بذلوا – كما يقول المؤلف – أقصى جهودهم العقلية فى استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها ، واستخرجوا من نصوص الشريعة وروحها ومعقولها كنوزا تشريعية ثمينة ، كفلت مصالح المسلمين على اختلاف أجناسهم وأقطارهم ، ونظمهم ومعاملاتهم ، ولم تضق بحاجة من حاجاتهم ، بل كان فيها تشريع لأقضية لم تحدث ، ووقائع فريضية ، وهذه موضوعات الفقه آيات تنطق بما بذلوه من جهد ، وما كان حليفهم من توفيق •

لقد كتب المؤلف مقدمة مسهبة تضمنت موازنة عامة ، بين علم الفقه وعلم أصول الفقه من حيث التعريف بكل منهما ، وبيان موضوعه ، وغايته ، ونشأته وتطوره ، فعلم الفقه فى الاصطلاح الشرعى : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية أو هو مجموعة الأحكام الشرعية العملة المستفادة من أدلتها التفصلية ، أما علم أصول الفقة فى الاصطلاح

الشرعى ، فهو : العلم بالقواعد والبحوث التى يتوصل بها الى استفادة الأحكام الشريعة العملية من أدلتها التفصيلية .

ثم قسم المؤلف ـ رحمه الله الدراسة الى أربعة أقسام : الأول منها فى الأدلة التى تستمد منها الأحكام الشرعية ، والثانى منها فى مباحث الأحكام الشرعية الأربعة : الحاكم والحكم ، والمحكوم فيه والمحكوم عليه ، والثالث منها ، فى القواعد الأصولية اللغوية التى تطبق فى فهم الأحكام من نصوصها ، أما الرابع من هذه الأقسام ، ففى القواعد الأصولية التشريعية التى تطبق فى فهم الاحكام من نصوصها، وفى الاستنباط فيما لا نص فيه .. وبعد .. فلئن كان الموت قد طوى المؤلف ، كما طوى أعلام الفكر الاسلامى من قبل ومن بعد ، فان ما تركه من ثروة علمية كفيل بأن يظل فى سجل الخالدين ، ولئن كانت وسائل الاعلام تتجاهل فضل هذا العالم الفقيه الكبير ، حتى لا تكاد تذكره ، فهذا مما لا غرابة فيه ، فقد عودتنا وسائل الاعلام ألا تتذكر الا الحثالة ممن تطلق عليهم فنانين وفنانات ...

*** تاملات فى سورة يس**
للدكتور حسن محمد باجودة

هذا كتاب فى أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير، نشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، والمؤلف مشرف الدراسات العليا العربية ، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ..

يذكر المؤلف فى مقدمته : أنهذه الدراسة المتأملة للسورة المكية الكريمة سورة يس .. قلب القرآن الحكيم ـ كما لقبها سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، استهدفت تبيين القضايا التى تعالجها هذه السورة المباركة ، والأقسام التى تتكون منها ، ومظاهر الاعجاز الأسلوبى فيها ، والأسباب التى جعلت فيها الفضائل المتعلقة بها حتى انها لقبت بقلب القرآن .. وهذا وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الطيبة الى ستة أقسام ، هى بمثابة قضايا ست ، كلها ـ كما يقول ـ تخدم غرضا واحدا ، هو ارساء دعائم عقيدة التوحيد بعبادة الله وحده

لا شريك له،أما هذه القضايا الست، فهى : الرسول الكريم عليه السلام والقرآن الحكيم معجزته الكبرى الخالدة ، والفئة القليلة أول الأمر — المؤمنة — من أتباعه عليه السلام ، والفئة الكثيرة أول الأمر — الكافرة — من قومه ، وقضية البعث بعدالموت، أما السادسة والأخيرة ، فهى حث المكذبين للرسول •• المنكرين للبعث — على تصحيح موقفهم الخاطىء •

وبعد — فالحق أن المؤلف العالم الجليل ، أمتعنا بدراسة قيمة حرص فيها على توافر الوحدة العضوية ، للسورة ، وعلى تحويل السورة الى قضايا جديرة بالداسة والتأمل ، وهذا الاتجاه فى التفسير اتجاه لهتقديره، وقد سبق اليه بعض العلماء الأجلاء• كالمغفور لهما : الشيخ شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف وغيرهما ومما أمتعنا به المؤلف ، وقوفهطويلا عند مدلول اللفظ اللغوى ، وأوجه البلاغة فيه ، ثم اعتماده أساسا فى التفسير على القرآن ذاته ••

فقط ، كنا نود مثلا فى قضية الموت والبعث والنشور وهى القضية الخامسة ، أن يعنى المؤلف بالرد على الفكر الالحادى بخاصته فيما يتصل بالبعث ، كذلك كنا نود أن يعنى المؤلف بالدقة فى الأحاديث النبوية القليلة التى أوردها ،ولاسيما أن حديث : يس قلب القرآن •• حديث ضعيف كما أشار الى ذلك الترمذى •

٭ الصلاة عماد الدين :

للدكتور حسن الترابى

هذا كتاب جديد للمؤلف نشرته الشركة المتحدة للتوزيع فى بيروت فى زهاء مائة وستين صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف من مواطنى السودان الشقيق ، ومن أبرزالعاملين فى الحركة الاسلامية هناك ، ومن الذين عانوا الكثير من المتاعببسبب عقيدته ••

لم يهدف المؤلف الى أن تكون دراسته عن •• الصلاة •• دراسة فقهية ، فقد تكفلت بذلك أمهات الكتب الفقهية ، وانما قصد الى أن تكون دراسته فى معانى الصلاة وآثارها فى حياة المسلم ، من حيث أنها أم العبادات ، وانها تربية كاملة للمسلم تورثه نفسا بشرية بمعانى

الايمان جميعا ، وحياة طيبة عامرة بالعبادة وصالح الأعمال ، كذلك تعتبر الدراسة عن الصلاة - بيانا للحكم البالغة ، والمقاصد الجليلة التى جعلت من الصلاة عمادا لكل شعب الايمان ، وقاعدة لكل صنوف الطاعات ، حتى كادت - كما يقول المؤلف فى مقدمته - أن تكون جماعا لأركان الدين ..

لذلك جعل المؤلف دراسته تتناول مباحث عشرة :

الصلاة أولى الفرائض العملية فى الدين ، الصلاة هى السمة المميزة لأهل الاسلام ، الصلاة استغراق دائم فى عبادة الله ، الصلاة توجه الى الله والى القبلة الدائمة ، الصلاة خشوع وطاعة لله وللرسول ، الصلاة تمام التجرد والاخلاص لله ، الصلاة طهارة وانابة وتقوى ، الصلاة تزكية للايمان وقوة لدوافع الايمان ، صلاة الجماعة تربية اجتماعية كاملة ، ثم خسران المسلمين باضاعة الصلاة ..

وبعد - فالحق أن المؤلف الذى يعيش اليوم مهاجرا الى الله بعيدا عن مسقط رأسه - جعلنا نعيش بين دفتي دراسته رحلة روحية ممتعة ، فهى دراسة على مستوى رفيع أسلوبا ومعنى ، انها دراسة تبحث فى فقه العبادة .. الصلاة التى هى عماد الدين ، وكم نحن اليوم فى حاجة الى فقه العبادات ..

*** مجلة المسلم المعاصر :**

هذا هو العدد الثالث من مجلة المسلم المعاصر ، وصاحب الامتياز ، ورئيس التحرير هو الدكتور جمال الدين عطية المحامى ، وهذه المجلة فصليه ، أى تصدر كل ثلاثة شهور والعدد الثالث الذى بين أيدينا يقع فى زهاء مائتى صفحة ، ومن الموضوعات التى تناولها العدد : الثقافة والحضارة للدكتور عثمان أمين ، وفلسفة التاريخ كما بينها القرآن للأستاذ يوسف كمال ، والفقه الاسلامى بين الأصالة والتجديد للدكتور يوسف القرضاوى ، وأدب الحوار للدكتور أحمد كمال أبو المجد كما تضمن العدد الجزء الثالث من دليل الباحث فى الاقتصاد الاسلامى لرئيس التحليل ، واختتم بأخبار النشاط الاسلامى فى شتى بقاع العالم .. هذا وقد أفسحت المجلة صدرها للحوار الذى استوعب بعض النقد لمقالاتها السابقة ، ومع ذلك

فالمجلة لايزال ينقصها الكثير ،لأنها لاتزال فى بداية الطريق .. فالاعطاء الثقافى والفكرى وحده لا يكفى . بل لابد أيضا أن تتصدى المجلة للمخططات الرهيبة التى يعانى الشعب المسلم منها الكثير ، هذه المخططات صليبية كانت أم الحادية أم وثنية ، لاتزال راسخة القدم لمناوءة الاسلام : فكرا وعقيدة وتراثا وشعوبا ومما يرثى له أن بعض الأنظمة فى بعض الدول المسلمةتبارك هذه المخططات ايجابا أو سلبا وفى ايجاز نود أن نرى مجلة المسلم المعاصر لاتقف عند تبنى قضايا الفكر الاسلامى ، بل أيضا قضايا الشعوب المسلمة أيضا ، ولا سيما الأقليات المسلمة التى لاتزال تتعرض لحروب الابادة . التى تشنهاالصليبية والشيوعية على السواء .

قراءات :

« ان تجربة نصف قرن من قيادة الحزب الشيوعى لطائفة من دول العالم ، أظهرت بوضوح عدم قدرة الشيوعية على كشف جذر الخطأ ، وهو الذى يتلخص فى المفهوم المادى للحياة .. ومن هنا فان النظام الاسلامى استطاع أن يقضى على الاستغلال ، ليس بتبديل شخص المستغل من زيد الىعمرو ،ولاتبديل صفته .. بل بتبديل النظرة المادية الى نظرة روحية .. »

من كتاب « الفكر الاسلامى مواجهة حضارية »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر
تقديم عبد الفتاح حسن الزيات

السؤال :

يريد شاب الزواج من فتاة ، له أخت رضعت من أم الفتاة وللفتاة أخ رضع من أم هذا الشاب /فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد : حيث لم يرضع هذا الشاب من أم الفتاة والفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز له أن يتزوجها .

ولا يغير هذا الحكم كون أخته قد رضعت من أم الفتاة أو أن أخ الفتاة قد رضع من أم الشاب والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطنة السيدة / زينب ابراهيم

لا أستطيع السفر الى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ولى أخ حج عن نفسه من قبل فهل أستطيع تكليفه للقيام بالحج عن نفسى وتكون هذه الحجة لى ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

يصح انابة أخيك فى أن يحج عنك بالنيابة بشرط أن يكون قد حج عن نفسه والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / عبد الرحمن الحاج أبو بكر

١ - لدينا جمعية خيرية نشترك فيها باشتراك شهرى بمبلغ يستطيع العضو دفعه ويتجمع هذا المبلغ فى صندوق للصرف منه على شراء الكتب الدراسية أو ثمن تذاكر السفر ، وقد يمر الحول على هذه المبالغ فهل تجب فيها زكاة ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأنه لا زكاة على هذه الاموال لأنها ليست مملوكة لشخص معين بل هى باسم الجمعية الخيرية التى تتولى الصرف منها على شئون الاعضاء والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / محمد هلال

ماحكم بيع الحيوان الحى بالكيلو جرام ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن بيع الحيوان الحى المرأى لكلا المتعاقدين وزنا جائز اذ لاوجه لبطلانه حيث أن الوزن لاينقص العلم بالمبيع الحاصل برؤيته بل يزيده . ألا ترى جواز بيع كل ماله قشرة طبيعية وبذر فى داخله مع شىء من الجهالة كالبرتقال والخوخ والجوز وغيره والله تعالى أعلم .

السؤال :

من المواطن السيد / نعمان عبد الله زغلول .

خطبت فتاة وقبضت مؤخر الصداق ، ثم مرض الخاطب وأثناء مرضه طلب اتمام عقد الزواج - فحضر المأذون وشهود العقد وتم عقد الزواج وفى اليوم التالى توفى الزوج فهل العقد صحيح وهل للزوجة مؤخر صداقها ؟ وهل لها حق فى تركته مع الاحاطة بأن له أخ وأخت شقيقين ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد :

بأن عقد زواج هذا الشخص صحيح وبموته حل مؤخر صداق زوجته وتأخذه من تركته والباقى يكون ميراثا له ويكون لها الربع فرضا لعدم وجود الولد والباقى للاخ والاخت الشقيقين تعصيبا للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم.

أنبــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

بيان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر

أعلن فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة عيد الفطر المبارك ، قال فيه :

(... اذا كانت أمتنا اليوم تفطر بعد صيام ، وتنال بعد حرمان ، فانها تتطلع الى النوال الأكبر بالنصر ، والى الغنم الاعظم بالفتح ، نصر ترد به الأرض المغتصبة ، وفتح تدخل به المسجد الاقصى ... .

ثم قال : (... ان النصر الذى حققناه بايماننا وكفاحنا فى العاشر من رمضان ، وفيما بعد العاشر من رمضان ، وما تلى ذالك فى أيام أخرى قريبة مضت ، وما سوف يتلوها فى أيام توشك شمسها أن تطلع ، انما كان بفضل الله وتوفيقه ...) .

وختم فضيلته بيانه بقوله : (اننى فى هذه المناسبة المباركة - باسم علماء الأزهر الشريف وطلابه أدعو أمتنا الى وحدة الصف وجمع الكلمة ، وشد الأزر « انما المؤمنون اخوة ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » ...

كما أبعث بالتحية والتهنئة الى الرجل الذى اعطى من قلبه وروحه أسمى ما يعطى قائد لأمته الرئيس المؤمن محمد انور السادات ....

وابعث بالتحيات المباركات ، والتقدير الوافر الى قواتنا المسلحة الذين فتح الله بهم فتحا مبينا وأعز ونصر ..

... وتحياتنا لشعبنا الصامد الصابر الذى برهنت الأحداث على أنه الأبى الصادق المعطاء أبدا .

وبأطيب التهـانى وخالص الأمانى الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية وشـعوبها مع خالص الشكر على وقفاتهم المشرفة التى كانت وستظل أمضى سـلاح ينصر الله به أمتنـا ، ويرهب به ويخذل أعداء الله وأعدائنا

والله أسـال أن يعز دينه ، وأن يجمـع كلمة العرب والمسـلمين ، ويوفق قـادتهم الى مـافيه الخير والسداد) .

مد خدمة فضيلةالدكتوروكيلالأزهر:

أصدر ممدوحسالم رئيس الوزراء قرار رقم ٨٧٥ لسنة ١٩٧٥ م بمـد خـدمة فضـيلة الـدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهرلمدة عامين اعتبارا من ٢١ أكتوبر ١٩٧٥م

امين عام مسـاعد لمجمع البحوث الاسلامية :

أصدر فضيلة الامام الأكبرالدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قرار رقم ١٦٩ فى ٧ من رجب ١٣٩٥ هـ ١١ من سبتمبر سنة ١٩٧٥ م بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور عبد الجليل عبده شلبى أمينا عاما مساعدا لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

مسابقة دولية لتلاوة القرآن الكريم بماليزيا :

أقيم فى شهر سبتمبر المـاضى فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا مسـابقة لتلاوة القرآن الكريم بمقر أستاذ مبرديكا واشتركت فى المسـابقة ١٢ دولة آسيوية .

حظر اليانصيب فى الهند :

نشرت صحيفة الميثاق المغربية فى عددها ٢٠٢ أن حكومة ولاية تامل نادو فى الهند أصدرت أمرا بحظر رواج أوراق اليانصيب على مستوى الولاية ، وقد لاقى هذا الأمر ارتياحا كبيرا فى الأوساط الاسلامية بالهنـد وأرسـل أمير الجماعة الاسـلامية خطـابا الى الوزير الأعلى يهنئه فيـه ويقول : انه لاينبغـى أن نصرف أنظـارنا عن القيم الخلقية لأجـل الارباح المـالية فمسئولية الحكومة من ناحية رفـع المسـتوى الخلقى للجماهير أهم من مسئوليتها عن رفع المستوى الاقتصادى ، وقد قدمتم

بهذا العمل نموذجا للولايات الأخرى فى البلاد .

قبول جميع الناجحين فى مســـابقة دخول الثانوى الأزهرى :

تم قبول جميع الناجحين فى مسابقة دخول الثانوى الازهرى هذا العام من الحاصلين على الاعدادية العامة .

وكان عدد المتقدمين للمسابقة من البنين والبنـــات ١٢ ألفــا ، نجــح منهم ٤٧٧٩ من البنين ، ٢٤٧٠ من البنات ، وبذلك يكون عدد الناجحين الذين تم قبولهم من البنين والبنات ٧٢٤٩ طالبا وطالبة .

صرح بذلك الاستاذ احمد نصار مراقب عام الامتحانات بالازهر .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٠٠٢-١٩٧٥-١٢٥٦٥

practise usury or conclude contractes which Islam regards as invalid. This is because a protege deals with Muslims and should as such be governed by the same rules as apply to them. In matters of marriage and divorce, however, a protege just as Zimmis, is governed by his own religious beilefs.

Punishment is divided into two groups : (a) penalties applied for transgression on people's rights such as encroachment on the right af a Muslim, an alien, or a fellow protege. The punishment here shall be the same prescribed for Muslims or aliens for it is necessary to meet justice to those wronged; and (b) penalties prescribed for transgression on a right of God such as adultery, theft or libel. In this context, a majority of scholars hold the view that a protege should suffer the same punishment as a Muslim or a Zimmi for such crimes and their like would spoil the Muslim society and are counted among the acts recognised as vices by all the religions. Islam deems the defence of virtue a basis for all the human relations and an offending protege should thus suffer the same punishment as a Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority opinion for the basis of punishment in his view is full subjection from both the actual and the juridical points of view. A protege from the juridical standpoint, belongs to a country other than the Muslim state.

The scholars' view is verily rational and more in conformity with religious provisions.

A Protege's Heritage :

As already stated the money of protege should pass to his heirs after his death, contrary to Al-Shafei's views. In the event., however, of the existence of relationship between a protege and a Zimmi, will the former inherit the latter or vice versa in the event of the Zimmi's death ? In reply, we would state that in case the Zimmi dies while the protege lives in another state, or the protege dies while the Zimmi resides in a Muslim land, there can be no inheritance between them because of different countries.

But in case either of them dies while the protege lives in Muslim land, could there be inheritance despite the difference in urisdiction ? Abu Hanifa advised against inheritance in such a case for he regards such juridical difference as the criterion. But many scholars said inheritance was possible because of the same residence although agreeing that different jurisdictions would impede inheritance.

shall never forfeit such property even if bears arms to fight Muslims.

This veiw was held by most of the scholars as evidenced by a report in (Moghni) by Ibn Qadama, to the effect that : "If a Zimmi enetrs a Muslim land in peace, where he deposits his money with a Muslim or a Zimmi or lends such money to them, and then returns to a land of war, the case shold be considered thus : if the man has entered that land of war as a merchant, a messenger or a tourist, or for some business before he gets back to the land of Islam, he should be assured of both his life and property for he had not deviated from the intention of residing in the land of Islam. Should a Zimmi enter a land of war for residence, hid life as distinct from his property, shall no longer be secure. This is because his entry into the land of Islam, security was established for his property, so that when the security of his life is no more following his entering the land of war, the security remains valid for his property.

The scholars in connection with the theory of continued security for such person's property, have laid the rule that in the event of the death of a protege in a land of war or his being murdered in battle between his country and Muslims, his entitlement to his own property shall not be forfeited, and the property shall pass to his heirs. The Islamic State has to transfer such property to him safe and sound.

According to Al-Shafei, however, the money shall not pass to such man's heirs for, it was him and not his heirs that enjoyed security pledge, and because the money was his. The scholars on the other hand, consider the security a right attached to moeny which being the property of the protege in his life, should pass to his heirs after he dies, just as any other rights.

Scholars would authorise the confiscation of a protege's money in one single case ; this is in the event of his return back to his country and his fighting the Muslims, and falling a prisoner of war. In such a case he is not deemed eligible for ownership and his property should accrue to the Muslim Common Fund for there can be no money without owner. Should he be creditor of some Muslims, his debt shall be forfeited for there is no money without claimant. According to certain scholars it is the Muslim Common Fund that should claim such money as its right.

Application of the Muslim Code to Proteges :

In relation to financial dealings, a protege is subject to the Muslim Code in that he is forbidden to

suffer obligations beyond his power, will be my enemy on the Day of Reckoning". Omar ibn Al-Khatab on his death bed, also said, "I recommend the Caliph after me to abide by the Prophet's commandments in fulfilling Zimmis' contract, to fight for their protection and not to impose obligations on them beyond their endurance".

Abu Yussef elsewhere in his same work has said, "It is related that Omar ibn AlKhatab passing by the door of certain people's house, found a blind and elderly beggar knocking at it. Omar asked, "From whom of the people of the Book are you ?" The beggar said he was a Jew. Omar again asked, "what has reduced you to this pitiable state ?" The beggar answered, "Ask the tribute, the need and the age", whereupon Omar took the man's hand and led him to his own house where he gave him some money. Omar then sent for the treasurer of Baitulmal (Muslims' Fund) and ordered that he should pay him a permanent allowance, saying, "Look after this man and his like for God will not grant us justice if we eat up his youth and let him down in old age. Charity is prescribed for the poor and the destitute the poor are the Muslims and this man is one of the destitute from amongst the People of the Book. Omar ordered that the tribute payable by him and his like should be waived.

The Protege :

A protege is a person who enters a Muslim land without the intention of living in it, but only for a specified stay under a contract known by the name of a residence contract. He may simply be given the right of residence for trade, tourism or vist. Such residence was normally limited to a specified period, renewable for further periods. If it developed into permanent residence, the protege was deemed a Zimmi.

Islam, being tolerant and because it considered wars a temporary circumstance that they were confined to camps and would not extend to peoples, made the door of its lands wide upon for proteges to enter. This was so even in case such persons who belonged to a country at war with the Muslims. Islam also safeguarded proteges lives and property against all aggression so long as they held to the security contract. They were likewise left free to exercise their commercial and other activities unrestricted.

In this respect Al-Sarakhsi said, "Their property has come to be guaranteed by the security pledge and cannot be taken away as legitimate prize".

He who remains in Muslim land keeps his property which never goes out of him even though he returns to the land of war ; he

allowed by a Zimmi's religion, the forbidding of anything permitted cannot in all cases be deemed interference in personal liberty. Such interference materialises only where a Zimmi's religion orders something for which the Muslims are punished. Permission in such a case would be tantamount to the abrogation of a religious law.

It should be noted, however, that the non-application of Islamic rules to the marriage and divorce affairs of Zimmis is to consolidate their liberty in family matters and to ensure that such affairs will continue to be governed by their religious beliefs, thereby strengthening family bonds. This is not a privilege for Zimmis but a grant as already stated. A grantor has no doubt the right to withdraw the grant if it should engender manifest harm which in this case, is the harm of "privilege".

The protection of a Zimmi is incumbent upon the state for his blood is safe-guarded and he must not be the target of aggression. His personal liberty is also guaranteed against all encroachment; so is his dignity for he is a man with safe-guarded dignity.

Since the execution of these lofty and equitable principles could be difficult to some people in the presence of divergent religions, religious laws have stressed the necessity of respecting Zimmis' rights lest religious over-enthusiasm by some Muslims should waste Zimmis' rights. The Prophet has also said, "He who harms a Zimmi will be my enemy on the Day of Judgement ; and he with whom I am unreconciled will be an adversary"

It was also the practice of Omar ibn el-Khatab to send spies to watch the Walies (rulers) and see to what extent they deal justly with their subjects. The thing that occupied his best attention was their treatment of the Zimmis. Everytime deputations came to him from the provinces, his first enquiry was about such treatment.

Scholars in all the ages were most anxious to recommend Muslim rulers to be just with the Zimmis. An example of this solicitude is provided by an address reported in "Al-Kharaj" by Abu Yussef, to Haroun Al-Rasheed as follows :

"It might be necessary O Commander of the Faithful to whom may God be gracious, to treat Zimmis with equity in abidance with the tradition of our Prophet and your cousin, Mohamed on whom be God's peace and blessings, and to inspect their conditions lest they should be wronged and to spare them any harm or obligations beyond their ability, and so that nothing of their property be taken from them without right. For the Prophet has said. "He who wrogs a covenanted person or have him

for it is the juridical and not the actual considerations that count Muslims, they hold, are Muslim citizens from the juridical viewpoint.

State Sovereignty Over non-Muslims :

A state has also an established sovereignty over those residing in its land. These are dividing into Zimmis and proteges.

A Zimmi is a non-Muslim living among the Muslims, having the same rights and obligations. He is a Muslim citizen by virtue of the contract he had with the Muslims,' which imposed obligations and accorded rights to civilians. It was a perpetual contract that applied to the contracting party and his posterity as well.

Scholars have laid two conditions for Zimmi contracts :

a) Zimmis should meet certain financial obligations to be levied on those who can afford it as contribution to state development; they should also subscribe to the financial resources of the state.

b) They should comply with Muslim rules in financial dealings and Muslim penalties so as to enjoy the same rights and incur the same obligations as Muslims.

As for family affairs in matters of marriage and divorce, the authorities left them free to practice such matters, being connected with their religion. According to Hanafi scholars Zimmis could drink alcoholic drinks and eat swine flesh if they thought this was permissible in their religion lest any restriction on their consumption of these commodities should be considered intervention in their personal freedom. Zimmis, therefore, were not punished for drinking liquor except where they incite Muslim youth to drink, by words or action. It is for this deed only that they are punished.

The same school of thought for the protection of Zimmis' freedom in this respect to the extent that a Muslim who spilled a Zimmi's liquor or killed his swine, should pay indemnity for the harm he had done. In the oppoiste case the offending Zimmi was not to indemnity the Muslim for such commodities constitute respected property for the Zimmi and not the Muslim.

Abu Hanifa differed from this majority view which declared such commodities unlawful for non-Muslims and that such prohibition in Islam was by way of protecting society against their evil. What is prescribed as protection for society should thus form part and parcel of the public order which must apply to all.

Supposing for the sake of argument that those commodities are

THE LANDS OF ISLAM, OF WAR AND OF COVENANT - II

By

(Late) Sheikh Muhammad Abu Zahra

A Muslim is a Muslim Subject :

Despite the regional difference of contemporary times and of past differences, scholars establish the rule that Muslims and the People of the Book holding a Muslim pledge of secwity should be regarded as Muslim citizens. Muslim of whatever nationality : be he English, French German, or American is a Muslim citizen wherever he is while the People of the Book so long as they are covered by Muslim citizenship, should be governed by its dictates.

These rules entail the following consequences :

A—A Faithful who lives in a non-Muslim State should emigrate and reside in a state governed by a Muslim ruler if physically capable of making the trip.

B—A Muslim can inherit another Muslim whatever his home country and nationality,an English Muslim would thus inherit an Egyptian Muslim in the presence of a relationship between them in support of such heritage.

C—A Muslim who commits a crime in lands other than Muslim lands, and on his arrival in Muslim territory, his crime has been proved to a Muslim judge, he must suffer punishment according to Muslim tenets whatever the penalty prescribed for the crime so long as the victim could not be lawfully killed. This was the view held by a majority of scholars, but Abu Hanifa held a different opinion, he said that a crime committed in non-Muslim lands should not be punished by the state on the ground that a Muslim culprit to be punished should have been subject to the Muslim state from the actual and juridical points of view at the time he prepared the crime. A person who committed a crime in a land of war cannot be deemed as actually subject to the Muslim state although he might juridically be subject to it because of his citizenship.

If a Muslim perpetrates a crime on a land of war that carries the capital penalty such as the deliberate murder of another Muslim, and his crime has been proved in Muslim land, he should also according to Abu Hanifa, suffer such a sentence but should rather he ordered to pay ransom so that Muslim blood may be spared.

A majority of scholars held the different view that the culprits should suffer the capital penalty,

abolished this inequality, and delicts against the woman were placed no the same level as those against the man, whether they concerned person or property or honor. One may even say that in certain cases the rights of women are held to be more important. For instance the Quran (24/4-5) decrees that if a man accuses a woman of immorality and does not produce proof, he is exposed not only to the penalty prescribed for a false accusation, but to be declared for perpetuity as unworthy of giving an evidence before a tribunal (this in addition to the Divine punishment in the Hereafter, which however may be effaced in case of repentance). There is almost a consensus of opinion that repentance effaces the sin in the eschatological sense, et the incapacity of evidence remains constant in spite of the recognized repentance. The Quran seems to require the purging of society from the evil of inconsiderate talks, particularly in matters where injury is easy to inflict and difficult to remedy.

(to be continued)

the more apt to create peace at home On another occasion, the Prophet said : "The world is an ephemeral thing, of which one takes temporary advantage; and among the worldly things nothing is better than a good (pious) wife". idem, No. 1855). At Tirmudi and an-Nasa'i report another saying of the Prophet : "The perfect believer is the one who has a perfect character and is kind to one's wife".

As we have just remarked, Islam attaches particular importance to morality. Hence it is that promiscuity is ordered to be suppressed by every means. According to the Quran (4/34) : if one fears immorality (nushuz), cf. s 382) on the part of ones's wife, one should first admonish, then exert pressure by separating the beds, and finally may even scourge, though not heavily. If there is no means of reform, divorce - which has been characterized as "the most detestable among the lawful things", by the Prophet - may solve the problem. This obligation of chastity is reciprocal. A little later, the Quran (4 : 128-30) says that if a woman fears immorality (nushuz) or indifference, on the part of her husband, she should try to arrange things and in the last resort she too has the right to demand judicial separation.

A good mutual understanding implies identity of views of the couple. This may take place at times spontaneously : both husband and wife arriving at the same conclusions; at others one of the couple will to make the concession and to renounce his personal opinion. However there is a limit to it, and one should not be astonished that the Quran (29/8) and the Hadith prescribe : "No obedience to a creature in the disobedience of the Creator". One is allowed to make concessions of all sorts, by love or for simple expediencey, provided that this dose not affect a formal law of Islam, above all the religious injuctions should on no account be violated.

One thing was very dear to the Holy Prophet, and he talked of it at several occasions, that men should avoid effeminate practices, and that girls should not behave as boys in coiffure, in dress, in the manner of talking and so on. One should rather develop ones's self in the natural direction, and not in the opposite way; otherwise it is the "curse of God" which shall befall the person who violates this direction.

Rights of Women

The pre-Islamic Arabs attached less importance to the person of a woman than to that of a man. Thus, if the culprit was a man and the victim a woman, retaliation could not take place. The Quran

epoch of Islamic history, including the time of the Prophet, one sees Muslim women engaged in every profession that suited them. They worked as nurses, teachers, and even as combatants by the side of men when necessary, in addition to being hair- dressers, cooks, etc. Caliph Omar employed a lady, Shifa' bint 'Abdallah, as inspector in the market at the capital (Madinah), as Ibn Hajar (Isabah) records. The same lady had taught Hafshah, wife of the Prophet, how to write and read. The jurists admit the possibility of women being appointed as judges of tribunals, and there are several examples of the kind. In brief, far from becoming a parasite, a woman could collaborate with men, in Muslim society, to earn her livelihood and to develop her talents.

According to the Quran (30/21) : "And of His signs is this : He created for you helpmates from yourselves that ye may find rest in them, and He ordained between you love and mercy". Women and men mutually form complements of one another (Q. 2/187); therefore they should accomodate one another for their mutual interest. Two equals cannot be in accord with each other in a hundred percent of cases; mutual concessions would be needed in the interests of the home and for the better comprehension inside the family. The counsel of the Quran (4/19), given to the husband regarding the treatment of the wife, provides food for thought : "...... but consort with them in kindness, for if ye hate them it may happen that ye hate a thing wherein God hath placed much good". In fact the wiser one is, the greater the concession one makes, especially when one is also more powerful.

One seeks and prefers for the purpose of marriage the person one loves. But the qestion of love has quite a gloomy history in the annals of man. The motives of love, especially among the young, are often fantastic and ephemeral : a sweet voice, a delicious manner of smiling, the eyes, the colour, the coiffure or any other passing gesture starts the drama. However, for true conjugal life this does not suffice. The Prophet Muhmmad has given us a very wise counsel in this respect : "Do not marry only for the sake of beauty; may be the beauty becomes the cause of moral degradation. Do not marry even for the sake of wealth; may be the wealth becomes the reason of insubordination. Marry rather on the ground of religious devotion"-? (Ibn Majah, No. 1859 As the Islamic religion regulates all domains of life, it goes without saying that the one who observes scrupulously one's religious duties is

There are also social duties. With a view to distribute the national wealth equitably, the means leading to the accumulation of wealth in the hands of the few are forbidden, as in the case of interest and games of chance. A Muslim woman is as much subject to the rules as a man. Lotteries and speculations on racing, etc., are harmful to the economic equilibrium of society, and remain expressly forbidden, for both men and women.

Let us recall another source of numberless misfortunes and that is alcohol. It is the express duty of every Muslim to abstain from it. The Quran (5/90) calls it the work of Satan. Its hygienic, economic, moral and other evils are too well known to require description. Alcoholic drinks have a particualr aspect concerning the woman : it is she who nourishes her baby with her blood, and then with her milk, thus transmitting her health or her ailment to her baby, to the new generation and to the future of humanity.

A very comprehensive duty is that of morality. If spirituality is our duty in our relations with our Creator, morality has the same place in our mutual relations with our fellow-beings. In his ardent desire to attack the very sources of evil, and not merely certain of its manifestations, Islam has imposed recommended, or otherwise encouraged certain practices, which astonish us sometimes if we do not take into consideration their profound motives. All religions say that fornication and adultery are crimes, but Islam would go farther and would prescribe means to diminish the temptations. It is easy to hope that every one would develop one's individual morality in order to resist the temptations; but it is wiser to diminish the occasions in which persons with weak characters - who constitute the majority of men - need to engage in a battle where defeat is a foregone conclusion.

It is thus that the Quran (33/59) first exhorted "to put on their jalabib" (sort of cloak or overall, covering from head to foot), in order to diminsh the occasions of attraction and protecting women from the wickedness of men, as the verse explains. Then came the revelation (24/30-31) for behavibur inside the house with friends and visitors : "Tell the believing men to lower their gaze and be chaste; that is purer for them; lo ! God is aware of what they do. And tell the believing women to lower their gaze and be chaste and to display their adornment only that which is apparent, and to draw their Khumur (veils covering the face) over their bosoms..." In every

If there is a certain natural inequality between the two sexes, in many other aspects of life they resemble each other. Therefore their rights and obligations in these domains will also be similar.

This sums up, in a way, the Islamic teaching on a woman : She is considered equal to man in certain respects and not so in certain others. This could be understood better in the description of her obligations and her rights :

Obligations of Woman

In religious matters, her first duty, even as that of the man, is to believe in the Oneness of God, which is the only means of salvation in the Hereafter. One knows that Islam has formally prohibited the use of compulsion to convert anybody to Islam — and it may be recalled by the way that the non-Muslim woman of a Muslim husband has the full right to conserve her religion, and to practise it in her individual capacity, even while she is the wife of a Muslim — and one also knows that inside the Muslim community a rigorous discipline is maintained for its conservation as a whole and the preservation of its system of life. Treason in this respect is punished ; yet cerain cases of the time of the Orthodox Caliphs show that the punishment of women on account of apostasy is less severe than that of men.

Among the religious practices, it is incumbent upon women, as also upon men, to celebrate the services of worship, though with certain concessions. An adult woman is exempt during several days every month from performing the daily services of worship. As to the congregational prayer of Friday, it is optional for her, while it is obligatory for man. The rigour of fasts is also lightened to her, and at the moment of child-birth, monthly course etc., she has the right to postpone her fasts of the month of Ramadan. With regard to Hajj (pilgrimage of Mecca) also, there are certain rites from which she is exempted, if she cannot perform them for feminine reasons. To be breif, Islam is lenient and considerate to her. As to the last of the basic duties, viz, the payment of zakat-tax, she has equality with man, though certain schools of law—the Shafi'ite for instance—make her certain concessions. So, there is a tax on the savings, yet the savings converted by a woman into ornaments of personal use are exempt from tax. In spite of the fact that Islam lays emphasis on the constant circulation of the national wealth for the purpose of continually increasing it, and discourages hoarding by subjecting it to a tax, it has nevertheless made a concession in favour of women and their feminine tastes.

upon them. As to what is incumbent upon them in your regard, is that they should not let your beds be trampled by others than you, should not allow those to enter your houses whom you do not like without your authorization, and should not commit turpitude. If they do commit that, then God has given you permission to reprimand them, to separate yourself from them in beds, and to strike them but not hard. If they abstain and obey you, then it is incumbent upon you to provide their food and dress in accordance with good custom. And I command you to treat women well, because they are like captives in your houses, possessing nothing for themselves, and you, on your part, take them as a deposit from God, and permit yourselves the enjoyment of their persons by means of a word of God. Have therefore the fear of God with regard to women, and I order you treat them well. Attention ! Have I communicated ? O God, be witness :" (cf. Ibn Hisham).

With regard to woman as a daughter, the Islamic attitude can be gusses from the reproaches which the Quran makes against the pagan, pre-Islamic behaviour at the birth of daughters : "And they assign unto daughters... be He purified (from, this) ! and unto themselves what they desire (i.e., sons); and when if one of them receiveth tidings of the birth of a female, his face remaineth darkened, and he is worth inwardly. He hideth himself from the folk because of the evil of that whereof he hath tidings, (asking himself) : Shall he keep it in contempt, or bury it beneath the dust ? Verily evil is their judgement". Q 16 : 57-59). The Quran reminds ceaselessly that God has created all things in pairs, and for procreation both the sexes are equally indispensable, each one having its particular function. And it proclaims : "...unto men a fortune from that which they have earned, and unto women a fortune from that which they have earned" (4 : 32).

Nature has not willed a perfect equality among the two sexes, but a distribution of avocations and functions. For instance, it will not be possible for man to conceive a baby; similarly the natural attributes of men cannot be exercised by women. She has a more delicate physical constitution, affecting even the weight of her brain and bones, and she will have a taste moer in conformity with the need of the consevation of this delicasy. More robust, man will have greater strength and therefore more endowed to engage in the more painful parts of life. To each will be according to his (or her) requirements, both natural and reasonable.

THE MUSLIM WOMAN

By

Dr. Muhammad Hamidullah

When studying the principal rights and obligations of women in Islam, it must be pointed out at the very outest that, in spite of the capacity of Muslim law to adopt itself and to develop according to circumstances, there will be no question of recognizing the extreme liberty which a woman enjoys today in fact and in practice, in certain sections of social life, both in the capitalistic and the communistic West. Islam demands that a woman should remain a reasonable being. It does not expect her to become either an angel or a demon. "The golden means is the best of thing" said the Prophet Muhammad. If one wants to compare or contrast her position in Islam with that in other civilizations or legal systems, one should take into consideration all the facts, and not merely isolated practices. In fact, in regard to certain aspects of morality, Islam is more rigid and more puritan than certain other systems of life in our times.

Generalities

The position of mother is very exalted in Islamic tradition. The Prophet Muhammad has gone so far as to say : "Even Pradise lies underneath the feet of your mothers". Al-Bukhari reports : Somebody asked the Prophet which work pleases God most ? He replied : "The service of worship at the appointed hour". And when it was continued : "And what afterwards?" the prophet replied : "To be bounteous to your father and mother". The Quran reverts to this often, and reminds man that he must always keep in mind the fact that it was his mother who had borne him in her womb, suffered much on his account and reared him up after making all kinds of sacrifices.

As regards the women as wife, the saying of the Prophet is well known : "The best among you is the one who is best towards his wife". In his memorable Farewell Discourse, prounced on the occasion of the Last Pilgrimage, the Prophet spoke of woman at length, and said in particular :

"Well then, people : Verily there are rights in favour of your women which are incumbent upon you, and there are rights in favour of you which are incumbent

the hearts of the people, thus they derived guidance and inducement for morals and values which are indispenssible for a virtuous life, and strength of leadership. When this was achieved, the slamic people in abundant happiness, and they maintained their spirituall strength and livelinsess of conscience. In such a society the individual endeavours for the good of the whole and the community labors collectively so that the individual could be endowed with happiness.

In a true Quranic society, believing only in the Guidance of the Almighty God and the traditions of His messengers, one could find no corruption, no embezzlement, no forgers or reckless people. Instead, one could find self-denial and love among the individuals, and no hatred or dissension.

The real aims and objects of understanding of the Quran can be achieved when it is occupying the hearts and not mere words reiterated by tongues. Referring to history, we can easily see the progress achieved by the faithful Muslims when the Quran filled their hearts and dominated their feelings. When the Quran was recieted among them their eyes were filled with tears, their hearts were filled with fear of sinning, their minds were roming in the celestial kingdom and they subsequently strengthened their belief and confidence in the Almighty God. It was also the secrete in which they found their happiness and the key to all good.

This was their trend of life and their souls were elevated by the spirit of God and their hearts enlightened by the light of the Quran. The Quran was their guidance in morals as well as in social, economic and other aspects of the human affairs. Hence their manners became refined, their affairs were led in the right direction, and their happiness redoubled.

God has promised the internal state of satisfaction and peace of mind to those who turn to Him and follow His Guidance, for He is the Supreme Master, the Supreme Protector and the Source of all help. Referring to this fact the Holy Quran says :

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب •

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب ـ الرعد ٢٨ ، ٢٩

It means : "Those who believe and whose hearts find satisfaction in the remembrance of God : For without doubt in the remembrance of God do hearts find satisfaction. For those who believe and work righteousness is (every) blessedness, and a beautiful place of final return" (13 : 28-29).

preconceived notions and get an acquainted with the distinctive features of this Unique Book. The reader should also understand the real nature of the Quran. He will have to consider, as a starting point, the claim that is put forward by itself and its bearer, the Prophet, that it is the Divine Guidance to Mankind. Thus the Subject it deals with is Man; as it discuss those aspects of his life that lead either to his real success or failure in this life and the life to come. The central theme that runs through the Quran is the exposition of the Reality and the invention of the Right Way based on it. The aim and the object of the Quran is to invite mankind to that way. It also presents the Guidance which leads man to that Right Path.

One can understand fully the Quran only if he keeps these facts in mind. The aim of the Quran is not to teach Nature study or philosophy or history or any other science or art. The thing with which it is concerned is to impress the Truth upon the minds, and to invite humanity to the Right Path. When Quran is studied with this understanding one could find that the whole of reason arguments and there is continuity of subjects throughout the Book. He also should understand the backgrounds of the revelations of the different Verses; for, the Quran was not revealed as a complete book at one and the same time; nor it was handed over as a written copy to Prophet Muhammad (peace be on him). The Quran adopts its own style to suit the guidance of the Islamic Movement that was started by the Messenger of God by His direct Command in order to meet the requirements of it in different stages and circumstances.

The Quran is the source of unbroken youth for the hearts of the believers. Those who learn its verses, digest their meanings and principles, are always endowed with exeeding strength and the utmost tenacity.

They live with in a framework of sound freedom given to them by God, compassionate and cooperative themselves. The true followers of the Quran seek no other goal than to live with peace, sympathy and love among themselves and with other nations. The early Muslims believed in the sublimity of the Quran as the source of power and the way of all good. Hence they geve the Holy Quran the highest esteem. They bent themselves to the task of learning it, understanding its meaning and following its teachings and guidance.

Those foremost Muslims realised the effect of the Quran's teachings on the soul and bearing on

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL RAHIM FOUDA

DHU'L QA'DAH 1395 | ENGLISH SECTION | NOVEMBER 1975

THE HOLY QURAN — AS THE SOURCE OF HAPPINESS FOR MANKIND

By

Dr. A. M. Mohiaddin Alwaye

In the previous issue, we have seen some miraculous characters of the Holy Quran, and its position as the standing miracle of Islam. In this article let us strive for understanding some aspects of it as being the source of happiness for all mankind, in their life in this world and in the Hereafter. The search for a source of happiness is a fundamental question effecting all mankind today.

It is a fact that the Quran is a Unique Book quite different from the books one usually reads. The Quran does not contain information, ideas and arguments about specific themes arranged in a literary order. Its style and method of explaining things are also quite different from those of other Books. That is why a stranger to the Quran, on his first approach to it, is baffled when he does not find the enunciation of the subjects it deals with or separate treatment of different topics and instructions for different aspects of life arranged in a serial order. But he finds that it deals with creeds, gives moral instructions, lays down laws, draws lessons from historical events, all blended together in a wonderful manner.

Its style and method of explaining things are also quite different from those of other books one commonly reads. It is not a book on Religion in the sense this word is generally understood. In order to understand the distinctive features of the Quran, one should first of all free his mind from

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة السابعة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٥ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٥ م



بسم الله الرحمن الرحيم

يخلق ما يشاء ويختار

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ — سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ويختص برحمته من يشاء ، وقد اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، ومن الأرض المساجد ، ومن المساجد البيت الحرام ، فجعله القبلة التى يؤمها المؤمنون فى كل صلاة ، ويتجهون اليها من كل جانب ، كما يفهم من قوله لرسوله ولهم جميعا : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ثم توج هذا التوجيه بايجاب حجه كما يفهم من قوله : «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» وجعل اهمال هذا الواجب مع القدرة عليه • بمنزلة الكفر ، كما يفهم من قوله : « ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » •

٢ ـ والمتأمل فى القرآن الكريم يجد مكانة البيت ومكانة الحج بالصورة الكريمة العظيمة التى بينها النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وان رده رده بأجر وغنيمة) فهو أقدم وأعظم بيوت الله فى الأرض كما يقول الله : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » وقد سماه الله البيت العتيق أى القديم الكريم ، وقرن به اليمن والأمن والخير والبركة كما يفهم من قوله : «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وجعل المكان الذى يقوم فيه حرما آمنا ، وسمى البلد الذى بنى حوله البلد الأمين ، والشهور التى يحج فيها الأشهر الحرم ، فله ولمكانه ولزمان حجه • ما ليس لبيت أو مكان أو زمان من الحرمة والجلال ••

٣ ـ أما من يقصدونه بحج أو عمرة فقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم ـ وهو مبلغ عن الله ـ وفد الله ، وبين مكانتهم عنده وقربهم منه بقوله عليه السلام : (الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم) فأى شرف أغلى وأعلى من هذا الشرف العظيم ، وأى مقام لجماعة من الناس أسمى وأسنى من هذا المقام الكريم •• ؟ هذا الى أن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ، فانه يفهم منه أن الحج والعمرة تصفو بهما النفوس كما تصفو المعادن بتخليصها من كل ما يشوبها ويعيبها ، فان أعمال الحج ومناسكه • ومشاهده • وقرباته وذكرياته وحرماته تذيب عن النفوس صدأها • وتزيل عنها ما علق بها من أوضار الذنوب والآثام ، وتعود بها الى فطرتها الصافية النقية التى يتألق فيها دين الفطرة ويشرق عليها نور الاسلام •

٤ – وليس فى أرض الله الواسعة بقعة أو رقعة شهدت ما شهدته هذه الأرض التى تؤدى فيها مناسك الحج من ذكريات عاطرة، وأحداث عظيمة، فاليها أقبل ابراهيم بزوجه هاجر وولده اسماعيل من بلاد الشام المرعة الخصيبة، ثم تركهما حيث لا أنيس ولا جليس، واتجه الى الله يدعوه ويقول ما يحكيه القرآن عنه: «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم • ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» وفيها سعت هاجر بين الصفا والمروة مكدودة باحثة عن ماء لتنقذ به حياة ولدها وقد كاد يقتله الظمأ بين يديها وأمام عينيها، ثم تداركتهما رحمة الله بماء عذب غزير يتفجر من زمزم • ويجذب اليه أنظار البعيدين عنه فيقبلون عليه • ويقيمون حوله، ويعمر بهم المكان •• وبها ضرب ابراهيم واسماعيل أروع المثل فى امتثال أمر الله • والتضحية بالولد والنفس فى سبيل مرضاته اذ كان منهما ما يذكره القرآن عنهما حيث يقول الله فيهما: «فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين • وفديناه بذبح عظيم» •

٥ – وقد أبقى الله اسماعيل، ورزق ابراهيم ولدا آخر • فكان منهما شجرة النبوة التى عطرت الوجود بنفحات السماء • وأضاءت الكون بهدى الأنبياء وكان منها محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول الله فيه: « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وكما يقول له: « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » •

ورحم الله البوصيرى اذ يقول فيه وفى الأنبياء قبله:

فانه شمس فضل هم كواكبها
يطلعن أنوارها للناس فى الظلم

٦ - ولا يتسع هذا المقال للافاضة في الحديث عن عبير تلك الأماكن التى كرمها الله وجعلها مناسك فى الحج ، وحسبنا أن نذكر المسلمين بما ذكره الله فى آخر سورة الحج اذ يقول جل شأنه : « ياأيهـا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبـدوا ربـكم • وافعلوا الخـير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم (اختاركم واصطفاكم) ، وما جعـل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سـماكم المسلمين من قبل وفى هــذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصــموا بالله هو مولاكـم فنعم المولى ونعم النصير» وصدق الله اذ يقـول : « وربـك يخلق مايشــاء ويختار » •

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

متى شرع الإعلام بالصلاة وكيف شرع

للأستاذ مصطفى محمد الحديدى الطير

يقول الله تعالى :
« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »
ويقول سبحانه :
« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »

البيان

فرضت الصلاة على المسلمين فى ذروة الاضطهاد الدينى من قريش لهم ، فكانوا يؤدونها بمكة فرادى ، بلا أذان ولا اقامة ، حذرا من أذى المشركين ، ولما أذن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بالهجرة من مكة الى المدينة ، أدركته أول صلاة يجتمع فيها شمل المسلمين على العبادة ، فى أرض بنى سالم بن عوف قرب المدينة ، فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصلاها بمن معه من الأنصار ، الذين خرجوا من المدينة ، لاستقباله والترحيب بمقدمه الشريف .

وكان عددمن صلاها معه فى هذا اليوم مائة ، وكانت خالية من الأذان ومن الاقامة ، لأنهما لم يشرعا بعد .

وقد خطب الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الصلاة ، خطبة جليلة قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعد - أيها الناس - فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وأتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة عشرة أمثالها ، الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

هكذا كانت خطبته لهم يومئذ ، وكانت الصلاة والخطبة ، بمسجد بناه بنو سالم بن عوف فى أرضهم قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم ، وأطلق عليه بعدها مسجد الجمعة .

وبعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فى جو ينتشر فيه عبير الايمان ، أوجب الله على المؤمنين الهجرة ، ليسلموا ويسلم دينهم من أذى المشركين ، ولينعموا بجو الايمان والحرية بالمدينة الى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، وحكم الله على من تخلف عن الهجرة وهو قادر عليها بأنه آثم ومأواه جهنم،واستثنى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة النساء « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا »

ولم يكتف بذلك ، بل حبب اليهم الهجرة ، بما سيجدونه فى المهجر من رغد العيش وسعته ووعدهم بأن من لم يبلغ دار الهجرة بل مات فى طريقه اليها ، فقد وقع أجره على الله تعالى ، وفى ذلك يقول سبحانه «ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » فاندفع المتخلفون على الهجرة ،ولقوا من أهل المدينة مزيدا من الحب والترحيب والايثار وفى ذلك يقول الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

الأذان ومراحل تشريعه

الأذان فى اللغة الاعلام مطلقا ، وفى الشريعة الاسلامية الاعلام بالصلاة ، وقد شرع بعد الهجرة الى المدينة ، حين كثر المسلمون وتباعدت دورهم ، واحتاجوا الى ما يعلمهم

بمواقيت الصلاة ، ويدعوهم الى الاجتماع عليها ، بعد أن أصبحوا فى ظل المدينة آمنين على أنفسهم ودينهم .

وكانت مشروعيته على مرحلتين (أولاهما) اعلام الناس ودعاؤهم الى الصلاة بغير ألفاظه المعهودة وفى ذلك يروى الامامان - البخارى ومسلم بسنديهما ، عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال (كان المسلمون حين قدموا المدينة،يجتمعون ويتحينون الصلاة ليس ينادى بها،فتكلموا يوما فى ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال قم فناد بالصلاة » .

فأنت ترى فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يدعو الناس الى الصلاة ، من غير أن يحدد له عبارات معينة لدعوتهم ، فكان يناديهم بما يجول فى خاطره من عبارات .

(والمرحلة الثانية) اعلامهم بألفاظ وعبارات محددة ، يرويها أبو داود عن عبد الله بن زيد باسناد صحيح قال فى ضمن حديثه : (طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت : ياعبد الله أتبيع الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به الى الصلاة ، فقال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت : بلى ، فقال : (تقول الله أكبر الله أكبر : الله أكبر الله أكبر) فذكر التكبير أربع مرات ، ومضى فى الأذان حتى كان آخره : لا اله الا الله ، ثم قال بعد أن ذكر أنه علمه الاقامة : (فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت فقال : « انها رؤيا حق ان شاء الله ؛ فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت ، فليؤذن به ، فانه أندى صوتا منك » فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه فيؤذن به ، فسمع ذلك عمر ابن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج يجر رداءه يقول : والذى بعثك بالحق يارسول الله : لقد رأيت مثل ما أرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلله الحمد » .

مذاهب العلماء فى ألفاظ الأذان :

يرى عدد كبير من أهل العلم ، أن الأذان يكبر فى أوله أربع تكبيرات ، وعلى هذا الرأى أبو حنيفة والشافعى والثورى وأحمد واسحاق وغيرهم ،

وحجتهم فى ذلك الحديث الصحيح السابق الذى حدث به عبد الله بن زيد ، وما صح عن أبى محذورة فيما رواه عنه أبو دادود ويرى الامام مالك أن يكبر فى أول الأذان مرتان فقط ، وحجته فى ذلك عمل أهل المدينة فى عهده ، فانه كان يؤثره على النصوص الفردية ، ويؤيده فى ذلك رواية مسلم لحديث أبى محذورة ، فقد جاء فيها التكبير مرتان ، فمما تقدم استبان أن من يكبر أول الأذان أربعا ، يستند الى أصل صحيح ، ومن يكبر مرتين يستند الى أصل صحيح أيضا ، فلا ينبغى أن يعيب أحد الفريقين الآخر ، فان كليهما مرتكز على دعامة متينة .

مذاهب العلماء فى الشهادتين

أجمع العلماء على أن الأذان لايصح بغير النطق مرتين بالشهادتين ، واقتصر فريق منهم على ذلك ، ومنهم أبو حنيفة وسفيان الثورى وأحمد فى رواية عنه ، وحجتهم فى ذلك حديث عبد الله بن زيد الذى ذكرنا بعضه ، حيث جاء فيه بعد التكبير : أشهد أن لا اله الا الله مرتين ، وأشهد أن محمدا رسول الله مرتين .

وأكثر العلماء ـ ومنهم الشافعى ـ يرون مع ذلك الترجيع فيهما ، وهو أن يقول المؤذن كلتا الشهادتين سرا مرتين ، ثم يجهر بهما كذلك ، فالمرتان الأوليان يقولهما اخلاصا من أعماق قلبه واحتسابا لوجه الله ، والأخريان يقولهما لذلك مع الاعلام بميقات الصلاة ، وهو سنة عند هؤلاء وليس ركنا من أركان الأذان يبطل بفقده ، فمن تركه عمدا أو سهوا صح أذانه ، وفاتته فضيلة الترجيع ، وقيل هو ركن يبطل الأذان بتركه ، والرأى الأول أصح ، لأنه قد جاءت أحاديث عديدة لم يذكر فيها الترجيع ، ومنها حديث عبد الله بن زيد السابق ، ولو كان ركنا لم يحذف ، ولأنه ليس فى حذفه اخلال ظاهر ، بخلاف باقى الكلمات .

واستدل من رأوا أنه ركن فى الأذان بحديث أبى محذورة ، حيث ثبت فيه بتلقين النبى صلى الله عليه وسلم اياه ، وبعمل أهل الحرمين ، وبأن فيه زيادة ، وزيادة الثقة مقبولة ، وبأن اسلام أبى محذورة متأخر ، فحديثه ينسخ المتقدم .

ونحن نقول : أنه لا يلزم من كل ذلك أن يكون الترجيع ركنا فى الأذان يبطل بعدمه ، فلماذا لا يكون سنة

فقط ، ومن أجل هذا يكون من أذن بترجيع فى الشهادتين مرتين سرا قبل الجهر بهما ، مستندا الى أصل صحيح ، ومن أذن بدون ترجيع يكون مستندا الى أصل صحيح آخر ، واختلاف الروايات لبيان الجواز ، فلا ينبغى لفريق أن يلزم آخر بما التزمه؟ اذ الالزام لايكون الا بالمجمع عليه •

التثويب فى الأذان

التثويب أن يقول المؤذن بالفجر خاصة بعد حى على الفلاح ـ الصلاة خير من النوم ـ مأخوذ من ثاب بمعنى رجع ، كأن المؤذن رجع الى الدعوة للصلاة مرة أخرى بعد حى على الصلاة •

أما الصلوات الأخرى فلا تثويب فيها ، وقد رواه خاصا بالفجر أبو داود وغيره بسند جيد ، كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والدارقطنى والبيهقى باسناد صحيح عن أنس قال : (من السنة اذا قال المؤذن فى أذان الفجر حى على الفلاح قال : الصلاة خير من النوم، الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله) وممن قال بالتثويب عمر ابن الخطاب وابنه ، وأنس والحسن وابن سيرين وغيرهم •

مذاهب العلماء فى الاقامة

عندما يتهيأ المسلمون لصلاة الجماعة يدعوهم المؤذن أن يقيموا الصلاة بذكر يشبه ذكر الآذان ، غير انه فرادى فيما عدا التكبير أولها وآخرها واقامة الصلاة ، فان ذلك يذكر مرتين ، دليل ذلك حديث أنس «أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة الا الاقامة » أخرجه البخارى ومسلم ، وروى البيهقى باستاد صحيح (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (انما كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرتين ، والاقامة مرة مرة ، غير أنه يقول : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة » أخرجه أبو داود والسنائى باسناد صحيح •

قد يقول قائل : ان التكبير فى أول الاقامة شفع وليس وترا ، وكذا آخرها ؛ اذ يقول المقيم فى كليهما : الله أكبر الله أكبر ، قلت ان الوترية فى أحاديث الاقامة اما محمولة على معظم الذكر ، أو محمولة على أن المقيم ينطق التكبير المزدوج فى أولها

وآخرها في نفس واحد ، فهو لهذا كأنه وتر

وانما نطق التكبير فيها شفعا ، لأنه المروى فى أحاديثها ، ففى حديث عبد الله بن زيد ، ثم تقول اذا أقمت الصلاة : الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة ، حى على الفلاح قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله » .

سؤال وجواب

قدفهمنا مما تقدمأن أساس تشريع الأذان والاقامة ، رؤيا رآها عبد الله ابن زيد وعمر بن الخطاب فى ليلة واحدة،ولم ينزل بها الوحى ، فكيف يسمى هذا تشريعا من الله والجواب أن الله تعالى قال لرسوله صلىالله عليه وسلم « ان أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» فهذا يدل على أن الرسول له أن يجتهد .

وأيضا قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وموافقة الرسول على ما جاء فى الرؤيا فيه تبيين منه لمشروعية الأذان للصلاة التى أنزلها الله وأوجبها فى القرآن الكريم بقوله « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

وأيضا أن الله قد أقر هذا الاجتهاد ، فلم ينزل ماينافيه ، وبذلك يكون الأذان تشريعا من الله تعالى .

ومعلوم أن الرسول كاناذا اجتهد ولم يوافق الله على اجتهاده ، فانه تعالى كان يعلمه عدم موافقته ، ومن ذلكأنه عليه السلام حين وافق على أخذ الفدية من أسارى بدر ، أنزل الله عتابا له على ذلك قوله تعالى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ... » الآية ٦٧ من سورة الأنفال .

أما ان وافق على اجتهاده ـ كما هنا فى موضوع الأذان ـ فانه يكون من تشريع الله تعالى .

ما يستحب فى الأذان والاقامة

يستحب التأنى فى الأذان والاسراع فى الاقامة ، لما روى عن ابن الزبير مؤذن بيت المقدسفى عهد عمر رضى الله عنه أن عمر قال له :

(اذا أذنت فترسل ، واذا أقمت فاحذم) والترسل التأنى والترتيل وترك العجلة ، وهو أولى وأليق

بالأذان لأنه للغائبين ، والحذم (١) الاسراع وهو أليق بالاقامة ؛ فانها للحاضرين ، والاسراع بها أن يصل بعضها ببعض .

ويكره تمطيط الأذان والتطريب به،لما روى أن رجلا قال لابن عمر : انى لأحبك فى الله ،قال : وأنا أبغضك فى الله ، انك تبغى فى أذانك) قال حماد: يعنى التطريب ،وقال الأزهرى: البغى أن يكون فى رفع صوته ، يحكى كلام الجبابرة والمتكبرين وقال غيره:هو تعميم الكلام والتشادق فيه، قال الشاش فى المعتمد : الصواب أن يكون صوته بتحزين وترقيق ، ليس فيه جفاء كلام الأعراب،ولالين كلام المتمادنين .

ويستحب أن يرفع صوته ، لما فى البخارى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، أن أبا سعيد الخدرى قال له : (انى أراك تحب الغنم والبادية ، فاذا كنت فى غنمك أو باديتك ، فأذنت للصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فانه لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شىء الا شهد له يوم القيامة) قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويستحب أن لا يكون رفعه شاذا يضر به ، لما روى أن عمر سمع أبا محذورة قد رفع صوته فقال له : أما خشيت أن ينشق مريطاؤك ؟ والمريطاء ـ كما قال ابن فارس ـ من الصدر الى العانة .

ما شرع له الأذان والأقامة

شرعا للصلوات الخمس ، ولم يشرعا لغيرها بلا خلاف ، وينادى للعيد والكسوف والاستسقاء ـ الصلاة جامعة ـ وكذا التراويح اذا صليت جماعة ولايستحب ذلك فى صلاة الجنازة على أصح الوجهين ، لكن الامام الغزالى قطع باستحباب ذلك فيها ، والمذهب الأول

الأذان أفضل من الاقامة

الراجح أن الأذان أفضل من الاقامة لما رواه مسلم عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المؤذنون أطول أعناقا يوم القيامة » ولما رواه البخارى عن أبى هريرة قال: «لو يعلم الناس ما فى النداء والصف

---

(١) بالحاء المهملة .

الأول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا » أما مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والأئمة على الاقامة ولم يؤذنوا ، فمحمول على أنهم كانوا مشغولين بمصالح المسلمين التى تحول بينهم وبين مراعاة أوقات الأذان وتحديد أوقات الصلاة بالاجتهاد بنحو القراءة وحركات الشمس ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى باسناد صحيح عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذنت

بعض أحكام الأذان والاقامة

قيل هما سنة فى الصلوات الخمس والسفر والجماعة والانفراد فان تركا صحت الصلاة ، وبه قال جمهور العلماء ، وقيل فرض كفاية فى حق الجماعة حضرا وسفرا ، فى مسجد أو غيره ، وقيل ذلك فى مسجد الجماعة ، وليسا شرط صحة لها ، وقيل هما شرط فى صحة الصلاة ، والله تعالى هو الموفق للصواب .

مصطفى محمد الحديدى الطير

التوعية الشعبية

نظام إسلامي مقرر

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن ابى أمامة الشيبانى قال : رأيت أبا ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال : كيف تقول فى هذه الآية ؟ عليكم انفسكم، قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام ، فان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم .

أخرجه الترمذى والنسائى .

استثارة همم الناس الى الخير واستيقافهم عن الشر وهو ما يعرف بالتوعية الشعبية نظام اسلامى مقرر بعنوان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأمر بالمعروف هو طلب فعل الخير على وجه التأكيد ، والنهى عن المنكر : هو طلب الكف عن القبيح على وجه يظهر فيه الاشفاق والاستبشاع .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل اجتماعى تدعو اليه المحبة والحرص على الخير الخاص للفرد ، والخير العام للجماعة ، فلا يأمر انسان انسانا بمعروف ولا ينهاه عن منكر الا بدافع المحبة والحرص عليه حتى يبصره بعواقب مايدعوه اليه بأمره ونهيه وينبهه الى خطره ؛ أما من يكره انسانا فانه يكون ابعد الناس عن تبصيره وتنبيهه ويود بجدع الأنف ان يسترسل فى غوايته وضلاله ليلقى ما يتمناه له من سوء ومكروه .

لذا فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل انسانى تبعث عليه النفس الخيرة الفاضلة ذات الشعور النبيل التى تألم لآلام الناس وتشعر بشعورهم وهو الى ذلك عمل دينى قررته الأديان وشددت فيه وشغل منها ركنا كبيرا

وأوعدت من يتخلف عنه أو يتوانى فيه وهو أهل له بأقسى ماوعدت بهمن عذاب فقد جاء فى القرآن الكريم : «لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون» •

والاسلام هوامتداد للأديان السماوية وخاتم لها ومهيمن عليها أولى ذلك الأمر عنايته وتمثلت تلك العناية فيما جاء فى القرآن الكريم من آيات وآحاديث تفوق الحصر •

فمن الآيات قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون» • وقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » • وقوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » •

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) •

ومن مزايا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أنه رقابة اجتماعية عامة ، لكل مسلم أو على كل مسلم قادر أو مسلمة قادرة نصيب منها بحكم ايمانه كما يقول تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » •

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قانون اسلامى أدبى غير ملزم تجاه أى سلطان غير سلطان الضمير والايمان فلا مسئولية على من يخالفه سواء فى ذلك الآمر أو المأمور وانما مسئولية المخالفة مسئولية ايمانية يتولى الله الحساب عنها والجزاء عليها وهو من هذه الناحية يخالف القوانين الجزائية كما أنه يخالفها من ناحية اتساع دائرة التطبيق فلا يتناول طائفة خاصة مما ينكر أو يعرف بل يتناولها جميعا ، فكل ما يصدق عليه اسم المعروف أو المنكر فهو داخل فى دائرة اختصاص الآمر أو الناهى ، فالمعروف كما يقول ابن الأثير : اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع

ونهى عنه من المحرمات والمقبحات ، والمنكر ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه كما يخالفه من جهة انه القائم به يباشره تطوعا واحتسابا لوجه الله لا يبتغى بذلك الارضاء وحسن ثوابه ولقد برز فى هذا الميدان الجليل جماعة من المسلمين ندبوا أنفسهم له غيرة على الدين ورغبة فى سلوك المسلمين الطريق المستقيم وخشية ان تضل الجماعة الاسلامية طريق الرشاد فلا تبلغ غايتها من النصر والتمكين ، وواجهوا فى سبيل ذلك المخاطر وتصدوا للخلفاء والامراء وتعرضوا للاضطهاد ثم السجن والقتل .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من ألوان التوعية الاجتماعية لها آثارها الطيبة وخاصة اذا حسن أسلوبها وتوافر فيها الكفاية والخبرة والعلم والمعرفة وحسنت فيها المقاصد وخلصت النيات ؟ ولها لغة خاصة تتسم باللين والرفق ، ولكل مقام فيها مقال ، وللكناية والتعريض والاشارة مجال ، والقدوة فى ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية فمع القطع بان المشركين كانوا على ضلال كان النبى يحاسنهم فى المقال ويقول لهم : وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وكان اذا أراد أن ينبه أصحابه على شىء لا يجبهه بالتأنيب بل كان يقول : مابال أقوام يفعلون كذا ولقد اقتنع بجدواها جماعة من حكام المسلمين فى بعض مراحل التاريخ فأولوها عنايتهم واستغلوها فى التوجيه والاصلاح وجعلوها وظيفة شبه رسمية وخولوا القائمين بها بعض السلطات التى تضفى عليهم هيبة تعينهم على أهدافهم وسموا تلك الوظيفة حسبة وسموا القائمين بها محتسبين وبطول الممارسة والتجربة أصبح لها نظم وقواعد مستمدة من الكتاب أو السنة أو مستلهمة من روحها ومناخها ، وألفت فيها كتب توضح أهدافها ومراميها وهى معروفة للباحثين والدارسين ومن فرسان ذلك الميدان بل فارسه المجلى الامام الغزالى فى كتابه الأحياء فقد جمع أشتاتها وأحاط بأطرافها وأوفى بها على الغاية وكشف عن سرها وفضلها ومنزلتها من عوامل التوجيه الاسلامى ولأهمية هذا الأمر أعنى أمر التوعية بالأمر والنهى للتغيير والاصلاح ألزم الاسلام المسلمين كافة كل بحسب وسعه وطاقته فمن استطاع تغيير المنكر باليد فليفعل ومن استطاع باللسان فليغير ومن استطاع بالقلب فليغير ، ومعنى التغيير بالقلب

الاعراض عن مرتكب المنكر واظهار البغض له وتحاشى معونته ومخالطته، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) وهو تفسير وتفصيل لقوله تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وذلك الواجب لا يسقط عن المسلم الا حين ييأس من جدواه وفى ظروف خاصة أشار اليها الحديث وسنتناولها بعد قليل، ومن فهم من قوله تعالى: « يآيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » انها تعفى المسلم من ذلك الواجب فقدفهم خطأ، فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال: ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مامن قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده).

ومعنى ذلك أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على كل مسلم أو على جماعة غير معينة منهم تكفى عنهم ولا يسقط هذا الفرض الا حين تفشو الرذائل وتصم الآذان عن نداء الايمان وتعمى البصائر عن رؤية الحق والصواب وحين تجف أشجار المجتمع فلا تورق وتذوى فلا تثمر ويصبح كالحديد البارد لا تلينه المطارق والمعاول، وحين يضن الغنى بماله على سبل الخير وتنقاد نفسه الى مايزين شيطانه فلا يخفق قلبه لأنه محروم ولا تنزعج نفسه لصرخة مكلوم، وحين يتخذ بعض الناس الهه هواه، ويغضى عن دعوة الاله ولا يستجيب الا لنداء شهواته ولذائذه مهما شابها من رجس وباطل فيصبح ـ وان كان من الناس ـ كبهيمة الأنعام، وحين يعجب المرء بنفسه فلا يصغى الى نصح ولا يقتنع بصواب يصرفه عن غروره واستكباره واستبداده برأيه وان جانف الحق ودين الله، وحين تكون الدنيا أكبرهم الناس يصرفون اليها قلوبهم وجهودهم، ويغفلون عن ذكر الله وعن الآخرة ولا يشتغلون بالاعداد لها، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث: (ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب المرء بنفسه فعليك نفسك ودع عنك العوام).

لأنه حين يكون المجتمع على هـذه الصورة فقد عظم البلاء وانقطع الرجاء وتعذر الاصلاح فلا جدوى من الموعظة ووجب اعتزال الناس والانزواء عنهم حتى لا يشاهدوا منكم وحتى يسلم ذو الدين بدينه • وقد لا يستطيع المرء فى هذا الجو أن ينهض بشعائر دينه ولا ما وجب عليه لما يحس به من الغربة ولما يلقاه من السخرية به والضيق بتقواه وصلاحه فان صبر واحتمل وقام بما افترض عليه كان له من الأجر أضعاف ما لغيره من المسلمين فى زمان تهيأت لهم فرص العمل وصفا من حولهم الجو ـ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث :

(وان من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون عملكم) وفى بعض روايات الحديث زيادة : لأنكم تجدون على الخير أعوانا •

هذا ولم يبين الحديث متى يصير المسلمون هذا المصير ومتى يسود هذا الظلام ومتى يبلغ المجتمع الاسلامى هذا المبلغ من الضلال والانحلال ، فلنفهمه على أنه اخبار بالغيب كغيره من الغيوب علينا أن نؤمن به ولا نخوض فى توقيته وتفصيله حتى لا تكذب ظنونا بيقين ما تأتى به الأيام •

ابو الوفا المراغى

من هدى السنة :

يسر الاسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٤ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا ، بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة .

(رواه البخارى)

تمهيد :

قلنا فيما مضى عند بيان أهداف الحديث : ان شريعة الاسلام قامت على مبدأ رفع الحرج ، والتيسير فى التشريع ، والترفق بالمكلفين ، وذكرنا ثلاثة أمثلة يتجلى فيها اليسر والسماحة وفى هذا المقال نحاول أن نذكر بعضا آخر من الأمثلة فنقول وبالله التوفيق:

٤ – من مظاهر التيسير أيضا فى التشريع الاسلامى ان الله عز وجل – اقتضت حكمته – أن يحرم على الحائض الصلاة والصوم ، لكنه أسقط عنها الصلاة ، فلم يلزمها بقضائها وأمرها بقضاء الصوم ،

روى الجماعة عن معاذة (١) قالت : سألت عائشة ، فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ قالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

وروى الحديث برواية أخرى لفظها ما يأتى :

(عن معاذة قالت : سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ،

---

(١) معاذة ، بضم الميم ، وهى بنت عبدالله العدوية ، ومعدودة فى فقهاء التابعين ، انظر « فتح البارى لابن حجر » .

ولا تقضى الصلاة ؟ فقالت : أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ، ولكننى أسأل ، قالت : كان يصيبنا ذلك ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة) •

قولها : (أحرورية أنت ؟) بفتح الحاء وضم الراء الأولى نسبة الى حروراء ، قرية بقرب الكوفة ، كان أول اجتماع الخوارج بها ، أى أخارجة أنت ؟ فان طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة الفائتة زمن الحيض ، وهو خلاف الاجماع اهـ قسطلانى على البخاوى، وظاهر أن الحكمة فى عدم أمر الحائض بقضاء الصلاة ــ رفع المشقة عنها ، اذ أن الصلاة تتكرر فى كل شهر ، وفى كل يوم ، فيلحقها الحرج فى القضاء ، بخلاف الصوم ، فانه يكون فى السنة مرة ، فلا حرج فى قضائه •

٥ ــ ومن مظاهر التيسير أيضا أن الله تعالى اشترط لصحة الصلاة ــ الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر ومعروف أن هذه الطهارة تكون بالماء الطهور ، وكان مقتضى الظاهر أن من عجز عن الطهارة بالماء ــ لا يكون محصلا للطهارة شرعا ، فلا تصح صلاته ، ولكن الله تعالى ــ رحمة منه بعباده ، وتيسيرا عليهم ــ شرع لهم التيمم اذا لم يتيسر لهم وجود الماء ، أو كانوا مرضى يضرهم استعماله ، ويكون التيمم بمسح الوجه واليدين بتراب طاهر ، أو بغير التراب كالرمل مما صعد على وجه الأرض بشرط أن يكون طاهرا ،واعتبر الشارع الحكيم التيمم حينئذ طهارة مطلقة نهائية عن الوضوء فى حال وجوب التطهر من الحدث الأصغر ، وعن الغسل فى حال وجوب التطهر من الحدث الاكبر وتصح بها الصلاة ، قال الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (١) قوله

(١) سورة المائدة آية رقم ٦

تعالى : « أو جاء أحدكم منكم من الغائط » أى المنخفض من الأرض ، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة ، وكنى به عن الحدث ، كالتبول مثلا أو التبرز .

قوله : «فتيمموا صعيدا طيبا» التيمم لغة : مطلق القصد ، قال الشاعر العربى .

ولا أدرى اذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يلينى

أى قصدتها ، وفى الشرع : قصد الصعيد الطاهر ، واستعماله بصفة مخصوصة لاقامة القربة ، والصعيد ، وجه الأرض سواء كان ترابها أوغيره كالرمل مثلا : قال صاحب المصباح : (الصعيد) وجه الأرض تربها كان أو غيره ، قال الزجاج : ولا أعلم اختلافا بين أهل اللغة فى ذلك ، ا هـ والطيب : الطاهر ، والمراد بقوله : (فتيمموا صعيدا طيبا) اقصدوا الصعيد لمسح الوجه واليدين بنية استجابة الصلاة ونحوها .

ويدل أيضا على شرعية التيمم عند وجود عذر يقتضيه ـ ما روى عن عمران بن حصين قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فصلى بالناس ، فاذا هو برجل معتزل ، فقال : (ما منعك أن تصلى ؟ قال : أصابتنى جنابة ، ولا ماء قال : عليك بالصعيد ، فانه يكفيك) (١) قوله : (أصابتنى جنابة ولا ماء) يريد أنه احتلم ، ولا يجد ماء يغتسل به . قوله : (عليك بالصعيد) الزمه لتتيمم به .

ويدل على شرعيته أيضا ، وصحة الصلاة على الأرض مطلقا ـ اذا كانت طاهرة ـ ماذكره عليه الصلاة والسلام فى معرض ماخصه الله به من عطاء كريم ، حيث قال :

(جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل) (٢) وما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى .

(جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا اينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت) (١) وما روى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (جعلت الأرض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجلامن أمتى الصلاة فعنده مسجده ، وعنده طهوره) (٢) .

قوله : (جعلت لى الارض مسجدا) أى موضع سجود وصلاة ، لايختص السجود والصلاة منها بموضع دون موضع ،بخلاف من قبله عليه الصلاة والسلام ، لأنه انما أبيحت لهم الصلاة فى أماكن مخصوصة ، وهى أماكن العبادة ، ويؤيدهذا ما جاء فى رواية أخرى لعمرو بن شعيب بلفظ :

(وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم) وما أخرجه البزار من حديث ابن عباس وفيه : (ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه) .

قوله : (وطهورا)بفتح الطاء ، أى مطهرة .

ففى اعتبار التيمم طهارة مع أنه استعمال للتراب الملوث - مظهرعظيم من مظاهر التيسير ، وفى الحكم بترتب الطهارة على استعمال شىء يتحقق وجوده غالبا - مظهر قوى من مظاهر التيسير ، وفى جعل المسح بالتراب مقصور على الوجه واليدين مظهر جلى من مظاهر التيسير .

وكذلك فى الحكم بجعل التيمم نائبا عن كل من الوضوء عند التطهر من الحدث الأصغر ، وعن الغسل عند التطهر من الحدث الأكبر - مع أنه لم يمسح فيه من الجسم الا مساحة ضيقة - مظهر واسع من مظاهرالتيسير والترفق بالمكلفين .

هذا وجعل التيمم طهارة شرعا - يعتبر أمرا تعبديا يعلو فهمه على العقول - لذا خفيت بعض أحكامه عقب شرعيته -كما تدل على ذلك الواقعة الآتية التى حصلت لفريق من الصحابة رضوان الله عليهم - أيام حياته صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه الامام أحمد .
(٢) رواه الامام أحمد أيضا .

فقد كان جماعة من الصحابة فى سفر ، وفيهم عمر ومعاذ رضى الله عنهما ، فأصبح كلاهما جنبا ، ولا ماء ، فبذل كل منهما اجتهاده ، فأما معاذ فقاس الطهارة الترابية على الطهارة المائية ، وتمرغ فى التراب ، وصلى وأما عمر فلم ير ذلك ، وأخر الصلاة ، فلما رجعا الى الرسول صلى الله عليه وسلم بين لهما الصواب ، وأشار الى أن قياس معاذ فاسد الوضع ، لأنه فى مقابلة النص ، وهو قوله تعالى : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » وقال له : يكفيك أن نفعل هذا مشيرا الى كيفية التيمم ، وأفهمه أن التيمم كما يرفع الحدث الأصغر يرفع الأكبر (١) .

(يتبع)

منشاوى عثمان عبود

(١) أنظر هذه الواقعة فى كتاب تاريخ التشريع ــ تاج السايس .

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٠ —

وترجمة البخارى لهذا الحديث جزء من فحوى الحديث ، لأنها بمثابة تفسير له ، وتعريض بسببه وفى التراجم التى سجلها الامام البخارى من مراعاة الأصول الشرعية والاجتهادات الفرعية وايضاح المسائل التى يمكن أن تبنى على حديث الباب الكثير والكثيروانظر هذه الترجمة التى جاءت بين يدى هذا الحديث الذى سقناه فى البحث المار — ٨ — وهو الذى نستكمل بحثه ودفع الشبهات التى اثارها المفلوكون حوله الآن قال الامام البخارى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بعلومه : (باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وان اقرضه الى أجل مسمى جاز) ثم أتى بالحديث المعلق الذى أتى فيه الجنى فى شكل انسى يحثو من صدقة الفطر ولم يكن أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يعلم الا أنه انسان فقير ألمت به حاجة وهو ذوعيال،ولم يفهم أبوهريرة من قوله صلى الله عليه وسلم (أما أنه قد كذبك وسيعود) النهى عن اعطائه وانما هو اخبار عن خصلة فى هذا الرجل فلعله رضى الله عنه ترك له بعض مال الصدقة بعد أن وعده برده ، فكان حكم الرسول عليه بأنه لن يرد اليك شيئا ، ولعله تسرب الى ذهنه رضى الله عنه ترجيح جانب العفو عما أخذه هذا الحائى ، ولعله تسرب الى ذهنه معنى كذبه فى ادعاء الفاقة والادقاع، فرجح جانب الاقراض ومنحه ليرد ما اخذه ، فهو على أى حال لم يدرك من كذبه أكثر من هذا حتى أوضح له النبى صلى الله عليه وسلم فى المرة الثالثة أنه شيطان ، وكان هذا تفسيرا ضخما لمعنى (لقد كذبك) اذ يكون انتحاله صفة البشرية وتشكله فى هذا المنظر الانسى أعظم كذبة .

وقد يحسن بنا أن نسوق أقوال الفلاسفة القدماء والمحدثين – بفتح الدال المخففة – وهم لا شك أكثر اعتمادا على عقولهم ونأيا عن الاذعان للأوهام والخرافات. ونحن اذ نسوق كلامهم ننبه على اننا غير ملتزمين بكل ما فيه من تفصيلات عقلانية ، يكون جانب الوحى له الكلمة الفاصلة والحكم الأعلى ومن ثم يكون النقل عندنا أسلم وأحكم بل وأعلم . قال ابن سينا فى كتاب الحدود : الجن حيوان هوائى ناطق مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة.

وقال أبو البقاء وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجوده وقدرته على التشكل واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة .

وفى بعض رسائل أبى نصر الفارابى جوابا عن مسألة الجن فقال: الجن حيوان غير ناطق غير مائت ، وذلك على ما توجبه القسمة التى يتبين منها حد الانسان المعروف عند الناس أعنى الحى الناطق المائت وذلك أن الحى منه ناطق مائت وهو الانسان ومنه ناطق غير مائت وهو الملك ، ومنه غير ناطق مائت وهو البهائم،ومنه غير ناطق غير مائت وهو الجن فقال السائل :

الذى فى القرآن مناقض لهذا وهو قوله تعالى « استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » والذى هو غير ناطق كيف يستمع ؟ وكيف يقول ؟ فقال : ليس ذلك بمناقض وذلك أن السمع والقول يمكن أن يوجد للحى من حيث هو حى ، لأن القول والتلفظ غير التمييز الذى هو النطق ، وترى كثيرا من البهائم لاقول لها وهى حية ، وصوت الانسان مع هذه المقاطع هو له طبيعى من حيث هو حى بهذا النوع كما أن كل نوع من أنواع الحى لايشبه صوت غيره من الأنواع ، كذلك هذا الصوت بهذه المقاطع التى للانسان مخالف لأصوات غيره من أنواع الحيوان . وأما قولنا غير مائت فالقرآن يدل بذلك فى قوله تعالى « قال : رب أنظرنى الى يوم يبعثون . قال : انك من المنظرين » اهـ

وقال أبو محمد على بن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل : لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم فى العالم أيضا بضرورة العقل ، لكن علما بضرورة العقل امكان كونهم لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق مايشاء ، ولا فرق بين أن يخلق خلقا

عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الأرض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والأرض ، بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته ، لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيدهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص كلام الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون • وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود وهم يروننا ولانراهم• قال تعالى : (انه يراكم هو وقبيلة من حيث لاترونهم) فصح أن الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل (الا ابليس كان من الجن) •

واذ أخبر الله تعالى أننا لا نراهم فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا أن يكون من الأنبياء عليهم السلام ، فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال : فأخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ولولا ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة ، أوكما قال عليه الصلاة والسلام وكذلك في رواية أبي هريرة (وهي هذه التي يلاحي فيها المأفونون) الذي رأى ما رأى انما هي معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عمن لاخير فيه • ثم قال : وهو أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم ، وعنصرهم النار كما أن عنصرنا التراب ، وبذلك جاء القرآن قال الله عزوجل (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) •

والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما ، وانما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب والكتان والأدهان وغير ذلك ، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية هوائية لادركناهم بحاسة اللمس •

وبعد ذلك تكلم عن مظاهر تأثير الجن في النفس البشرية ، وأتى على الفرق بين الوسوسة والصرع

والمس الى أن قال : فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالاعلم به وهذا حرام لايحل. قال عزوجل (ولاتقف ماليس لك به) وهذه الأمور لايمكن أن تعرف البته الا بخبر صحيح عنه صلى اللهعليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ماذكرنا وباللهالتوفيق اهـ

وقال الامام حبر الأمة محمد بن ادريس الشافعى رضىالله عنه وأرضاه: (من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته الا أن يكون نبيا) وهو يعنى صورته الحقيقية .

وقال الامام عالم المعقول والمنقول الفخر الرازى فى الجزء الأول من تفسيره :

(أطبق الكل على أنه ليس الجن والشياطين عبارة عن أشخاص جسمانية كثيفة تجىءوتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان (الأول) أنها اجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقة .

(والقول الثانى) انكثيرا منالناس أثبتوا أنها موجودات غير متحيزة ولا حالة فى المتحيز . وزعموا أنها موجودات مجردة عن الجسمية قالوا: وهذه الأرواح قد تكون مشرقة الهية خيرةسعيدة وهى المسماةبالصالحين من الجن . وقد تكون كدرة سفليةشريرة وهى المسماة بالشياطين . واعلم أن قوما من الفلاسفة طعنوا فى هذاالمذهب وزعموا أن المجرد يمتنع عليه ادراك الجزئيات والمجردات يمتنع كونهافاعلة للأفعال الجزئية : وهذا باطل لوجهين:

(الأول) أنه يمكننا أن نحكم على هذا الشخص المعين بأنه انسان وليس بفرس ، والقاضى على الشيئين لابد وأن يحضره المقضى عليهما فههنا شىء واحد وهو مدرك للكلى وهو النفس ، فيلزم أن يكون المدرك للجزئى هو النفس .

(الثانى) هب أن النفس المجرد لا تقوى على ادراك الجزئيات ابتداءلكن لانزاع أنه يمكنها أن تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانية فلم لايجوز أن يقال : ان تلك الجواهر المجردة المسماة بالجن والشياطين لها آلات جسمانية من كرة الأثير أو من كرة الزمهرير ثم انها بواسطة الآلات الجسمانية تقوى على ادراك الجزئيات وعلى التصرف فى هذه الأبدان .

وقال أبو الحسن الماوردى امام شافعية البصرة وقاضى قضاتها فى كتابه (أعلام النبوة) الجن من العالم الناطق المميز يتناسلون ويموتون وأشخاصهم محجوبة عن الأبصار وان تميزوا بأفعال وآثار الا أن الله تعالى يخص برؤيتهم من يشاء .

واذا زعم هؤلاء الأدعياء أنهم يمتون الى مذهب السلف بصلة ، وأنهم من حزب السلفيين جئناهم ومن لف لفهم ونصرهم ووسوس لهم بهذا الحدث الذى حاق بهم وزرة وطوقهم اثمه وجللهم عارة ، أقول جئناهم من أعلى من قمة السلفية ، وداعيتها المدره العملاق ذلكم هو الامام الفقية الأصولى المحدث البارع المتخرج بابن تيمية ومعبده شمس الدين الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية ، قال رحمه الله تعالى فى كتابه (زاد المعادفى هدى خير العباد) ج ٢ ص ٢٢٣ بتحقيق محمد حامد الفقى «ولما عزمت قريش على الخروج ذكروا مابينهم وبين بنى كنانة من الحرب فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك المدلجى ، وكان من أشراف كنانة فقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم ، فلما انبعثوا للقتال ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء فرونكص على عقبيه فقالوا الى أين ياسراقة ؟ ألم تكن قلت : انك جار لنا لاتفارقنا ؟ فقال : انى أرى مالا ترون انى أخاف الله ، والله شديد العقاب وصدق فى قوله (انى أرى مالا ترون) وكذلك فى قوله « انى أخاف الله » .

وأما الاحتجاج بقوله تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) فالجواب أن النفى للرؤية انما يقع على رؤية الجن فى صورته الحقيقية

ولماذا أيها الناس الحملة على الاسلام وعلى كتب السنة لما فيها من ذكر هذه الكائنات التى ثبت وجودها بنص الكتاب العزيز ، هل يريدون أن يؤيد هذا كلام أحد الخواجات حتى نلتمس اسكاتهم بعد أن احتججنا بالصدق من كلام ربنا وسنة نبينا وأقوال أئمة ديننا ، وطلبنا الفلج بالحق ، ووأسفا ان المعمود ليضطرب لمرأى أطايب الطعام والأعشى ليقذى بساطع الضياء ، وهما مع ذلك يدركان لذة الطعام السائغ وبهاء النور الوضاء .

انظروا ياهؤلاء هذا كتاب فوست أشهر مؤلفات جوته أكبر شاعر ألمانى

وقد يكون أكبر أدباء أوربا بطله من الجن واسمه مفستوفيليس ، وحديثه الذى سارت به الركبان فى كل مكان فى أوربا وغيرها ونظمه الشعراءوتغنى به المثلون والممثلات وعقدت لمعانية أدوار الموسيقى على أجمل الأنغام .

ووضع وليم شكسبير قبل جوته قصة هملت وهى تدور على ظهور الجن لهملت فى صورة أبيه الملك المقتول ولشكسبير أيضا رواية العاصفة ومدارها على الجن وتدخلهم فىأعمال البشر وتدبيرهم لشئونهم فما من أمة فىالأرض الا والجن جزء من فلسفتهم وشعرهم وأدبهم وتاريخهم (لاتبديل لخلق الله) ويقول سبنسر فى ص ١٧٣ من ج ١ من كتابه مبادىء علم الاجتماع : ان اليونان الأقدمين كانوا يعتقدون بالجن وأنهم يقطنون(هاديس) وأن للجن فى اعتقاد اليونان أشباحا تكاد تكون مادية ، وأنها تشرب دماء الذبائح وتخشىالقتل فتمكن (بولس) من تخويفها بسيفه ، وفى الياذة هوميروس كلام كثير عن الجن وكان الاسرائيليون يعتقدون فى الجن ص ١٧٤ من الكتاب نفسه ، وأ نبعض قبائل الهنود تعبد الجن ومعظم الأمم الحديثة تعتقد فى الجن وتروى عنها الأخبار والنوادر ، وهؤلاء جميعا لم يجرؤ أحد من هؤلاء الجهال أن يصنف كتابا فى استهجان عقائدهم ، أو تسفيه آدابهم ومثلهم . ولكن شهوة الحقد على السنة جعلتهم ولاهم لهم الا الطعن فيها والاجهاز عليها

(يتبع)

محمد نجيب المطيعى

التفسير الوسيط

وملاحظات على نقاط فيه

للأستاذ كمال أحمد عون

— ٢ —

(١٦) (ص ٤٣١) فى المفردات فسر (الحى) بأنه : الباقى ، الدائم البقاء الذى لاينال‌ه الفناء ا هـ .

أقول : الحى ، والباقى : اسمان من أسماء الله الحسنى ، وكل يدل على صفة خاصة من صفاته تعالى ، وهما الحياة ، والبقاء ، فتفسير الحى بالباقى .. الخ غير دقيق ، والمناسب أن يكون الحى (من أسمائه تعالى) بمعنى : من له الحياة الذاتية أزلية وأبدية .. وبهذا يتفق معنى الحى مع ما ذكره فى تفسير الحى (ص ٤٣٢ ، ٥١٢) من أنه الذى له الحياة الكاملة الأزلية .. وأنه الدائم الحياة الذى لا يموت أبدا .

(١٧) (ص٤٤١) أو كالذى مرعلى قر ية .. الخ قال : لم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية مايعين صاحب هذه القصة .

وأقول : ان القول بأنه لم يرد فى السنة النبوية كذا .. يستدعى الاحاطة بالسنة الشريفة ، أو أن يكون الأمر مما لا يعقل صدوره عن المعصوم لمخالفته – على ما قيل – المعقول ، أو المنقول ، أو الأصول – والأولى أن يقال لم نجد فى السنة النبوية كذا أو لا نعلم فى السنة كذا .

(١٨ (ص ٤٦٥) : ليس عليك هداهم .. »قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يهتدى الناس لما هداهم اليه .

(أقول : لعل التعبير المراد : حريصا على أن يهتدى الناس لما دعاهم اليه،وهوأوفق ببقية كلامه في شرح الآية الكريمة .

(١٩) (ص٤٩٠) : (وليملل الذى عليه الحق) .. قال : وانما أعطى

حق الاملاء للمدين ، لأنه هو المشهور . وعليه ، فلا بد أن يكون هو المقر .

فى العبارة خطأ مطبعى ، وصوابه : لأنه هو المشهود عليه .

(٢٠) (ص ٤٩١) قال : فى تفسير آية المداينة والضعيف من لايقدر على الاملاء لكونه : صبيا ، أو شيخا خرفا ، أو مريضا — ومن لا يستطيع الاملاء نحو الأخرس ، فهؤلاء أربعة أصناف ، لا يملى على الكاتب سوى أولهم . أقول : جعل الصبى ممن لا يقدر على الاملاء فى أول العبارة ، وجعله قادرا على الاملاء فى آخرها.

(٢١) (ص٥٠٤) (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) قال عبر بالكسب مع الطاعة ، والاكتساب مع المعصية ، من باب التلوين فى نمط الكلام ، كما فى قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ا هـ .

أقول : لم يكلف نفسه أن ينفعل فى معنى الكسب والاكتساب شيئا لائقا مما قاله العلماء ، سواء فى المختصرات أو المطولات : كالنسفى وأبى السعود والقرطبى والمنار وغيرها ومن ذلك فى القرطبى عن ابن عطية مافحواه : ان الحسنات تكتسب دون تكلف ، لأن كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه ، وان السيئات يتكلف كاسبها فى أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى عنه . وفى هذا ونحوه محاولة لفهم بعض أسرار التعبير ، وتنزيه لكلام الله جل جلاله — وهو منزه ولا ريب—عن أن يكون لمجرد التلوين .

(٢٢) (ص ٥٠٤ ، ٥٠٥) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) .

استشكل المفسر أن يقيد ظاهر الآية — على ما قال — التكليف وقت النسيان والخطأ ، وهو لا يصح لأنه تكليف بما ليس في وسعنا—والمخرج — فى نظره أن يفسر النسيان بالترك عمدا ،لأنه من معانيه — واستشهد ببيت من الشعر ، وهو فى الحقيقة لايشهد له (١) . — كما فسر الخطأ بفعل أو ترك الصواب كسلا أو غواية

(١) قال ومنه (أى النسيان بمعنى الترك عمدا ، قول الشاعر : ولم أكن عند الجود قاليا ولا كنت يوم الردع للطاغين ناسيا — ولم يعلق عليه — والبيت لا يشهد لما أراد ، بل معنى ناسيا : ذاهلا عنهم لشدة الروع ، فهو يصف نفسه بالشجاعة كما وصفها بالكرم ، وعند اللقاء لا يذهله الروع ، بل هو ذاكر ومقاتل وثابت الجنان .

أو انحرافا • ثم قال : فان فسر بذلك استقام الدعاء بعدم المؤاخذة عليهما•

أقول : هذا الكلام بعيد كل البعد عن الصواب ، ويكاد لايحتاج الى بيان ، وان كان لابد منه ، فلنثبت مايلى :

١ ـ الحمد لله ليس من هذا الخطأ شىء فى التفاسير القريبة التى بين أيدينا من مثل النسفى وأبى السعود والقرطبى والمنار •• وقد وجهت المعنى بالمعروف المناسب ،وكان من اليسير الرجوع اليها والانتفاع بها •

٢ ـ تفسير النسيان بالترك عمدا ، والخطأ بفعل أو ترك الصواب • • كسلا أو غواية أو انحرافا ، لايجمل بالمؤمنين القائلين سمعنا وأطعنا أن يطلبوا رفع المؤاخذة فى ذلك ، وانما تجب المبادرة الى التوبة الصادقة والاستغفار من المعاصى •

٣ ـ تفسير النسيان والخطأ بالمتبادر المعروف من معناهما يتلاءم سباقا مع سابق الكلام ولاحقه وقد فسر النسيان : بالترك سهوا ، والخطأ فى الأمر بعدم الاصابة عن غير عمد •

٤ ـ فيما ذكره المفسر أخيرا عن الزمخشرى ما يبين وجه الدعاء بعدم المؤاخذة ، اذ يقول : « ذكر الخطأ والنسيان ، والمراد ماهما سببان عنه من التفريط والاغفال : وقد انتبه المفسر الى ذلك وأشار اليه ، وكان يغنيه عن الاعتساف الظاهر فى فهم كلام الله جل علاه •

حزب « ٦ »

(٢٣) (ص ٥٣٤) (شهد الله أنه أنه لا اله الا هو ••)الاية قال : المعنى هذه الشهادة موجهة الى أهل نجران أقول : لماذا هذا التخصيص فى التوجيه لأهل نجران ، وان كان لهم فى سبب النزول شأن ؟ بل هى موجهة لكل المكلفين ، وتقرير لحقيقة قائمة مسلمة عند جميع المؤمنين •

(٢٤) (ص ٥٤٥) فى تفسير قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك) قال:

الملك ـ بضم الميم ـ فى حق الله تعالى هو على ما قال المحققون ـ صفة قائمة بذاته تعالى ، متعلقة بما سواه ، تعلق التصرف التام •• الخ •

١ ـ لم يذكر من هؤلاء المحققون المشار اليهم .

٢ ـ لم نجد فيما بين أيدينا من التفاسير القريبة من قال : ان الملك صفة قائمة بذاته تعالى (النسفى او أبو السعود ـ أو ابن كثير أو المنار)

٣ ـ كيف يكون الملك صفته تعالى وهو مالكه وبيده «تبارك الذى بيده الملك»

٤ ـ لماذا لا يكون الملك : كل ما فى الأرض والسماء وما بعد ذلك وكل ما فى الأولى والآخرة ؟ فجميع ذلك فى قبضة قدرته يؤتى من ملكه ما شاء لمن شاء .

حزب « ٧ »

(٢٥) (ص ٦٢١) فى تفسير قوله تعالى : « كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه» اختار المفسر ان اسرائيل (يعقوب) حرم لحوم الابل وألبانها على نفسه لأمر شخصى ، يتعلق به نفسه وفاء ينذره لقهر النفس ، وقهر النفس من المقاصد الشرعية . . . وقال : « فكل نذر يجب الوفاء به فى حق صاحبه دون غيره » .

واقول : انه أجمل فى قوله :فكل نذر يجب الوفاء به فى حق صاحبه حتى كانت العبارة قاصرة ، وكان عليه أن يبين أن النذر الواجب الوفاء ما كان طاعة لله ، وفى الحديث : من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » ، وتحريم الحلال فى شرعنا لا يجوز ، وترك العبارة على عمومها يوهم غير الصحيح » .

(٢٦) (ص٦٨٠) فى تفسير قوله تعالى : «ومنكم من يريد الآخرة» قال وهم عبدالله بن جبير وأصحابه الذين ثبتوا حتى استشهدوا ـ ولوقال ومن هؤلاء (الذين يريدون الآخرة) عبد الله بن جبير الخ لكان أرق ، حتى لا يغمط غير ابن جبير وأصحابه من سادة الصحابة حقهم على ما توهم عبارته .

حزب « ٨ »

(٢٧) (ص ٧٠٩) قال :ولما دارت الدائرة على المسلمين فى أحد بسبب موقف المنافقين أولا ، وبسبب ترك الرماة أماكنهم فوق الجبل لحماية ظهور المسلمين ثانيا ..

أقول كان السبب الوحيد فيما أصاب المسلمين فى أحد ـ بعد قضاء

الله تعالى وقدره - هو ترك جل الرماة أماكنهم، مخالفين الأمر الجازم لرسول الله صلى الله عليه وسلم - أما موقف المنافقين ورجوع عبد الله بن أبي بثلثمائة فلم يكن من أسباب الهزيمة، بدليل انتصار المسلمين على قريش انتصارا باهرا ، وسقوط لوائهم ، وقتل كل من تعاقب على حمله منهم الى ان شغل المسلمون بجمع الغنائم وهذا معروف وظاهر - وقد أجمل الموقعة في ص ٦٦٩ ، واعتبر سبب الهزيمة ترك الرماة أماكنهم .

(٢٨) (ص ٧١٧) عند تفسير قوله تعالى : «الذين قالوا ان الله عهد الينا» قال في المفردات :

(عهد الينا) العهد : حفظ الشيء ومرعاته حالا بعد حال .

أقول : العهد : الوصية (كما في التفسير الوسيط حزب (١ص ٧٠) وعهد الينا : امرنا في التوراة وأوصانا (النسفي وأبو السعود) .

أما حفظ الشيء ومراعاته فهو أثر وثمرة للوفاء بالعهد .

« سورة النساء »

(٢٩ (ص ٧٤٢) أهم مقاصد السورة : فصل في بعض المقاصد من أول السورة، ثم أجمل في الباقي ولم يرتب حتى يعطى تسلسلا مناسبا لترتيب أغراضها .

(٣٠) (ص٧٤٥) عند تفسير قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم » .

في المفردات : (وآتوا)قال :المراد باتيانها ان يحافظوا عليها ....حتى يسلموها . الخ المناسب باتيائها مصدر آتى (الرباعي) ولعل التغير مطبعي .

(٣١) (ص ٧٤٨) في تفسير قوله تعالى: «وان خفتم ألاتقسطوا» قال: وان خفتم عقاب الله بسبب ما علمتموه أو غلب على ظنكم من عدم العدل الخ

أقول : المعني المناسب لمنطوق الآية الكريمة : وان خفتم الجور وعدم العدل ..وهذا هو ما ذكره بعد في (ص ٧٥٢) في السطرين (٢،١) بقوله وآمرهم بالزواج من غير اليتيمات عند خوف عدم العدل معهن .

حزب «٩»

(٣٢) (ص ٧٩٦) فى نكاح المحصنات المؤمنات للمستطيع ، والمملوكات لمن يجد طولا .. الخ وعند قوله تعالى : « وان تصبروا خير لكم..قال : أى وصبركم عن زواج المملوكات ، وعن الوقوع فى الزنا خير لكم ، لئلا يصير الولد رقيقا .. الخ .

أقول : جملة وعن الوقوع فى الزنا فى غير موضعها ، ويحتم الاستغناء عنها ، أو اصلاح التعبير قوله بعد سطور : وان لم تصبروا وضعفت نفوسكم عما هو خير لكم فلا تثريب عليكم أقول يعنى لا تثريب عليكم فى نكاح الاماء فقط لا فى الوقوع فى الزنا أيضا ـ وما هى الا العجلة والتسرع فى التفسير تكثر من السهو والخطأ .

(٣٣) (ص ٨٠٥) فى تفسير : واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن » قال : الهجر : الترك عن كراهية أقول عبارة عن كراهية غير سديدة ، فالله تعالى لا يأمر بهجرهن كراهية ، بل اعراض للتأديب .

(٣٤) ص (٨٣٢) فى تفسير قوله تعالى : «ان الذين كفروا ... كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها .. » قال : « أى جلودا جديدة أخرى ، ليستمر عذابهم ، ويدوم لهم بها ، وذوقهم لها ، لأنهم كانوا مصرين على الكفر » أقول : المعنى سليم . والعبارة قلقة .

(٣٥) (ص ٨٤١) فى تفسير قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون « حتى يحكموك فيما شجر بينهم »...

قال فى المفردات : (فلا وربك) : اللام لتأكيد القسم .

وأقول : ليس هنا لام التأكيد ، بل الموجود : لا ، وهو رد على ما تقدمت الاشارة اليه ، أى فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك .. الخ (ينظر القرطبى وغيره) وقد أشار المفسر الى مضمونه فى ص (٥٤٣) .

وقال أيضا فى المفردات : شجر بينهم : اختلط عليهم من الأمور . وأقرب منه فى المعنى أن يكون « ما شجر بينهم » أى تنازعوا فيه واختلفوا .

(٣٦) (ص ٨٤٣) فى تفسير قوله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم »

قال فى المفردات : كتبنا : قدرنا ـ أقول : وهذا غير دقيق ، فما قدر يكون . والمناسب : أوجبنا عليهم وأمرناهم ـ وفى الشرح ما يوافق ما أشرت اليه .

(٣٧) (ص ٨٤٩) فى تفسير قوله تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله .. » قال : وقد فرض الله الجهاد فى سبيل الله على المؤمنين الصادقين ـ قال تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا ... » الآية .

أقول : المناسب لصحة الحكم وموضوع الاستدلال أن تكون عبارة المفسر : وقد مدح الله تعالى المؤمنين الصادقين بأنهم الذين لم يرتابوا وجاهدوا .. الخ أما فرضية الجهاد فهى على جميع القادرين من المسلمين والثناء والمدح للمؤمنين الصادقين ..

(٣٨) ص (٨٥٣) فى تفسير قوله تعالى : (ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ...) الآية جاء فى سبب النزول ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له ، أتوا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة (وشكوا عدوان المشركين) فقال انى أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم ، فلما حوله الله الى المدينة أمره بالقتال فكفوا ، فانزل الله الآية .

أقول : سياق الكلام على هذا يوهم أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له كفوا أيديهم بعد الأمر بالقتال وهذا بعيد عن الواقع فقد جاهد المؤمنون الصادقون أعظم الجهاد ؟ وفى مقدمتهم عبد الرحمن وأمثاله رضى الله عنهم والآية الكريمة تقول : اذا فريق منهم يخشون الناس ـ والقتال فرض على جميع المسلمين فتعلل فريق ينسب الى المسلمين وخافوا الناس كما يخافون الله أو أشد ،وهم غير المؤمنين الصادقين .

ولقد حرر المفسر المعنى وبينه فى الصفحة التالية ، وذكر أنهم المنافقون وهم لاشك بعيدون عن مستوى المؤمنين فضلا عن الصفوة المبشرين بالنعيم المقيم . وبالله التوفيق .

كمال احمد عون

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٢ —

وسوف نحاول أن نوضح مفاهيم الاستراتيجية العسكرية بأسلوب مبسط :

العقيدة العسكرية :

العقيدة العسكرية هى السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعية الحرب وغاياتها (من وجهة نظرها) وطرق ادارتها والأسس الجوهرية لاعداد البلاد وجيشها للحرب .

وتحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى فى الدولة أى بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا لتحقيق الأهداف والغايات القومية العليا .

وقد ورد فى المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية أن العقيدة (هى الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده) والأصل اللاتينى للفظ عقيدة Doctrine يعنى النظرية العلمية والفلسفية .

وبمعنى آخر فالعقيدة العسكرية هى مخ السياسة العليا للدولة فى مسألة الصراع المسلح .

ومن الطبيعى أن ينبثق منهاسياسة متخصصة فى كل مجال من مجالات حياة الدولة فيكون منها مثلا سياسة اقتصادية وسياسة تعليمية وسياسة اجتماعية لأن هذه المجالات تؤدى دورها فى الحرب وهو دور حيوى للنصر فيها ، ومن هذه السياسات المتخصصة طبعا السياسة العسكرية وقد تعارف العسكريون على تسميتها بالاستراتيجية العسكرية .

فالاستراتيجية العسكرية :

بعبـارة بسـيطة هى السياسة العسكرية أو الخطة المرسـومة التى تتصل بالجانب العسكرى من الصراع (وقد يستعار كلمة الاستراتيجية فى المجـالات الأخـرى فيقـال مثلا الاستراتيجيـة الاقتصـادية تعبيرا عن السياسة الاقتصادية) .

والاستراتيجية العسـكرية تختص بالدراسـة التخصصية العسـكرية للأمور المرتبطة بالحرب وادارتها التى تتولاها القيادات العسكرية مثل توزيع القوات وأسلوب استخدامها لاحراز النصر فى الحرب .

عقيدة الجهاد فى سبيل الله :

ويعتبر القرآن الكريم والسـنة النبوية الشريفة ـ من وجهـة النظر الفنية ـ المصدر الأساسى الأصـيل للعقيدة العسـكرية ، فهما مصـدر الاسلام ، والاسلام قد نظم كافة أمور الحياة دينا ودنيا ، وعالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ووضع خير المناهج لكل مايتصـل بها من حيث أهدافها وأسـاليب ادارتها وآدابهـا وقوانينها .

وقـد قال صلى الله عليـه وسـلم القرآن والسـنة فى حجـة الوداع « تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى ، كتاب الله وسنة نبيه » وقال تعـالى فيهما : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الـكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهـدى به من نشـاء من عبـادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

واذا كانت العقائد العسكرية لدول العالم تصوغها وتضع مبادئها القيادات السياسية العسكرية العليـا فى ضـوء نظرتها نحو الحرب وتقديرها لطبيعتها وأهـدافها السـياسية وامكانياتهـا الاقتصادية وغير ذلك من الظروف ، فان شأن هـذه العقائد شأن القوانين الوضعية التى تنتجهـا عقول المشرعين من البشر وتخضع للظروف وتنطوى على الصواب والخطأ معا ، وهـــذا ما تثبته أحداث التاريخ على مر العصور فانها تؤثر وتغير فى المبادىء والقواعد التى تقوم عليها العقائد العسكرية بحكم تأثرها نفسها وتغيرها من وقت لآخر ، ومن عصر الى عصر ، وفى الظروف والأحوال المختلفة التى تتقلب فيهـا الدولة أو تتطور .

أما العقيدة العسكرية والاسلامية فانها - بحكم انبثاقها من القرآن والسنة - تتبوأ مكانة عالية وتتميز بالاستقرار والثبوت ؛ لأنها من هدى الدين وليست ميراثا لحروب البشر .

فالرسالة الاسلامية ليست من صنع انسان يخطىء ويصيب ، وانما هى من الله أنزلها على رسوله بالتعبير الالهى نفسه ، كما أنها فى غاية الاحكام والدقة جملة وتفصيلا ؛ لأنها من لدن حكيم خبير لا يخطىء ولا يخفى عليه شىء وقد أودعها كتابا « أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

« وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وقد تكفل الله بحفظ هذا الكتاب على مر العصور والأيام فلا يتغير ولا يتبدل ، كما يفهم من قوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وكما يفهم من الواقع التاريخى الذى يشهد بأنه لم ينله تحريف أو تزييف بل ظل محفوظا فى الصدور والسطور؛ ليظل حجة على الناس الى يوم القيامة ؛ ويتصل بوسائل حفظه ما جاء به العلم حديثا من وسائل التسجيل على الاسطوانات والأشرطة ليتسع الانتفاع بهديه على أوسع نطاق وليقع الاستماع اليه فى كل مكان فى الأرض . ولا تزال - وستظل كذلك - سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مذكرة تفسيرية لهذا الكتاب ؛ فانها بيان له كما يقول الله « كتاب أنزلناه اليك لتبين للناس ما نزل اليهم » .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كما قالت عائشة « كان خلقه القرآن » وتتبلور المبادىء الأساسية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية أخذا من القرآن الكريم والسنة الشريفة فى « عقيدة الجهاد فى سبيل الله » .

فقال تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

وقال تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وعن أبى داود باسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (أخرجه النسائى)وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من اغبرت قدماه للجهاد فى سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار » (أخرجه الطبرانى فى الأوسط) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ قال « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »(أخرجه البخارى)

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » •

والجهاد بوجه عام يعتبر مبدأ من مبادىء الاسلام التى أخذت مكانتها بين عقائده وفروعه ، واستقرت دعوة القرآن الى الجهاد – على عمومه – متعلقة بذمة المسلمين جماعة وأفرادا وهى تقتضيهم أن يؤمنوا بتشريع الجهاد – عامة كايمانهم بأى معتقد سواه وأن يقوموا بتنفيذه كما يجب أن ينفذوا غيره مما فرض الله وقد قرن الله الجهاد بالايمان وجعله دليلا عليه أو ثمرة طبيعية له كما يفهم من قوله تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » فان ذلك يفهم منه أن الجهاد بالأموال والأنفس آية على عمق الايمان وصدقه فى النفوس •

ولقد جعل الله تعال الجهاد هو الوظيفة الشريفة التى كرم بها الأمة الاسلامية كما يفهم من قوله تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » (أى اختاركم) فالاختيار هنا تكريم وتشريف لهذه الأمة التى جعلها الله فى خير منزلة بين الأمم فى قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وفى قوله سبحانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ومعنى أمة وسطا أى خيارا معتدلين (خير الأمور الوسط) ومعنى شهداء على الناس أى فى مقام عال فان الشهيد لغويا هو الذى ينظر من عل •

ولقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون أمة محمد أمة مجاهدة عزيزة الجانب ولم يرد لهاأن تخضع ولا أن ترضى بالذلة ولا أن تستكين الى هوان لذلك أوجب الاسلام على المسلمين الجهاد فى سبيله واعلان كلمته ونصرة الحق والدفاع عن العقيدة والوطن والأمة .

الجهاد يكفل بناء الكيان العسكرى للأمة :

والواقع أن قوة الأمم لا تقاس بقوة جيشها العامل فحسب بل تقاس بقوة كيانها العسكرى كأمة .

والكيان العسكرى للأمة يقوم على أساس قاعدة عريضة تضم أبناء الأمة جميعا فى ظل احساس عام بالخطر المحدق وفىظل ايمان راسخ وعقيدة قوية وشعور بالواجب والمسئولية وايجابية واخلاص فى العمل وبذل للدم والروح فى سبيل الدفاع عن الحق والشرف والكرامة .

أى أن الكيان العسكرى للأمة يقوم على أساس الكيان العسكرى لكل فرد من أبناء هذه الأمة والكيان العسكرى للفرد هو احساسه النابع من عقله وقلبه بأن شخصيته ووجوده بتأهبه الدائم واستعداده بكل قدراته ومصيره ، وآماله ترتبط ارتباطا كليا بتأهبه الدائم واستعداده بكل قدراته لرد العدوان عن أمته مهما تكن التضحيات وهذا ماكان عليه المسلمون فى أول عهدهم بالاسلام اذ كان الشعب كله جيشا مجاهدا (Nation in Arms) يؤدى كل فرد فيه ما يستطيع أداءه ويسهم الجميع فى توفير أسباب النصر .

فالجهاد يكفل للأمة الاسلامية بناء كيانها العسكرى لأنه تكليف لها كلها سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين اذ يقتضى من كل مسلم التأهب الدائم والاعداد والتدريب والاستعداد بكل ما لديه من قدرات علمية وفنية وبدنية ومعنوية لأداء دوره فى دفع العدوان عن أمته فلا فرق بين جيش وشعب بل الجميع مجاهدون كل منهم يؤدى دوره بالعمل المناسب وفى الموضع المناسب لتحقيق الهدف المشترك .

ومن المناسب هنا أن ننبه الى أن فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين واذا لم يقم به فريق أثم الجميع بتركه ووقعوا تحت طائلة العقاب فسقوطه عن بعضهم لا يعفيهم من المسئولية اذا تعطل ولم يقم به القادرون عليه ومن ثم يجب تأهيب الجميع للنهوض بهذا الواجب وبذلك يكون البناء العسكرى قائما دائما لمواجهة الأحداث وقمع الظلم وردع العدوان .

(للبحث بقية)

محمد جمال الدين

الشريعة الإسلامية وحاجات البشر

للدكتور عبد الحكيم حسن العيلي

كثر الحديث حول صلاحية الشريعة الاسلامية كنظام كامل للوفاء بحاجات البشر وثار الجدل بين القائلين بأن فى العودة الى الشريعة رجوعا الى الماضى وتوقفا عن السير فى ركب الحضارة لعدم مجاراة القديم لأوضاع العصر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وبين الداعين لهذا التطبيق باعتبار الشريعة الاسلامية هى شريعة رب العالمين • ومن ثم فليس لنظام وضعى ـ أيا كان مصدره ـ أولوية على نظام شرعه خالق الناس وهو أعلم بما فيه سعادتهم وخيرهم « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

والحقيقة التى لا مراء فيها أن تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية ليس رجوعا الى الماضى وليس جمودا على القديم كما يزعمون • تلك دعوى داحضة • ذلك أن الاسلام ـ وقد جاء نظاما دائما منذ بعث به النبى صلى الله عليه وسلم حتى تقوم الساعة ـ لم يكن ليتناول تنظيما مفصلا لكل مبادىء الحكم وشئون الحياة ، والا ماكان هناك مجال لمسايرة التطور فى أحوال الناس والتغير فى الظروف والاختلاف فى العادات •

لذلك وضع الكتاب والسنة المبادىء الكلية لنظام الدولة الاسلامية تاركين الفروع والتفاصيل لظروف كل عصر وعرف كل أمة درءا للمشقة على الناس وتلافيا لجمود القواعد ودفعا للمسلمين الى مواكبة ركب الحضارة فى كل زمان ومكان تنفيذا لقول النبى الكريم « أنتم أعلم بأمور دنياكم » •

ومن أمثلة ذلك من المبادىء الكلية التى شرعها الاسلام فى مجال الحكم

١ ـ مبدأ العدل : فقد جاء مبدأ عاما مجردا تلتزم كل حكومة اسلامية بتطبيقه ولا تستطيع الخروج عنه فلا تختص به فردا دون فرد ، ولا تنفذه فى طائفة دون أخرى ولا تطبقه فى بلد دون بلد ، بل يستوى فيه الناس أجمعون مسلمهم وغير مسلمهم ، أبيضهم وأسودهم ، ذكرهم وأنثاهم ، صديقهم وعدوهم . وقد جاءت النصوص الكلية آمرة بذلك .

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى »

« لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

أما وسائل تنفيذ العدل كتنظيم هيئات القضاء وتعدد درجات التقاضى وتقرير الفصل بين سلطة الادارة وتحديد اجراءات الدعاوى فذلك مما يختص به أولو الأمر فى كل بلد وفى كل عصر وفقا لعادات الناس وأعرافهم وطبقا لما تستلزمه حاجاتهم ومصالحهم .

٢ ـ ومبدأ المساواة : جاء به الاسلام عاما مطلقا يطبق على المستوى الانسانى كله فلا تمايز بسبب جنس ولاتفاضل فى لون ولا تفاخر بنسب

« ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا »

« الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى »

٣ ـ ومبدأ الشورى : شرعه الاسلام لأتباعه ليأخذوا حياتهم به ؛ وليطبقوه فى كافة شئونهم ويقيموا عليه نظام حكمهم . يقول الله تعالى لنبيه الكريم : « وشاورهم فى الأمر »

ويصف المؤمنين بقوله :

« وأمرهم شورى بينهم »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستشير الصحابة فيما يعرض له من

أمور فتارة يستشير خواص الصحابة وحينا يستشير عامة الناس ، وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كلما حزبه أمر كان يجمع صحابته ويقول : « أشيروا على أيها الناس »

أما طريقة تنفيذ الشورى فقد تركتها النصوص لأعراف الناس وظروفهم يقررها أهل كل بلد وكل أمة فى كل عصر بالطريقة التى تلائمهم .

فقد تكون الشورى ديمقراطية مباشرة أو عن طريق نواب الأمة وقد يتم اختيار النواب بالانتخاب المباشر أو ممن تتوافر فيهم شروط معينة أو صفات خلقية . كل ذلك متروك لأولى الأمر فى الأمة يقررونه طبقا لما فيه مصلحتهم .

وفى مجال المعاملات حيث تدرك العقول وجه المصلحة ووجه الضرر فيهما إكتفى الاسلام بتحديد القواعد الكلية فجاءت هذه القواعد مقررة للوفاء بالعقود بتنفيذها وناهية عن الغبن والاحتكار .

« يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود »

« وأحل الله البيع وحرم الربا »

« لا يبع أحدكم على بيع أخيه »

« من احتكر طعاما أربعين يوما برئت منه ذمة الله ورسوله » .

وفيما دون ذلك يكون للأفراد أن يحددوا شروط المعاملات ووسائل التجارة وطرق تنفيذ العقود اعمالا لمبدأ حرية الارادة وسبيلا الى اكتشاف الأصلح اذ أنها بحكم تعددها قابلة للتغيير والتبديل فى حدود ما جاء به الكتاب والسنة، فالمسلمون عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما .

تلك أمثلة للأمور التى عالجها الاسلام بأحكام كلية تاركا التفاصيل الى اجتهاد أولى الأمر ، وأصحاب الرأى فى الأمة الاسلامية يقررونها حسبما تمليه عليهم مصالحهم ومدنياتهم وأعرافهم وظروفهم ، وذلك ربطا بين القديم بسموه وشموخه والجديد بتجاربه وابتكاراته ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

على أن ذلك مجاله نظام الحياة والمعاملات ، أما العبادات والعقائد والتكاليف الشرعية فهى مما يخرج عن هذا النطاق ، اذ أنها أمور ثابتة

لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان أو المكان .

ومن أجل ذلك وجدت المصادر الفرعية للتشريع ومنها القياس والاستحقاق والمصالح المرسلة وشرع الاجتهاد لتحقيق مصالح الناس فما وجدت الأحكام الا لتحقيق هذه المصالح فكما يقول الآمدى : ان الأحكام انما شرعت لمقاصد العباد أى مصالحهم لأن الاجماع قائم على أن أحكام الله لا تخلو من حكمة ومقصود وليس ذلك لمنفعة عائدة الى الله تعالى بل لمنفعة الناس وقد قال الله تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقال : « ورحمتى وسعت كل شىء » ، فلو خلت الأحكام من حكمة عائدة الى الناس لكانت نقمة لا رحمة.وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » فلو لم يكن التكليف قائما على مصالح تعود الى العباد لكان ضررا محضا ، فما شرع الله حكما فى الاسلام الا لكفالة أمر ضرورى للناس أو لرفع الحرج عنهم أو لتكميلهم وتجميل حياتهم وهذه هى عناصر مصالحهم .

ولقدكان فى واقع الدولة الاسلامية ما أكد ثراء الحضارة الاسلامية بعلومها وآدبها وفنونها وأنها بذلك تستطيع فى يسر دفع عجلة التطور الفكرى فتسهم فى اسعاد البشرية ودفعها قدما فى طريق التقدم الحضارى .

وقد كان السبيل الى ذلك هو السلوك التربوى الذى قامت عليه رسالة الاسلام اذ قامت أساسا على فك العقول من تعظيم غيرالله وذلك بتحرير العقيدة التى هى لب الايمان وأساس الحريات . فثبتت القيم الروحية فى ضمير أبناء الاسلام.وأصبحت راسخة فى كيانهم مستقرة فى وجدانهم وأنظمتهم دهرا طويلا ثم خفتت شيئا فشيئا باهمال المسلمين شئون دينهم حتى أصبح السؤال الذى يتردد هل الى عود من سبيل ؟

د. عبد الحكيم حسن العيلى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ٧ —

تكلمنا فى الأعــداد السابقة عن النظريات الأساسية التى ترددت فى الأخذ بهـا الشرائع الوضعية عنـــد تنظيمها للعقود وقلنا ان هذه الشرائع قسمت العقود الى عقود شكلية لاتنعقد الا اذا تم التعبـير عن الارادة فيهـا بشكل معين والى عقود رضائية تنعقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول كما ترددت هذه الشرائع من ناحية وقت ومكان انعقاد العقد بالمراسلة بين أربع نظريات هى نظرية اعـلان القبــول ونظرية تصدير القبول ونظرية تسليم القبول ونظرية العلم بالقبول كذلك عند تفسير العقد ترددت هذه الشرائع بين الأخذ بالارادة المعلنة أى الظاهرة وبين الارادة الباطنية • أما من ناحية القوة الملزمة للعقد فقد قسمت هــذه الشرائع العقود الى عقود صحيحـة لها قوتها الملزمة وعقود قابلة للابطال وهى تعتبر صحيحـة وملزمة الى أن يحكم القضاء ببطلانهـا وعقود باطلة وهى عقود ليست لها أية قوة الزامية منذ وقت انعقادها •

وتكلمنا فى العدد المـاضى عن نظام العقود فى القانون الانجليزى وسنتكلم فى هذا العــدد عن النظام القــانونى للعقود فى الشريعة الاسلامية مع اجراء المقارنة بين هــذا النظام ومقــابله فى القانون الانجليزى •

اذا أبعدنا عقــد الزواج عن دائرة العقود الأخرى باعتبار الزواج نظام كامل بذاته من ناحية الانعقاد والانحلال وآثار كل منهمـا التى لا تتشـابه مع سائر العقود فان أول ما نلاحظه أن الشريعة الاسلامية لاتأخذ بنظام العقود الشـكلية فانه يكفى لانعقـاد العقــد وترتيبه لكل آثاره مجـــرد التراضى أى تبـادل الايجـاب والقبول دون اشتراط شكل معين للتعبير عن هــذا

التراضى كل ما فى الأمر هو أن يكون كل من الايجاب والقبول بتعبير قاطع وجاد فى التعاقد فلا يكون بصيغة الاستفهام مثلا ولا يكون بقول هزل وسواء كان هذا التعبير بالقول أو بالاشارة أو بالكتابة أو بالفعل ٠ فالايجاب والقبول وحدهما كافيان فى تكوين العقد متى كان القبول مطابقا للايجاب وفى مجلس العقد ٠

ومجلس العقد هو المكان الذى يوجد فيه المتعاقدان وهو وحدة زمنية تبدأ من وقت صدور الايجاب ويبقى المجلس منعقدا مادام المتعاقدان منصرفين الى التعاقد ولم ينشغل أى منهما عنه بأمر آخر ويكون للموجب سحب ايجابه طالما لم يلحقه قبول الطرف الآخر ٠

ويشترط أن يسمع الموجب قبول الطرف الآخر فلا يكفى أن يعلن القابل قبوله فى مجلس العقد دون أن يسمعه الموجب متى كان التعاقد بين حاضرين أو بالتليفون ٠ أما اذا كان التعاقد بالمراسلة فان الايجاب ينتقل للموجب له نقلا ماديا سواء بالرسالة أو بالرسول ويبدأ مجلس العقد من من وقت وصول الرسالة الى الموجب له ويشترط أن يصل الى الموجب ما يفيد قبول الموجب له ومن هذا يتضح أن الشريعة الاسلامية تأخذ بنظرية العلم بالقبول سواء فى التعاقد بين الحاضرين أو فى التعاقد بالمراسلة ٠

وحتى ينتج تبادل الايجاب والقبول أثره فى تكوين عقد صحيح ملزم فانه يجب أن يقترن بالشروط الآتية :

أولا ــ أن يصدر التعبير عن الارادة سواء كان ايجابا أو قبولا عن شخص مميز فالطفل غير المميز والمجنون والمعتوه والمريض أو السكران الى حد فقد التمييز وغير هؤلاء ممن انعدم فيهم التمييز لايعتد بتعبيرهم واذا صدر عن أحدهم تعبير عن ارادة فهذا التعبير لا وجود له شرعا مهما يكن له من وجود من حيث الواقع ٠

وسن التمييز فى الشريعة الاسلامية تبدأ من السابعة فكل من لم يبلغ هذه السن يعتبر فاقدا للتمييز وبالتالى غير أهل لابرام أى عقد من العقود ومتى بلغ هذه السن فتصبح له أهلية قبول التبرعات أى ابرام العقود والتصرفات النافعة له نفعا محضا ويظل كذلك الى البلوغ فمتى أصبح بالغا بالامارات

(ظهور علامات الرجولة عليه) أو بالسن (بلوغ الخامسة عشر) أصبحت أهليته كاملة وأصبح قادرا على ابرام جميع أنواع العقود والتصرفات بما فيها التبرعات الصادرة منه كالهبة والوصية والوقف والكفالة بشرط أن يكون قد بلغ وهو رشيد اما ان بلغ وهو غير رشيد فيستمر الحجر عليه الى أن يظهر رشده مهما طال الزمن .

واحكام الأهلية فى الشريعة الاسلامية سواء بالنسبة للرجل والمرأة فكل بالغ عاقل من الجنسين يعتبر أهلا لمباشرة جميع التصرفات وابرام جميع أنواع العقود .

ثانيا - ان يكون محل العقد مقدور التسليم ومعينا أو قابلا للتعيين صالحا للتعامل فيه أى مالا متقوما مملوكا .

والمال هو كل ما تواضع الناس على اعتباره ذو قيمة مالية يمكن تقييمها بالنقود سواء كان شيئا ماديا أو منفعة وهذا أمر نسبى يختلف من عصر لعصر فقديما كان لا يصح التعاقد على تلاوة القرآن أو تعليم أحكام الدين بينما يصح مثل هذا التعاقد فى الوقت الحاضر .

وكل مال محرم على المسلمين لا يعتبر متقوما فى الشريعة الاسلامية وان كان يعتبر متقوما ومعترفا به فى الشرائع الأخرى فلايصح بيع الخمر أو الخنزير بين مسلمين أو بين مسلم وغير مسلم .

ثالثا - الا يصدر التعبير عن الارادة نتيجة اكراه والا يكون المقصود بالعقد مجرد الضرر وألا يتضمن أى شرط فاسد أو ربا أو غرر وان تكون الفائدة المقصودة من العقد مباحة شرعا .

والاكراه يبطل جميع العقود والتصرفات لقوله عليه الصلاة والسلام: « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

والاكراه هو حمل الغير على ما لا يرضاه فالاكراه يعدم الرضا ولكن يبقى الاختيار فالمكره يختار أخف الضررين وهو امضاء العقد دون أن يكون راضيا بأيهما .

ويجب أن يكون الاكراه جسيما وهذا أمر نسبى يتوقف على حالة الشخص الذى يقع عليه الاكراه وسواء كان الخطر يتهدد المتعاقد فى نفسه أو جسمه أو ماله أو اعتباره

بين الناس وسواء كان الخطر يتهدده نفسه أو ذوى قرباه من المحارم ففى كل هذه الصور يبطل العقد ولكن يشترط أن يكون الاكراه واقعا على المتعاقد نفسه مباشرة لا على أحد هؤلاء . ولا يتحقق الاكراه اذا كان القصد منه الوصول الى غرض مشروع فالبيع الذى يتم لسداد الدين نتيجة تهديد القاضى للمدين يعتبر صحيحا لأنه اكراه بحق أو جبر شرعى .

ويشترط أن يكون المكره قادرا على ايقاع الأذى الذى هدد به المكره ولكن لا يشترط أن يكون الاكراه صادرا من المتعاقد الآخر نفسه فيكفى أن يكون المتعاقد الآخر متواطئا مع الغير الذى وقع منه الاكراه أو عالما به أو قادرا على العلم به .

أما الغرر فهو كل ما ينطوى على قمار أو مخاطرة أوجهالة مما يترتب عليه أكل الأموال بالباطل بغير عوض ولا هبة ومثله بيع حيوان هارب أو البيع بالعربون اذا كان العربون ثمنا للعدول عن البيع فالمبلغ الذى يدفعه المشترى للبائع ولا يسترده منه اذا عدل عن الشراء لا حق للبائع فى الاستيلاء عليه شرعا ويعتبر من قبيل أكل الأموال بالباطل وهو أمر منهى عنه بصريح القرآن « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ البقرة ١٨٨ » .

وقد بلغ من شدة حرص الفقهاء على تفادى كل صور الغرر أن قالوا ببطلان بيع كل ما هو غير موجود وقت ابرام العقد وان كان وجوده محققا فى المستقبل كبيع محصول القطن قبل البدء فى زراعته مثلا حتى أصبح انعدام الشىء فى ذاته سببا للبطلان ولو لم يكن هناك غرر وخلطوا بين انعدام الشىء أصلا وبين الغرر والرأى الصحيح هو أن الشريعة الاسلامية لم تحرم بيع ما هو غير موجود وقت ابرام العقد الا بقدر ما ينطوى عليه من الغرر فبيع المعدوم باطل للغرر لا للعدم فالأصل اذن هو الغرر فان كان فاحشا كان البيع باطلا وان كان يسيرا كان البيع صحيحا وعلى ذلك اذا باع شخص ما فى مخازنه من بضائع أو محصول أرضه جزافا كان ذلك ينطوى على غرر فاحش أما ان باعه بسعر الوحدة فان الغرر يكون يسيرا ويصح العقد وهذا هو الرأى الصحيح شرعا

والذى يفى بحاجات التعامل فى هذا العصر .

هذه هى الأركان والشروط التى يتحتم أن تتوافر مجتمعة ليتم تكوين العقد صحيحا فى الشريعة الاسلامية فاذا تخلف أى شرط من هذه الشروط كان العقد باطلا أو على الأصح لم ينشأ عقد أصلا فالعقد فى الشريعة الاسلامية اما أنه عقد صحيح وملزم لجميع أطرافه وواجب الوفاء به واما أنه عقد باطل أو عقد غير موجود شرعا فلا يوجد فى الشريعة الاسلامية هذا النوع من العقود القابلة للابطال والتى تعتبر فى الشرائع الوضعية صحيحة الى أن يحكم القضاء ببطلانها فلا يعتبر عقدا فى الشريعة الاسلامية الا التراضى الصحيح المقترن بالشروط التى ذكرناها آنفا وهذا ما يتفق مع صريح القرآن « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .. » المائدة : ١ فكل ما هو (عقد له كيان شرعى) واجب الوفاء أما مالا يعتبر (عقدا) وان كان له كيان مادى وهو ما يوصف بالعقد الباطل فلا قيمة له وعلى ذلك يكون البطلان النسبى غير مأخوذ به فى الشريعة الاسلامية .

وقد تكلم الفقهاء عن ثمانية عشر عقدا هى الاجارة والاستصناع والبيع والكفالة والحوالة والوكالة والصلح والشركة والمضاربة والهبة والرهن والمزارعة والمساواة والوديعة والعارية والقسمة والوصايا والقرض .

وليس معنى ذلك أن العقود فى التشريع الاسلامى هى على سبيل الحصر فان ما ذكره الفقهاء من عقود انما كان قاصرا على العقود التى كان يقع بها التعامل فى زمنهم فقط وعلى ذلك لا يوجد ما يمنع من انشاء أنواع جديدة من العقود مثل عقود النقل البحرى والنقل الجوى والعقود المتصلة بأعمال البنوك والتأمين وغيرها وذلك لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « المؤمنون عند شروطهم » وحديث « كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل » فالقيد الوحيد على استحداث أنواع جديدة من العقود تفى بحاجة المعاملات فى العصر الذى نعيش فيه هو ألا تتضمن هذه العقود شروطا تتعارض مع أحكام القرآن وفيما عدا ذلك فالحرية مطلقة لاستحداث جميع أنواع العقود التى تفى بحاجة العصر بالنسبة للمعاملات .

وفيما يتعلق بتفسير العقد فالملاحظ أن الفقه الاسلامى ذو نزعة موضوعية بارزة فهو يعتد بالتعبير عن الارادة دون الارادة ذاتها أى يأخذ بنظرية الارادة الظاهرة ولا يأخذ بنظرية الارادة الباطنة فيجب الوقوف عند الارادة الظاهرة وما تضمنته من بواعث ووقائع ولا يصح البحث عن النوايا الخفية •

ولا يأخذ التشريع الاسلامى بأى تمييز بين أحكام العقد بسبب أطرافه فأحكام عقد البيع أحكام واحدة تسرى على كل بيع سواء كان هذا البيع بين تجار أو غير تجار أو بين الأفراد وبين الدولة ولذلك لا يأخذ التشريع الاسلامى بما جرت عليه بعض التشريعات الوضعية فى التمييز بين أحكام العقد الواحد بسبب صفات أطرافه وتقسيم العقود الى عقود مدنية وعقود تجارية وعقود ادارية •

ومتى نشأ العقد صحيحا شرعا فانه ينتج أثره فورا فاذا كان بيعا مثلا تملك المشترى المبيع على الفور واستحق البائع الثمن فلا يأخذ التشريع الاسلامى بما تأخذ به الشرائع الوضعية من أن العقد يرتب بين العاقدين مجرد حقوق والتزامات شخصية •

ويلتزم كل من المتعاقدين فى التشريع الاسلامى بتنفيذ ما تعهد به فى العقد تنفيذا عينيا ويجبر على ذلك بل ويعاقب جنائيا على عدم التنفيذ مادام التنفيذ ممكنا •

ولا تسقط الحقوق الناشئة عن العقد بمضى المدة أو بالتقادم مهما طال الزمن لقوله عليه الصلاة والسلام « لا يبطل حق امرىء مسلم وان قدم » •

هذه هى المعالم الرئيسية للتنظيم القانونى للعقود فى التشريع الاسلامى وننتقل بعد ذلك الى اجراء المقارنة بينها وبين أسس التنظيم القانونى الانجليزى لنتبين أوجه الخلاف والاتفاق بين النظامين •

فبالنسبة لانعقاد العقد لا يأخذ التشريع الاسلامى بالعقود الشكلية مهما كان موضوع العقد وأهميته فكل العقود فى الشريعة الاسلامية تنعقد بمجرد تبادل الايجاب والقبول وهذا أوفى بحاجات التعامل والحجج التى بنيت عليها الشكلية بالنسبة للعقارات

والهبات لا تستند الى دليل صحيح فان بعض المنقولات فى العصر الحديث تفوق فى قيمتها بعض العقارات آلاف المرات كما أن التروى فى ابرام أى عقد أمر مطلوب فى جميع العقود من تبرعات ومعاوضات وليس مطلوبا فى التبرعات وحدها •

وبينما يأخذ القانون الانجليزى فى تحديد وقت ومكان انعقاد العقد بنظرية العلم بالقبول فى التعاقد بين الحاضرين او بالتليفون وبنظرية تصدير القبول (ايداع القبول مكتب البريد أو التلغراف) فى التعاقد / بالمراسلة نجد أن التشريع الاسلامى يأخذ بنظرية العلم بالقبول فى كلا الحالين (التعاقد بين حاضرين أو بالمراسلة) وهذه النظرية تحقق استقرارا أكثر للتعامل وعدالة أكثر فالعقد فى القانون الانجليزى ينعقد بمجرد ايداع الرسالة مكتب البريد ويبدأ سريانه منذ هذه اللحظة ويسأل المتعاقد الآخر عن التأخير متى أثبت المرسل ايداعه للرسالة بينما تكون قد فقدت فى البريد ولم يتسلمها الموجب بالمرة وفى هذا نجد أن التشريع الاسلامى يفضل القانون الانجليزى أيضا فى هذه الناحية •

كذلك يختلف التشريعات بالنسبة لتنفيذ العقد ففى القانون الانجليزى يكون لكل من المتعاقدين حرية عدم تنفيذ التزامه ودفع التعويض فالتنفيذ بطريق التعويض يصبح بذلك هو الأصل ويصبح التنفيذ العينى هو الاستثناء أما فى التشريع الاسلامى فالتنفيذ العينى هو الأصل ويجبر كل من الطرفين على الوفاء بالتزامه وفاء كاملا بل ويعاقب فى بدنه ان لم يقم بالتنفيذ فالأصل التنفيذ العينى والاستثناء هو التنفيذ بطريق التعويض وفى هذا نجد أن التشريع الاسلامى أيضا أكثر تحقيقا للعدالة والاستقرار فى التعامل ولا يخفى أثر ذلك على سرعة التداول بين الناس فى المعاملات وما يصحب ذلك من ازدهار •

ويختلف التشريع الاسلامى عن القانون الانجليزى بالنسبة لبطلان العقود فبينما يأخذ القانون الانجليزى بما درجت عليه الشرائع الوضعية من تقسيم العقود الى عقود صحيحة وعقود قابلة للابطال (باطلة بطلانا نسبيا) وعقود باطلة بطلانا مطلقا نجد أن التشريع الاسلامى يقتصر على تقسيم العقود الى عقود صحيحة وعقود باطلة فالعقد اما أنه صحيح واجب

النفاذ واما أنه باطل أى معدوم ولا قيمة له ولا نفاذله وما يأخذ به التشريع الاسلامى أفضل بكثير مما درجت عليه الشرائع الوضعية بما فيها القانون الانجليزى من اعتبارها العقد القابل للابطال عقدا صحيحا ومنتجا لآثاره الى أن يحكم القضاء ببطلانه وهو وضع مذبذب فكيف نقول ان العقد صحيح وباطل فى نفس الوقت الى جانب ما يثيره الحكم بالبطلان من مشاكل عند اعادة كل من المتعاقدين الى مركزه الأصلى قبل التعاقد خاصة اذا كان كل منهما قد تعلل مع الغير استنادا الى هذا العقد القابل للابطال هذا فضلا عن فتح باب المنازعة وادعاء البطلان وأثر كل ذلك على تعطيل المعاملات •

ويختلف التشريعان فى تحديد سن الرشد فبينما نجده فى القانون الانجليزى محدد باحدى وعشرين سنة تجده فى التشريع الاسلامى لا يتجاوز الخامسة عشر •

ويتفق التشريعان فى عدم اجراء أى تمييز بين العقود بسبب شخصية أطرافها فلا يعرف القانون الانجليزى أيضا • تقسيم العقود الى عقود ادارية وعقود تجارية وعقود مدنية فأحكام عقد بيع البضائع أحكام واحدة سواء كان المشترى لهذه البضائع الدولة أو أحد التجار أو أحد الموظفين •

كذلك يتفق التشريعان فى الأخذ بنظرية الادارة الظاهرة عند تفسير العقد ولا يخفى على أحد مزايا الأخذ بهذه النظرية فى تحقيق استقرار التعامل وآثارذلك من الناحية الاقتصادية •

كما يتفق التشريعان فى عدم سقوط الحقوق الناشئة عن العقد بالتقادم مهما طال الزمن وهو أمر يحقق أكبر قدر من العدالة ويقضى على ظاهرة أكل أموال الناس بالباطل نتيجة وضع اليد او المماطلة فى الوفاء

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن التنظيم القانونى للعقود والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله حيث نبدأ الكلام عن المسئولية المدنية •

حسن حسب الله

أول أمير للحج

للأستاذ السيد حسن قرون

الحج ركن من أركان الدين الاسلامى الخمسة ، وله منزلة عظيمة فى طبيعة الاجتماع وفطرة التدين ، وقد كانت الكعبة وهى قبلة المسلمين لها مكانة القداسة والتجلة منذ ابراهيم واسماعيل اللذين خوطبا بقوله تعالى « أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » وقد كان أمر الله لابراهيم عليه السلام : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير • ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وكان رسول الله محمد بن عبد الله منذ هاجر الى المدينة يود أن يعيدها ـ كعهدها الأول ـ طاهرة نقية من الأوثان والأصنام ، عالية على الخرافات والاوهام ،وحينما كان الصراع عنيفا مخيفا بينه وبين قريش شاء أن يذهب اليها معتمرا سنة ست من الهجرة ، ووقفت قريش منه موقفا سيئا لامها عليه أنصارها ، اذ كيف تحول بين رجل مثله وزيارة الكعبة وقد ارتحل اليها ؟ وكان ما كان من صلح الحديبية ، وكان من شروطه:ان تقوم هدنة بين الرسول وقريش مدتها عشر سنوات ، وأن يزور محمد الكعبة فى العام القابل ، ومن أراد أن يدخل فى حلفه فله ما أراد ومن أرد أن يدخل فى حلف قريش كان له ذلك •

وأنا أسجل هذا الخبر لأبين الى أى حد كان شوق الرسول الى قبلة المسلمين ، ومناسك ابراهيم واسماعيل • لقد كانت الكعبة فى يد كفار قريش ، فتعنتوا مع الرسول وأصحابه ، لايرعون حرمتها ، ولايرضون حريتها ، ومن تعنت

قريش ماجرى (لسعد بن النعمان الانصارى) فقد وفد من المدينةمعتمرا فعدا عليه ابو سفيان فجسه بابنه (عمرو)الذى أسر فى غزوة بدر ولم يطلق سراح سعد بن النعمان الا بعد أن فك أسر عمرو بن ابى سفيان • وقد كان صلح الحديبية فتحا مبينا استطاع الرسول بهدنته أن يكتب الى الملوك والامراء فى جزيرة العرب وخارجها بدعوته العامة ، فذهبت رسله الى أمراءالعرب وكسرى الفرس ، وقيصر الروم والمقوقس عظيم مصر تؤدى عنه وكان أن نقضت قريش عهد الصلح ففتح الرسول مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأخذ البناء الاسلامى يرتفع مضيئا وضيئا فى سيره الطبيعى ، وتتضح صورة المجتمع الاسلامى ، واستقبل العام التاسع للهجرة أحداثا جساما ، وأعمالا كبارا ، فقد أسلمت ثقيف بالطائف وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم (تبوك) ولم يلق كيدا ، وجاءته وفود القبائل تبايعه وتؤمن برسالته فسمى عام الوفود وأخذت سرايا الرسول أبو سفيان والمغيرة فى هدم الطاغية بالطائف •

وآن لرسول الله أن يملك الكعبة بعد أن حطم أصنامها ، وأن يكون أمر الحج حسب سنته ، وأن يطارد الشر حتى يقضى عليه وأن تقوم الدولة الاسلامية بنقائها ونظمها واصلاحاتها الثورية فى الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد مبرأة من الجاهلية وتقاليدها البالية التى حاربها وانتصر عليها فى مواطن كثيرة ، وفى جهاد كبير بدأ بالقرآن ، ثم بالقرآن والسيف معا • ثم عزم على أن يقيم للناس حجهم فى هذا العام • قال (١) الرواة • بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ؛ ليقيم للناس حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم على عهد الجاهلية ، ومعنى هذا أن النظم القديمة ماتزال متبعة ، فالأمر يتطلب حسما للأمر ، وبيانا شافيا لما يتبع ، وأوامر يجب أن تصدر حتى يعرف كل مكانه بعد اليوم ، وحين فصل أبو بكر بمن معه من الحجيج

تحطم الأصنام فى كل مكان ، واشترك لم يكن فى ذهنه شىء الا أنه يؤدى

---

(١) سيرة ابن هشام — حج أبى بكر بالناس •

الحج هو ومن معه وكانوا ثلثمائة حاج ، ويبين للناس مناسكهم ، كانت الفرحة بادية على وجوه الجميع،فهاهم أولاء المسلمون يذهبون الى الحج ، ويسلكون الطرق المعروفة ، قد ذهب الخوف الى غير رجعة ، فقد دخلت قريش الاسلام ، فتبعتها معظم القبائل، وساق أبو بكر أمامه خمس بدنات لنفسه ، وعشرين بدنة لرسول الله قلدها وأشعرها بيده ، عليها ناجية بن جندب الأسلمى ، وسارت القافلة السعيدة يرفرف عليها علم الاسلام ، متجهة الى المسجد الحرام ، تلفهم الآمال العراض ، والأمانى الحسان . فلما كانوا (بالعرج) توقفت القافلة وانتظرت القادم الذى يهوى اليهم هويا ، ويفذ السير ويطوى الأرض طيا ، وعرف القادم ، انه على بن أبى طالب .

قالوا : لما نزلت (براءة) (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر فى طريقه الى مكة ـ قيل لرسول الله: لو بعثت بها الى أبو بكر . فقال (٢) : لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا عليا ابن أبى طالب . فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته . حمل على صدر براءة ثلاثين آية، وركب ناقة رسول الله (العضباء) وانطلق ليلحق أبا بكر ، وكان العرج الملتقى ، ومن أجل ذلك توقفت القافلة . فلما رآه أبو بكر قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ثم مضيا حتى بلغا الحرم ، فقام أبو بكر بما أمر به ، أقام للناس حجهم،والعرب كما هى على منازلها، كل قبيلة فى مكانها ، تغيير واحد أحست به ، وهو أن الحج يقوم به المسلمون ، وأمير الحج أبو بكر ، فلما جاء يوم النحر عرفت التغيير الكامل ، وأنه لامكان للجاهلية بعد اليوم ، قام على بن أبى طالب ، فأعلن ما أمره رسول الله به ، وتلا عليهم من سورة براءة ماحمله فى صدره . قال تعالى : « براءة من الله

---

(١) لها أسماء كثيرة منها التوبة والمبعثرة ، والشرودة ، والفاضحة ..

(٢) كتب السيرة والتفسير .

ورســـوله الى الذين عاهــدتهم من المشركين ، فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين • وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشــركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم» ومعنى هذا أن الله ورســوله قد برئا من العهــد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ اليهــم ، وأن لهــم الأمــان أربعــة أشهر يسيحون فى الأرض ثم يجب قتالهم الا أن يتوبوا ويؤمنوا بالله •

وتمضى الأيات متحدثة عن المشركين وعهودهم ، وأن من له عهد فهو الى مــدته من الذين لم ينقضوا العهــد مثل بنى ضمرة وبنى كنانة ، وتكشف الأيات عن نفسيات المشركين ، وأنهم لا عهد لهم ولا قرابة ، وأنهم آذوا الرســول وأخرجوه ، ويبطل أمــر الجاهليــة ابطــالا تامــا ، فالســقاية والحجابة والعمــارة أمور عفى عليها الزمن ، وليس للعبـــاس أن يفخر بالسقاية ولا لشيبة من بنى عبد الدار أن يعتز بعمــارة البيت ، فالعز كلــه للمؤمن التقى الذى يجعل المســجد لعبادة الله وحده •

« انما يعمر مســاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكــونوا من المهتــدين • أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لايســتون عند الله والله لايهدى القوم الظالمين » ثم يخاطب الله المؤمنــين مبينا واجبهم : « يأيهــا الــذين آمنــوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليكم حكيم » هنا اتضحت القضية ، وأعلنت الأحكام ولابد من التنفيــذ وتشير الآيــة الى التخــوف من الفقر بمنــع المشركين من الحج ، فيبين الله أن المــال ليس متوقفا على المشركين فهناك فضل الله من الغنائم والمطر والنبات وضروب التجارة فى ظل الاسلام ، وقدتحقق فضل الله عليهم حين قاموا بالفتوحات واشتغلوا بالتجارة والزراعة فــكانوا أنعم الناس •

وعلى هذا استقام الأمر ، فلم يحج بعد هذا العام كافر ، ولم يطف بالبيت

عريان . ثم أخذ أبو بكر وعلى يستعدان للسفر الى المدينة ليبلغا رسول الله ما قاما به وما أدياه فى الحج

واختيار أبى بكر وعلى لما قاما به تكريم لهما ، لما لهما من السبق الى الايمان ، والجهاد فى سبيل الله والاثر الحميد فى نشر الدين ومؤازرة الرسول ، والطاعة له ، وكفاحهما فضلا أن يقال عنهما : ان أبا بكر أول من أسلم من الرجال وثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وأن يقال عن على : انه أول من أسلم من الصبيان وأول من صلى مع رسول الله ، وانه بطل من أبطال الجهاد .

من هذا العام أصبح للحج أمير كل عام ، وكان تمهيدا لحجة عظيمة يكون رسول الله قائما بها ، وهى حجة الوداع أو حجة الاسلام كما يرى ذلك عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

وها نحن أولاء نذهب الى أداء فريضة الحج ، فنذكر تلك الأيام الجليلة من أيام الله ، فتنبض القلوب بالايمان وتهتز المشاعر بالتقوى ، ونسعد بالارض المكرمة حيث ذكريات ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وحيث مولد الهادى ومنزل الوحى وحيث يلتقى المسلم والمسلم على الحب والخير والايمان ، والعمل على رفعة الاسلام وأهله فنكون خير خلف لأعظم سلف .

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل مافعلوا

السيد حسن قرون

فلسفة التربية فى الإسلام

للأستاذ على القاضى

تمهيد :

لـو أننا نظـرنا الى الأديان والى الفلسـفات الانسـانية فى تاريخهـا الطويل لما وجدنا لها فكرة شـاملة عن القوى الانسـانية والكونية بـل لوجدناها تفرق بين القوى الروحيـة والقوى المادية تنكر احداها وتعترف بالاخـرى او تعترف بهما وبوجـود تصادم وخصام بينهما .

فالمسـيحية والبوذيـة والهندوكية ترى كل منهـا ان خـلاص الروح مرهون بكبت الجسد أو بافنائه أو على الأقل باهماله والكف عن لذائذه .

والفلسـفات المعـاصرة كالشيوعية والوجـودية تعنى كل منها بالناحيـة المادية وحدها وتنكر الناحيةالروحية انكارا تـاما .

أما الاسلام فله ايدلوجية أساسية خاصة فى مجال النظرة الى الله والكون والحياة والانسان والمجتمع وله منهج فكرى كامل شـامل للحياة ومـا فيها والانسان وصلته بالكون الذى يعيش فيه وبالله الاعـلى الذى خلقه وخلق الـكون .

فالله سبحانه وتعـالى خلق الكون وجعل الانسان خليفة له فى الأرض يؤدى رسـالته فى هذه الحياة طبقـا للنظـام الذى أراده الله ولا يصـح للانسان أن يدعى الأصالة فيضع لنفسه المنهج الذى يسـير عليـه أو يطلق العقل فيما لا مجال فيه للعقل ـ وهذا المنهج يحقق للانســان الاسـتقرار والاطمئنان ولا يوجد مجالا للخلاف بين النـاس أو عداوة بين فلســفات تظهر فى غيبة النظام الالهى . وهذا النظام كفيل بأن يسعد هـذا العـالم الحائر لو أنه حاول أن يستفيد منـه لكن الفلسـفات الحديثة لا تحـاول الاستفادة من الاسـلام بل هى تسعى جاهدة يعاونهـا الاسـتعمار فى ذلك

لاخراج الاسلام عن مقوماته النفسية والروحية والاجتماعية المنبثقة عن الاسلام ومحاولاتها مستمرة لغزو الفكر الاسلامى واخراجه عن قيمه ومناهجه بل لتدمير مقوماته وادخال مفاهيم أخرى للقضاء على استقلاله وذاتيته .

الكون واسراره :

هـذا الكون حافل بالأسرار عامر بالقوى المختلفة التى تتفاعل مع حياة الانسان والمسلم يعرف هـذا وهـذه المعرفة تجعلـه فاهمـا للكون الذى يعيش فيه عارفا لمكانتـه فيه بالنسبة لمن حوله ـ والله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسـان وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة له فى الأرض أعانه على أداء رسـالته فيهـا بتسخير أشياء كثيرة له فى الكون وبيان أشياء من الغيب هو فى حاجة اليهـا لأنهـا تعينه على أداء هذه الرسالة، وهو وحدة وبامكانياته المحدودة لا يسـتطيع أن يصل اليهـا لأنهـا خارجة عن دائرة حواسـه كمعرفة الملائكة والشـياطين والمنشأ والمصير وما الى ذلك .

وقد عرف هذا الجانب عن طريق الرسـل الذين أرسلهم الله سـبحانه وتعالى لهداية عباده .. وقـد اكتفى المؤمنون بما جاء به الرسل فى هـذا المجال وأحسـوا بعظمة الله سـبحانه وتعـالى وعرفوا موقف الانسـان فى الأرض من هذه العوالم والأرواح ثم شغلوا طاقاتهم العقلية فيما يعود عليهم بالفائدة ـ فى الكشف فى حدود هذه الأرض وما حولها واستعملوا هـــذه المعلومات فى عمارة الأرض والقيـام بخلافة الله فيها على هدى من الله .

والمسلم يرتبط دائما بربه فى كل أعماله ويرى أنه مهما أحرز من سبق فان ذلك كله بفضل الله وبهذا يتجه الى الحضارة وجهة ربانية يعرف أن قيمتها الكبرى تكمن فى دعم الايمان بالله ويسعى جاهدا الى تقوية الصلة به لأن الارتبـاط بالله والاسـتناد اليـه مصدر قوة عظمى تعين على المضى فى رحلـة الحيـاة وتفيض على القلوب أنسـا وراحة وهو فى هـذا المجال مطلوب منه ألا يشغل نفسه بغير ذلك « ولا تقف ما ليس لك بـه علـم ان السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » كما أنه فى مجال الشعـائر ، على الانسان أن يفهمهـا بالكيفية التى طلبها الله منه بلا جدال ولا مناقشة فالله الذى طلب اقامة هذه

الشعائر هو الذى حدد نظامها وكيفيتها فلا مجال فيها للعقل •

ولكن مجال العقل فى النظر والتجربة يكمن فىالكون الذى يراه الانسان ويحس به ومطلوب منه أن يفكر وأن ينظر وأنيجرب والا فانه ملوم على تقصيره « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

صلة الانسان بالله :

الكون الذى نعيش فيه مكون من طاقات مادية وطاقات روحية متصلة ومن وراء ذلك قوة الله سبحانه وتعالى تسيطر على ذلك كله ـ والانسان خلق لا يعلم شيئا ثم جعل الله له الاحساس والشعور بالتدريج ثم أعطاه الله قوة أخرى هى قوة العقل فهو يتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له السلطان على الكائنات فيسخرها ويذللها بعد ذلك بوساطة العقل• والانسان بعقله يصبح ذا طاقة ضخمة فهو على ضعف أفراده يتصرف بمجموعه فى الكون تصرفا لا حد له فقد أعطاه الله مواهب ليظهر بها أسرار خليقته ، أعطاه الأرض وسخر له ما عليها كما أعطاه شرائع حدد له حدودا لأعماله وأخلاقه ، هذه الحدود تحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض • والانسان المخلوق الضعيف يستطيع أن يتصل بالله الخالق القوى فى أى وقت يريد ، يتصل به فى الصلاة وفى الدعاء وفى كل عمل يستهدف به رضا الله سبحانه وتعالى ـ والله سبحانه وتعالى جعل الحياة بما فيها هى وحدها الطريق الى الآخرة والمسلم يحس بحقيقة الصلة بينه وبين ربه ، ويشعر بقدرته فى كل ما يحيط بالناس وكل ما يستمتع به مما سخره الله له وهو محض تفضل منه تعالى لأن الانسان لا يقدر على فعل شىء الا بارادة الله ـ وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشرى فى حالة يقظة حساسة لا تغفل مراقبة الله ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان ،فالايمان هو اتصال الانسان بالله وبالكون وبالنواميس وبالقوى الموجودة فيه،وقد عرف(وليام أوزلر) الطبيب الكندى المشهور ـ الايمان بالله بأنه (القوى الدافعة الكبرى التى لا يستطيع أن تزنها فى الميزان أو تختبرها فى الجفنة ولا يمكن أن يتم الاعتقاد فى وجود الله دون هذا الايمان) •

صلة الانسان بالكون :

المؤمن يحس بأن الكون صديق له وهو يتعامل مع الوجود كله ومن فيه وما فيه على أساس من التعارف والتعاون والألفة والمودة وهو لذلك يحس بالأمن والاطمئنان كما يحس بأن للحياة طعما غير ما لها فى نفس من لا يؤمن بالله، ذلك لأنه يعيش فى جو صديق، فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها والذى يقرأ سورة النحل يجد فى آياتها أنواعا من المخلوقات التى سخرها الله للانسان - وبذلك يدرك أن الله سبحانه وتعالى تولى رعايته ويؤمن بأن الناس الذين يعيشون معه فى هذا الكون اخوانه وهم جميعا مخلوقون من ذكر وأنثى ومتساوون أمام الله لا فرق بين انسان وآخر الا بالتقوى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ومن شذ عن هذا الطريق باسلوب أو بآخر أعيد الى الجماعة بالصلح أو بالقوة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) فان حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الأرض فسادا فلابد من موقف حازم معهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) وبذلك تكون الجماعة الاسلامية قوية متماسكة فتتفرغ لتحقيق رسالتها فى هذا الوجود ...

واذا كان هذا التعامل مع جماعة المؤمنين فان الاسلام أظهر الحكمة فى التعامل مع غير المسلمين لأن الهدف سام لا لتحصين الجماعة الاسلامية وحدها بل يستهدف أيضا المحافظة على مقدسات الأديان الأخرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) وهذا السلوك ضرورى لصلاح الضمير واستقامته وتنسيق حركته مع حركة الكون العامة ووضوح الارتباطات بين الانسان وخالقه وبين الانسان وبين الكون وما فيه وما يتبع هذا من تأثيرات أخلاقية وسلوكية واجتماعية وانسانية عامة فى كل مجال من مجالات الحياة .

الفرق بين الانسان وغيره :

والشىء الواضح الذى يميزالانسان عن غيره من الحيوان وجود الهدف والغاية عند الانسان فهو يعرف الغاية من الوجود الانسانى ومن وجود المخلوقات كلها من حوله ، وارتقاؤه فى سلم الانسانية ينبع من شعوره هذا ودقة تصوره لوجود الناموس والارتباط بالأحداث ، والمسلم لذلك لا يعيش عمره لحظة لحظة بل يرتبط فى تصوره بالزمان وبالمكان كله وبالوجود كله وقوانينه،ويرتبط بالتالى بارادة الله العليا المدبرة التى خلقت الناس لهدف واضح،فهو يعمل لتحقيقه وبذلك يدرك القلب البشرى على قدر ما يطيق حقيقته الألوهية وعظمتها فيعيش فى حساسية وخوف ورجاء ثم يحس بالوجود كله متجها الى خالقه فيتجه معه اليه مسبحا بحمده معترفا بقدرته ويحس بالراحة والاستقرار ويعمل على أداء رسالته فى هذه الحياة ومن هنا فقد طلب من المسلمين أن يؤمنوا بالله وبما أنزل اليهم على رسوله الأمين وبما أنزل الى الأنبياء جميعا بلا تفريق بين واحد وآخر (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) •

والانسان له الى جوانب الخواص المعروفة قلب يدرك به أمورا لاتستطيع الحواس أن تدركها يدرك الحقائق الباطنة فى هذا الكون (فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) والفيلسوف (ديكارت) يقرر أن للانسان حواس داخلية أو باطنية تدرك الحقائق الخفية فى الكون فى مقابلة الحواس الظاهرة التى تدرك بها الحقائق الظاهرة،والانسان يستطيع أن يستخدم فى حياته الثروات المختلفة كالحديد والنحاس والبترول ذلك ؛ لأن الانسان له فطرة التحضر التى تتطلب احتياجات • لا نجدها فى مكونات تلك الأرض من معادن وحجارة وغيرها ـ وقوانين الطبيعة فى ذهن الانسان وحده لوجود خاصية تلائم نظام القوانين ـ وقد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعض (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ومن هذه النواميس عقل الانسان ـ وبهذا التطابق تعمل جميع النواميس فى تناسق وتكامل ثم ان

الانسان يحس بأن عليه عمارة الأرض (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) أى طلب منكم عمارتها بالزرع والمصانع والأبنية اللازمة،فالله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم علمه ما ينظم صلته بواقعه وما تتحقق به مصلحته يقول(انشتاين) (ان الشعور الدينى الذى يجده الباحث فى الكون هو أقوى حافز على البحث العلمى وصنع الحضارة وان هذا الايمان عندى يؤلف معنى الله) . وللحضارة الانسانية جانبان : جانب مادى وجانب انسانى وهما متلازمان فى الحضارة الاسلامية أما فى غيرها فغير متلازمين والجانب المادى تقدم فكر وعلم وتجربة وصناعة ، والجانب الانسانى تقدم وجدان وخلق وسلوك - والجانب المادى يلفت النظر أكثر لأنه واضح ويملك التجريب والتدبير الا أن ضرره اذا سار وحده أكثر من نفعه - ودعوة الاسلام لذلك تقوم على العناية بالجانب المادى وبالجانب الروحى والتخلى عن الأنانية وقيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الاسلامية وحدها - والمجتمع الاسلامى ليس مجتمع عدد ولكن مجتمع قيم انسانية عليا - ومن هنا فان المسلم يتجه دائما الى الله يطلب منه العون والآية الكريمة (ففروا الى الله) توحى بالاثقال والقيود التى تشد النفس البشرية الى هذه الأرض ومن ذلك مطالب العيش والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرية وما الى ذلك . الأمر الذى جعل الآية الكريمة تطلب من المسلمين الفرار الى الله من هذه القيود الى الله وحده المنزه عن كل شريك .

وظيفة المسلم فى هذه الحياة :

وظيفة المسلم فى هذه الحياة ضخمة وأثره كبير فى هذا الوجود الكبير فهو جزء من هذا الكون والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ماسواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان .. انه سيد الكون كله وليس عبدا الا لله الواحد القهار - ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوء مشاعره وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع تصورهم للوجود الانسانى كله وبقدر ما يكشف لهم أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره - والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه فى أحسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه وجعل

الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض .

والاسلام بهذا يرسى القواعد الأساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ، ولا تعدد المذاهب ولا تنوع البيئات،فمن أقام بها وأداها كاملة فقد أدى وظيفته وحقق غاية وجوده ـ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة بعد أن نكل عن وظيفته الحقيقية ـ وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصيل الذى تستمد منه قيمتها الأولى ثم اذا به يسير الى الضياع الذى يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته ويتفلت من ناموس الوجود الذى يربطه به ويحفظه ويكفل له البقاء .

ووظيفة الانسان فى هذه الحياة تربط الجن والانس بناموس الوجود وهى العبادة لله .. ومن هنا يتبين أن معنى العبادة أعم وأشمل من اقامة الشعائر المعروفة اذ أن معناها يحقق خلافة الله فى الأرض وهى تقتضى ألوانا من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ثم تستخدم استخداما يحقق رسالة الانسان فى هذه الحياة..(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) فمعنى العبادة يتحقق فى استقرار معنى العبودية لله فى النفس وفى استقرار الشعور على أن لله خليفة ليعبده وجعله خليفة له فى الأرض فهو يتوجه اليه بكل حركة،فى الضمير وفى الجوارح وفى الحياة،وبهذا يتحقق معنى العبادة ويصبح كل عمل يعمله الانسان من اقامة الشعائر الى الجهاد فى سبيل الله الى اقامة العدالة بين الناس هدفه عمارة الأرض ، والقيام بخلافة الله والنهوض بتكاليفها حسب النظام الذى وضعه الله ـ ثم أن تصبح قيمة الأعمال التى يقوم بها الانسان مستمدة من بواعثها لا من نتائجها فالانسان عليه أن يعمل فى الاطار الذى رسمه الخالق ، وجزاؤه عند الله يكون بالنية والعمل (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) لا بالنتائج التى توصل اليها ولذلك يقول الله لنبيه (ان أنت الا نذير) ويقول (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) والمسلم يضع علاقته بربه على هذا الأساس ومع غيره فى موضعها الذى لا تتعداه

فهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا وهم مخلوقون مثله فهم عباده مثله وبذلك لا تتوزع طاقاته ومشاعره بين آلهة مختلفة ولا بين متسلطين عليه من بنى البشر ، والمسلم يتلقى تشريعات الله تلقيا خاصا ؛ لينفذ مهمته فى هذا الكون ويؤثر قانون الله على ما عداه ؛ لأنه هو الذى ينسق بين حركة البشر وحركة الكون العام وهو صادر من الله الذى خلق الكون وهو أدرى باحتياجاته ، والمسلم يعرف أن الحياة البشرية قائمة على أساس التفاوت فى مذاهب الأفراد ، وفيما يمكن أن يؤديه كل فرد والتفاوت فى مدى اتقان هذا العمل ، وهذا التنوع ضرورى لتنوع الأدوار المطلوبة للخلافة فى الأرض — فالتفاوت قاعدة ولكن نسبة التفاوت فى الرزق تختلف من مجتمع الى مجتمع (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) أما مبدأ الرزق فقد تكفل الله به (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها) ثم ان المسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى أنزل شريعة تفرق بين المسيئين والمصلحين فى جميع الأحوال وسيجازى الله كل نفس بما كسبت وفى ذلك تحقيق العدالة للناس أجمعين .

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) . والاسلام يريح المسلم من الأسئلة التى لا يستطيع أن يجيب عنها ولا يجد من آية فلسفة اجابة شافية عليها مثل من أين جئت ؟ ولماذا جئت ؟ والى أين أذهب ؟ وهذه الاجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته فى هذا الوجود .

والمسلم بعد هذا كله له شخصية مستقلة وهو مسئول عن نفسه وعن عمله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

الاسلام دين الوحدة :

الاسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا وبين توحيد الله والأديان جميعا (ان هذه أمتكم أمة واحدة) وعن تلك الوحدة تصدر تشريعاته وبذلك تتبين لنا أسس التربية الاسلامية التى تتناول الضمير والوجدان والسلوك والقيم ومن هنا فان الحياة فى نظر الاسلام حياة تراحم وتواد وتعارف

وتكامل بين المسلمين وبين جميع أفراد الانسانية ـ وحين تطبق هذه الحقيقة تطبيقا كاملا فانها تؤتى ثمارها وذلك حين توجد العقلية الواعية الفاهمة التى تطبقها على الأساس الذى أراده الله فتعمل على اقامة حضارة اسلامية عمادها نشر العدالة والأمن والطمأنينة وتستخدم ما فى الأرض من خيرات وثروات وعلم وموهبة ؛ ليكون لها دورها فى اقامة هذه الحضارة (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فالنفس الراضية المطمئنة الى الايمان الحقيقى لاتستريح الا فى الدأب لمعرفة أسرار الكون وسننه كيما تزداد بالله اتصالا ، وسبيلها الى هذه المعرفة البحث والنظر فى خلق الله بما فى الكون نظرا علميا دعا اليه القرآن ، والغاية فى الاسلام ترمى الى حسن العرفان بالله عرفانا كلما ازداد زدنا ايمانا به جل شأنه والتى ترمى الى حسن العرفان من جانب الجماعة كلها لا من جانب الفرد وحده والمسلم دائما يلتمس العون من الله ، واتجاه الانسان اليه يعليه درجة للاهتداء الى أسرار الكون وسفن الحياة (واستعينوا بالصبر والصلاة) على حين ترمى فى الغرب الى الاستفادة المادية من الكون .

والوحدة الكونية التى يحس بها المسلم تفيد السلام الدائم بين الانسان ونفسه وبين الانسان والكون وهذا السلام يطلق للروح نشاطها كما يطلق للجسد نشاطه ثم يوجد هذا النشاط ويتجه به الى الخير والصلاح يتجه به الى عمارة الكون والى تحقيق خلافة الله فى الأرض . وهذا السلام لا يعتمد على حساب الروح ولا على حساب الجسد كما لا يعقد على حساب الفرد ولا على حساب الجماعة وفى الوقت نفسه لا يعقد على حساب طائفة من الناس أو جيل من الأجيال وهكذا ينطلق نشاط الفرد كما ينطلق نشاط الجماعة لبناء الحياة وانمائها .. وكل هذا يتم حين يعيش الانسان بوجدانه وذهنه فلا يكون فى هذا الكون الا التفكير المتمشى مع ما أراده الله ولايجد فيه الا الطاقات الايجابية لله ولا يرى نفسه الا منفذا لمشيئة الله (وما تشاءون الا أن يشاء الله) ويترتب على هذا ان صلة الانسان بالله هى صلة مباشرة بلا وساطة من انس أو جن أو غير ذلك (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) حتى الذين أساؤا الى أنفسهم وأسرفوا فى الاساءة لا ينبغى أن يقنطوا من

رحمة الله بل ان البـاب مفتوح على مصراعيه لمن أراد العودة الى الله (قل ياعبـادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنـوب جميعـا انـه هـو الغفـور الرحيم) •

خاتمة :

حين ننظر الى الكون الذى نعيش فيه نجد أن مشاغل الحياة ظلت تظهر فى مخـيط الحس الى أن تغطى على الحاسة الباطنة فاذا بالانسان لا يرى الا الحس • والاسلام قد عالج هذه النـاحية بأن جعل له منهجـا تربويا يحرص فيه على ربط الانسان بخالقه وتذكيره دائما به ، وبالتدبر في مخلوقات الله وفى انعـامه عليـه (أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبـل ولم يك شيئا) كما عالجها بأن عمل على أن يقى الحاسة الباطنة من موجات هذه الأهواء والشهوات التى تهب كالأعاصير فأمر أن يقى الانسان حاسته الباطنة موجات هذه الشهوات ومن هنا كان معنى التقوى استمرار المدافعة •

يستطيع الانسان أن يقى نفسـه هذه الموجات المتوالية القاسية فتصبح حاسـته سليمة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) •

وتعلق الانسان بعقيدته راسخـة معنـاه الاستقرار الفـكرى ومنـع الاضطراب والتقلب والتردد (أفمن يمشى مكبا على وجهـه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) •

واذا كانت الفلسفات الحديثة لم تصـل الى هـذا المسـتوى من الفهم والادراك والتعمق فى معرفة الله فان (هكسلى) وهو واحد من أكبر علمائها فى هذا المجال قال (ما علينـا الا أن نكون متواضعين ونسلم بأن فكرتنا عن الله فكرة لاتزال الى حـد كبير غير كاملة وأن هناك الاها أكبر بكثير من فكرتنا ومعارفنا الحاضرة عن الله وان هذا الاله لم يكتشف بعد) كمـا أن (هارى أرسون) فى كتابه : كيف تكون رجلا يقول (انه ما من انسان يستطيع أن يكون غير مؤمن فقد ركب الانسان من النـاحية النفسانيـة بحيث أصبح مضطرا الى الايمان بالله أو بغيره فمتى فات الايمان الايجـابى فان السـلبى يحل محله ويتعلق بالآراء التى تجعل منا عبيدا للحياة لا سادة لهـا) وقوة الفلسفات الحـديثة التى تنكر وجود الله ليس فى ذاتها بل بتكرار الدعوة اليها وقوة القانون فى السلطة القائمة على تنفيذه والخصومة المذهبيـة طابع

الفلسفات الحديثة وسبب اختلاف القوانين كون الانسان محدودا ومحدودية الانسان تجعل عيوب القوانين كثيرة ، وطبيعة الانسان فى الفلسفة والقانون سبيل الى عدم العصمة وهى بالتالى سبيل الى التراخى فى التنفيذ والطاعة .

لكن فلسفة التربية الاسلامية تجعل ضمير الانسان يقظا ولذلك فان ضمير المسلم بمثابة السلطة الذاتية على عكس القانون الوضعى ، والانسان فى تربيته الاسلامية يحس بأنه ليس وحده فى هذا الكون الفسيح فان من حوله وفى كل اتجاه وحينما امتد به النظر أو طاف به الخيال اخوان له من خلق الله مختلفون فى الصور والأشكال ولكنهم يتجهون الى الله ويسبحون بحمده وان كان لا يفهم تسبيحهم وهو فى النهاية خليفة الله فى الأرض يحق الحق ويبطل الباطل ويشعر بأن الكون صديق له ومعينه على أداء رسالته فيعيش آمنا مطمئنا وهو فى الأرض ولكن قلبه معلق بالسماء .

على القاضى

دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل

للدكتور إبراهيم دسوقى الشهاوى

اتفق الفقهاء على أن تطهير الأيدى والأرجل من فرائض الوضوء . ثم اختلفوا فى دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل عند تطهيرها فى الوضوء على قولين :

القول الأول : تدخل المرافق فى الأيدى والكعبان فى الأرجل فلا يتحقق تطهير الأيدى الا بتطهير المرافق معها كما لا يتحقق تطهير الأرجل الا بتطهير الكعبين معها . ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء .

القول الثانى :لاتدخل المرافق فى الأيدى ولا الكعبان فى الأرجل فيتحقق تطهيرالأيدى دونالمرافق كما يتحقق تطهير الأرجل دون الكعبين ذهب الى ذلك زفر وبعض الظاهر .

استدل أصحاب القول الأول على دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل .
بالكتاب والسنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى فى آية الوضوء...وأيديكم الى المرافق .. وأرجلكم الى الكعبين ، ووجه الدلالة أن « الى » فى الآية وردت فى اللغة بمعنى « مع » ووردت بمعنى « لغاية» فان كانت بمعنى «مع» أفادتدخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل بالنص ، وان كانت بمعنى « الغاية » أفادت أيضا دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل لأن الحد يدخل فى حكم المحدود اذا كان من جنسه ؛ كقولهم « بعت الأشجار من هذه الشجرة الى هذه الشجرة » فان كلا من الشجرتين داخل فى البيع بلا شك . والمرافق من جنس الأيدى والكعبان من جنس الأرجل لأن اليد اسم شامل لما بين أطراف الأصابع الى الابط واسم الرجل الشامل لما بين أطراف الأصابع الى الفخذ . واذا ثبت أن المرافق من جنس الأيدى والكعبين من جنس الأرجل ثبت دخول المرافق فى

الأيدى والكعبين فى الأرجل فيجب تطهير المرافق عند تطهير الأيدى كما يجب تطهير الكعبين عند تطهير الأرجل بنص الآية بناء على أن «الى» فى الآية بمعنى « مع » أو بظاهرها بناء على أن « الى » بمعنى « الغاية » •

وأما السنة : فما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع فى العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع فى العضد ثم مسح رأسه • ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع فى الساق • ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع فى الساق ثم قال : « هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ » •

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله « حتى أشرع فى العضد » وقوله « حتى أشرع فى الساق » صريحان فى دخول المرافق فى اليدين ودخول الكعبين فى الساقين فلو لم يكونوا داخلين فى المأمور به لما فعل ذلك أبو هريرة • ولكن فعله دليل على دخولها لأنه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم • بدليل قوله « هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ » وفعل النبى صلى الله عليه وسلم بيان للمأمور به •

واستدل أصحاب القول الثانى : على عدم دخول المرفقين فى الأيدى والكعبين فى الأرجل بقوله فى أية الوضوء « •• وأيديكم الى المرافق•• وأرجلكم الى الكعبين » •

ووجه الدلالة : أن « الى » للغاية فلا يدخل ما بعدها فيما قبلها • والله تعالى قد أمر بغسل الأيدى الى المرافق والأرجل الى الكعبين فجعل المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل غاية للطهارة ودل عليها بلفظ « الى » وذلك بمقتضى أن المرافق لا تأخذ حكم الأيدى والكعبين لا يأخذان حكم الأرجل فى التطهير كما فى قوله تعالى « وأتموا الصيام الى الليل » فان الصيام ينتهى بأول الليل فالغاية خارجة فيه باتفاق فكذلك المرافق والكعبان غاية فلا تدخل المرافق فى الأيدى والكعبان فى الأرجل •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن قولكم « ما بعد الغاية لا بدخل فيما قبلها » ليس على اطلاقه بل ما بعد الغاية يدخل فيما قبلها اذا كان من جنسه والمرافق من جنس الأيدى فتدخل فى حكم اليد والكعبان من

جنس الأرجل فيدخلان فى حكم الأرجل فيجب غسل المرافق والكعبين عند غسل الأيدى والأرجل فى الوضوء ولو سلمنا أنها لا تدخل وضعا فانها تدخل فى هذه الآية بقرينة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا للمأمور به •

القول الراجح : والقول الراجح هو القول الأول الذى يوجب دخول المرافق فى الأيدى والكعبين فى الأرجل لقوة دليله ولما فى تطهير المرافق والكعبين من الاحتياط الذى يوجب الخروج من العهدة بيقين كما فى مقدمة الواجب •

الدلك فى الوضوء

المراد بالدلك فى الوضوء امرار اليد على أعضاء الوضوء مع اسالة الماء عليها وقد اختلف الفقهاء فى حكمه فى الوضوء على قولين :

القول الأول : أنه فرض من فرائض الوضوء فحقيقة الوضوء لا توجد بدونه •ذهب الى ذلك المالكية •

القول الثانى : أنه ليس بفرض من فرائض الوضوء فحقيقة الوضوء توجد بدونه ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء •

استدل أصحاب القول الأول : على أن الدلك فرض من فرائض الوضوء بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » •

ووجه الدلالة : أن الغسل معناه فى اللغة اسالة الماء على الجسم مع امرار اليد عليه • والدلك امرار اليد على الجسم فيكون الدلك جزءا من مفهوم الغسل والغسل مأمور به بقوله تعالى « فاغسلوا » فيكون الدلك واجبا كأسالة الماء على العضو لتحقيق الغسل المأمور به •

وأما السنة : فما رواه أحمد عن عبد الله بن زيد : « أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول : هكذا يدلك » •

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن فعل النبى صلى الله عليه وسلم الدلك امتثال للأمر فى قوله تعالى « فاغسلوا » فيكون الدلك واجبا •

واعترض على هذا الاستدلال بهذا الحديث : بأن الفعل المحكى عنه صلى الله عليه وسلم لا يدل على الوجوب وانما يدل على المشروعية ولا خلاف فيها •

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن الفعل المحكى عنه صلى الله عليه وسلم وقع بيانا للغسل المأمور به فى قوله تعالى « فاغسلوا » فيكون واجبا •

واستدل أصحاب القول الثانى على أن الدلك ليس بفرض من فرائض الوضوء بالكتاب والسنة •

أما الكتاب : فقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » •

ووجه الدلالة من الآية أن الغسل معناه فى اللغة اسالة الماء على الجسم • والدلك امرار اليد على الجسم فالغسل يتحقق باسالة الماء على الجسم ••• ومنه قول العرب « غسله العرق اذا عمه » وبهذا يظهر أن الدلك ليس جزءا من مفهوم الغسل فلا يكون واجبا •

واعترض على هذا الاستدلال : بمنع أن الغسل معناه – فى اللغة – اسالة الماء على الجسم وقول العرب « غسله العرق اذا عمه » مجاز باستعمال « غسل » فى معنى أسال ولا يصار اليه فى الآية الا لقرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ولا قرينة هنا • ولو سلمنا أن الغسل فى اللغة الاسالة – أيضا – فيكون مشتركا لفظيا حقيقة فى الاسالة مع الدلك وحقيقة فى الاسالة فقط • والمشترك يرجع فى بيان المراد منه الى القرينة• والقرينة على المراد منه فى الآية فعل الرسول صلى الله عليه وسلم • فقد روى عن عبد الله بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فجعل يقول : هكذا يدلك » فيحمل الغسل عليه فيكون الدلك واجبا •

وأما السنة : فان كل من حكى صفة وضوء النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فيه دلكا ولو كان واجبا لفعله ولنقل عنه لتوفر الدواعى على نقله ، وحيث لم ينقل الدلك عنه صلى الله عليه وسلم دل ذلك على عدم فعله وعدم فعله دليل على عدم وجوبه •

واعترض على هذا الاستدلال : بأن عدم نقل الدلك فى وضوء النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس ليسوا فى حاجة الى نقله ماداموا مجمعين على أنه كان يغسل الأعضاء ومن ضرورة الغسل الدلك .

القول الراجح : الراجح ما ذهب اليه المالكية من القول بأن الدلك فرض من فرائض الوضوء لقوة دليله ولما فيه من التنظيف وتحسين الهيئة الظاهرة للأعضاء للقيام بين يدى الله ولما فيه من التأكد من وصول الماء الى البشرة ودفع توهم وجود حائل يمنع وصول الماء اليها ولو كان الحائل خفيفا .

د. ابراهيم دسوقى الشهاوى

هذا البيت الذى نحجه ونستقبله فى كل صلاة

للأستاذ محمود محمد رسلان

يتشوف المسلمون جميعا لأداء فريضة الحج ، وزيارة بيت الله الحرام ، وما أن تهل أشهر الحج حتى تتعلق القلوب ، وتثار المناقشات حول هذه الفريضة المقدسة التى يشترك فيها القلب ، والبدن ، والمال ، وربما انفردت بهذه الخصوصية دون غيرها ، وما أن يعزم المسلم على أداء هذه الفريضة حتى يبدأ فى الاحرام ، فيتجرد من المخيط والمحيط ، ومن كل أنواع الزينة ، والترف والرياء ، وتبدأ هذه الفريضة بطواف القدوم كما تختم بطواف الوداع ، وعلى المسلم وهو يولى وجهه شطر المسجد الحرام أن يعرف نبذة عن تاريخ الكعبة بيت الله الحرام ، وما اكتنف هذا البيت من رعاية وتقديس حتى يزداد له تعظيما ولخالقه اكبارا ؟ فمكانته قديمة قدم الانسانية ، وقد تحدث القرآن عنه ، وكذلك السنة المطهرة ، فرسخت عظمته فى القلوب ، وتعلقت به ، وتوجهت اليه فى صلاتها ، ونستصحب التاريخ الى الوراء لنرى مكانة هذا البيت وما كتب عنه .

فقد قال الله فيه : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا» آل عمران ٩٦ ، ٩٧

وقال سبحانه : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » البقرة ١٢٧

ابراهيم عليه السلام وأهله عند البيت

صحب ابراهيم عليه السلام زوجه سارة ، وابنه اسماعيل حتى وصلا الى البيت الحرام ، يذكر البخارى فى صحيحه عن ابن عباس فيقول « ...ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها

اسماعيل وهى ترضعه ، حتى وضعها عند البيت دومة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعها هناك ؛ ووضع عندها جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قضى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : ياابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شىء ؟ ! فقالت له ذلك مرارا ؛ وجعل لا يلتفت اليها ؛ فقالت له : آلله الذى أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : اذن لا يضيعنا . ثم رجعت ؛ فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه وقال : « رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ابراهيم ٣٧ وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ونظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ؛ ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما ؛ فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت صه . تريد نفسها ثم تسمعت ، فسمعت أيضا فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث ، فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم: يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال : فشربت ، وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك :لاتخافوا الضيعة ، فان هاهنا بيتا يبنى هنا الغلام وأبوه ؛ وان الله لايضيع أهله ... ثم لبث ــ ابراهيم عنهم ماشاء ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له له تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال ياسماعيل : ان الله أمرنى بأمر أن ابنى هنا بيتا ؛ وأشار الى أكمة مرتفعة على ماحولها ، قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى

اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان «ربنا تقبل منا انك السميع العليم»(١) قال سبحانه « واذ بوأنا لا ابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » (٢) وقال « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » (٣) .

اطوار بناء الكعبة :

وبعد أن أتم ابراهيم بناء البيت أذن فى الناس بالحج كما أمره الله ؛ ثم وقعت الكعبة فى يد الجراهمة ؛ فظلت فى أيديهم زهاء ألف سنة ثم انتقلت بعد ذلك الى ايدى بنى خزاعة الذين أقاموا عليها أكثر من مائتى سنة ، وكثيرا ما كانت تدمر بسبب السيول التى تجتاحها ، ثم أعاد بناءها قصى بن كلاب الذى جعل لها سقفا وكانت حتى زمنه مكشوفة لا سقف لها وفى خلال هذه القرون الطويلة تطورت العبادة فى الكعبة حتى أصبحت موئل الأصنام ، وعبادتها ، بعد أن كانت بيتا لعبادة الله جل وعلا ويذكر المؤرخون العرب أن عمرو بن لحى الخزاعى كان أول من أدخل الأصنام الى بلاد العرب ؛ وأنه جلب أول صنم اليها وهو هبل من مدينة هيث فى العراق ، ومن ذلك الوقت أصبحت الكعبة مجمعا لكل القبائل ومقر أصنامهم ، وكان قصى أول من بنى حول الكعبة بيوتا ، ولم يترك بين البيوت والكعبة الا قدر المطاف ، وأشرف قريش على الكعبة بعد قصى فأصابها حريق فأعاد بناءها ..واقاموا بداخل البناء ستة أعمدة ليعتمد عليها السقف ثم وضعوا تمثال هبل الى جدار فى داخل الكعبة .

الكعبة قبل البعثة وبعدها :

وقبيل البعثة النبوية أصاب الكعبة سيل أوهن جدرانها فهدمها القوم بعد تردد ثم أعادوا بناءها حتى اذا وصلوا الى مكان الحجر الاسود اختلفوا ،

---

(١) صحيح البخارى ١٧٢/٤

(٢) الحج ٢٦ ، ٢٧

(٣) سورة البقرة .

وكادت تنشب حرب أهلية بينهم لولا أن احتكموا الى أول داخل من باب الصفا؟ فكان محمدا فرأى بحكمته أن يفض النزاع فوضع الحجر الأسود على ثوب ، ثم كلف رؤساء القبائل برفعه ثم وضعه فى مكانه بيده ...

وبعد أن فتح الله مكة طهر النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة من كل أثر للوثنية ، فحطم الأصنام ، وطمس الصور ، وهو يتلوا قول الله سبحانه « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ثم أعاد الى الكعبة نقاء التوحيد ...

وفى سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠) م هطل مطر عظيم ارتفع حتى وصل الى الكعبة وأوهن بناءها ، وتساقطت أحجارها ، فهلع الناس واضطربوا ، وأرسل والى مصر اذ ذاك محمد باشا الألبانى جماعة من المهندسين — والمعلمين — المصريين ، فهدموا بقية الجدران وابتدأوا يبنونها عمارة جديدة ؛ وربطوا الحجر الأسود بسوار من الفضة لأنه كان قد تصدع ، ولما فرغ القوم من بناء الكعبة كتبوا محضرا وأرسلوه الى مصر فيه شهادة المكيين بحسن عمارة البيت ، وبناء الكعبة القائم الآن هو البناء الذى شاركت فيه مصر بالحظ الأوفر وأنفقت من ميزانيتها بعد أن أرسلت جميع ما يلزم من أدوات العمارة ، ستة عشر ألفا من الجنيهات لاتمامها .. (١) .

ولعلك أيها القارىء الكريم — قد استصحبت معك نبذة عن تاريخ البيت ؛ وحفظ الله له على مر الزمن ليظل مثابة للناس وأمنا وقبلة للمسلمين وسكنا ، تعال لنستشرف بعض مشاهد الحج لتتم الفائدة :

دوى فى سمع الزمان نداء الخليل ابراهيم « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم(٢) فلبى ويلبى هذا النداء كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة ، ثم ان الحاج يؤدى المناسك طائعا مختارا وفى أدائه لها يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال : « خذوا عنى مناسككم » وأول هذه المناسك :

---

(١) عصر ما قبل الاسلام — محمد مبروك نافع بتصرف .
(٢) الحج (٢٧) .

الاحرام : فيقول نويت الحج ثم يلبى والتلبية يقول عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : « ياآل محمد، من حج منكم فليهل فى حجه أو حجته » (١) والتلبية أن يقوم كما قال صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك،ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

الطواف بالبيت :

ويشترط فيه الطهارة ، وستر العورة ، وأن يكون سبعة أشواط كاملة ، يبدأ بالحجر الأسود وينتهى اليه ، وأن يكون البيت عن يساره ، وأن يكون الطواف خارج البيت ، وأن يوالى فى سعيه ، وأن يدعو بهذا الدعاء : «بسم الله ، والله أكبر، اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة النبى صلى الله عليه وسلم » ، ويستحب صلاة ركعتين بعدأشواط الطواف عند مقام ابراهيم لقوله تعالى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » .

السعى بين الصفا والمروة :

الأصل فيه ما ذكر آنفا من قصة اسماعيل وبئر زمزم ، أما حكمه فالسعى ركن (٢) من أركان الحج لقوله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » ، ويستجب الدعاء بينهما بدعاء رسول الله صلى‌الله عليه وسلم: « رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم » .

الوقوف بعرفة والمشعر الحرام :

روى فى فضلهما أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تئوب فقال : يابلال أنصت لى الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأنصت الناس فقال : معشر الناس ، آتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأنى من ربى السلام ، وقال ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يارسول الله هذا لنا خاصة ؟ قال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة . فقال عمر رضى الله عنه ـ كثر خير الله وطاب.

---

(١) رواه أحمد ، وابن حبان .

(٢) عند مالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم انظر السيد سابق فقه السنة جـ ٥

وحكمة الوقوف : أنه ركن الحج الأعظم ، ووقت الوقوف يبدأ من زوال يوم التاسع الى طلوع فجر يوم العاشر ، وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء من الليل (١) .

رمى الجمار :

حكمه الوجوب ، وأما حكمته فلما روى أن النبى صلى الله عليه قال لما أتى ابراهيم عليه السلام المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض قال ابن عباس رضى الله عنهما : الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون .

الهدى :

هو كل ما يهدى من النعم الى الحرم تقربا الى الله سبحانه لقوله تعالى : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ـ الى قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (٢) .

الحلق والتقصير :

الحلق ازالة شعر الرأس بالموسى ونحوه ، والتقصير أن يأخذ من شعر الرأس ولو قيد أنملة ؛ وحكمه الوجوب ، ووقته بعد رمى جمرة العقبة يوم النحر .

حكمة المناسك :

وقبل أن نختم الحديث عن مناسك الحج بطواف الوداع نشير الى بعض الذين خفى عنهم حكمة هذه المناسك فيصفوها بأنها من مظاهر الوثنية القديمة . يقول صاحب مجلة الشهاب عليه رحمة الله :

« وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة ، والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم ، هذه الفرصة ، فيغمزون الاسلام بأنه لايزال متأثرا ببقية من وثنية العرب، وان الكعبة والطواف من حولها ، والحجر الأسود ، واستلامه ، وما يحيط بذلك من معانى التقديس

---

(١) فقه السنة جـ ٥

(٢) الحج : ٣٦ ، ٣٧

والتكريم ، ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثر ، وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أويستلم الحجر ، يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ، ولكنه يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع ، معنى الأخوة الانسانية الشاملة ، والوحدة العالمية الجامعة ، ويذكى ذلك قول الله العلى الكبير « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (١) ، « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، واذا غابت حكمة المناسك عن بعض الناس فان هناك من وصفها وصفا ، فان لكل عمل من أعمال المناسك سرا وحكمة ينبغى للمسلم أن يتنبه اليها وهو يؤدى هذه الأعمال فما الاحرام فى حقيقته ، وهو أول المناسك الا التجرد من شهوات النفس والهوى ..

وما التلبية الا شهادة على النفس بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة ، والامتثال ، وما الطواف بعد التجرد الا دوران القلب حول قدسية الله ؟ صنع المحب مع المحبوب المنعم ، الذى ترى نعمه ، ولا تدرك ذاته ، وما السعى بعد هذا الطواف الا التردد بين علمى الرحمة التماسا للمغفرة والرضوان ، وما الوقوف بعد السعى الا بذل المهج فى الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية ؟ وأيد مرفوعة بالرجاء ، وآمال صادقة فى أرحم الراحمين .

وما الرمى بعد هذه الأعمال التى تشرق بها على القلوب أنوار ربها ، الا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر ، ألا وهو رمز مادى لصدق العزيمة فى طرد الهوى المفسد للقلوب .

وما الذبح ، وهو الخاتمة فى درج الترقى الى مكانة الطهر والصفاء الا اراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بناء الفضيلة .. هذا هو معنى الحج فى حقيقته ، والعبادات كلها وان اختلفت صورها ، تلتقى عند غاية واحدة ، هى تحقيق معنى العبودية لله والاخلاص فى طاعته ، والتوجه اليه

(١) المائدة ٩٧ ، العبادة فى الاسلام د. يوسف القرضاوى ص ٢٦٤ ،

وحده والاستعانة به وحده والتخلص من سلطان الأثرة البشرية المظلمة (١).

طواف الافاضة والوداع :

ونختتم هذا الحديث بطواف الافاضة والوداع.أما طواف الافاضة فهو ركن من أركان الحج - اذا ترك بطل لقوله تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » ووقته يبدأ من طلوع فجر يوم النحر ويمتد وقته الى آخر شهر ذى الحجة أما طواف الوداع : فهو آخر ما يفعله الحاج اذا أراد مغادرة مكة لفوره؛ وحكمه أنه سنة :

قال صلى الله عليه وسلم : «لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت » (٢) .

فهنيئا لزوار بيت الله الطائفين العاكفين - جعلنا الله منهم انه سميع مجيب .

محمود محمد رسلان

---

(١) المرحوم الشيخ محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٤٠، ١٤١ بتصرف .

(٢) فقه السنة جـ ٥

الأعياد بين الجاهلية والإسلام

للدكتور السيد رزق الطويل

العيد معنى عظيم يرتبط بيوم من أيام العام ؛ ولذا فهو يتكرر ويعود ، وفيه يذكر الانسان قيمة يعتز بها ، ويتيسر له في ظلالها جانب من اللهو والمتاع .

وهو بهذا ضرورة انسانية واجتماعية ؛ اذ لابد للانسانية فى رحلتها الطويلة والعسيرة فى صحراء الحياة من واحات تستريح عندها ، وتتفيأ فى ظلالها وتنسى بين الماء والثمر مكابدة السير ، وعثاء الطريق .

ومن هنا كانت معرفة الانسان بالعيد قديمة قدم وجوده ، وعريقة عراقة حضارته ، فاختلس الانسان منذ قديم هذه الأيام من عمر الزمن يتخفف فيها من الأعباء ، ويتناسى المتاعب والآلام ، ويسترخى ذهنيا وجسميا أمام مشاق العيش ومسئوليات الحياة .

والدارس لتاريخ الأعياد فى حياة الانسان ، الباحث عما وراءها من بواعث تعزز وجودها ، وتدعم كيانها ، وتشرب قلوب بنى الانسان محبتها ، وتقديسها يجد أن وراءها مثلا يحترمها ، وتختلف هذه المثل سموا وضعة باختلاف موقف الانسان من دين الله الذى ارتضاه للناس .

فالوثنيون كانت أعيادهم مرتبطة بأوثانهم ، وكانت كثيرة ومتعددة ، ولكل قبيلة وثن ، ولكل وثن عيد ، وهناك أوثان لها شهرة ذائعة فعيدها عيد للقبائل جميعا .

ويحدثنا القرآن الكريم عن يوم الزينة الذى حدده فرعون ميقاتا ، يتبارى فيه سحرة مصر مع نبى الله موسى ، وهو واحد من الأعياد الكثيرة التى عرفها المصريون القدماء .

وأعياد الوثنية بصفة عامة ترتبط بقيمة أدنى ، كصنم ، أو نصب ، أو قبر رجل صالح ، أو أثر خلفه بشر ، ولها طابع الكثرة والتعدد الذى تستحيل معه حياة البشر الى فراغ • حتى من اهتدوا برسالات السماء من أهل الكتاب انحرف عندهم معنى العيد ، فكثرت أعيادهم لمناسبات ابتدعتها أهواؤهم ، وارتبط معظمها بقيمة أدنى •

وعندما جاء الاسلام يهدى البشرية للتى هى أقوم ، ويجدد شباب الرسالات السماوية التى عبثت بها يد البشر كان فى حسابه وفى منهجه التسامى بمعنى العيد ، الى مستوى أرفع وأفضل مما عليه الناس بحيث يؤدى رسالته السامية فى الناس وفى المجتمعات •

وفكرة العيد – وهو ضرورة اجتماعية – راودت جماهير المسلمين بعد الهجرة ؟ اذ ذكروا للنبى عليه الصلاة والسلام أعيادا للعرب فى الجاهلية تعج فيها حياتهم باللهو واللغو والمرح ، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : ان الله أبدلكم بها خيرا منها : عيد الفطر وعيد الأضحى •

ومن هنا نرى الاسلام أضاف شيئا جديدا ومجيدا لمعنى العيد بحيث يؤدى رسالة الترويح عن النفس فى سمو ، والتنفيس عن المشاعر فى ترفع وعلو ، ورفع اللأى عن الوجدان فى حكمة واتزان •

ويبدو ذلك فى أمور :

١ – الحد من كثرة الأعياد ، حفاظا على الجد فى حياة المسلمين ، وحتى لا تتحول – كما تحولت فى عصور الجاهلية – الى فراغ وضياع ، فأبدل الله المسلمين بأعياد الجاهلية الكثيرة عيدين اثنين فحسب •

٢ – ارتبط هذان العيدان بعبادتين من أعظم العبادات تأثيرا فى سلوك بنى الانسان ، ارتبط أولهما وهو عيد الفطر بعبادة الصيام ، وعبادة الصيام فيها ما فيها من التسامى بالمشاعر ، وتربية الضمير ، وتغليب ما هو أسمى فى الانسان على ما هو أدنى • وهذه أمور تتطلب مجاهدة ومكابدة ، ومصابرة ومجالدة تحدد أبعاد المسئولية الضخمة التى يتحملها الصائم ، والتى يعد نهوضه بها عملا عظيما ، ترضى به النفس ، ويسعد له القلب ويرتاح الضمير ، ويعبر عن

هذه الأحاسيس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : للصائم فرحتان ـ فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

ويصف القرآن الكريم ما ينبغى للمسلم أن يعمله تعبيرا عن سروره بأداء هذا العمل العظيم ، فيقول الله تعالى : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) .

كما ارتبط الثانى وهو عيد الأضحى الذى يحمل معنى التضحية، وفيه يذبح المسلمون أضحياتهم رمزا لمعنى الفداء الذى به تصدق قضية الايمان ، والذى سبق اليه أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، كما يرتبط زمنيا بعبادة هامة ، تربى فى الانسان ملكات سامية هى الحج فبينما نرى الحجيج يحسون بسعادة غامرة تملأ جوانب نفوسهم ، وقد أفاضوا من عرفات ذاكرين مهللين ، مولين وجوههم شطر منى ليرموا الجمار ، ويذبحوا الهدى ، ويتحللوا من الاحرام وهذه أمور تملأ النفس لذة، روحية ، وتمتعها متعة قدسية ، فغير الحجيج فى أنحاء الأرض أراد الله لهم أن يشاركوهم مسرتهم ، ويشاطروهم متعتهم ، فكان عيد الأضحى يعيش فى ظلاله المسلمون من غير الحجيج .

٣ ـ فى الأعياد الاسلامية حيث تلاقت الروح بالمادة ، والدين بالدنيا لهو برىء ، ومتعة سامية ، وتسرية عن النفس فى غير افراط ، ومودة وتواصل ، وتوسعة على الأهل والولد ، وسلوك النبى عليه الصلاة والسلام فى العيد مصداق لذلك ، فكان ينهى عن الصيام فيه ، ويحول وجهه عن المقابر اذا مر بها ، كما كان يغتسل ، ويتطيب ، ويلبس أحسن ثيابه ، ويوسع على أهله ، وفى بعض أيام الأعياد يستمع الى غناء عف برىء ، ويشهد لعبا بالحراب. قال لأبى بكر عندما نهر الجاريتين المغنيتين : دعهما يا أبا بكر ، ان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا ورآى الحبشة وهم يلعبون بالحراب فى مسجده وتابع لعبهم ومن خلفه السيدة عائشة ، وقال : لتعلم اليهود أن فى ديننا فسحة وأننى بعثت بالحنيفية السمحة .

وبجانب ذلك كان النبى عليه الصلاة والسلام يحى ليالى الاعياد بالعبادة ، ويحى آيامها بالتهليل والتكبير ،وبذل الصدقات ، ووصل الأهل والأقرباء .

٤ ـ العيد فى الاسـلام ـ اذن ـ فترة يعيش فيها المسلم بذاته متكاملة، موصولة بالله وبالناس ؛ ويحقق منها المجتمع الاسلامى ملامحه كاملة من تحاب فى الله ، وتواد وتعاطف وتراحم فى سبيله بحيث يكون كالجسد اذا اشـتكى منه عضـو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ويتم ذلك فى اطار مناسبة تشد الجميع الى الله وتدمغهم الى اخلاص العبادة لهوحده

٥ ـ والعيـد فى الاسـلام ـ كما أتصوره ـ وسيلة رائعة لعرض ماديات الانسان من مطالب جسدية ،ورغبات مادية فى اطـار كريم ؛ اذ يربطهـا بالمثل ؛ ويصلهـا بالقيم ؛ فلا تهـوى بالانسـان نحـو الحيوانية الجامحة ، ولا تنحـط به الى درجـات المـادية الطاغية ؛ ولذا يبدأ المسلم يوم العيد بشـعيرة الصـلاة فى جو من التكبير والتهليل ؛ وتسبقها صدقة تقدم لكل محتاج فى مجتمع المسـلمين فى عيـد الفطر ، ويعقبها تضحية وفداء فى عيد النحر •

وكأن هذه العبادات التى تمثل أعلى درجات القنـوت والاخبـات بمثـابة المنطلق الكريم نحـو متعـة كريمة ، ولذه وقورة ؛ ومسرة معتدلة •

وهى ـ بهذا ـ كانت السياج الذى يصـون المتعة ويحقق لهـا الاعتدال والاتزان •

٦ ـ ونتيجة لعرض هذه السمات التى يتسم بها العيد فى الاسلام ارى أن من المخـالفة لمنهج الاسـلامى فى الأعيـاد ما يمـلأ حياتنـا من أعيـاد ابتكرناها ارتبط بعضها بشخصيات لها زعامة وطنية أو دينية ، وارتبط بعضها الآخر بمناسبات قومية •

وهذا كله فى تقديرى افتئات على منهج الاسلام فى الأعياد •

واذا أردنا احياء ذكرى انسان ذهب فليكن ذلك بترسم أعماله ؛ والانتفاع بسمو سـلوكه فى دينه ودنياه على أن نتحاشى أن نتخذ من مولده أو من وفاته عيدا نصنع فيه مـا نصنـع فى عيدى الاسـلام •

ولنا أن نختص بمناسباتنا القوميـة بما يتناسب مع قيمتها وتأثيرها عـلى ان لا نسميها أعيـادا فهـذا اطـلاق لا يـكون الا على يومى « الفطـر » « والفداء » •

دكتور السيد رزق الطويل

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٢ —

١٥١ – ويقولون : يرجوك فلان أن تزوره ؛ ونرجو الله أن يمدنا بعظيم عفوه ،فيجعلون الفعل في التعبيرين نصابا مفعولين ، والحق أنه لاينصب الا مفعولا به واحدا ، كما في قوله تعالى « أولئك يرجون رحمة الله » وقوله « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » .

وهو لايتعدى الى مفعول آخر الا بثلاثة أحرف ، هي:من ، وفي ، واللام فمن الأول قوله جل شأنه : « وترجون من الله مالا يرجون » ، ومن الثاني قولك : أرجو في ولدي ، الرشد ومن الثالث قولك : أرجو لجيشنا الانتصار ، وقوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقارا » .

ويقال : رجاه بالتضعيف كما في قول بشر يخاطب ابنته :

فرجي الخير وانتظري ايابي
اذا ما القارظ (١) الفنري آبا

والرجاء أصله التأميل والتوقع ، وقد يجيء بمعنى الخوف كما في قوله تعالى « وقال الذين لايرجون لقاءنا » أي لا يخشونه ولا يخافونه ، وقول أبي ذؤيب :

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وحالفها في بيت نوب (٢) عواسل

١٥٢ – ويقولون لواحدة الحصى : حصوة والفصيح أن يقال لها حصاة ، وتجمع أيضا على حصيات ، تقول : هم أكثر من الحصى ، ووقعت الحصاة في مثانته ، ومن المجاز قولك : لم أر أكثر منهم حصى عددا ، قال الأعشى :

فلست بالأكثر منهم حصى
وانما العزة للكاثر

---

(١) القارظان : هما يذكر بن عنزة ، وعامر بن رهم خرجا يجمعان القرظ فلم يعودا .

(٢) النوب : النحل تنوب الى الخلايا .

والحصاة أيضا الرزانة والوقار ، تقول : فلان ذو حصاة اذا كان رزينا وقورا ، قال طرفة :

وان لسان المرء ما لم تكن له
حصاة على عوراته لدليل

١٥٣ ـ ويقولون : أخذ الرجل عمولته بضم العين ، يعنون أنه تناول أجر ماعمل ، وهذا ضلال بعيد ، لأن هذه الكلمة لم ترد فى العربية ، والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا : أخذ عمالته مثلثة العين،أو أخذ عملته بكسر العين وضمها ، أما العملة بفتح العين فهى السرقة أو الخيانة ، وتقول مستفهما : من الذى عمل عليكم ؟ ببناء الفعل للمجهول ، أى نصب عليكم عاملا ، وعملته على البلد تعميلا اذا وليته عليه ، وفلان يتعمل فى حاجات المسلمين أى يتعنى ويجتهد ، أنشد سيبويه .

ان الكريم وأبيك يعتمل
ان لم يجد يوما على من يتكل

أو يؤدى بقولنا : أخذ العامل جعالته مثلثة الجيم ، أو جعله بضمها،أو جعاله بكسرها ، أو جعيلته وزان سفينه ، وتقول : أعط العمال جعالاتهم وجعائلهم .

أما اذا أرادوا الرشوة فانه يقال : أخذ الرجل جعالته بالفتح لاغير ، ويقال جاعله مجاعلة اذا رشاه وفلان يجاعل فلانا أى يصانعه برشوة .

والجعالة بالفتح أيضا هى ما يجعل للغازى اذا غزا عن غيره يجعل ، وهى بالكسر والضم خرقة ينزل بها القدر كالجعال بالكسر وزان كتاب ؛ تقول : أجعل الطاهى القدر اذا أنزلها بالجعال .

١٥٤ ـ ويقولون:فلان يقلس على فلان ، يعنون أنه يسخر منه ، ويتخذه ضحكة ، والصواب أن يقال : هو يسخر منه ، ويتخذه سخريا ، وفى التنزيل « أتخذتموهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار » أو يقال هو يهزأ به أو منه ويتخذه هزوا ، قال تعالى « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا » .

أما التقليس فله معنيان لاصلة لكل منهما بالسخرية .

أحدهما الضرب بالطبول ، والغناء واستقبال الولاة بأصناف اللهو عند قدومهم ، تقول قلس المقلسون تقليسا

وهم الذين يلعبون بين أيدى الامراء والولاة بالسيوف والحراب ، ليدخلوا على نفوسهم السرور ،ويهنوهم بكريم المقدم ، وفى الحديث « لما قدم عمر رضى الله عنه الشام لقيه المقلسون بالسيوف والريحان »قال الكميت :

ثم استمر يغنيه الذباب كما
غنى المقلس بطريقا بمزمار

والآخر : الخضوع ووضع اليدين على الصدر ، تقول : قلس الذمى اذا وضع يده على صدره وخضع قبل التكفير ، وقلس فلان اذا خضع لأمير أو كبير ، قال الفردق :

اذا ما رأونا قلسوا من مهابة
ويسعى علينا بالطعام جرير

١٥٥ - ويقولون :ابتعنا طنا من الأرز بكسر الطاء ، يعنون مقدارا خاصا يزن اثنين وعشرين قنطارا ونصف قنطار ، وفى هذا التعبير أغلوطتان : احداهما أن الطن ليس بالكسر ، وانما هو بضم الطاء والأخرى أن الطن ليس مما يوزن به ، وانما هو حزمة من الحطب أو القصب ، واحدته طنة بالضم أيضا ، وجمعه أطنان وطنان بالكسر كحر وأحرار ، وحرار .

قال ابن الأعرابى : ويقال لبدن الانسان وغيره من سائر الحيوان طن ، قال ومنه قولهم : فلان لا يقوم بطن نفسه .

أما الطن بفتح الطاء فهو رطب أحمر شديد الحلاوة ،والطنين صوت الذباب والبعوض والطست تقول : طن يطين من باب ضرب طنا وطنينا اذا صوت ،وطنت أذن فلان طنينا ، وطنت طنطنة ، والطنطنة ايضا صوت الطنبور ، وضرب العود ذى الأوتار ، وكذلك هى كثرة الكلام ويقال : طن ذكرك فى البلاد اذا سار وانتشر ، ولفلان ذكر طنان أى ذائع ، وهذه قصيدة طنانة ، أى شائعة بين الناس ولها فى نفوسهم أثر عظيم .

١٥٦ - ويقولون : وقع فلان على الرسالة ، أو على الشكوى أوعلى عقد البيع ، وهذا خطأ بين ووجه الكلام أن يقال : وقع فى الشىء توقيعا أى تستعمل مع هذا الفعل (فى) لا (على) وأصل التوقيع أن يرفع الانسان شكاية الى الوالى ، وبعد أن يفحص الوالى عما فيها يكتب فى اسفلها ،أو على ظهرها :ينظر فى أمر هذا الشاكى ، ويستوفى له حقه اذا

كان صادقا فيما ادعى ، وقال الأزهرى هو أن يجعل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله المحدثون مجازا فى توثيق ما كتب ، وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه كاملا فى اسفل الكتاب أو العقد دلالة على صحة ما جاء بكل منهما .

١٥٧ — ويقولون لمن لاصلة له بمساله من المسائل : ان فلانا لا دخل له فى هذه المسألة ، فيزعمون أن الدخل بسكون الخاء والدخول معناهما واحد ، والحق ان الدخول ضد الخروج .

أما الدخل فله معنيان : أحدهما أنه ضد الخرج ، وهو ما دخل عليك من ضيعتك أو عقارك أو تجارتك ، تقول : دخل فلان أكثر من خرجه .

والآخر معناه العيب والريبة ، ومن كلامهم : ترى الفتيان كالنخل وما يدريك (١) بالدخل ، وكذا الدخل بالتحريك ،يقال فى هذا الامر دخل أى شك وريبة ، ومن هذا قوله تعالى « ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم » أى مكرا وخديعة ،وفى المثل «اتخذ الباطل دخلا » ويضرب للماكر الخادع .

١٥٨ — ويقولون :ان فلاناسيسافر باكرا أو بكرة الى مكة ،يعنون انه سيسافر فى اليوم التالى ، وهذا تعبير فاسد ، لأن البكرة هى ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغدوة بالضم ، والغداة بالفتح ، وكل منها ضد العشى كما فى قوله جل شأنه « ولاتطرد الذين يدعون ربهمبالغداة والعشى يريدون وجهه » .

تقول :أتيت فلانا بكرة أو باكرا ، والمراد بهذين اللفظين المبادرة والاسراع ،وكل من بادر الى شىء فقد أبكر اليه ،يقال :بكر المسافر وأبكر ، وتبكر اذا خرج فى البكرة، قال ذو الرمة :

خوص(٢) برى(٣) أشرافها التبكر
قبل انصداع الفجر والتهجر

وبكر فلان بالصلاة اذا صلاها فى أول وقتها ، وفى الحديث « لايزال

(١) وفى رواية وما يدريك ما الدخل .
(٢) الخوص : جمع حوصاء وهى شدة الحر .
(٣) برى اشرافها التبكر : هزلهم .

الناس بخير ما بكروا لصلاة المغرب ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن يقال: انه سيسافر غدا ، كما فى قولهتعالى حكاية عن اخوة يوسف عليه السلام «أرسله معنا غدايرتع ويلعب» وأصل غد غدو وزان فلس ، حذفت الواو ، وجعلت الدال حرف اعراب ؛ قال الشاعر :

لا تقلواها (١) وادلواها دلوا
ان مع اليوم أخاه غدوا

١٥٩ - ويقولون فى النسب الى أمس أمسى ، وأمسوى بفتح الهمزة ، والفصيح أن يقال : امسى بكسر الهمزة على غير قياس ،هكذا وردعن العرب ،قال العجاج : (وجف منه العرق الأمسى) .

١٦٠ - ويقولون فى نسب الانسان الى حرمى مكة والمدينة : حرمى تبعا للقاعدة المعروفة والصواب ان يقال : رجل حرمى ،وامرأة حرمية ، بكسر الحاء فيهما .

نعم يقال :ثوب حرمى ،ومنازل حرمية على القياس ،أى أنهناك فرقا بين الانسان وغيره فى النسب اليهما فان كان المنسوب انسانا كان النسب بكسر الحاء ، وان كان غيره كان بفتحها .

قال الاعشى :

لا تأوين لحرمى مررت به
يوما وان القى الحرمى فى النار

وقال أبو ذؤيب :

لهن نشيج (٣) بالنشيل كأنها
ضرائر حرمى تفاحش (٤) غارها

وقال النابغة :

من قول حرمية قالت وقد ظنوا
هل فى مخففكم من يشترى أدما(٥)

عباس ابوالسعود

---

(١) لا تقلواها : لا تسوقا الابل سوقا عنيفا . .
(٢) ادلواها : سوقاها رويدا سوقا رفيقا .
(٣) النشيج : غصة فى الحلق بسبب البكاء .
(٤) تفاحش غارها : أتى فرجها بالفاحشة .
(٥) الأدم : جمع أديم وهو الطعام المأدوم .

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٩ —

أسماء ومسميات من القاهرة الفاطمية

ذكرنا فى مقالنا السابق عن الشارع الأعظم المعروف الآن بشارع المعز لدين الله أن القصرين الفاطميين : الشرقى الكبير كان شرقى الشارع المذكور . والقصر الغربى الصغير كان غربيه . وأن المساحة بينهما عرفت ببين القصرين . وأن هذه التسمية باقية لتلك الجهة للآن . كما ذكرنا أن القصر الغربى الصغير كان فى المسافة بين شارعى الخرنفش وحارة الصاغة الحاليين .

حارة الأمراء أو درب شمس الدولة:

وكان جنوبى القصر الغربى الصغير حارة كبيرة عرفت باسم حارة (١) الأمراء . ويعرف جزء منها الآن باسم درب شمس الدولة . وقد قطع شارع القائد جوهر (السكة الجديدة سابقا) الدرب المذكور . وهو موازى تقريبا للشارع الأعظم .

وعرفت الحارة المذكورة بحارة الأمراء . لأنه كان يسكنها الأشراف أقارب الخليفة فى أيام الفاطميين . ثم لما زالت دولتهم . سكن الحارة شمس الدولة توران شاه بن أيوب (أخو صلاح الدين) . فنسبت اليه . وعرفت بدرب شمس الدولة .

وشمس الدولة توران شاه المذكور غزا بلاد النوبة سنة ٥٦٨ هـ . وفى سنة ٥٦٩ توجه الى اليمن فاستولى على زبيد . وأزال ملك بنى مهدى . واستولى على عدن وتعز وصنعاء وظفار وغيرها من مدن اليمن . وتلقب بالملك الأعظم توران شاه . وعاد من اليمن سنة ٥٧١ هـ فأنعم عليه صلاح الدين

---

(١) قال المقريزى أن الحارة فى القاهرة بمنزلة الخطة فى الفسطاط (بكسر الخاء) . فتكون الحارة معناها الحى أو الجهة . وليست كمفهومنا عنها فى الوقت الحاضر .

بالاسكندرية • فظل بها حتى توفى سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) (١) ودفن بها • وكان كريما واسع العطاء • توفى وعليه دين مائتا ألف دينار قضاها عنه صلاح الدين بعد موته •

دار المأمون البطائحى :

وكانت بحارة الأمراء دار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى من سنة ٥١٥ هـ الى أن قتل المأمون سنة ٥١٩ هـ • ولعل موقعها الآن بجوار جامع الجوهرى خلف الصاغة •

جامع الجوهرى :

وجامع الجوهرى أصله زاوية للسادة القادرية أى أتباع السيد عبد القادر الجيلانى • ودفن بها الشيخ أحمد الجوهرى • وابنه الشيخ أحمد • وحفيده السيد محمد هادى (ذكرهم الجبرتى فى وفيات سنة ١١٨٢ هـ – وسنة ١١٨٧ هـ – وسنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) • وكان الأخير محل الاحترام من أمراء المماليك لأنه كان يتعفف عنهم • ولا يقبل هداياهم • وكان له الفضل فى تعيين الشيخ أحمد العروسى شيخا للأزهر وايثاره على الشيخ عبد الرحمن العريشى •

ثم أنشأ الجامع حفيدهم السيد محمد أبو المعالى الجوهرى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) •

واسم الجوهرى يرجع الى أن جدهم والد الشيخ أحمد الكبير كان يتجر فى الجوهر •

دار عباس والمدرسة السيوفية :

وجنوبا من دار المأمون البطائحى • كانت دار عباس بن يحيى الصنهاجى • الوزير فى عهد الظافر بأمر الله الفاطمى (وسيأتى ذكره فيما بعد باذن الله) •

ثم آل جزء من دار عباس المذكور الى المدرسة السيوفية التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى وأوقفها على الحنفية • وهى أول مدرسة أوقفت على الحنفية فى مصر • وسميت بالسيوفية لأن سوق السيوفيين – أى تجارة وصناعة السيوف – كان على بابها وقت صلاح الدين • ومحل المدرسة السيوفية الآن الزاوية المعروفة باسم الشيخ مطهر وقد أخذ جانبا

---

(١) نميل الى استعمال التاريخ الهجرى لسلسلة أحداث التاريخ الاسلامى ، وربطها – قربا وبعدا – بمبدأ الدعوة الاسلامية . مع ذكر مايقابله من التقويم الميلادى بين الحين والآخر .

منها شارع السكة الجديدة (القائد جوهر حاليا) عند امتداده فى عهد أسرة محمد على .

بالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض . واشتهر أبوه على الفارض بهذا اللقب لبراعته فى علم الفرائض أى تقسيم المواريث . وولد عمر بن الفارض بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ وتوفى سنة ٦٣٢ هـ . ودفن بسفح المقطم . وقبره هناك يزار . والجبانة التى فيها قبره تعرف باسم جبانة سيدى عمر بن الفارض . وهى قبل جبانة الامام الشافعى بقليل .

وديوان ابن الفارض . مشهور بين الصوفية برقيق معانية ودقيق مراميه فى التغزل ومحبة الذات الالهية .

وانبرى لشرحه الكثيرون (١) .

القرافة الكبرى والقرافة الصغرى :

وأود أن ألفت النظر الى خطأ وقعت فيه بلدية القاهرة . حيث أسمت الشارع الذى يبدأ من باب قايتباى عند مسجد السيدة عائشة بالقرب من القلعة ويخترق جبانة عمر بن الفارض المذكورة – أسمته شارع القرافة الكبرى . وهو خطأ نبه اليه المرحوم أحمد باشا تيمور فى كتابه (قبر الامام السيوطى وتحقيق موضعه) . وذكر أن صحة الاسم القرافة الصغرى . فالقرافة الكبرى كانت شرقى الفسطاط . أما القرافة الصغرى فقد بدأت بانشاء الكامل الأيوبى قبة الامام الشافعى . وامتدت شمالا بعد ذلك حتى باب قايتباى المذكور . وتلاشى أمر القرافة الكبرى .

وأعلق على رأى المرحوم أحمد باشا تيمور أن القرافة الصغرى كانت معروفة قبل الكامل الأيوبى (٦١٥ – ٦٣٥ هـ) بدليل ما ذكره المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ٣٦٦) فى ترجمة القاضى الفاضل عبد الرحيم البيانى أنه توفى سنة ٥٩٦ ودفن بتربته بالقرافة الصغرى .

مأساة تاريخية :

وكانت بدار عباس المذكورة مأساة تاريخية لا بأس من ذكرها .

---

(١) منهم الشيخ حسن البورينى والشيخ عباس النابلسى . وقد جمع شرحهما وزاد عليه الشيخ رشيد بن غالب (طبع دار الطباعة بمصر سنة ١٢٨٩ هـ) .

فقد كان عباس بن يحيى الصنهاجى المذكور ربيبا لعلى بن السلار وزير الظافر بأمر الله الفاطمى • لأن بلاوة أم عباس كانت زوجة على بن السلار • وقد أمكن لابن السلار — مستعينا بربيبه عباس — القضاء على ابن مصال الوزير السابق له • وتولى الوزارة مكانه سنة ٥٤٤ هـ •

وكان الخليفة الظافر بن الحافظ لدين الله صغير السن • فقد تولى الخلافة سنة ٥٤٤ هـ • وعمره سبعة عشر عاما • فاستوحش من ابن السلار • لانه لم يكن له من الحكم شىء • فاتفق مع عباس على قتله •

وكان لعباس ابن يسمى نصرا • ويلقب بناصر الدين • فأمره أبوه بقتل ابن السلار • ونفذ الأمر • سنة ٥٤٨ هـ • وتولى عباس الوزارة •

وكان نصر بن عباس قريبا من الظافر فى العمر • فتصادقا صداقة أكيدة • حتى لم يكن الظافر يطيق ابتعاده عنه • فاما أن يكون معه فى القصر • واما أن يذهب الظافر لزيارته بدار عباس •

وغاظت هذه الصداقة بعض الحاسدين • فأوغلوا الى تأويلها الى علاقة جنسية • وأن الظافر يحب نصرا كما تحت النساء (يصيغه المبنى للمجهول) • وانتشرت الاشاعات حتى وصلت الى عباس • فكلم ابنه نصرا • وحرضه على قتل الظافر حسما للأقاويل • وأذعن نصر للأمر • فلما حضر الظافر لزيارته قتلوه • ودفنوه فى غرفة بالدار سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) • وأقام عباس الفائز بنصر الله بن الظافر — وهو ابن ثلاث سنين خليفة مكان أبيه • وقتل عمين له متهما لهما بقتل أخيهما الظافر لتعمية الجريمة •

وثار الجند ومن فى القصر • وأرسلوا الى الصالح طلائع بن رزيك والى المنيا يستنجدون به ويستقدمونه وضمن الرسالة شعور بعض سيدات القصر • فحضر الصالح بجيشه • يرتدون السواد • ويحملون الرايات السوداء • وقد رفعوا على الرماح الرسالة وشعور السيدات • وهرب عباس وابنه نصر الى الشام ومعهما ما أمكنهما حمله من المال والتحف • فاعترضهما الافرنج بالطريق • وكانوا مستولين على بيت المقدس وبعض بلاد فلسطين والشام • فقتلوا عباسا ونهبوا ما كان معه • أما نصر فقد أرسلوه

للصالح مقابل مبلغ من المـال . فقتله الصالح فى القصر ثم صلبه على باب زويلة .

وقصد الصالح بلبس السواد اظهار الحداد على الظافر . ولكنه كان فألا عجيبا . فالسواد شعار العباسيين . لم يمض على هذه الحادثة خمسة عشر عاما حتى قـدم أسـد الدين شيركوه وابن أخيـه صـلاح الدين الأيوبى بجيشهما وراياته السـوداء من قبل السلطان نور الدين — عندما استنجد به العـاضد لدين الله آخر الخلفـاء الفاطميين .

خط خشيبة (بضم الخاء فى الكلمتين) :

وأخرج الصـالح جثـة الظافر . ونقلها فى تابوت الى القصر . وغسلها وكفنها ودفنها بمقابر القصر المعروفة بتربة الزعفران (محل خان الخليلى حاليـا) . وبنى مكان دفنـه السابق مسجدا ذكره المقريزى باسم المشهد أو مسجد الخلفـاء . ونصبت هنـاك خشبته علامة على المكان حتى لا يمر أحد فى هذا الموضع راكبا . فعرف بخط خشيبة (بصيغة التصغير) .

وبعد زوال دولة الفاطميين أزال صلاح الدين هذه الخشبة . وغلب اسم شمس الدولة توران شـاه على المكان لسكنه به .

ولايزال للآن اسـم درب شمس الدولة .

دار السبع قاعات وابن زنبور :

ومـن الـدور التى كانت بتـلك الجهة — بالقرب من دارى المأمـون البطائحى وعبـاس الصنهاجى — دار السبع قاعات . وهى من ضمن اسطبل الجميزة بين حارة الأمراء المذكـورة وحارة زويلة المشهور جزء منها الآن بحارة اليهود .

ودارالسبع قاعات . أنشأها الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن زنبور . وكان أبوه قبطيا وأسلم .

وتولى ابن زنبور الوزارة من سنة ٧٥١ — ٧٥٣ هـ فى السلطنة الأولى للناصر حسن وسلطنة الصالح صالح ابن الناصر محمد بن قلاوون . وكان الأمير صرغتمش (صاحب المدرسـة والجامع بشارع الصليبة بقرب جامع ابن طولون) يكرهه . فتمـكن من

عزله والقبض عليه وتعذيبه لاستصفاء أمواله ، ومصادرتها .

فوجدت له أموال طائلة نذكر منها عدد ٢ (أردبين ذهب مصكوك قيمتها ٢٠٤٠٠٠ دينار) ، عدد ٣ أرادب دراهم فضية) ، عدد ٦٠ (ستين رطلا من اللؤلؤ) ، عدد ٦٠٠ (ستمائة قنطار أوانى ذهبية وفضية) ، عدد ٧٠٠ (سبعمائة دابة عاملة) ، عدد ٦٠٠ (ستمائة دابة حلابة) ، عدد ١٠٠ (ألف من الخيل والبغال) ، عدد ٧٠٠ (سبعمائة مركب) ، عدد ٢٥ (خمسة وعشرين معصرة سكر)، عدد ٧٠٠ (سبعمائة جارية) ، عدد ١٤٠٠ (ألف وأربعمائة ساقية) . فضلا عن سبعمائة اقطاع عن كل اقطاع ٢٥٠٠٠ درهم سنويا ، وأملاك تقدر بثلثمائة ألف دينار ، وغير هذا كثير من الملابس والمفروشات والأوانى النحاسية والسروج المزركشة ، والحياصات (المناطق) الذهبية والمرصعة بالجواهر ، وغير ذلك .

وشككوا فى اسلامه ، واشتدوا فى تعذيبه بالقلعة حتى أشرف على الهلاك ، ثم كفوا عن تعذيبه بتدخل بعض الأمراء ، ونفوه الى قوص فى اوائل سنة ٧٥٤ هـ حيث توفى هناك فى نفس السنة .

اسطبل الجميزة والصبيان الحجرية :

واسطبل الجميزة السابق ذكره كان أحد اسطبلات الخيول الفاطمية . وكان هناك اسطبلان آخران ، أحدهما وهو الأكبر كان اسمه اسطبل الطارمة (١) بالقرب من الجامع الأزهر ، والآخر اسطبل الصبيان الحجرية على يمين الداخل من باب الفتوح ، وبلغت أحيانا عدة خيول اسطبل الحجرية خمسة آلاف فرس .

وكان للخليفة فى اسطبل الطارمة واسطبل الجميزة – بخلاف اسطبل الحجرية – ألف رأس ، سواء لركوبات الخليفة الخاصة ، أو ما يعاد لأصحاب الوظائف فى المواسم ، ولكل رأس شداد يسيرها ، ولكل ثلاث رؤوس سائس يتولى خدمتها ، ولكل عشرين سائس عريف يكون مؤتمنا على استلام السروج – وهى محلاة بالذهب والفضة – من خزائن السلاح قبل المواكب واعادتها للخزانة بعدها .

(١) الطارمة بيت من خشب . وهو لفظ اعجمى .

ولكل اسطبل رائض • وهو الذى كان يسمى بأمير أخور (١) فى الدولة الأيوبية ودولتى السلاطين المماليك بعد الفاطميين •

والصبيان الحجرية شبان كانوا يختارون من ذوى الأجسام السليمة• ويدربون تدريبا خاصا وتخصص لهم حجرات يقيمون فيها على قدم الاستعداد لكل طلب • ومن هنا جاء الاسم • فهم كالحرس الخاص أو هى فكرة نظام المماليك الذى انتشر فى عهد الصالح نجم الدين أيوب • مع الفارق أن الحجرية أحرار يختارون• والمماليك رقيق يشترون • وهذا النظام أوجده الأفضل بن أميرالجيوش بدر الجمالى • وكان مقر الصبيان الحجرية بالقرب من باب النصر •

فرس الخليفة :

وقبل خروج الخليفة فى الموكب• يروض الرائض فرسين أو ثلاثة عليها السرج الذى يستعمله الخليفة ويضع الرائض بينه وبين السرج حائلا ـ احتراما لمقعد الخليفة ! ! ـ ويركب أحد الأستاذين بغلة وهو ممسك بالمظلة • ويسيران فى براح الاسطبل ساعات • والأبواق تنفخ والطبول تدق • وهذا لمدة أيام حتى تتعود الأفراس الحركة والأصوات• فلا تجفل ولا تنفر والفرس والبغلة اللتان تتهيئان هما ما يركبهما الخليفة وحامل المظلة فى الموكب •

ويقال أنه ما راثت دابة أو بالت والخليفة راكبها • ولا بغلة صاحب المظلة أيضا • لغاية نزولهما عنهما •

حارة الوزيرية والسلطان الصاحب :

وننتقل الى مكان آخر فى القاهرة الفاطمية •

---

(١) ذكرت فى مقال سابق (القصر العينى) وظيفة أمير أخور وأنها كانت من الوظائف الكبرى فى دولتى السلاطين المماليك . فهو الذى يتولى مباشرة اسطبلات السلطان بما فيها من الخيل والابل . والكلمة مركبة من كلمتين : احداهما عربية (أمير) . والثانية فارسية (أخور) ومعناها المعلف اى مكان العلف غذاء الدواب . ولفت النظر للتشابه بين هذه الكلمة وبين لفظ (ecurie) الفرنسية . ولفظ (stable) الانجليزية . ومعناهما مكان الخيول •

فاذا كنت في شارع الأزهر متجها للجامع الأزهر . فستجد بعد تقاطعه مع شارع الخليج على يمينك شارعا باسم شارع درب سعادة موازيا تقريبا لشارع الخليج ومتجها للجنوب حتى باب الخلق خلف مديرية الأمن .

وستجد على يمينك بعد شارع درب سعادة متفرعا أيضا من شارع الأزهر ـ شارعا باسم شارع السلطان الصاحب . وهذا الشارع الأخير ينحرف قليلا ثم يسير موازيا تقريبا لشارع الأزهر . وامتداده يعرف بسكة اللبودية .

وفي اسم السلطان الصاحب خطأ سنوضحه فيما بعد باذن الله .

وكانت هذه الجهة تسمى أولا بالوزيرية لما سكنها الوزير يعقوب ابن كلس .

يعقوب بن كلس :

وكان يعقوب يهوديا من أهل بغداد . وقدم مصر في زمن كافور الأخشيدي . ووجد الدين اليهودي مانعا من تحقيق طموحه . فأسلم ولعله أخلص فيما بعد في اسلامه بدليل مؤلفاته التي سنذكرها . فضلا عن تاريخ حياته .

ونزح من مصر الى المغرب . حيث التحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي . وعاد معه الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ . وولاه المعز الخراج وجميع وجوه الأموال من أعشار وجوالي وأحباس وكذلك الحسبة والسواحل .

وبعد وفاة المعز استمر في عهد ابنه العزيز في رفعة وعلو مقام . حتى لقب بالوزير الأجل . وهو أول وزير للفاطميين . ونصب في داره الدواوين . وجعل فيها خزائن للكتب والمال والدفاتر والمستغلات . وأقام لكل خزانة ناظرا .

ورتب في داره الأطباء والكتاب . وجمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء والمتكلمين وأرباب لعلوم . ورتب في داره مجالس أسبوعية يتناظر فيها الفقهاء والأدباء والعلماء .

(١) الأعشار جمع عشر (بضم العين) . والجوالي هي الجزية التي كانت تجبى من أهل الذمة بواقع كل نفس منهم . والأحباس هي الأوقاف .

ورتب بالجامع الأزهــر رواتب لجماعة من الفقهاء يعملون فيه حلقات للتدريس • وكان عـددهم خمسـة وثلاثين فقيها • وبنى لهم دارا بجانب الجامع • وكانت تطلق لهم – فضلا عن المرتبـات – الخلع والصلات فى المواسم من دارالخلافة ودارالوزارة• مما جعل الأزهر أقدم جامعة فى العالم تولتها الدولة بالانفاق عليها واستمرت حتى العهد الحديث •

وألف كتبا فى الفقه والقراءات • منها كتاب فى القراءات • وكتاب فى الأديان • وكتاب فى آداب الرسول وكتاب فى علم الأبدان واصلاحها • وكتـاب فى الفقـه ممـا سـمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله

وكان لا يمنع أحدا من الخـاص أو العام من مجلسه عنه قراءة هـذه الكتب •

وتوفى سنة ٣٨٠ هـ•وزاره العزيز فى مرض موته • وبكى قائلا : وددت لو أفديك بمالى أو ولدى •

وكان فى حشرجة الموت يقول : لا يغلب الله غالب •

وأمر العزيز القـاضى محمـد بن النعمان بغسله • وكفنه فى خمسـين ثوبا • منها ثلاثون منسوجة بالذهب• وأقام العـزيز ثلاثة أيام لا يأكل على مائدته العامة • وأقام المأتم على قبره• ثلاثين يوما•يقرأ فيها القراء القرآن • وتندب النائحات • وتحضر يوميا نساء الخاصة والعـامة • وتقوم الجوارى بخدمتهن بتقديم المرطبات فى أقداح البللور وملاعق الفضة •

وكان عليـه دين ستة عشر ألف دينار • سددها العزيز عنه للدائنين على قبره • فما أعظم هذا ! ! يتولى كل شئون المـال للدولة ما يقرب من العشرين عاما مع سـعة النفوذ وعلو المكانة ويموت مدينا •

ونورد هنا حكاية لطيفة عنه تدل على ما كان به من ذكاء أو لباقة • ومايكون عند الحاكمين أحيانا من تفاهة •

فقـد رغب العزيز فى الذهاب الى دمشق • فسأله الوزير عن السبب • فقال : قد اشتهيت القراصيا وهــذا موسمهـا • فخرج الوزير وأرسـل بالحمـام الزاجل الى الوالى هنــاك بدمشـق يكلفــه بارسال جانب من القراصيا على أجنحة الحمام • فجعل

فى جناح كل حمامة حبة من القراصيا، وأطلقها . فلم تمض ثلاثة أيام على حديث العزيز حتى وصل الحمام . وكان مئات . فجمع ما تحمله فى طبق . وذهب الى العزيز وقدمه اليه. فأعجب به وقال : مثلك من يخدم الملوك ! !

دار الوزارة :

وظلت دار الوزير يعقوب بن كلس سكنا للوزراء الفاطميين حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى عهد المستنصر بالله الفاطمى . فلم يسكنها. وسكن دارا بحارة برجوان (بين شارعى أمير الجيوش والخرنفش). وجعلها مقرا للوزارة . وبعد وفاة أمير الجيوش سنة ٣٨٦ هـ . نقل ابنه الأفضل مقر الوزارة الى مكان آخر برحبة باب العبد بالشمال الشرقى للقصر الشرقى الكبير . وظلت دار الوزارة هناك حتى نقلت الى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى سنة ٦١٥ هـ.

وترك الأفضل دار حارة برجوان لأخيه المظفر جعفر بن أمير الجيوش. فعرفت بدار المظفر . ثم قتل المظفر جعفر المذكور . وقبره معروف باسم زاوية جعفر بالقرب من جامع سليمان أغا السلحدار . ونسبت العامة القبر المذكور الى الامام جعفر الصادق سادس الأئمة عند الشيعة . وهو خطأ نبه عليه المقريزى . فجعفر الصادق توفى سنة ١٤٨ هـ . أى قبل انشاء القاهرة الفاطمية بأكثر من قرنين من الزمان .

ثم عملت دار المظفر المذكورة دار للضيافة لاقامة الرسل الموفدين من الملوك الى الخلفاء الفاطميين حتى نهاية الدولة الفاطمية . فأنزل بها صلاح الدين الأيوبى أولاد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وآل بيته . فظلوا بها حتى نقلهم الكامل بن العادل الأيوبى الى القلعة .

سكن المقريزى :

ثم بيعت الدار فى زمن المنصور قلاوون . وبنى الكثيرون مكانها الدور والمساكن . وممن سكن محل الدار المذكورة تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ الكبير الذى تعد كتبه عن تاريخ وخطط القاهرة المرجع الأساسى لكل ما يكتب الآن فى خطط مصر القاهرة .

دار الديباج :

ولما نقل بدر الجمالى مقر الوزارة الى سكنه بحارة برجوان بدلا من دارالوزير يعقوب بن كلس بالوزيرية كما سبق ذكره • تحولت الدار الى مكان ينسج فيه الحرير والديباج برسم الخلفاء الفاطميين فعرفت بدار الديباج • وعرف الخط كله بخط دار الديباج بعد أن كان يعرف بالوزيرية •

خط الصاحب بن شكر :

ثم سكن الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن الحسين المعروف بابن شكر فى هذه الحارة فعرف الخط بخط الصاحب • وعرفت سوقها بسويقة الصاحب •

والصاحب بن شكر كان فى خدمة العادل بن أيوب عندما أحال عليه أخوه صلاح الدين شؤون الاسطول واستوره العادل عندما تولى السلطنة • فظل يرقى شأنه ويعلو أمره فى عهد العادل وابنه الكامل حتى توفى سنة ٦٢٢ هـ •

وكان صلب المراس شديد الحفيظة جلدا قويا حل به مرة مرض الدوسنطاريافعندما اشتد به الألم أحضر من كان في حبسه وقال لهم : لا والله • أأتألم وأنتم مرتاحون !!وأمر بأدوات التعذيب لهم وبات الليل وهو يصرخ من المرض وهم يصرخون من التعذيب •

وأنشأ الصاحب بن شكر بجوار داره مدرسة كانت تعرف بالمدرسة الصاحبية• مكانها زاوية موجودةللآن باسم زاوية الست بيرم • وضريح الصاحب بن شكر موجود للأن بجوار زاوية الست بيرم المذكورة •

وقد تبرعت بلدية القاهرة بأن اطلقت على الشارع الآخذ من شارع الازهر اسم السلطان الصاحب • والصاحب لم يكن سلطانا بل وزيرا فى عهد الأيوبيين • وقد نبه المرحوم احمد باشا زكى شيخ العروبة الى خطأ هذه التسمية •وبرغم ان هذا التنبيه كان من نصف قرن تقريبا ولكن لايزال الاسم ثابتا على خطئه

السلطان !! بيبرس الخياط :

وأريد ان أسجل خطأ آخر • فقد تبرعت مصلحة المساحة فى خرائطها للقاهرة بأن اطلقت اسم السلطان بيبرس الخياط على جامع موجود بالجودرية بالقرب من سويقة الصاحب والمذكور لم يكن سطانا •

ولم يحكم مصر سلطان باسم بيبرس • غير الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) والمظفر بيبرس الجاشناكير (٧٠٨ - ٧٠٩) هـ •

وقد ذكر على مبارك (الخطط التوفيقية جـ٤ ص ٦٩) أن الجامع المذكور أنشىء سنة ٦٦٢ هـ • ولكن فى بدائع الزهور لابن اياس فى حوادث سنة ٩٢١ هـ أن الأمير بيبرس وهو قريب السلطان (الغورى) أتم مدرسته بجهة الجودرية وخطب فيها فى رمضان سنة ٩٢١ هـ كما ذكر فى حوادث سنة ٩٢٢ أن بيبرس هذا قتل فى معركة مرج دابق وهى المعركة الفاصلة بين السلطان الغورى سلطان مصر والسلطان العثمانى سليم الأول • التى فقد فيها الغورى وكانت مقدمة لاستيلاء سليم على مصر •

محمد كمال السيد محمد

رسالة إلى حقود

للدكتور عفيفي محمود

- ١ -

حملت فأسا لتهدم ومعولا لتحطم !
فازداد صرحي شموخا وعاد فأسك يثلم
لنعمتي كنت بابا وكنت للمجد سلم
وكلما رحت تبغي تأخرى .. أتقدم
فازداد نجمي سطوعا وازداد حظي تبسم
ياصاح ! أعليت شأني من حيث لم تك تعلم !!
وكلما جف مني نبع تكشف منجم
أو دست زهرة مجد فتحت لي الف برعم
وأنبت العود حقلا ثماره تتكلم
أعددت للحقد عرسا فصار عرسك مأتم
يا كم شربنا كؤوسا ملأى بشهد وعلقم
فصار شهدك صابا وصار سمي بلسم
فبين جنبيك قلب من ظلمة الليل أظلم
وبين جنبي قلب يحب ... لوكنت تفهم

- ٢ -

يا من تعمدت كيدى ... مازلت أهلا لودى
برغم مارحت تخفى ... عنى ؛ ومارحت تبدى
أقسمت بالحقد يفرى ... حشا صديقى الألد
بكل ليل طويل ... محلولك مربد
أسلمن نفسك فيه ... الى عذاب وسهد
لأنت خير ؛ وأبقى ... وأنت أثمن عندى
من ألف ألف صديق ... يصون عهدى ويفدى
حملت عبء عدائى ... وقمت بالحب وحدى !
ان كان بعضك سيفا ... محبتى خير غمد
أشهر سلاحك واضرب ... كن بادئا بالتعدى
لقد تحداك حبى ... هلا قبلت التحدى ؟ !

- ٣ -

ياصاحبى كيف شرك ... وليقبل الحب عذرك
حتام تخطب هجرى ؟ ... وتجعل المهر هجرك ؟
وان أنلتك صدرى ... أوليتنى أنت ظهرك ؟
ان كنت ضقت بحلمى ... فالله يشرح صدرك
سامح وفائى ؟ فان لم ... تقدر ... أعرنى عذرك
أرده لك حبا ... يطيل ياصاح عمرك !!
تعالى ... جرب عناقى ... دعنى أقبل نحرك
من قبل أن نتوارى ... تحت التراب ونترك
اذا انقضى أجلانا ... مافاتنا .. كيف يدرك ؟
ولست تملك أمرى ... ولست أملك أمرك
وقد توسد قبرى ... وقد أوسد قبرك ! !

دكتور عفيفى محمود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

*** الاسلام يتحدى :**
تأليف : وحيد الدين خان

هذا الكتاب قام بنقله الى العربية الأستاذ ظفر الله خان ، وبمراجعة الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بدار العلوم والتقديم له ، والذى قام بنشره المختار الاسلامى بالقاهرة فى أكثر من ١٦٠ ص من القطع الكبير .. هو مدخل الى الايمان ، والمؤلف من المفكرين الاسلاميين الطلائع بالهند ، الذين يتصدون بفكر عميق للتحديات التى يواجهها الاسلام اليوم .

لقد أبان المؤلف فى المقدمة عن فكرة دراسته ومنهجها اذا أشار الى ان العصر الحديث هو عصر الالحاد لانكاره الدين ...وهذا الالحاد ليس محض ادعاء بل يرى أصحاب نظريته أنها طريقة ودراسة اهتدى اليها الانسان بعد التطور الحديث فى ميادين العلم المختلفة ...اذن فالمؤلف يواجه الالحاد على هذا الاساس لاثبات أحقية الدين اما الفكر المادى الجديد وهذا الاثبات يتخذ لنفسه اسلوبين ان نستدل بأن الدين ليس ماديا بل فوق المادة .. وان نتبع نفس الطرق العلمية التى يتبعها العلماء الملحدون لاثبات معتقداتهم ..

ان المؤلف يعرض جوهر فلسفات ثلاث تزعمها نيوتن ، وفورويد ، وماركس ، وهى الفلسفات التى قادت فى مجموعها قطعانا من البشر فى وادى الالحاد وانكار وجود الله وتأليه المادة ، الأول بطل الانقلاب فى البيولوجيا ؛ وهو الذى عرض على الدنيا فكرة تثبيت ان الكون مرتبط بقوانين ثابتة ، تتحرك فى نطاقها الاجرام السماوية ، ثم جاء من بعده فأعطوه الفكرة مجالا عمليا أوسع حتى قيل :ان كل ما يحدث فى

الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم سموه « قانون الطبيعة » .

والثانى بطل الانقلاب فى علم النفس « فرويد » الذى يعتبر الدين نتاج اللاشعور الانسانى ..وليس انكشافا لواقع خارجى ، أما الثالث فهو ماركس الذى يرى ان الدين خدعة تاريخية ..

ولقد تصدى المؤلف لهذه الفلسفات المادية الملحدة بالنقد العلمى الموضوعى ، أى انه اختار فى نقده طريقة الاستدلال العلمى .. وهى الطريقة الجديدة التى اكتشفها العلم الحديث بعد التطورات فى ميادينه العديدة .. ثم أكد المؤلف بعد ذلك أن الطبيعة ذاتها تشهد بوجود الاله ..ثم عرض لموضوع الآخرة ومشكلات الحضارة ،وختم الدراسة ببحث قيم رسم فيه منهج الحياة التى يجب علينا أن ننشدها .

وبعد ـ فلا جدال أننا أمام دراسة متفوقة ، نحن فى أمس الحاجة اليها اليوم لأنها تتصدى للتيارات المادية الالحادية ، التى يجب أن يمنحها مفكرو الاسلام قسطا كبيرا من الجهد ... وكلمة تقدير للأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين الذى راجع الدراسة وقدم لها بمقدمة موجزة جديرة بكل تقدير .

*** فضل آل البيت للمقريزى**
تحقيق : د. محمد أحمد عاشور

هذا الكتيب الذى يقع فى زهاء مائة صفحة من القطع الصغير ، وقامت بنشره دار الاعتصام بالقاهرة ، بحث طيب عن « معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم » وهو العنوان الأصلى الذى اختاره المؤلف المقريزى لبحثه ، واختصره المحقق الى « فضل آل البيت » تمشيا مع تطورات فن الطباعة والمقريزى غنى عن التعريف . مصرى المولد . لبنانى الأصل ؛ يعتبر من أشهر مؤرخى مصر الاسلامية فى القرن التاسع الهجرى ؛ كان من أبرز تلاميذه العلامة ابن خلدون ؛ وقد توفى ٨٤٥ هـ بعد حياة امتدت نحو ثمانين عاما .

والموضوع الذى عالجه المؤلف من الموضوعات ذات الحساسية الخاصة التى يشغف بها عامة المسلمين .. عالجه من خلال تفسيره لخمس آيات من القرآن : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ـ والذين آمنوا واتبعتهم

ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم - وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينـة وكان تحتـه كنز لهما وكان أبوهما صالحا - جنات عدن يدخلونها ومن صـلح من آبائهـم وأزواجهم وذرياتهم - قل لاأسألكم عليه أجرا؟ الا المودة فى القربى » وهذه الآيات الخمس هى مستنده فى بحثه .

الحق أن المقريزى كان موفقا فى عرضه لآراء المفسرين فى الآيات لغة وشرحا الا أنه كان متكلفا حين اعتبر الآيات الخمس مستنده فى الموضوع الذى عالجه ، يمكن التسليم له بالآية الأولى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت .. فحتى الآية الأخيرة ... الا المودة فىالقربى .. قـد اختلف المفسرون فى المقصـود بلفـظ القـربى ؟ وأكثرهم على أن المقصود : القرابة التى بين الرسول وكفـار قـريش .. أمـا الـرؤى والحكايات التى سردها معتمـدا فيها على السماع من شـيوخه ومعـاصريه لتكون لهمسـتندا آخر لبحثـه ،فهى مما لايصلح منهجيا فى تحقيق قضية ومـا كان أغنى المقريزى عن هـذا التكليف ...

وبعد - فمن حق المحقق لهذاالبحث علينا الدكتور محمد أحمد عاشـور أن نشير الى الجهد الكبير الذى بذله كتب مقدمة قيمة - علىايجازها عـن المقريزى مؤرخا ، هى بمثابة تقـويم لمنهجه فى البحث والدراسة ضبط النـص وتـرجم للأعـلام وخـرج الأحاديث وأبـرز مراجع النصوص وسجل فى نهاية الـكتاب الفهارس للآيات والأحاديث والأعلام والقبائل والأماكن والشعر ..

فقد كنت أود من المحقق أن يكون له - رأى فيما كتب المقريزى ؟ وهذا مـايقتضيه مدلول التحقيق الموضوعى لاسيما وأن المحقق له من علمهوثقافته ما يؤهله لأن يـكون له رأى . . .

* مع القرآن الكريم لمجموعة من العلماء

ما فى هذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من مائتى صفحة رؤية مستنيرة وعصرية لحقـائق الايمـان والعلـم والشريعة والبيـان فى كتاب الله .. هـذه الرؤية المسـتنيرة تلمسـها من خلال اجابات نموذجية عن أسئلة مختـارة فى شكل مسابقة قرآنية ؟ والاجابات التى تتصدر الكتاب ليست

بأقلام المتسابقين ، وانما بأقلام بعض العلماءوالكتاب الاسلاميين ، ثم يضاف اليها نماذج من اجابات بعض المتسابقين الفائزين •

ان الكتاب الذى بين أيدينا هو الحلقة الثالثة من هذه التجربة التى تضلع بها « المقاولون العرب » ويشرف عليها الأستاذ عبد الفتاح عساكر ـ ادارة شئون العاملين ـ بالشركة ، وأسئلة هذه الحلقة تتصل بلغة القرآن وبيانه ، وموقف القرآن من العلم ، واقتصاد المجتمع ، والقومية العربية ، والتشريع ، وقدم الاجابات النموذجية عن الأسئلة المطروحة : الشيخ عبد الجليل عيسى ، والأساتذة : عبد الكريم الخطيب ، وعبد الحليم الجندى ؛ وأحمد موسى سالم •

الحق أن هذه التجربة تجربة رائعة من ناحية ••• ومن ناحية أخرى ، تشجيع للعاملين بشركة •• « المقاولون العرب » على الاطلاع فى مجال الفكر الاسلامى •• فقط نرى أن التجربةالرائدة تسير ببطء ؛ حيث أن كل حلقة تظهر فى سنة ، كما نلمس ملامح التكرار الخفيف ، والتداخل الطفيف فى الأسئلة المطروحة واجابات العلماء •

وبعد ـ فكم كنا نود أن تحذو المؤسسات والشركات فى مصر والبلاد العربية ، حذو شركة « المقاولون العرب » فتسهم فى نشر الوعى الاسلامى بين العاملين بها ، بدلا من أن تنفق فى بذخ فىالدعاية والاعلان ، وكلمة أخيرة تنم عن تقديرنا للأستاذ عبد الفتاح عساكر لنجاحه فى اعداد التجربة اعدادا طيبا جديرا بكل تقدير •

*** الرذيلة •• والقوانين القاصرة**

نشرت «أخبار اليوم» تحت عنوان ضبطتالزوجة يوم عيد ميلادها فتنازل الزوج عن البلاغ ••قصة فى مأساة ••فقد تم ضبط الزوجة وعشيقها داخل شقته ••وبكتالزوجة أمام وكيل النيابة وهى تقول : كنا نحتفل معا بعيد ميلادى •• العيدالذى نسيه زوجى •• وتأثر الزوج فتنازل عن البلاغ ••أمر وكيل النيابة بحفظ الدعوى •• ونزل الزوجان اللذان لم يمض على زواجهما أكثرمن سبعة شهور •• من النيابة معا •• ليستكملا الاحتفال بعيد الميلاد •••! ليس من المعقول ان نفرض علىالزوج الغيرة على عرضه وشرفه مادام ليس

لديه استعداد لذلك ..والقوانين الوضيعة رذيلة الخيانة الزوجية مما يمس المجتمع ككل ، وانما تمس الزوج وحده ، ولذلك فهو يملك العفو والعقوبة ؛ وهذه القوانين أيضا لاسيطرة لها على الرجل الذى هو الطرف الآخر فى الرذيلة ..وازاء ذلك أصبح من المقرر أن هذاالقصور فى القوانين الوضيعة هو الذى يشجع على انتشار الرذيلة والعبث بالأعراض

* **قراءات :**

« كان الاسلام عاملا أساسيافى كل حركات التحرر التى قامت بها الشعوب المستعبدة فى عصرنا ..وان النضالات الوطنية قد انطلقت جميعها تحت راية الجهاد فى سبيل الوطن وكان الاسلام فى أغلب هذه النضالات رمز المقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعمار ..

المفكر الفرنسى روجيه جارودى »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ عبد الفتاح حسن الزيات
تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

السؤال :

من السيد/عبدالحميدأحمد حسن

١ - أنا موظف حاليا بالمعاش وأرغب فى تأدية فريضة الحج للعام المقبل ولدى مشروع استبدال مبلغ جنيه واحد من المعاش لمساعدتى على هذه الرسالة •

٢ - تخصم هيئة التأمين والمعاشات مبلغ ١٣جنيها من المبلغ المستبدل فمن هذا هل يعتبر فوائد •

٣ - هل اذا قمت بالحج بالمبلغ الباقى يكون حلال أوفيه شىء من التحريم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اما بعد فنفيد بأن صندوق المعاشات وما يتفرع عنه وضع على أنه من باب التعاونيات وليس من باب المعارضات رأى ولى الأمر تنظيمه والعمل به لما فيه من المصلحة العامة وعليه فمسألة الاستبدال من المعاش لأداء فريضة الحج أو غيره لامانع منه فأنه من باب التعاون على الخير والله تعالى أعلم •

السؤال :

١ - من السيد / محمد أحمد الكورانى • #

ما رأى الدين فى الحج عن الغير وما شرطه وهل يجوز للمرأة أن تحج عن الرجل وبالعكس •

الجواب

من استطاع السبيل الى الحج ثم عجز عنه بمرض أو شيخوخة لزمه احجاج غيره عنه لأنه آيس من الحج بنفسه لعجزه فصار كالميت فينوب عنه غيره لحديث الفضل بن عباس أن امرأة من خثعم قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج

أدركت أبى شيخا كبيرا لايستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم وذلك فى حجة الوداع رواه الجماعة وقال الترمذى حسن صحيح وبه يقول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق وقال مالك اذا أوصى أن يحج عنه حج عنه وفى هذا الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عن الرجل والمرأة وأن الرجل يجوز له أن يحج عن الرجل والمرأة ولم يأت نص يخالف ذلك ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمه فقال : أحججت عن نفسك؟ قال لا : قال فحج عن نفسك أولا ثم حج عن شبرمه رواه أبو داود وابن ماجه وقال البيهقى هذا اسناده صحيح وليس فى الباب أصح منه •

٢ ـ من السائل نفسه •

مارأى الدين فيمن نذر أن يحج وعليه حجة الاسلام ؟

الجواب :

أفتى ابن عباس وعكرمة بأن من حج لوفاء نذر عليه ولم يكن قد حج حجة الاسلام أنه يجزىء عنهما وأفتى ابن عمر وعطاء بأن يبدأ بفريضة الحج أولا ثم يفى بنذره بعد ذلك وهذا هو الصحيح لأن كلا من فريضة الحج والوفاء بالنذر أمر واجب ولا يندرج واجبان فى واجب

٣ ـ من السائل نفسه •

ما حكم الاقتراض للحج •

الجواب :

عن عبد الله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج ؟ قال : لا : رواه البيهقى •

السؤال :

٤ ـ من السيد/فريد حلاوه ناظر مدرسة كفر ميت الحارق •

ما رأى الدين فى الحج من مال حرام ؟ •

الجواب :

اختلف الفقهاء فى ذلك فالأكثرون يجيزونه مع الأثم وقال الامام أحمد

لا يجزى وهو الأصح لما جاء فى الحديث الصحيح « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » وروى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة «أى حلال » وضع رجله فى الغرز « وهو الركاب يعتمد عليه الراكب حين يركب ويحل محله الآن الطيارة أو السيارة أو الباخرة » فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة « الحرام » فوضع رجله فى الغرز فنادى لبيك ناداه من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ؟ قال المنذرى رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه الأصبهانى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب مرسلا مختصرا •

٥ ـ من السائل نفسه •

هل يجوز للحاج أن يتاجر وأن يؤاجر ويتكسب وهو يؤدى فريضة الحج •

الجواب :

لا بأس بذلك كله : قال ابن عباس ان الناس فى أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفات وسوق ذى المجاز « موضع بجوار عرفه » ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم فأنزل الله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » كانوا لا يتحروا بمنى » فأمروا ان يتحروا اذا أفاضوا من عرفات رواه أبو داود •

وعن أبى أمامة التيمى أنه قال لابن عمر انى رجل أكرى (أى أؤجر الرواحل للركوب) فى هذا الوجه وان اناسا يقولون لى ليس لك حج فقال ابن عمر أليس تحرم وترمى الجمار ؟ وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات قال : قلت : بلى أى نعم قال فان لك حجا : فقد جاء رجل الى رسول الله صلى عليه وسلم فسأله عن مثل ماسألتنى فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فأرسل اليه وقرأ عليه هذه الآية وقال لك حج رواه أبو داود وسعيد ابن منصور وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا سأله فقال أوجز نفسى من هؤلاء القوم فأنسك معهم المناسك الى أجر ؟ قال ابن عباس نعم أولئك لهم نصيب مما اكتسبوا والله سريع الحساب رواه البيهقى والدارقطنى •

السؤال :

الحنث فى الايمان والكفارة

١ - رجل حلف على المصحف وعاهد الله تعالى ألا يشترى لحما من جزار معين لخلاف وقع بينهما ثم زال هذا الخلاف ويريد الشراء منه فهل تلزمه كفارة يمين اذا اشترى وهل تقدم على الحنث أم تؤخر عنه .

٢ - مؤذن رسمى معين من وزارة الأوقاف حصل بينه وبين بعض المصلين خلاف فحلف أنه لا يؤذن ولا يصلى بالناس وعاهد الله على ذلك وأناب عنه شخصا آخر فى اقامة الشعائر وأصر على ذلك اصرارا .

الجواب :

يجيب على هذين السؤالين فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف فيقول عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) متفق عليه وذلك بذكر لفظ الجلالة أو اسم آخر من أسمائه تعالى كالرحمن والرحيم والقدير أو صفة من صفاته التى يحلف بها عرفا على ما ذهب اليه مشايخ الحنفية فيما وراء النهر ؛ لا بتناء الايمان على العرف سواء كانت الصفة صفة ذات كعزة الله وجلاله أو صفة فعل وهى التى يجوز وصفه بها وبضدها كالرحمة والغضب لجواز أن يقال رحم الله المؤمنين ولم يرحم الكافرين وغضب على اليهود دون المسلمين .

وذهب العراقيون من الحنفية الى ان الحلف بصفات الذات يمين بصفات الفعل ليس بيمينه والأول هو الأصح كما نقل عن البرهان وصححه الزيلعى واختاره صاحب الهداية والعناية .

الحلف بالقرآن : لقد تعارف الناس الحلف بالقرآن بقولهم والقرآن الكريم أو وحق القرآن الكريم لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا ؛ فذهب الأئمة الثلاثة والمتأخرون من الحنفية الى أنه يمين لكونه حلفا بصفة من صفاته تعالى وهى الكلام فهو كالحلف بعزته وجلاله كما ذكره الكمال فى

الفتح ونص عليه فى الفتاوى الهندية ورد المختار ؛ وقال ابن قدامة فى المغنى ان الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين ؛ وبه قال ابن مسعود والحسن وقتاده ومالك ، الشافعى وأبو عبيد وعامة أهل العلم •

الحلف بالمصحف • وكذلك تعارف الناس على الحلف بالمصحف يريدون به ما بين بين دفتيه من كلام الله تعالى فهو حلف بصفة الكلام فيكون يمينا •

قال العينى وعندى أنه لو حلف بالمصحف أو وضع يده عليه أو قال وحق هذا فهو يمين لاسيما فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأيمان الفاجرة ورغبة العوام فى الحلف بالمصحف : واليه ذهب الأئمة الثلاثة كما فى الفتح ورد المختار والمغنى •

الحلف بعهد الله وميثاقه ؛ واذا حلف بعهد الله أو قال : على عهد الله أو قال على عهد فهو يمين لأن عهد الله ميثاقه ومعناه كما ذكره الراغب فى مفرداته ما ذكره الله فى عقولنا أو ما أمرنا الله به فى كتابه وعلى لسان رسله والمعنى الأول راجع الى صفة الفعل كالخلق والمعنى الثانى راجع الى صفة الكلام وهى صفة ذات لأن الأمر والنهى من أنواعه كما تقرر فى علم الكلام ؛ وقد جرى العرف بالحلف بذلك فهو يمين عند الحنفية اذا أطلق الحالف ولم ينو ؛ وكذا عند مالك وأحمد أو نوى اليمين وأما اذا نوى عدم اليمين فلا يكون يمينا فيما بينه وبين الله تعالى كما يؤخذ من عبارة فتح القدير وقال ابن قدامة ان كونه يمينا مذهب الحسن وطاوس والشعبى والحارس القللى وقتاده والأوزاعى ومالك ؛ وقال عطاء وأبو عبيد وابن المنذر لا يكون يمينا الا بالنية ؛ قال الشافعى لا يكون يمينا الا اذا نوى بعهد الله صفته تعالى : هل تقدم الكفارة على الحنث أو تؤخر عنه •

تجب الكفارة بالحنث فى اليمين المنعقدة واتفق الأئمة على أنها اذا أتى بها قبل الحلف لا تجزىء واختلفوا فى الاتيان بهابعد الحلف وقبل الحنث

فذهب الحنفية الى أنها لا تجزىء لأن سبب الكفارة هو الحنث والشيء لايتقدم على سببه وذهب جمهور الأئمة الى أنها تجزىء نقل ذلك الشوكانى عن ابن المنذر والقاضى عياض والمازرى وغيرهم من الأئمة ورجح مذهب الجمهور وأيده بحديث عبدالرحمن بن سمرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اذا حلفت على يمين فكفر عن يمينك تم ائت الذى هو خير) رواه النسائى وأبو داود وهو كما فى المنتقى صريح فى تقديم الكفارة .

هل الحنث أفضل أم التمادى فيه

وقد دل الحديث السابق برواية النسائى وأبى داود وبلفظ البخارى ومسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك » وبلفظ فكفر عن يمينك وأت الذى هو خير (متفق عليه) على أن الحنث فى اليمين أفضل من التمادى فيه اذا كان فى الحنث مصلحة وذلك باختلاف المحلوف عليه فان حلف على فعل واجب ، أو ترك محرم فيمينه طاعة والتمادى واجب والحنث معصية وان حلف على واجب أو فعل حرام فيمينه معصية والتمادى حرام والحنث واجب وان حلف على فعل نفل فيمينه طاعة والتمادى مستحب والحنث مكروه .

وان حلف على ترك مندوب فالتمادى مكروه والحنث مستحب وان حلف على مباح فان كان يتجاوبه الفعل والترك فذلك يختلف باختلاف الأحوال على ما قاله ابن الصباغ من الشافعية وان كان مستوى الطرفين كالحلف على ألا يأكل هذا الخبز أو لا يلبس هذا الثوب فالتمادى أولى كما ذكره الشوكانى وهو مذهب الحنفية كما فى فتح القدير والحنث والتمادى مباحان عند الحنابلة كما فى المغنى .

اذا علمت هذا فالمحلوف عليه فى السؤال الأول وهو عدم شراء اللحم من جزار معين وهو والشراء منه أمران مباحان لا مرجح لأحدهما على

الآخر من حيث ذاتهما فاذا وجد هناك مرجح من أمر خارج كما اذا كان هذا الجزار قريب الحالف أو جاره مثلا فالحنث أفضل رعاية لحق القرابة أو الجوار واذا كان هناك جزار آخر أقرب الى الحالف فالتمادى أفضـل واذا لم يكن هناك أى مرجح فهـو مخير بين التمادى والحنث والظاهر عندى ترجيح الحنث ازالة لما تتركه القطيعة فى النفوس أما المحلوف عليه فى السـؤال الثـانى فهو ترك اقامة الشعائر فى المسجد المعين فيـه على الدوام فى حين أنه يتقاضى على اقامتها فيه مرتبا شهريا لا يستحقه شرعا الا فى مقابلة العمل ولا ترضى الوزارة بصرفه اليه الا اذا أدى عمله فيه ولا تقبل الامامة الا اذا كانت بتصريح منها فقياما بواجبه ودفعا للضرر عن نفسه وتحقيقا لمصلحته يجب عليه أن يكفر عن يمينه ويعود الى عمله حتى يحل له أجره فذلك خير له وأنفع والله أعلم ٠

عبد الفتاح الزيات

أنبــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

* فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر يحضر ندوة علماء الهند :

أقيم فى الهند فى الأول من نوفمبر ١٩٧٥ م ندوة علماء الهند ؛ وذلك بمناسبة ٨٥ عاما على انشائها ..

وحضر الندوة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ؛ وفضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ؛ ووفد من علماء الأزهر الشريف ؛ ووفود من علماء المسلمين يمثلون مختلف الدول الاسلامية ..

وكان فى استقبال شيخ الأزهر والوفد المرافق له بمطار الهند السيد/ شاه فواز خانوزير الأوقاف والشئون الدينية بالهند ؛ والسيد/ زكريا العدلى امام سفير مصر بالهند ؛ وكبار المسئولين بوزارة الخارجية الهندية ..

وألقى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر خطبة الافتتاح الرئيسية ؛ ورأس جميع جلسات الندوة ؛ والتقى بالمسئولين هناك ؛ وألقى سلسلة من المحاضرات فى الجمعيات والهيئات الاسلامية ..

كما ألقيت فى الندوة أيضا سلسلة من البحوث والموضوعات العلمية الهامة التى تناولت كثيرا من القضايا الاسلامية المعاصرة ومن أهمها :

١ - وسائل النهوض بالدعوة الاسلامية ..

٢ - تطوير مناهج التعليم الدينى بما يحقق متطلبات العصر ؛ وحاجات الجيل على أساس من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ومن أهم التوصيات التى انتهت اليها اللجنة :

١ - ضرورة العمل على انشاء هيئة علمية على مستوى العالم الاسلامى تعمل على التحرر من الاستعمار الفكرى والثقافى ..

٢ ـ صياغة المناهج التعليمية وفقـا للعقيدة الاسلامية ..

٣ ـ مطالبة الحكومات الاسـلامية بمنع عرض فيلم محمد رسول الله ..

*** رسالة من الرئيس الى ندوةعلماء الهنـد :**

وجه الرئيس محمد أنور السادات رسالة الى أعضاء ندوة علماء الهنـد التى أقيمت فى الهند فى الأول من نوفمبر المـاضى بمناسبه مرور ٨٥عاما على انشائها ..

وتلى رسالة الرئيس فى جلسـة افتتاح الندوة فضيلة الدكتور محمـد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ..

قال الرئيس فى رسالته :

(. . . انه لمن دواعى سرورى واغتباطى أن أغتنم هذه الفرصة التى سـنحت باجتماعكـم لأحيى جهـود ندوتكم فى نشر الدعوة الاسلامية ؟ والتمكين لقيامها؟والتوعية بأحكامها ،

ولعل أشـد ما يستوقف النظر اعجابا وتقديرا ما يعقده الآن المسلمون من ندوات وملتقيات واجتماعات ومؤتمرات لدراسة أحوالهم أو لتنسيق جهودهم ؟ أو لازالة أسباب الفرقة التى بذرتهافى القديم قوى الاستعمار، ومكنت لها قوى الجهل ..

وما أظن الا أننا نقف الآن بهذه الجهود على أبواب مرحلة من وحدة الصف ؟ نابعة من وحـدة العقيـدة ووحدة الهدف ...) ..

ثم قال :

(. . . اذا كانت ندوتكم قـد اتجهت الى دراسة المناهج التعليميـة على أسس من كتـاب اللـه وسـنة رسوله فانها بذلك تكون قد لمست لب الصواب ؟ واستهدفت المدخل السليم للتقدم والارتقاء ؟ والقضاء على ماعشى عقيـدتنا فى عهـود الظـلام من أوهام ...) ..

*** من خطاب الرئيس فى الكونجرس الأمريكى :**

من الخطـاب الهـام الذى ألقـاه الرئيس محمـد أنور السـادات فى الكونجرس الأمريكى فى الخـامس من نوفمبر المـاضى قوله :

(... ان تعاليم الاسلام السمحة ؟ وتقاليدنا الحضارية ؟ تحتم علينا أن

نحترم الشعوب الأخرى ؛ وأن نتعامل مع الدول على قدم المساواة ؛ لأننا نؤمن بأن الاسلام استمرار لعملية خضوع الانسان للارادة الالهية منذ بدء الخليقة ..

وقد أمرنا القرآن الكريم أن نقول :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

فالسلام بالنسبة لنا ليس مجرد أصل ومثل أعلى ؛ بل أنه احدى الوصايا الآمرة التى أنزلت الينا ونلتزم بها ؛ وسبيلنا الى التعبير عن اجلالنا وتوقيرنا للأنبياء هو أن نصلى لله ونبتهل اليه أن ينزل السلام على أرواحهم ..

فهل غريب اذن أن تكرس الأمة العربية جهدها لخدمة قضيه السلام ...) .

تحية من الأزهر لقائد النصر ؛ ورئيس دولة العلم والايمان ؛ وصانع قرار العبور الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ؛ ودعاء بأن يؤيده الله بنصره ؛ ويمده بعونه بقدر ما قدم لأمته ودينه من جهاد فى سبيل التقدم والرخاء واعلاء كلمة الله ونصرة دينه ونشر مبادئه وتعاليمه .

*** فضيلة الدكتور وكيل الأزهر يراس بعثة الحج الأزهرية :**

يرأس فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر بعثة الحج الأزهرية هذا العام .

وصرح فضيلته لمجلة الأزهر بأن عدد أعضاء البعثة ٤٠ عضوا تم اختيارهم بطريق الاقتراع من بين العلماء الذين سيقومون بمهمة الوعظ والارشادوالفتاوى بين الحجاج ؛ وأنه قد وضع للبعثة برنامج عمل فى البواخر وفى مواقع شعائر الحج فى الأماكن المقدسة ؛ بحيث تكون البعثة بعثة عمل طبقا لبرنامج معين ؛ وتؤدى واجبها بين أفراد الحجيج من مختلف أنحاء العالم .

*** مجمع اسلامى على مدخل قنـاة السويس :**

تم عمـل التصميمات للمجمع الاسلامى الذى سيقام على مدخل قناة السويس عند بورتوفيق ، على مساحة ٣٠٠٠ متر مسطح ..

ويضم المجمع مسـجدا ، أطلق عليـه اسم مسـجد بـدر ، وادارة للمسجد ، ومعهـدا دينيا ، ومكتبـة اسـلامية ، ومكتبـة عامة ، وقاعة اجتماعات كبرى ، وفصـول تقوية للطلبة والطالبات ، وجناحا لاستقبال العلماء ، ومستوصفا خيريا وصيدلية وناديا رياضيا ..

ابراهيم حامد النويهى

فهرس أبجدى عام

لمجلة الأزهر

الجزء السابع والأربعون

١٣٩٥ - ١٩٧٥

صفحة

(أ)

صفحة

(ب)

(ت)

(ح)

صفحة

(خ)

(د)

(ر)

(س)

(ش)

صفحة

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

هدايا صدرت مع المجلة

١ ـ أحاديث مختارة •

٢ ـ أحاديث مختارة •

٣ ـ أسماء وألقاب اسلامية •

٤ ـ أول هجرة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)

٥ ـ أيمن مولود فى الوجود •

٦ ـ بين الجاهلية وصدر الاسلام •

٧ ـ حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) •

٨ ـ زيد بن حارثة •

٩ ـ الهجرة النبوية •

١٠ ـ الرسالة العسكرية للمسجد •

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٢٥٥-١٩٧٥-٩٠٠٢

three foundations :

a) The establishment of justice and the realisation of human under-standing and beneficial cooperation among people in implementation of Quranic ordinances.

b) Preventing Muslim aggression on other people for Islam has forbidden aggression in all forms.

c) The protection of non-Muslims' freedoms especially the religious.

league regulating Muslim relations, is imperative as means of obviating inter-Muslim aggressions.

The second form is the case where war is already raging between one Muslim and another non-Muslim State in which case neutrality shall also be unjustified, for aggression on a Muslim should bring about a rally of Muslim forces to repell it. Aggression on a Muslim Party is but aggression on all the Muslims combined ; the Prophet himself having fought the Romans for thier aggression on the Muslims of Syria. A Muslim state might well be the aggresser. The duty of Muslims in such a case is to use their good offices towards a settlement through counsel and calling the people to the road of righteousness. Third form. The event of fighting between two non-Muslim states, which has three sub-divisions :

The situation where either fighting state is on hostile terms with the Muslim, and a truce or temporary armistice is being observed. The true in this case is binding unless it be discovered that the truce is intended to gain time for an aggression on Mulsims.

ii) The situation where a support-treaty exists between the Muslims and either fighting country in which case the Muslims could not adopt a neutral stand for they should put the treaty into execution. The Prophet declared war on Quraish for having violated the covenant by attacking Khoza' who had jointed the Prophet's ranks.

iii) A situation where neither fighting country has a covenant or treaty with the Muslims. According to sources, Muslims are bound to hold to neutrality in such case for the origin of Muslim relations is peace. This is so long as no aggression is waged on Muslims by either country at war. Malik has advised non-belligerance in this case for "God to punish a wrong-doer by another wrong-doer and also because Muslim intervention might entail support for either evil party. The Prophet has also said : "He who backs an unjust party will suffer Hell. Fire". Neutrality in cases such as this will also spare Muslim force.

Supposing, however, that either country is just and the other not, will a Muslim intervention in support of the wronged be justifiable ? Muslim logic would advise intervention with due regard to Muslim intersts as in cases of supporting the weak or the distressed provided that ample safeguards are obtained for the benifit of Muslims.

To sum up, international relations in peace-time are based on

that name to Muslim scholars hence the contention by some contemporary writers that the neutral system was not known in Islam. such contentions are erroneous, however, for situations are related in the Quran where war flared up between Muslims and other peoples while other countries, desirous of neutrality, kept allof from the conflict. The Quran has made it imperative to respect such countries neutralism as in God's words :

Except those who seek refuge with a people between whom and you here is a covenant, or (those who) come unto you because their hearts forbid them to make war on you or make war on their own folk. Had Allah willed He could have given them power over you so that assuredly they would have fought you. So, if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them.

This text is frank in that whoever wishes neutrality should have it without condition other than to make sure that he harbours no intention of aggressoin nor does he use the proclamation of neutrality as means of passing time for an early war. In the event of such aggressive intentions being ascertained, precautions should be taken as in God's words, "O ye who believe ! Take you precautions, then advance the proven ones, or advance all together."

This is the case of neutrality if called for by non-Muslims. As for neutrality in the event of war between two countries it has three forms :

First form : The occurrence of a dispute between two parties of believers such as happened at the time when dissensions were wide-open among the Muslims and they had no league to bring them together and prevent inter-Muslim aggressions. The Quran covered this case in God's Words, "And if two parties of believers fall to fighting, then make peace between them. And if one party of them doth wrong to the other, fight ye that which doth wrong till it return unto the ordinance of Allah; then, if it return, make peace between them justly, and act equitably. Lo ! Allah loveth the equitable. The believers are naught else than brothers. Therefore make peace between your brethren and observe your duty to Allah that haply ye may obtain mercy."

Neutrality in this case is unpermissible for a non-belligerant Muslim state should work towards conciliation and if either of the warring parties continues the aggression, it (the neutral) should join the vicitim to bring about a decisive conclusion to the dispute. Undoubtedly, the set up of a Muslim

necessary the fulfilment of pledges unless treachery is feared. This is borne out by God's saying: "And if thou fearest treachery from any flok, then throw back to them (their treaty) fairly. Lo! Allah loveth not the treacherous."

Zimmis and Covenanted Peoples' Treaties :

It is to be noted that the security pledge given to Zimmis under a covenant could only be permanent. The divergence of opinion over permanent peace does not cover this kind of pledge neither does it affect the treaty with a covenanted people which must always be everlasting in case the Muslims assume such people's defence.

It has already been stated that a covenanted people are that of country governed by its own sons who are left free by the Muslims to manage their own affairs provided they (the Muslims) would defend them against all aggression-in return for pavment towards the equipments of the defending army.

The prophet has also stressed the necessity of fulfilling pledges towards covenanted peoples and their proection as in the prophet's words "If you fight and conquer a people and such people would protect themselves against you by thier money and not their sons,you must come to term with them over this and get nothing from their thereafter."

These treaties are possibly made with the Kings but since Islam always has a special regard to the interests of the people themselves without flattering their kings, a treaty should be based on justice to the people-Al-Sarakssi in his 'Mabsut' said :

If a Zimmi King should ask to his Kingdom in the way he likes by killing crucifiction or other means which are not tolerated in the land of Islam,his demand should not be complied with ,for the recognition of injustice with prohibition being possible,is an unlawful act because a Zimmi is a person who is bound to abide by the rulings of Islam on dealings and any conditions in his security pledge which run counter to Islam, are invalid as stated by the prophet in the words "Every condition that exists not in God's Book is invalid."

NEUTRALITY

Neutrality is imposed where there exist two contesting powers, influence and the desire to dominate. It is also imposed upon the occurrence of war between two or more states, when one or more states would declare having nothing to do with such war or dispute.

Neutrality would, however, appaer to have not been known by

and could not help advising except in the light of actual situations. They thought peace to be a sort of forbidden weakness quoting in support of this view by God's words "Faint not nor grieve, for ye will overcome them if ye are (indeed) believers."

But permanent peace through power is in point of fact the height of human relations and not weakness or submission.

Some scholars absolutely confirmed permanent peace as did Ibn Taymieh in his Treatise on Fighting.

Divisions of Treaties :

Treaties are of two parts : Provisional treaties which continue to be valid until their expiry and Absolute in the sense that they are tied to no time-limit. A third division is of permanent treaties on which scholars' views have already been quoted.

Provisional treaties should be carried out until their expiration. As for the absolute treaties for which no time-limit has been set, the point has been raised whether they should be deemed to be valid for all times as if they were perpetual. The scholars did not interpret the absoluteness of such treaties as perpetuality but made it contingent upon the circumstances in which the treaties have been concluded.

They said that so long as such circumstances existed the treaties should be regarded as valid otherwise Muslims could have the treaties annulled. But if the treaties were no longer required could they be legitimately cancelled ? To this scholars said there should be no fight under changed conditions unless there be aggression or suspected aggression as borne out by God's words, "...except those with whom ye made a treaty near the sacred Mosque ? As long as these stand be true to them."

A school of thought has said all treaties in the interest of Muslims should be fullfilled where such interest would be served through fulfilment, otherwise they should be returned to the contracting party. This view was held by a certain section of Hanafi scholars who further stated that treaties are concluded for the benefit of Muslims at the time when they are held. Should conditions change with the result that the continued application of a treaty and abidance by its terms would prejudice Muslim interests, it should be annulled. This would be tantamount to the abolition of contracts for changed conditions , treaties being of the same nature as contracts, are affected by emergencies.

This in point of fact, is contradictory to the Quranic texts and the Prophet's tradition that render

Messenger of God, to Beni Damra, is to pledge security for their lives and property, and that they will be accorded victory over those antagonistic towards them ; and that they will respond to the Prophet if he calls on them for support ; ;they are bound to this pledge by the conscience of God and His Prophet, and he amongst them who will act charitably and piously, will be granted victory.

All these treaties are evidently pacts for the establishment of peace and good nighbourliness.

It will also be seen that the Prophet's treaties were in most cases aimed at the regulation of peace. Some of them such as the Hodaybeih peace-treaty had appeasement or truce for their objective. In the times of the Prophet's successors, treaties were not intended for the regulation of peace but rather for the cessation of hostilities or to offer the choice between covenants, Islam or the fight before warfare was launched. Among the treaties that stemmed from such choice was the one which Commander of the Faithful Omar ibnAl-Khattab with the people of Jerusalem.

The Umayyed and subsequent eras witnessed treaties for the temporary cessation of war. Peace then was of the nature of an arma stics and not a permanent peace.

This happened in the age of Idjtihad when Mohammad ibn Abu Yussef and Al-Shafei recorded their veiws on war and peace while the battle was raging. Only temporary peace pacts were known there for the Muslims in the expectation of an enemy aggression at any time, could not conclude a permanant peace. Al-Sarakshi in the commentary the "Al-Siyar Al-Kabir" said that permanent peace was not permissible, quoting the Prophet's temporary peace at Hodeybieh in confirmation of his view. He stressed that, only that form of peace was familiar while fighting raged. All-Rakhi confirmed this as the majority opinion.

The Hodaybieh peace undoubtedly was different from a provisional peace-pact but it did not impede the possibility of a permanent peace. It is established in God's words, "... so, if they hold aloof from you and wage not war against you and offer you peace, Allah alloweth you no way against them."

The turth is that those who said the basis of relation between Muslims and others was peace have permitted permanent peace, being a return to normal conditions, and considered war mere emergency. Those who have been influenced by accomplished facts, have been likewise influenced in connection with peace by stating that peace cannot be permanent. They had seen relations to be permanent war

PACTS AND PEACE

By

(LATE) SHEIKH MUHAMMAD ABU ZAHRA

Treaties before Islam were used by the strong as means of imposing their domination over the weak or the conquered. Once the weak grew strong, they discarded the treaties and fought to liberate themselves from the yoke of the strong. This continued to be the practice of the strong until very recently, and still prevails in contemporary relations. Pacts are resorted to in some cases to regulate peace but, it is the unjust form of peace that imposes on the weak the will of the powerful. The Holy Quran takes a different attitude towards treaties for it orders the fulfillment of pledges in an absolute manner unrestricted by power or weakness.

Since the basis of internal relations in Islam is peace as we have already concluded, treaties could be aimed either at the termination of a causal war and the return to a state of permanent peace, or the establishment of peace and the consolidation of its bases to obviate any future aggression.

This latter aim was the purpose of the Prophet's Covenant with the Jews of Al-Madinah at the time of Hijrah. The covenant was designed to establish peace and good neighbourliness, and based upon cooperation to check any external enemy or aggression.

When the covenant was concluded the Prophet in an instrument confirming it, wrote, "This is a pledge to you upon the conscience of God and of His Messenger, that you will be reassured about your lives, your religion, your wealth, your slaves and all your possessions, and that no army will tread your soil. He of You who goes on a journey will be safe through the protection of God and of His Messenger : There is no compulsion in religion".

It will be seen from this covenant that the Prophet undertook to provide full protection for the Jews' religious freedom, and concluding the text he quoted God's words "No compulsion in religion" The Jews, nevertheless, violated the pledge and broke the covenant.

Another pledge to protect covenanted peoples' lives and property was made by the Porphet in his covenant with the Arab tribes of Beni Damra ; the pledge said, "This letter by Mohammad, the

hesitate to deduce the legality of polygamy from the parable of the ten virgins, spoken of in the Gospel of Mathew (25 : 1-12), for Jesus Christ envisages there the possibility of the marriage of one man with as many as ten girls simultaneously. If the Christians do not want to profit by the permission (which the founder of their religion seems to have given them the law is not changed for all that. This is true of the Muslims also, whose law is moreover the only one in history which expressly limits the maximum permissible number of polygamous wives. (For Christian theory and practice, as well as for general discussion. cf. also Encyclopaedia Britanica. under the articles, Marriage, and Polygamy ; Westermarck, History of Human Marriage, 3 Vols).

The possibility of the annulment of a marriage has also existed in Muslim law since all time. There is the unilateral right acquired by husband, to divorce his wife. The wife also may acquire a similar right while contracting the marriage. The court of justice also possesses the right of separation of the couple on the plaint of the wife, if the husband is incapable of fulfilling his conjugal duties, or if he is suffering from a particularly serious sickness, or if he disappears for year without leaving a trace, etc. Further, there is also the bilateral separation, when the two mates agree mutually, on conditions, to discontinue their martial tie. The Quran (4/35) insists that the two should refer their quarrels to an arbitration, before deciding for definite separation. The saying of the Prophet may be remembered : "The most detestable of the permitted things in the eyes of God is the divorce". The law, the eithics, and the exhortations, all complete each other ; and the source of all these is the same, namely the Quran and the Hadith.

(concluded)

It is true that Islam permits polygamy, but on this point Muslim law is more elastic and more in harmony with the requirements of society than the other systems of law which admit polygamy in no case. Supposing there is a case, in which a woman has young children, and falls chronically ill, becoming incapable of doing the household work. The husband has no means of employing a maid-servant for the purpose, not to speak of the natural requirements of the conjugal life. Supposing also that the sick woman gives her consent to her husband to take a second wife, and that a woman is found who agrees to marry the individual in question. Western law would rather permit immorality than a legal marriage to bring happiness to this afflicted home.

In fact, Muslim law is nearer to reason. For, it admits polygamy when a woman hereself consents to such a kind of life. The law does not impose polygamy, but only permits it in certain cases. We have just remarked that it depends solely on the agreement of the woman. This is true of the first wife as well as with the second one in prospect. It goes without saying that the second woman may refuse to marry a man who has already one wife ; we have seen that no one can force a woman to enter into a marriage tie without her own consent. If the woman agrees to be a co-wife it is not the law which should be considered as cruel and unjust with regard to women and as favouring only men. As to the first wife, the fact of polygamy depends on her. For, at the time of her marriage, she may demand the acceptance and insertion, in the document of the nuptial contract, of the clause that her husband would practise monogamy. Such a condition is as valid as any other condition of a legal contract. If a woman does not want to utilize this right of hers, it is not legislation which would oblige her to do that. We have just spoken of exceptional cases ; and the law must have possible remedies. Polygamy is not the rule, but an exception ; and this exception has multifarious advantages, social as well as other — the details would be burdensome here — and the Islamic law is proud of this elasticity.

In the religious laws of antiquity, there is no restriction to the number of wives a man may have. All the biblical prophets were polygamous. Even in Christianity which has become synonymous with monogamy, Jesus christ himself never uttered a word against polygamy ; on the other hand there are eminent Christian theologians, like Luther, Melanchthon Bucer, etc. (cf. Dictionaire de la Bible by Vigouroux, Polygamie), who would not

that the Legislater has taken into consideration the rights of a woman in their entirety, together with the fact that laws are framed for normal cases of life and not for rare exceptions (for which latter, exceptional means are always provided). We have already mentioned that the woman possesses her property separately, on which neither her father nor her husband nor any other relative excercises any right whatsoever. Further, in addition to this separation of her proprietary rights, she has the right to maintenance (food, dress, lodging, etc.) ; and the court obliges her father, husband, son, etc., to satisfy on their sole expenses these needs of the woman. Again the woman obtains from her husband the 'mahr' a contractual sum, which went before Islam to the father of the woman, but which in Islam remains vested exclusively in the woman herself. This mahr is a necessary element without which no marriage is valid. Thus it will be seen that a woman has lesser material needs to satisfy on her own account than man, who has heavier obligations. In such conditions, it is easy to understand that a man has the right to a greater part of heritage than a woman. It should be remembered that, in spite of the fact that the woman has the right to be maintained at the expense of others, Islam accords her a supplementary right to property in the form of inheritance. It goes without saying that a good household requires mutual co--operation, and the woman also works to increase the income of the family, or to diminish the expenses which would follow if she does not work ; but we are speaking of the rights of woman, and not of the social practices which may vary according to individuals. The notion of the maintenance goes so far in Islam that, according to the law, a wife is not obliged even to give her breast to her suckling ; it is the duty of the father of a child to proccure for it a foster mother at his own expense, if the mother does not want to suckle it.

Let us speak of marriage, which also raises numerous questions. Marriage, according to Islam, is a bilateral contract, based on the free consent of the two contracting parties. The parents certainly aid by their counsel and their experience in searching or selecting the companion of life for their child, yet it is the couple who have the last say in the matter. In this respect, there is no differrence between man and woman, in so far as the law is concerned. Illegal practices may exist in varying degrees from region to region and class to class ; but the law does not recognise the customs which contravene its provisions.

ans of the Levant. According to this law (cf. Quran 4/7-12 and 4/176), different female relatives have obtained the right to inheritance; wife, daughter, mother, and sister in particular. With regard to inheritance, Islam makes no difference between the movable and immovable property; every thing must be divided among the rightful heirs. In order to avoid evil caprices, Islam has also prohibited the bequest of property by testament to strangers and the deprivation of the near relatives. In fact these latter do not require to be mentioned in a will; they inherit automatically. A will cannot even diminish or increase the rights of individual relatives to inheritance, the rights being fixed and determind by the law itself. The will is valid solely in favour of "strangers", i.e., those who have no right to inherit directly the property of the deceased. Islam has fixed the maximum, which one bequeath by will, and that is one - third of the whole property, the two-thirds going to near relatives. A will for more than one-third is valid only if the heirs unaimously accept it at the moment of distribution of the heritage.

The law of inheritance is complicated enough, for the shares of different heirs vary according to individual circumstances : the daughter alone or in the presence of a son, the mother alone or in the presence of the father, with children or without them, the sister alone or in the presence of the brother, father or children of the deceased, inherit in difference proportions according to individual cases. It is not our intention to describe it here in all details. The shares of female heirs may however be mentioned briefly. The wife gets one-eighth if the deceased leaves also a child ; otherwise she gets a fourth. The daughter when alone gets a half, several daughters get two-thirds which divide among themselves in equal proportions; - all this when there is no son. In the presence of a son, the daughter gets half of her brother. The mother, when alone, gets a third, in the presence of father, child or brothers and sisters of the deceased she gets one-sixth. The sister does not inherit if the deceased leaves a son ; but when alone, she gets a half ; two or more sisters get two-thirds which they divide among themselves equally. In the presence of a daughter, the sister gets one-sixth ; in the presence of a brother, she gets the half of what he gets. There are also differences between the shares of full sisters, consanguine sisters and uterine sisters.

It is perhaps necessary to give explanation justifying the inequality between sister and brother, between mother and father, and between daughter and son. It seems

THE MUSLIM WOMAN—II

By

DR. MUHAMMAD HAMIDULLAH

The perfect and complete indiviuality of the person of the woman as manifest in a most striking manner in the matter of property-According to the Islamic law, the woman possesses a most absolute right over her property. If she has attained majority, she may dispose of it according to her will without referrence to anybody else, wether it be her father, brother, husband or son or any other person. There is no difference in this matter between a man and a woman. The property of a woman cannot be touched even if her husband or father or any other relative has liabilities exceeding his assets. Similary, these relatives are not held responsible if she contracts debts. A woman has the same rights as man for acquiring property. She may inherit it, receive it in gift or donation, earn it by her own work and toil; and all this remains hers and hers alone. She is absolute mistress of her property to enjoy it or to give it to whomsoever she likes as a gift, or to dispose of it, by sale or any other legal means, at her will. All these rights are inherent in a woman; there is no question of obtaining them through special contracts, with the husband for instance or by an award depending on somebody else.

The right to inheritance requires some explanation. A pre-Islamic Arab woman had no right to inherit from anybody, either her father or even her husband. The Prophet did not pay attention to this question during the first fifteen years of his mission. The chroniclers mention that in the year 3 H., a rich Ansarite. Aus ibn Thabit died, leaving a widow and four daughters of tender age. According to the Madinan customs, only male adults, capable of taking up arms in a war, had the rihgt to inheritance ; and even a minor son had no right to the property of his deceased father. So the cousins of Aus took possession of all that he had left, and the family became overnight completely destitute and deprived of the means of livelihood. At that moment a passage of the Quran was revealed, promulgating the law of inheritance which is ever since practised by Muslims, and even by some other communities such as Christi-

the place of the (holy) House, saying : Ascribe thou nothing as partner unto Me, and purify My House for those who make the round (thereof) and those who stand and those who bow and make prostration. And proclaim unto mankind the Pilgrimage. They will come unto thee on foot and on every lean camel; they will come from every deep ravine. That they may witness thnigs that are of benefit to them, and mention the name of Allah on appointed days over the beast of cattle that He hath bestowed upon them. They eat there-of and feed therewith the poor unfortunate" (22—28).

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج وماتفعلوا
من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزادالتقوى
واتقون يااولى الالباب . — البقرة ١٩٧

It means : "The pilgrimage is (in) the well-known months, and whoever is minded to perform the pilgrimage therein (let him remember that) there is (to be) no lewdness nor abuse nor angry conversation on the pilgrimage. And whatsoever good ye do Allah knoweth it. So make provision for yourselves (Hereafter); for the best provision is to ward - off evil. Therefore keep your duty unto Me, O men of understanding'' (2 : 197)..

give up many other amenities of life and live the life of an ascetic.

A Muslim is taught to hold connection with God in a remote corner, in the dead of nights, and thus all alone he goes through the experience of drawing nearer to God But there is yet a higher spiritual experience to which he can attain in the Hajj which generally comes only once in a life time, and therefore, while it leading the pilgrim through the highest spiritual experience — the experience of a mighty concourse gathered together in one place. Thus, to concentrate all one's ideas on God in the company of others is the major object of Hajj.

Although many pre-Islamic practices were retained in the Hajj but, as has been shown above, the origin of these practices is traceable to Prophet Abraham, and every one of them carries with it a spiritual significance. The whole atmosphere of Hajj isa demonstration of the greatness of God and the equality of mankind. The Hajj is, the final stage in man's spiritua progress.

This great assemblage of Muslims from all quarters of the world may also be made the occasion of other advantages of a material or cultural nature and should serve the purpose of unifying the Muslim world and removing the misunderstandings between nation and nation. But looking broadly at the scene at Mecca during the Hajj days, one is struck in first place by the unity which is achieved among the discordant elements of humanity.

The Holy Quran speaks of Hajj as follows :

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين • فيه آيات بينات مقام ابراهيم
ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى
عن العالمين ••• آل عمران ٩٦ و٩٧

It means : "Lo- the first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (another name of Mecca), a blesed place, a guidance to the peoples; Wherein are plain memorials (of Allah's guidance); the place where Abraham stood up to pray; and whosoever entereth it is safe. And pilgrimage to the House is a duty unto Allah for mankind, for him who can find a way thither. As for him who disbelieveth, (let him know that) lo! Allah is Independent of (all) creatures" (3 : 96-97).

واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك
بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع
السجود • واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا
وعلى كل ضـــامر ياتين من كل فج عميق •
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام
معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا
منها واطعموا البائس الفقير • — الحج ٢٦ـ٢٨

It means : "And (remember) when We prepared for Abraham

refer to the details of Hajj actions, in a material sense. In order to remove some misconceptions in this regard we have to notice the following points :

The word Hajj means, literally, repairing to a thing for the sake of a visit, and in Islamic terminology, the repairing to Mecca to observe the necessary rites. The sacredness of Mecca and its connection with the names of Abraham and Ismael finds clear mention in the early revelations. The Kaba is stated in the Holy Quran to be the First House of Divine worship appointed for mankind (Quran 3 : 96). All the main features of Hajj were based on the authority of Abraham, who had not only rebuilt the Kaba and purified it of alll traces of idolatory, but he also enjoined Hajj with its main features which were, therefore, based on Divine revelation.

Abrahmic origin of chief features of Hajj reminds the unity of the Divin commandment and commemorates the sacrifices of Abraham, Father of the prophets. One of the wonderful feature of the Hajj is its influence in levelling all distinctions of race, colour and rank. People of all races and all countries meet togther in service of the Almighty God, and they are all clad in one simple dress.

It is Hajj alone that brings into the domain of practicality what would otherwise seem impossible, namely that all people to whatever class or country they belong should speak one language and wear the one dress. Thus passing through that gate of equality leads to broad broherhood. Hajj is the only occasion on which they are taught how to live in one way, how to act in one way and how to feel in one way. All men and women are equal in birth and death : they come into life in one way and they pass out of it in one way.

The significance of Hajj is evident from another point of view. Their appearance, as well as the words which are on their lips, show that they are standing in the Divine Presence, are so engrossed in the contemplation of the Divine Being that they have lost all ideas of self. Islam lays the greatest stress upon the spiritual development of man, and in its four main institutions; prayer, zakat, Fasting and Hajj. The five daily prayers require the sacrifice of a small part of his time, and without in any way interfering with his everyday life, enable him to realise the Divine Presence. The institution of zakat demands the giving up of a small portion of his wealth. Fasting requires the giving up of food and drink for a particular period. But the pilgrim is required not only to give up his regular work for number of days for the sake of the journey to Mecca, but he must, in addition,

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Dhu'l-Ḥijjah 1395	ENGLISH SECTION	DECEMBER 1975

HAJJ—A SUPREME SPIRITUAL EXPERIENCE

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The higher significane of Hajj is evident from the spiritual experience which is made possible by this unique assemblage of people from all walks of life. To concentrate all one's ideas on God, not in solitude but in the company of others, is the main object of Hajj. This is the deeper kind of spiritual experience beacause it is not of the hermit who cut off from the world, not of the devotee in the corner of solitude, but of the man living in the world, in the company of the vast concourse of people assembled in one place.

By this unique assemblage, one feels that all those veils which keep him away from God, are entirely removed and he is standing in the Divine Presence. Every member of this great assemblage sets out from his home with that object in view. He discards all those comforts of life which act as a veil against the inner sight. The comforts of life usually become a veil which shut out the other world from human sight, and sufferings and privations certainly, make a man turn to God.

The company of a man who is inspired by similar feelings and who is undergoing a similar experience would undoubtedly give additional force to the spiritual experience of each one of such companions. This is an undeniable truth and there is a mysterious way from one heart to another.

It is true that the cheif features of Hajj centre round the Kaba in Mecca. Some writers, deliberately or otherwise, take notice only of its outward actions and have never tried to discover their inner values and real significance. They also